مجموعة مؤلفات فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي (٣٦)

دليل السائر إلى الجنة

شرح المختار في أصول السنة

لأبي علي الحسن بن أحمد البنا

المتوفى ٤٧١ هـ

تأليف

عبد العزيز بن عبد الله الراجحي



مركز الراجحي للدراسات و الإستشارات


دليل السائر إلى الجنة
شرح المختار في أصول السنة

ح عبدالعزيز عبدالله الراجحي ، ١٤٣٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الراجحي، عبدالعزيز عبدالله

دليل السائر إلى الجنة شرح المختار في أصول السنة. /

عبدالعزيز عبدالله الراجحي – الرياض، ١٤٣٧ هـ.

٥٤٤ص ، ١٧ x ٢٤ سم

ردمك ٤-١٠١١-٠٢-٦٠٣-٩٧٨

١- السنة النبوية ٢- أهل السنة أ- العنوان

ديوي ٢٣٠ ١٤٣٧/٤٧١٠

رقم الإيداع: ١٤٣٧/٤٧١٠

ردمك: ٤-١٠١١-٠٢-٦٠٣-٩٧٨

الطَّبْعَةُ الأولى

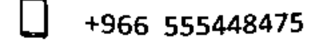
١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

تمّ الصّفّ والإخراج

بمركز عبد العزيز بن عبد الله الرّاجحي

للاستشارات والدراسات التربوية والتعليمية





+966 555448475

+966 535600668

0114455995 / Fax : Ext.108



info@mnaratt.com





http://shrajhi.com.sa/



@AlSheikhAlRajhi



@shrajhi



abdulaziz-alrajhi



مجموعة مؤلفات ورسائل فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي (٣٦)



دليل السائر إلى الجنة

شرح المختار في أصول السنة

لأبي علي الحسن بن أحمد البنا

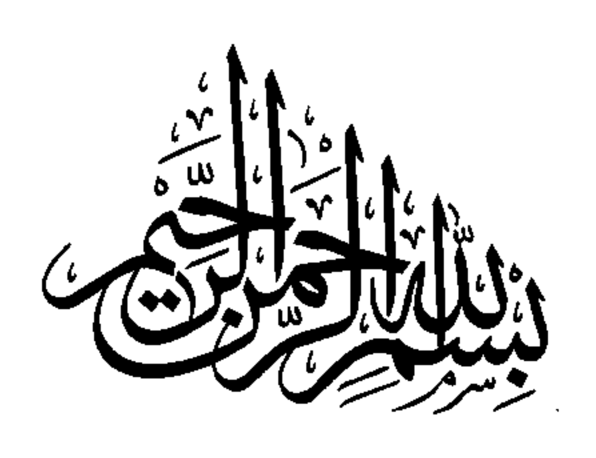
المتوفى ٤٧١هـ سنة

تأليف

عبد العزيز بن عبد الله الراجحي

مركز عبد العزيز بن عبد الله الراجحي

للاستشارات والدراسات التربوية والتعليمية


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهدِه الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضْلِل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له، وأشهد أن سيِّدَنا ونبيِّنَا وإمامَنا محمدًا بن عبدالله بن عبدالمطلب الهاشمي القرشي العربي المكي ثم المدني، أشهد أنه خاتم النبيين، وأنه رسول الله إلى الثقلين الجن والإنس، من العرب والعجم، وأنه بلَّغ الرسالة، وأدَّى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهادِه حتى أتاه من ربه اليقين، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى إخوانه من النبيين والمرسلين عليهم السلام، وعلى آله وعلى أصحابه رضي الله عنهم، وعلى أتباعه بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

فإن أئمة أهل السنة وعلماء الأمة، لهم جهود كثيرة، وأنشطة في سبيل نشر العقيدة وتثبيتها وتصحيحها والذب عنها، وإبطال كل ما يخالفها ويضادها من أقوال فاسدة، وقد بذلوا أوقاتهم ونفوسهم في أداء هذا الواجب العظيم، وكثرت المؤلفات وتنوعت، فمنها المخطوط، ومنها المطبوع.

وأغلب المؤلفين في كتب العقائد يذكرون معتقد أهل السنة والجماعة، ويستدلون له بالنصوص من الكتاب والسنة، ويذكرون مذهب المخالفين لأهل السنة والجماعة، (كالمعتزلة، والأشاعرة، والجهمية، والرافضة، والكرامية، والسالمية، والفلاسفة، والصوفية،

والباطنية، وغيرهم) فيذكرون مذاهبهم الفاسدة، وأدلتهم العقلية الكاسدة، وتأويلهم للنصوص، ثم يردُّون عليهم.

ومن العلماء من يؤلف مؤلفات خاصة في معتقد أهل السنة والجماعة فقط، دون أن يذكر أدلة المخالفين.

ومنهم من يذكر أدلة المخالفين لأهل السنة والجماعة؛ كالكتب التي أُلِّفت في الفرق في عقيدة المعتزلة والأشاعرة والمرجئة والقدرية.

ومنهم من يجمع بين الأمرين، وغالب كتب العقائد هو أن يكون الكتاب مُتضمِّنا لعقيدة أهل السنة والجماعة والاستدلال لهم، وعقيدة المخالفين لأهل السنة والرد عليهم.

وهذه الرسالة: «**المختار في أصول السنة**» من تأليف الإمام أبي علي الحسن بن أحمد بن عبدالله بن البنا الحنبلي، المولود سنة ست وسبعين وثلاثمائة، والمتوفى سنة إحدى وسبعين وأربعمائة، فعمره خمس وتسعون سنة، وهو من علماء أهل السنة والجماعة في القرن الخامس الهجري، وهو حنبلي المذهب.

وقد لخص المؤلف رحمه الله الرسالة أو اختارها من ثلاثة كتب:

الكتاب الأول: كتاب الشريعة للآجري، وهو كتاب عظيم في معتقد أهل السنة والجماعة ينقل بالأسانيد.

الكتاب الثاني: كتاب التوحيد من صحيح الإمام البخاري رحمه الله.

الكتاب الثالث: مشكل الحديث لابن قتيبة رحمه الله.

والمؤلف رحمه الله ينقل عن هذه الكتب الثلاثة، لذا سمّى كتابه «**المختار في أصول السنة**» فهو عبارة عن اختصار لمواضع من هذه الكتب الثلاثة.

وفي الغالب يلتزم بعبارات المؤلف، وأحيانا يتصرف في النقل، وهو ﷺ لم يلتزم نهجًا واحدًا في الاختصار، من حيث حذْف أسانيد الكتاب المختصرة أو إثباتها، فهو أحيانًا يذكر الحديث بإسناده، وأحيانًا يقتصر على راويه من الصحابة.

وفي اختصاره لكتاب الشريعة للآجري لا يورد أسانيد الآجُرِّيّ، وإنما يورد أسانيد يرويها من عنده هو، فيكون في هذا قوة للحديث، كما يفعل الإمام مسلم ﷺ حينما يذكر طرق الحديث المتعددة، فيكون بمثابة المستخرج.

والمؤلف ﷺ يذكر في هذا الكتاب معتقد أهل السنة والجماعة، ويرد على أهل البدع.

وفي نقله عن الإمام البخاري يذكر أحيانًا ترجمة الإمام البخاري، وأحيانًا لا يذكرها، وأحيانًا يذكر أسانيد البخاري، وأحيانًا لا يذكرها.

وذكر في هذا الكتاب أصولًا في التعريف بالطوائف من أهل البدع كالجهمية والرافضة والمعتزلة والمرجئة، وذكر أنه أفرد كتابًا في بيان الاثنتين والسبعين فرقة[1]، ومذاهبهم وأدلتهم والإجابة عنها.

وأطال المؤلف ﷺ النَّفَسَ في مسألة القرآن، والرد على الطوائف المبتدعة في ذلك بأنواعهم، فردَّ على القائلين بخلق القرآن، وعلى القائلين بأن اللفظ في القرآن مخلوق، وعلى الواقفة، وبيّن كما بيّن غيرُه من أهل العلم أن من قال: (القرآن مخلوق) فهو

---

(١) حديث افتراق الأمة إلى اثنتين وسبعين فرقة أخرجه أبو داود: كتاب السنة، باب شرح السنة، رقم (٤٥٩٦)، والترمذي: كتاب الإيمان، باب افتراق الأمة، رقم (٢٦٤٠) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه: كتاب الفتن، باب افتراق الأمم، رقم (٣٩٩١).

كافر، كما حكم بذلك الإمام أحمد وغيره من أهل العلم، وهذا الحكم على العموم، أما الشخص المعين فلا بد من إقامة الحجة عليه، وكذلك مَن قال: (لفظي بالقرآن مخلوق) فهو مبتدع، وكذلك الواقف منهم، وهو من توقف وقال: (لا أقول مخلوق، ولا غير مخلوق)، فالواجب على المسلم أن يجزم بأن القرآن كلام الله، مُنزّل وأنه غير مخلوق.

وقد يسر الله أن أتينا على هذا الكتاب بالشرح والبيان، والكلام على الأحاديث بما تيسر، وبيان الشاهد في المسألة، والفوائد، وذكر الفوائد من كلامِ أهل العلم المحققين.

وأسأل الله أن يثبت الجميع على الهدى، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه
عَبْدالعَزِيز بن عَبْدالله الرَّاجِحِي

فصل
في الحث على طلب العلم

إن طلب العلم وتعلُّمه وتعليمه من أفضل القربات وأَجَلِّ الطاعات، وهو ميراث الأنبياء ﷺ، ولهذا قال العلماء: إن طلب العلم أفضل من نوافل العبادة، يعني: إذا تعارض طلب العلم، مع الاتيان بنوافل الصلاة ونوافل الزكاة ونوافل الصيام ونوافل الحج؛ فإن طلب العلم مُقَدَّم؛ وما ذاك إلا لأن المسلم إذا تعلَّم العلم تَبَصَّر وتَفقَّه في دِين الله، وأنقذ نفسه من الجهل، وأنقذ غيره.

والأصل في الإنسان أنه لا يعلم، كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل: ٧٨].

وقال ﷺ: «**الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا، وَلا دِرْهَمًا، وَلَكِنَّهُمْ وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِالْعِلْمِ فَقَدْ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**»[1].

وطالب العلم الذي يسلك السبيلَ إليه إنما يسلك السبيل إلى الجنة، كما ثبت في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِيْ بِهِ عِلْمًا سَهل اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّة**»[2].

---

(١) أخرجه أبو داود: كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم، رقم (٣٦٤١)، والترمذي: كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، رقم (٢٦٨٢)، وابن ماجه: كتاب المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، رقم (٢٢٣).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء، رقم (٢٦٩٩).

والذي يُفَقِّهُه الله في دينه وفي شريعته قد أراد به خيرًا؛ كما ثبت في الصحيحين من حديث معاوية بن أبي سفيان ﵄ أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ يُرِدِ الله بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»(١).

قال العلماء: هذا الحديث له منطوق وله مفهوم(٢).

فمنطوقه: أن من فَقَّهَه الله في الدين فقد أراد الله به خيرًا.

ومفهومه: أن من لم يرد الله به خيرًا لم يُفَقِّهْه في الدين.

وأهل العلم هم أهل الخشية الحقيقية؛ كما قال الله ـ تعالى ـ في كتابه العظيم: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]، يعني: الخشية الحقيقية، وإلا فكلُّ مؤمن عنده أصل الخشية.

والله ـ تعالى ـ أمر نبيه ﷺ أن يسأله الزيادةَ في العلم، فقال ـ سبحانه ـ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ١١٤﴾ [طه: ١١٤]، ولم يأمره أن يسأله الزيادةَ من المال أو الجاه.

والعلماء لهم مكانتهم، ولهم ميزتهم، فلا يساوون غيرهم؛ ولهذا قال الله ﷻ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ٩﴾ [الزُّمَر: ٩].

ومِن شَرف أهل العلم أن الله ـ تعالى ـ قَرَن شهادة أهل العلم بشهادته وشهادةِ ملائكته على أجلِّ مشهود به، وهي الشهادة لله ـ تعالى ـ بالوحدانية؛ فقال ﷻ في كتابه العظيم: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرًا يفقه في الدين، رقم (٧١)، ومسلم: كتاب الزكاة، رقم (١٠٣٧).

(٢) انظر: اختلاف الأئمة العلماء (١/ ١٨)، ومجموع الفتاوى (٢٠/ ٢١٢)، وفتح الباري (١/ ٢٩٠).

ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ [آل عمران: ١٨].

والعلم إنما يشرف بشرف المعلوم، وأشرف العلوم هو علم التوحيد المأخوذ من كتاب الله ﷻ، وسنة رسول الله ﷺ.

وعلم التوحيد والعقيدة ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١- توحيد الربوبية.

٢- توحيد الألوهية.

٣- توحيد الأسماء والصفات.

أما توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات فيتعلق بذات الرب ﷻ، وإثبات حقيقة ذات الرب وأسمائه وصفاته وأفعاله، وهذان النوعان من التوحيد وسيلةٌ إلى توحيد العبادة، وذلك أن الإنسان عليه:

أولًا: أن يعرف معبودَه ـ يعني: يعرف ربه ـ بأسمائه وصفاته وأفعاله.

فإذا عرف ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله، فعليه بعد ذلك **علمٌ ثانٍ**، وهو: أن يعرف حق الله ﷻ حتى يؤديه، وذلك هو عبادته ﷻ بأداء الواجبات وترك المحرمات، وامتثال الأوامر واجتناب النواهي.

ثم بعد ذلك هناك **علمٌ ثالث**، وهو: العلم بالجزاء والثواب الذي أعدَّه الله للمؤمنين الموحِّدين؛ وما أعد لهم من الكرامة، وما يكون في يوم القيامة من البعث، والجزاء، والحساب، والميزان، والصراط، والجنة، والنار، وما أعده الله ﷻ لأعدائه الكفرة من الجزاء والحساب، ودخولهم النار ـ نسأل الله السلامة والعافية ـ.

□ **فيكون العلم ثلاثةَ أقسام ـ لا رابع لها ـ:**

القسم الأول: العلم الذي يتعلق بذات الرب وأسمائه وصفاته وأفعاله.

القسم الثاني: العلم الذي يتعلق بحق الرب؛ من الأوامر والنواهي.

القسم الثالث: العلم بالجزاء، وما يكون في الآخرة، وما أعده الله ـ تعالى ـ في الآخرة لمن وحَّد الله من الكرامة والنعيم، ولمن ترك التوحيد مِن الشقاء والعذاب.

كما قال العلامة ابن القيم رحمه الله في الكافية الشافية:

وَالْعِلْمُ أَقْسَامٌ ثَلَاثٌ مَا لَهَا ... مِنْ رَابِعٍ، وَالْحَقُّ ذُو تِبْيَانِ
عِلْمٌ بِأَوْصَافِ الْإِلَهِ وَفِعْلِهِ ... وَكَذَلِكَ الْأَسْمَاءُ لِلرَّحْمَنِ
وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ الذِي هُوَ دِينهُ ... وَجَزَاؤُهُ يَوْمَ الْمَعَادِ الثَّانِي[1]

وعلى طالب العلم أن يُخْلِص عملَه لله، ولْيَعْلَمْ أنه في عبادة من أَجَلِّ القربات وأفضل الطاعات، فطلب العلم أفضل من نوافل العبادات كلِّها، فهو أفضل من نوافل الصلاة، وأفضل من نوافل الصيام، وأفضل من نوافل الحج، وأفضل من نوافل الجهاد؛ فبالعلم ـ بعد توفيق الله ﷻ ـ يستطيع الإنسانُ أن يُنْقِذ نفسَه، ويُنْقِذ غيره من النار.

فلابد أن يخلص الطالب نيته، ويصلحها بأن يرفع الجهلَ عن نفسه؛ فيتبصر، ويتفقه في دِين الله وفي شريعته، وفيما يجب عليه في حقه ﷻ، ثم بعد ذلك يُبَصِّر غيره، ويرفع الجهل عن غيره.

وطلب العلم ـ بما أنه عبادة ـ **لابد له من أمرين** ـ هما الركنان

---

(١) انظر: متن القصيدة النونية (١/ ٢٦٦).

الأساسان، اللذان لا تصح أي عبادة إلا بهما.

الركن الأول: أن يكون مقصود المتعبد وجه الله والدار الآخرة، لا يريد رياء ولا سمعة ولا الدنيا ولا حُطامها ولا الجَاه، إنما يريد وجه الله والدار الآخرة.

الركن الثاني: أن تكون هذه العبادة موافقة لشرع الله والصواب على دِينه.

فالركن الأول هو تحقيق شهادة أن لا إله الله وأن لا يعبد إلا الله، **والركن الثاني** هو تحقيق شهادة أن محمدا رسول الله، وإذا تخلف الأمر الأول حل محله الشرك، وإذا تخلف الأمر الثاني حلَّ محله البدعة.

قال الله - تعالى - في كتابه العظيم: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠] فقوله - تعالى -: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾، هذا هو الصواب، وهو الأمر الثاني: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾، هذا هو الإخلاص.

وقال ﷻ: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢]، فإسلام الوجه: إخلاص العمل لله، والإحسان: هو إتقان العمل، وكونه موافقًا للشرع، وقال ﷻ: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة: ١١٢].

وقال ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**»[١]. هذا هو الأصل الأول.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؟ رقم (١)، ومسلم: كتاب الإمارة، رقم (١٩٠٧).

وعندهما من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ**»[(١)]، وفي لفظ لمسلم: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا؛ فَهُوَ رَدٌّ**»[(٢)].

وعلى طالب العلم أن يترقى في العلم، فالمبتدئ عليه أن يبدأ أولًا برسائلَ صغيرةٍ في عقيدة السنة والجماعة في توحيد العبادة؛ كالأصول الثلاثة، والقواعد الأربع، وكشف الشبهات، وكتاب التوحيد، هذه الكتب الأربعة للإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله.

وقد كان المبتدئون ـ فيما سبق ـ يحفظونها، ولا يزال العلماء يُدَرِّسونها للصغار وللكبار.

فالأصول الثلاثة: هي التي يُسأل عنها الإنسان إذا وضع في قبره: (من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟) وهي رسالة عظيمة مختصرة يحفظها صغار الطلبة، وهي مفيدة لا يستغني عنها المنتهي.

ثم القواعد الأربع: وهي في التمييز بين أهل الشرك وأهل التوحيد.

ثم كشف الشبهات: وهي عبارة عن سلسلة من الشبهات لأهل الشرك والرد عليها.

ثم كتاب التوحيد: الذي هو الكتاب العظيم الذي لم يؤلَّف على مِثله، ولم يُنسَج على مِنواله؛ لأنه كتاب متخصص لتوحيد العبادة والإلهية؛ حتى فيما كتبه العلماء السابقون، مثل كتاب التوحيد للإمام البخاري في الأسماء والصفات، والسبب في ذلك أنه في

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، رقم (٢٦٩٧)، ومسلم: كتاب الأقضية، رقم (١٧١٨).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الأقضية، رقم (١٧١٨).

زمانهم ـ رحمهم الله ـ كان الانحراف في الأسماء والصفات، أما في زمان الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله فقد كان الشرك في العبادة؛ فلهذا ألف هذا الكتاب الذي لم يُنسج على منواله، وليس له نظيرٌ فيما نعلم في كتاب توحيد العبادة، وهو فوق الستين بابًا في إثبات توحيد العبادة، وفي بيان ما يضاده من الشرك الأكبر والبدع والشرك الأصغر، وهو على طريقة الإمام البخاري رحمه الله باعتراف المحققين، نَفَسُه نَفَسُ البخاري في التراجِم والاستدلال والآيات.

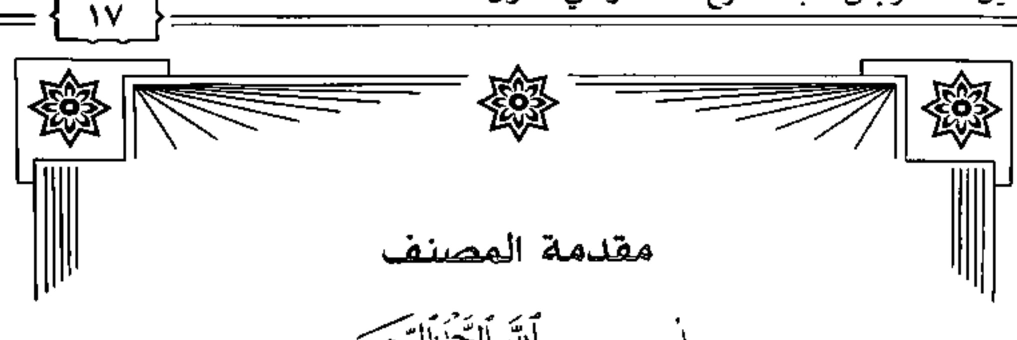
ثم بعد ذلك هناك كتب السنة وهي كثيرة، ومِن أهمها في توحيد الأسماء والصفات وتوحيد الربوبية مؤلفات الإمام المجدد العالم العلامة، البحر الفهامة تقي الدين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وأولها رسالة: العقيدة الواسطية، وهي رسالة عظيمة ينبغي أن يحفظها كل طالب عِلم، وهي رسالة مختصرة في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة، والإشارة إلى إبطال ما خالفها، وهي مختصرة وصغيرة، كتبها رحمه الله في جلسة بعد العصر جوابًا عن سؤال.

ثم العقيدة الطحاوية، **ثم** الفتوى الحموية الكبرى، **ثم** التدمرية، وغيرها.

ومن هذه الكتب: كتاب أصول السنة للإمام أحمد بن حنبل، وكتاب السنة لابنه عبدالله، وكتاب السنة للخلال، وكتاب شرح السنة للبربهاري، وغيرها.







مقدمة المصنف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

رَبِّ يَسِّرْ وَلَا تُعَسِّرْ، وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ، وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ.

وَبَعْدُ: فَجَعَلَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ مِنَ الْمُوَفَّقِينَ، وَأَلْحَقَنَا بِدَرَجَاتِ الصَّادِقِينَ؛ فَإِنَّك سَأَلْتِنِي أَنْ أَخْتَصِرَ لَك مِنْ كِتَابِ الشَّرِيعَةِ لِأَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْآجُرِّيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ أُصُولًا فِي السُّنَّةِ، وَأَحْكِي كَلَامَهُ فِيهَا، فَأَجَبْتُكَ إِلَى ذَلِكَ إِذْ كَانَ إِمَامًا نَاصِحًا، وَوَرِعًا صَالِحًا، وَكَلَامُهُ نَيِّرًا وَاضِحًا، نَفَعَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ بِهِ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ إِنْ شَاءَ اللهُ.



الشرح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

افتتح المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ كتابه بـ«بسم الله الرحمن الرحيم»؛ تَأَسِّيًا بالكتاب العزيز؛ فقد افتتح الله جَلَّ جَلَالُهُ كتابه بـ«بسم الله الرحمن الرحيم»، واقتداء بفعله ﷺ في مكاتباته.

○ قوله: «رَبِّ يَسِّرْ وَلَا تُعَسِّرْ»، هذا دعاءٌ وسؤالٌ لله، وتوسلٌ بربوبيته، والتوسل بربوبية الله وأسمائه وصفاته مِن أسباب قَبول الدعاء، قال الله ـ تعالى ـ في كتابه العظيم: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فالمؤلف توسَّل بربوبية الله ﷻ، فهو الرب، وهو رب العالمين، ربَّى عباده بنعمه، فكل نعمة بالعباد فهي من الله ﷻ، فهو الذي خلقهم وأوجدهم مِن العَدم، وهو الذي مَنَّ على المؤمنين بالإيمان ـ الذي هو أعظم نعمةٍ أنعم الله بها عليهم ـ، وخَذَل الكافرين؛ عدلًا منه وحكمة.

فالمعنى: سؤال الله التيسير، وهذا دعاءٌ طيب.

○ قوله: «**وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**»، افتتح بالحمد لله رب العالمين؛ تأسيًا بالكتاب العزيز، فإن الله ـ تعالى ـ افتتح كتابَه بعد البسملة بالحمد لله رب العالمين.

و«**ال**» في الحمد للاستغراق؛ حيث إن جميع المحامد مِلك لله ﷻ، مِلْكًا واستحقاقًا، **والحمد هو الثناء على المحمود بصفاته الجميلة الاختيارية مع حبه وإجلاله وتعظيمه**، والحمد أكمل من المدح، فإن المدح فيه الإخبار بالثناء، والإخبار بصفات الممدوح، هو أن تخبر بصفات الممدوح، وقد تكون هذه الصفات خَلقية ليست اختيارية؛ لا دخل له فيها، وكذلك لا يلزم من المدح أن يكون معه محبةٌ، بخلاف الحمد، **فالحمد يفارق المدح من جهتين**:

الجهة الأولى: أن الحمد ثناءٌ على الصفات الاختيارية التي يفعلها باختياره، والمدح ثناء عليه بالصفات التي هي موجودة فيه، وقد تكون اختيارية، وقد تكون خَلقية.

الجهة الثانية: أن الحمد إخبارٌ أو ثناءٌ على المحمود بصفات اختيارية مع حبه وإجلاله، وأما المدح فلا يلزم معه المحبة، فأنت تُثني على الأسد بأنه قوي؛ لأنه قويُّ العضلات، ولكن هذه صفات خَلقية ليس له دخل فيها، ولا تحبه ولا تعظمه، وكما تُثني على الإنسان بأنه

جميل، وبأنه طويل... إلخ، مما هو صفات خلقية، فهذا مدح.

والحمد يكون على مثل: الشجاعة، والإقدام، والكرم، والإحسان، والإيثار، فهذه صفات اختيارية.

فالله ـ تعالى ـ محمود على ما له من الصفات العظيمة، والصفات العُلى، والصفات الكاملة، والأسماء الحسنى البالغة في الحسن: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠] ومحمود على نِعَمِه العظيمة، وإحسانه العظيم على عباده، فهو الذي أوجدهم وخلقهم، ورزقهم، وهداهم ووفقهم، ولا وجود لأي مخلوق ولأي حي إلا بالله؛ فالله ـ تعالى ـ هو الحي القيوم ـ أي: القائم بنفسه، المقيم لغيره ﷻ ـ.

ولفظ الجلالة «الله» أَعرَف المعارف، هو عَلَمٌ على الذات الإلهية، لا يُسَمَّى به إلا هو ﷻ، وما بعده من الأسماء تكون صفاتٍ له، تقول: (الحمد لله الرحمن الرحيم الملك القدوس)، فما بعد لفظ الجلالة صفاتٌ له.

و«الله» أصلها الإله، على وزن فِعَال، من أله، حُذِفت الهمزة التي هي فاء الكلمة، فالتقت اللام الزائدة الأولى واللام الثانية التي هي عين الكلمة، فشُدِّدت اللام فصارت الله، و«الله» هو المألوه، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين.

وقولنا: (المألوه) أي: الذي تَأْلَهُهُ القلوب مَحبةً وإجلالًا وتعظيمًا ورغبةً ورهبةً، وغير ذلك من معاني العبودية لله ﷻ؛ ولهذا قال ابن عباس ﵄: **«اللهُ ذُو الإلهيةِ والعُبودية عَلَى خَلْقِهِ أَجْمَعِينَ»**[1].

---

(١) أخرجه ابن جرير: (١/ ١٢٣).

○ قوله: «رَبّ»: أي المربي، وهو رب العالمين، يعني: مُرَبِّيهم بنعمه ﷻ.

و«رَبّ» حيث تكون مَعرّفة بالألف واللام لا يطلق إلا على الله، أما «رب» بدون ألف ولام فيُطلق عليه وعلى غيره، مثل: ربّ الدار، وربّ الإبل، وربّ الثوب.

۞ أسماء الله ﷻ وصفاته نوعان:

النوع الأول: خاص بالله لا يسمى به غيره، مثل: الله، والرحمن، ومالك الملك، والمعطي، والمانع، والضارّ، والنافع، ورب العالمين، وخالق الخلق.

النوع الثاني: مشترك، مثل: العزيز، والسميع، والبصير، والحي، والعلي، والقدير.

○ قوله: «**العالمين**»: كل ما سوى الله ﷻ، فكل ما سوى الله فهو عالَم، ونحن من ذلك العالَم، فهو الله ـ تعالى ـ رب الجميع، مُرَبِّيهم وخالقهم ورازقهم ومُوجِدُهم ومحييهم ومميتهم.

○ قوله: «**وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**»: المتقين: جمع مُتَّقٍ، والمتَّقي هو الذي اتقى الله ﷻ، وجعل بينه وبين غضبه وسَخَطِه وِقَاية، فاتقى الشرك، واتقى البدع والمعاصي، فوحَّد الله وأخلص له العبادة.

والمؤمن قد اتقى الشرك، وهذا أصل التقوى، أما كمال التقوى فهو أن يتقي الشرك والبدع والمعاصي، فمن كمل تقواه لله ﷻ دخل الجنة مِن أول وَهْلَة، ومن كان عنده أصل التقوى فوحَّد الله، ولكن أضعف هذه التقوى بالبدع والكبائر فهو على خطر عظيم، وهو تحت مشيئة الله ﷻ، قد يعفو عنه، وقد يُعَذَّب في قبره، وقد تصيبه أهوالٌ

وشدائدُ في موقف القيامة، وقد يُشفع فيه، وقد يدخل النار، وإذا دخل النار فإنه يعذب على قدر جرائمه، ثم يخرج منها برحمة أرحم الراحمين، أو بشفاعة الشافعين، ولا يبقى في النار إلا الكفرة.

○ قوله: «**وَصَلَّى اللهُ**»: **أصح ما قيل في صلاة الله هو**: ما رواه البخاري عن أبي العالية أنه قال: «**صَلَاةُ اللهِ: ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ**»(١).

○ قوله: «**عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ**»: هو نبيُّنا محمد ﷺ سيد المرسلين، وسيد المؤمنين، وسيد المتقين، وسيد العالمين، قال ﷺ كما في صحيح مسلم: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا فَخْرَ**»(٢).

○ قوله: «**الْمُرْسَلِينَ**» الذين أرسلهم الله ﷻ، جمع مُرْسَل، وهو الذي أرسله الله، **وأصح ما قيل في الرسول أنه**: الذي أرسله الله تعالى إلى أمةٍ كافرةٍ فآمن به بعضهم، وكفَر به بعضهم.

وهم أهل الشرائع العظيمة، مثل نوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد ـ عليهم الصلاة والسلام ـ.

أما النبي فهو: الذي يُرْسَل إلى قوم مؤمنين، ويُكَلَّف بالعمل بشريعة سابقة، وقد يُوحى إليه وحيٌ خاص.

مثل: أنبياء بني إسرائيل الذين جاءوا بعد موسى عليه السلام، كلهم كُلِّفُوا بالعمل بالتوراة؛ كداود، وسليمان، ويحيى، وزكريا، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟﴾ [المائدة: ٤٤].

---

(١) أخرجه البخاري تعليقا: كتاب تفسير القرآن، بَابُ قَوْلِهِ: ﴿إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٤].

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الفضائل، رقم (٢٢٧٨).

○ قوله: «محمد»: عَلَمٌ على نبيِّنا ﷺ، واسمٌ من أسمائه، سُمِّي محمدًا؛ لكثرة محامده، ألهم اللهُ أهلَه أن يُسمُّوه محمدًا، وله أسماء كثيرة ـ عليه الصلاة والسلام ـ ومنها أحمد كما في الإنجيل، كما قال الله ﷻ عن عيسى؛ أنه قال: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصَّف: ٦].

ومن أسمائه ﷺ: الحاشر والمقفِّي والعاقب، والحاشر هو الذي يُحْشَر الناس على قدمه، والمقفِّي والعاقب الذي ليس بعده نبي[(١)].

فله ﷺ أسماء كثيرةٌ، كما أن لله ﷻ أسماء كثيرة، وكذلك القرآن له أسماء كثيرة منها: القرآن، والشفاء، والفرقان، وكذلك الفاتحة لها أسماء كثيرة.

بل حتى بعض المخلوقات لها أسماء كثيرة، فالسيف مثلا له أسماء كثيرة، منها: المُهَنَّد، والعَضْب، والصَّقِيل، حتى قيل: إن له مائة اسم.

وكذلك الأسد له أسماء كثيرة، منها: الهِزَبْر، والضِّرْغَام، والقَسْوَرَة، حتى قيل: إن له خمسمائة اسم.

○ قوله: «مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ»: فهو ﷺ نبيٌّ ورسولٌ.

○ قوله: «وَآلِهِ»: **أصح ما قيل في الآل،** أنهم أتباعه ﷺ على دِينه، وقيل: هم قرابته المؤمنون، والأصح أن الآل: هم كل من آمن به، ويدخل في ذلك دخولا أوليا أهل بيته وأقاربه المؤمنون:

---

(١) أخرج البخاري: كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ، رقم (٤٨٩٦)، ومسلم: كتاب الفضائل، رقم (٢٣٥٤) أنه ﷺ: «**إِنَّ لِي أَسْمَاءً، أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللهُ بِيَ الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمَيَّ، وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ أَحَدٌ، وَقَدْ سَمَّاهُ اللهُ رَءُوفًا رَحِيمًا**».

فاطمة، والحسن، والحسين، وعلي، والعباس، وحمزة، وكذلك زوجاته ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

○ قوله: «الطَّاهِرِينَ» أي: الذين طهَّرهم الله من الشرك والبدع، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وهذه الإرادة إرادةٌ شرعيَّةٌ دينيَّةٌ.

ولم يقل المؤلف بعد الآل: (وصحبه والتابعين)، ولو قال ذلك لكان أولى، لكن عذره في ذلك أنهم يدخلون في الآل، وإذا عطف الصحب على الآل صار مِن عطف الخاصِّ على العامِّ.

○ قوله: «وَبَعْدُ»: تعبيرٌ عن الانتقال من شيء إلى شيء، ولو قال: (أما بعد) كان أحسن، فقد كان النبي ﷺ يأتي بها في خُطَبه وفي رسائله، وكان إذا خطب يوم الجمعة يقول: «**أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَإِنَّ أَفْضَلَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا**»[(١)].

وفي كتبه ورسائله لما كتب إلى هرقل قال: «**مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ وَرَسُولِهِ، إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدَاعِيَةِ اللهِ ـ تَعَالَى ـ إِلَى الإِسْلامِ، وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ**»[(٢)].

واختُلف في أولِ مَن قالها:

فقيل: داود ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

وقيل: قس بن ساعِدة.

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الجمعة، رقم (٨٦٧).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم (٧)، ومسلم: كتاب الجهاد والسير، رقم (١٧٧٣).

وقيل: غير ذلك[١].

والمقصود أن (أمَّا بعدُ)، أو (وبعد) يُؤْتَى بها للانتقال من شيء إلى شيء، وهو هنا الانتقال من الخطبة إلى الدخول في صلب الموضوع.

○ قوله: «فَجَعَلَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ مِنَ الْمُوَفَّقِينَ»، هذا من نُصح المؤلِّف؛ أنه يعلمك ويرشدك، ويدعو لك، وبذلك جمع بين أمرين: تعليم العلم، والدعاء لك، وهذا من صفات العلماء الناصحين، وإنَّ أنصحَ الناس للناس هم العلماء، ينصحون للناس في الحياة وبعد الممات.

ومثال ذلك صاحب (يس)، الذي نصح قومَه فقتلوه، فلما بعثه الله ﷻ ورأى ما له من الثواب على إيمانه، تمنَّى أن يعلم قومُه حالَه ليتبعوه، فالله ـ تعالى ـ بلغ عنه: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٢٠ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٢١ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢٢ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ۝٢٣ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢٤ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ۝٢٥﴾ [يس: ٢٠-٢٥]، هذا من نصحه لهم في الحياة.

وبعد الممات: ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ۝٢٦﴾ [يس: ٢٦]، أي: يعلمون أني على خير؛ حتى يعلموا ويستقيموا على

---

(١) قال العجلوني في كشف الخفاء (١/ ١٩٤): «اختلف في أول من نطق بأما بعد على أقوال: فقيل آدم، وقيل يعقوب، وقيل يعرب بن قحطان، وقيل سحبان بن وائل، وقيل كعب بن لؤي، وقيل قس بن ساعدة، وقيل داود وهو أقربها، وقد نظم ذلك بعضهم فقال: جرى الخلف (أما بعد) من كان ناطقا... بها عد أقوال وداود أقرب». انتهى.

طاعة الله، وحتى يوحدوا الله، فبلَّغ الله ﷻ عنه: ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [يس: ٢٦-٢٧]. فأنصحُ الناسِ للناس هم الأنبياء والرسل ﵈، ثم العلماء بعدهم، فالعالم يعلمك ويدعو لك.

○ قوله: «فَجَعَلَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ مِنَ الْمُوَفَّقِينَ» أي: جعلنا الله وإياك يا طالب العلم من الموفقين، والموفَّق: هو الذي وفَّقه الله ﷻ وسدَّده، وقذف في قلبه محبةَ الحق، وقبولَه، والرضا به، واختيارَه.

○ قوله: «وَأَلْحَقَنَا بِدَرَجَاتِ الصَّادِقِينَ»، هذه دعوة ثانية، والصادقون هم الذين صدَّقوا إيمانَهم بأقوالهم وأعمالهم، آمنوا بالله وأحبوا الله ﷻ، وأقروا بألسنتهم، وعملوا بجوارحهم؛ فصارت أعمالهم تُصدِّق أقوالهم، وأعمالهم وأقوالهم تصدق ما في قلوبهم من الإيمان، فالقلب يصدق، واللسان ينطق، والجوارح تعمل، هذا هو المصدِّق، بخلاف الكاذبين المنافقين.

فالمنافقون قلوبهم تُكذِّب أعمالهم، وهم يعملون ويصلون ويصومون، ولكن قلوبهم مكذبة ـ نعوذ بالله ـ؛ فلذلك حبطت أعمالهم، قال الله ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [البَقَرَة: ٨]، فهم يقولون: إنهم مؤمنون، باللسان؛ إلا أن قلوبَهم لا تحمل شيئًا منه، فما هم بمؤمنين حقًّا.

وقال ﷻ: ﴿قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾﴾ [المنَافِقون: ١] فهم كاذبون، يشهدون بألسنتِهم أنه رسولُ الله، وقلوبُهم مُكَذِّبةٌ.

والصادقون على درجات، والصدق إذا قوي صار المؤمن صدِّيقًا، والصدِّيق هو الذي قوي تصديقه، حتى إن إيمانه الصادق

ليحرق الشبهات والشهوات؛ ولهذا صار الصدِّيق في مرتبة بعد مرتبة الأنبياء، وقبل مرتبة الشهداء، وأعظمهم وأعظم الناس صدِّيقية الصدِّيق الأكبر أبو بكر رضي الله عنه.

وقد ورد في القرآن والسنة الثناء على الصادقين، ووعدهم بالفوز العظيم:

١ - قوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾ [المائدة: ١١٩].

٢ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: ٣٥].

٣ - قوله - سبحانه -: ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾ [آل عمران: ١٧].

٤ - قوله الله - تعالى -: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: ١١٩].

٥ - قوله - عليه الصلاة والسلام -: «**الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا أَوْ قَالَ: حَتَّى يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا**»[١].

(١) أخرجه البخاري: كتاب البيوع، باب إذا بين البيعان ولم يكتما ونصحا، رقم (٢٠٧٩)، ومسلم: كتاب البيوع، رقم (١٥٣٢).

٦ ـ قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا**»[1].

* * *

ثم قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: «**فَإِنَّك سَأَلْتِنِي أَنْ أَخْتَصِرَ لَك مِنْ كِتَابِ الشَّرِيعَةِ**»، يتكلم كأنه يخاطب بعضَ تلاميذه، فكأن هذا الكتاب جوابٌ عن سؤال؛ والسائل سأل المؤلف أن يكتب له مختصرًا من كتاب الشريعة للآجري؛ فأجابه إلى سؤاله.

○ قوله: «**لأبي بكر محمد بن الحسين الآجُرِّيّ**»، هو الإمام أبو بكر محمد بن الحسين بن عبدالله الآجُرِّيّ المتوفى سنة ستين وثلاثمائة، قال الذهبي رَحِمَهُ اللهُ: «وله تصانيف حسنة، وكان من الأئمة»، وكتابه (الشريعة) من الكتب الحافلة المهمة في شرح وبيان عقيدة أهل السنة[2].

○ قوله: «**أُصُولًا فِي السُّنَّةِ وَأَحْكِي كَلَامَهُ فِيهَا، فَأَجَبْتُك إِلَى ذَلِكَ**»؛ فتبين بهذا أن هذه الرسالة وهذا الكتاب جواب عن سؤال، ولم يذكر اختصارَه لكتاب التوحيد من صحيح البخاري، ولا اختصارَه لكتاب مشكل الحديث لابن قتيبة؛ لأن أكثر ما نقل المؤلفُ هو من كتاب الشريعة، وإلا فهو نقل كما سيأتي من كتاب التوحيد للإمام البخاري، وكذلك نقل عن ابن قتيبة، إلا أن أكثرَ نقلِه كان من كتاب الشريعة؛ وهذا اختصار من المؤلف رَحِمَهُ اللهُ.

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، رقم (٢٦٠٧).

(٢) انظر: تذكرة الحفاظ (٣/٩٣٦/٨٥٦)، وشذرات الذهب (٣/ ٣٥)، ووفيات الأعيان (١/ ٤٨٨).

○ قوله: «**إِذْ كَانَ إِمَامًا نَاصِحًا، وَوَرِعًا صَالِحًا، وَكَلَامُهُ نَيِّرًا وَاضِحًا**» إذ ظرفية، يعني: حيث، أي: لأن الإمام الآجُرِّيّ رَحِمَهُ اللهُ إمامٌ ناصح للأمة في مؤلفاته؛ حيث نقل الأدلةَ من الكتاب والسنة وكلامِ أهل العلم، وبوَّبَ تبويبًا بديعًا، وردَّ على أهل البِدَع، فكان ناصحًا، فلهذه الأسباب أجابَ المؤلفُ السائلَ لطلبه.

○ قوله: «**نَفَعَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ بِهِ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ**» أي: نفعنا الله وإياك أيها السائل وجميعَ المسلمين بما نقلته لك من كتاب الإمام الآجُرِّيّ في الشريعة.

○ قوله: «**إِنْ شَاءَ اللهُ**»: ليس شكًّا، إذ ليس هذا من باب الاستثناء، فالدعاءُ لا ينبغي للإنسان أن يستثني فيه؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «**إذا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيَعْزِم المَسْأَلَةَ، وَلا يَقُولَنَّ: اللهُمَّ إنْ شِئْتَ فَأَعْطِنِي، فَإِنَّهُ لَا مُسْتَكْرِهَ لَهُ**»[1].

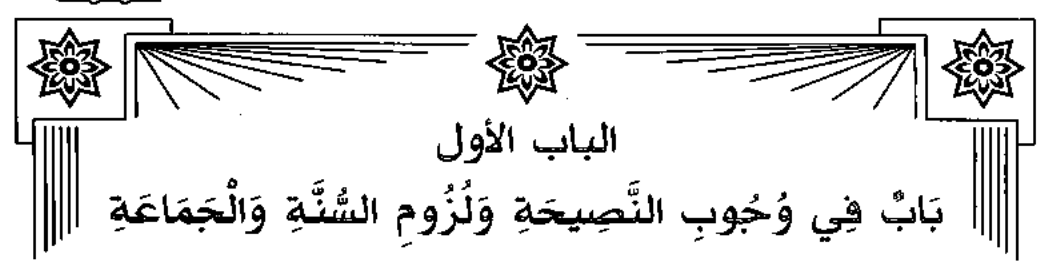
فليس مقصود المؤلف رَحِمَهُ اللهُ هنا الاستثناء في الدعاء، وإنما مقصودُه مثل ما جاء في الحديث: «**طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللهُ**»[2]. فيكون هذا من باب الخبَرِ الذي لا يُقصَد به الاستثناء، أو هو من باب التبرُّك بذكر اسم الله ﷻ.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الدعوات، باب ليعزم المسألة، فإنه لا مكره له، رقم (٦٣٣٨)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، رقم (٢٦٧٨).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٦١٦).



الباب الأول
بَابٌ فِي وُجُوبِ النَّصِيحَةِ وَلُزُومِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ

١ ـ أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُاللهِ بْنُ يَحْيَى بْنِ عَبْدِالْجَبَّارِ السُّكَّرِيُّ ﵀ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ الصَّفَّارُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبَّاسٌ التَّرْقُفِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ اللَّيْثِيِّ، عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «إِنَّمَا الدِّينُ النَّصِيحَةُ، إِنَّمَا الدِّينُ النَّصِيحَةُ ـ ثَلَاثًا ـ»، قَالَ: لِمَنْ؟ قَالَ: «للهِ تَعَالَى، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَامَّتِهِمْ»[١].

وَرَوَاهُ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِاللهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبَلٍ ﵁ فِي الْمُسْنَدِ: عَنْ سُفْيَانَ عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ عَنْ عَطَاءٍ[٢].

وَرَوَاهُ عَنْ عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ وَوَكِيعٍ عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ سُهَيْلٍ[٣].

٢ ـ وَأَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الْبَادِي ﵀، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُالْبَاقِي بْنُ مَانِعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُاللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ خِرَاشٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَاصِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ اللَّيْثِيِّ، وَذَكَرَهُ.



هذا الباب الأول من أبواب هذا الكتاب: «بَابٌ فِي وُجُوبِ

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان: رقم (٥٥).
(٢) أخرجه أحمد في المسند: رقم (١٦٩٤٠).
(٣) أخرجه أحمد في المسند: رقم (١٦٩٤٧).

النَّصِيحَةِ وَلُزُومِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ»، وهذه الترجمة تضمنت أمرين:

الأمر الأول: وجوب النصيحة، فالنصيحة واجبة على كل إنسان بحسبه.

الأمر الثاني: لزوم السُّنَّة والجماعة.

فإذا تخلف أيٌّ من الأمرين كان هناك نقص في اعتقاد المرء، فلو أهمل النصيحة صار الإنسان عنده خلل في عقيدته، وكذلك إذا لم يلزم السنة والجماعة؛ انحرف، وصار مع أهل البدع.

فالواجب على المسلم أن يلتزم بهذين الأمرين: النصيحة، وأن يلزم السنة والجماعة.

وذكر المؤلف رحمه الله تحت هذه الترجمة تسعة من الأحاديث والآثار، وأول حديث ذكره حديث تميم الداري رضي الله عنه - وهو حديث مشهور، وهو من أحاديث الأربعين النووية، يحفظه كل إنسان - وهو أن النبي ﷺ قال: «**الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة ثلاثا**».

وذكر المؤلف رحمه الله لفظا آخر فقال: «**إِنَّمَا الدِّينُ النَّصِيحَةُ، إِنَّمَا الدِّينُ النَّصِيحَةُ - ثَلَاثًا -**»، **قَالَ: لِمَنْ؟** - وفي لفظ: قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «**للهِ تَعَالَى، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَامَّتِهِمْ**»، وهذا الحديث رواه الإمام مسلم كما هو معروف، ورواه الإمام أحمد والنسائي والبيهقي في السنن، والمؤلف رحمه الله ذكر سند الإمام أحمد، وطرق الحديث فقال: رواه الإمام أبو عبدالله أحمد بن حنبل في المسند عن سفيان عن سهيل، ثم قال: ورواه عن عبدالرحمن بن مهدي، ثم قال: وأخبرنا أبو الحسن، وهذا الحديث صحيح ثابت، وهو من جوامع الكلم الذي أوتيه النبي ﷺ.

فقد اختصرت له ﷺ الحكمة اختصارا، فإن الحكيم هو الذي يأتي بألفاظ قليلة وتحتها معانٍ غزيرة؛ ولهذا فإن النبي ﷺ كان إذا خطب خطبة الجمعة يخطب بكلمات معدودة، لو عدها العادُّ لعدّها، لكن كل كلمة منها تحتها معانٍ غزيرة؛ ولهذا تحفظ خطبه[(١)]، بخلاف بعض الخطباء الثرثارين، قد يستمر ساعة أو ساعتين، يثرثر بألفاظ جوفاء، ليس فيها معانٍ، بل يكرر ويعيد.

وكان عليه الصلاة والسلام أحيانا يخطب بـ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١﴾ [قَ: ١] حتى قالت أُخْتٌ لِعَمْرَةَ وهي إحدى الصحابيات: «أَخَذْتُ ﴿قٓۚ﴾ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ مِنْ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَهُوَ يَقْرَأُ بِهَا عَلَى الْمِنْبَرِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ»[(٢)].

ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ، وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ مَئِنَّةٌ مِنْ فِقْهِهِ**»[(٣)]، أي: علامة على فقهه.

وهذا الحديث داخل تحت الجزء الأول من الترجمة، وهو قوله: «**بَابٌ فِي وُجُوبِ النَّصِيحَةِ**». ففيه: وجوب النصيحة، وفيه أن النبي ﷺ جعل الدين كله نصيحة، لشمولها إياه، وهذا واضح من الحديث، والدين كله هو النصيحة؛ ولهذا فسرها لما قيل: يا رسول الله لمن؟ قال: «**لله تعالى، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المؤمنين، وعامتهم**».

فالنصيحة لله ـ تعالى ـ: هي توحيده، وإخلاص الدين له، وأداء

---

(١) عن عائشة رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ كان يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ عَدَّهُ العَادُّ لَأَحْصَاهُ»، أخرجه البخاري: كِتَابُ المَنَاقِبِ، بَابُ صِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ، رقم (٣٥٦٧)، ومسلم: كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، رقم (٢٤٩٣).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الجمعة، رقم (٨٧٢).

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الجمعة، رقم (٨٦٩).

حقه ـ سبحانه ـ، ومنها أن توحد الله بأسمائه وصفاته وأفعاله وألوهيته وعبادته، وأن تؤدي حقه، وأن تأتمر بأمره، وتنتهي عن نهيه، وتبتعد عن الشرك وعن المعاصي والكبائر.

والنصيحة لكتاب الله: هي أن تؤمن بكتاب الله، وأن تقرأه، وأن تتدبره وتتفهم معانيه، وتعمل بمحكمه، وتؤمن بمتشابهه، وتقف عند حدوده، وتتعظ بمواعظه، وتنزجر بزواجره، وتستفيد وتعتبر بأمثاله.

والنصيحة للرسول ﷺ: هو أن تؤمن به ـ عليه الصلاة والسلام ـ، فتؤمن بنبوته ورسالته، وأن تصدقه في أخباره، وتمتثل أوامره، وتجتنب نواهيه، وتتعبد لله بما شرع في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، وتعتقد أن الرسل أفضل الناس.

والنصيحة لأئمة المؤمنين: وفي لفظ: «**لأئمة المسلمين**»[1]، هو السمع والطاعة لولاة الأمور في طاعة الله ﷻ، وموالاتهم ومحبة الخير لهم، وعدم الخروج عليهم، أو التأليب عليهم، ومناصحتهم فيما بينك وبينهم سرًّا فيما يناسبهم في الأوقات المناسبة، وبالعبارات المناسبة، والعمل المناسب.

وطاعة ولاة الأمر مقيدة بما فيه طاعة لله ﷻ، كما قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ ﷻ**»[2]. وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ**»[3]. لكن ليس

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، رقم (٥٥).

(٢) أخرجه أحمد في المسند: رقم (١٠٩٥).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، رقم (٧١٤٥)، ومسلم: كتاب الإمارة، رقم (١٨٤٠).

معنى ذلك أن يتمرد الإنسان على ولي أمره، بل المعنى أنه: لا يطيعه في المعصية، ولا ينزع يد الطاعة، ولا يؤلب الناس عليه.

والوالد: إذا أمر ولده بالمعصية لا يطيعه، لكن ليس معنى ذلك أن يتمرد الابن على والده ويعصيه ويعقُّه، بل المعنى لا يطيعه في المعصية.

والزوجة: لا تطيع زوجها في المعصية، لكن ليس معنى ذلك أن تتمرد على زوجها، وتخرج من طاعته، بل لا تطيعه في خصوص المعصية.

وكذلك العبد: لا يطيع سيده في معصية الله ﷻ، لكن ليس معنى ذلك أن يتمرد على سيده، بل معنى ذلك أنه لا يطيعه في خصوص المعصية.

وكذلك ولاة الأمور: يطاعون في طاعة الله ﷻ وفي الأمور المباحة، ولا يجوز الخروج عليهم ولا منابذتهم، ولا تأليب الناس عليهم، وإنما النصيحة لهم على النحو المبيَّن سابقًا.

والنصيحة لعامة المسلمين: محبة الخير لهم وتعليمهم وإرشادهم ووعظ جاهلهم وإطعام جائعهم، وتوجيههم إلى الخير، وتحذيرهم من الشر، ومحبة الخير لهم؛ كما يحب الإنسان لنفسه، كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيْهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»[1].

فهذا الحديث ـ بالإضافة إلى دلالته على وجوب النصح ولزوم

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، رقم (١٣)، ومسلم: كتاب الإيمان، رقم (٤٥).

الجماعة - هو دليل أيضًا على صدق إخباره ﷺ وأنه قد أوتي جوامع الكلم، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله، وعلى أصحابه أجمعين، وعلى التابعين لهم بإحسان.



أوصاف المحدثين ونقلة العلم والأخبار

٣ـ وَأَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُالْبَاقِي قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْفَضْلِ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُالْوَهَّابِ بْنُ نَجْدَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ، عَنِ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ أَبِي قَبِيلٍ، عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرٍو وَأَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَا: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ»[1].

وَهَذَا أَوَّلُ حَدِيثٍ فِي الشَّرِيعَةِ، رَوَاهُ الآجُرِّيُّ عَنِ الْفِرْيَابِيِّ عَنْ قُتَيْبَةَ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِالْجَبَّارِ الْحِمْصِيِّ، عَنْ مُعَانِ بْنِ رِفَاعَةَ السَّلَامِيِّ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِالرَّحْمَنِ الْعُذْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ وَذَكَرَهُ.

قَالَ مُهَنَّا: (سَأَلْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللهُ عَنْ حَدِيثِ مُعَانِ بْنِ رِفَاعَةَ وَقُلْتُ: كَأَنَّهُ كَلَامٌ مَوْضُوعٌ، قَالَ: لَا، هُوَ صَحِيحٌ، وَمُعَانٌ لَا بَأْسَ بِهِ).

الشَّرْحُ

○ قوله: «يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ»، يقول

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى: كتاب الشهادات، بَابُ: الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْفِقْهِ يُسْأَلُ عَنِ الرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ، رقم (٢٠٩١١)، وابن وضاح في البدع: بَابُ مَا يَكُونُ بِدْعَةً، رقم (١).

المؤلف ﷺ «مَنْ أَحْيَا» حَدِيثٍ فِي الشَّرِيعَةِ، رَوَاهُ الْآجُرِّيّ عَنِ الْفِرْيَابِيِّ عَنْ قُتَيْبَةَ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِالْجَبَّارِ الْحِمْصِيِّ، عَنْ مُعَانِ بْنِ رِفَاعَةَ السَّلَامِيِّ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِالرَّحْمَنِ الْعُذْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ وَذَكَرَهُ» وهذا مرسلٌ؛ لأن إبراهيم بن عبدالرحمن العذري ليس صحابيًّا، فيكون مرسلاً[١]، والمرسل ضعيف[٢].

ولهذا فإن هذا الحديث ضعَّفه بعض أهل العلم؛ كما ذكر المحققون والمخرِّجون لهذا الحديث[٣].

والحديث له طرقٌ متعددةٌ، منها المرسل كما ذكره الآجُرِّيّ، ومنها: المتصل؛ ولهذا قال مُهنا: إنه سأل الإمام أحمد رحمه الله عن حديث معان بن رفاعة، قال له: كأنّه كلام موضوع؟ فقال الإمام

---

(١) تعريف الحديث المرسل: «هو ما سقط من آخره من بعد التابعي». وقال: «وصورته: أن يقول التابعيُّ ـ سواء كان كبيرًا أو صغيرًا ـ: قال رسول الله كذا، أو فعل كذا، أو فُعِلَ بحضرته كذا، أو نحو ذلك». قال: «وهذا الذي عليه جمهور الْمُحَدِّثِين». وانظر: نزهة النظر (١/ ١٠١)، والنكت على ابن الصلاح: (٢/ ٥٤٣).

(٢) قال ابن حجر في نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر (١/ ٢٢٠): «إنْ عُرِفَ مِن عادةِ التابعي أنه لا يُرْسِل إلا عن ثقةٍ، فذهب جمهور المحدثين إلى التوقف؛ لبقاء الاحتمال، وهو أحَدُ قَوْلَي أحمد، وثانيهما ـ وهو قول المالكيِّين والكوفيين ـ: يُقْبَلُ مطلقًا، وقال الشافعي: يُقْبَلُ إن اعْتَضَد بمجيئه مِن وجهٍ آخرَ يُبايِنُ الطريقَ الأولى، مسندًا أو مرسَلًا، لِيَرْجَحَ احتمالُ كونِ المحذوفِ ثقةً في نفسِ الأمر. ونَقَل أبو بكر الرازي من الحنفية، وأبو الوليد الباجي من المالكية: أن الراوي إذا كان يُرْسِل عن الثقات وغيرهم لا يُقْبَلُ مُرْسَلُه اتّفاقًا».

(٣) كالشيخ الدكتور عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر، فقد ذكر تخريج هذا الحديث، وأنه رواه البزار كما في كشف الأستار، والعقيلي في الضعفاء، وابن عبدالبر، كلهم من طريق خالد بن عمرو؛ وقال البزار: «خالد بن عمرو هذا منكر الحديث»، والحديث له طرق أيضًا ذكرها العلماء في الكامل، وفي الضعفاء، وفي شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي.

أحمد: لا، هو صحيحٌ، ومعان لا بأس به[١]، فصحح الحديث ﷺ.

وقد جمع العلامة ابن القيم ﷺ طرق الحديث في كتابه (مفتاح دار السعادة)[٢]، في فصل وأطال، وقال: «هذا الحديث له طرق عديدة»، وذكر ما يقرب من عشرة طرق، وقال: «إنه صحيح وذكر له طرقا متعددة»، وقال: «إن هذا الحديث له معانٍ عظيمة».

وقال بعض المحققين: إن الحديث وإن كان له طرق متعددة إلا أن كلها ضعيفة لا يثبت منها شيء، وقال البُلْقِيني: «الحديث لم يصح».

فاجتمع من أقول العلماء في حكم هذا الحديث رأيان:

الأول: أنه لم يصح، كقول البلقيني.

الثاني: أنه صحيح، كما قال الإمام أحمد، والعلامة ابن القيم، فإن الحديث روي مرسلا وروي مرفوعا، وابن القيم ﷺ اعتمده، وهو أيضا من المحققين ومن أهل الحديث.

وإن كان كثيرٌ من المحققين والمؤلفين ضعّفوا الحديث، فيكون الحديث مختلفًا في تصحيحه وتضعيفه، والصّواب مع من صححه؛ لأن الإمام أحمد ـ إمام أهل السنة والجماعة ـ من المتوسطين في التجريح والتعديل.

وهذا الحديث دليلٌ على تزكية أهل الحديث، وهم نقلة الحديث ونقاده، فهم عُدول بنص حديث رسول الله ﷺ.

○ قوله: «يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ»، أي: العلم الذي جاء به رسول الله ﷺ وهو السنة، فالسنة النبوية يحملها نقاد الحديث ونقلة

---

(١) انظر: شرف أصحاب الحديث (١/ ٢٩)، وتاريخ مدينة دمشق (٧/ ٣٩)، والنكت على مقدمة ابن الصلاح (٣/ ٣٣٣)، ولسان الميزان (١/ ٧٧).

(٢) انظر: مفتاح دار السعادة (١/ ٤٨).

الأخبار، وهم عدول بنص الحديث، وهذا تعديل وتوثيق من رسول الله ﷺ للمحدثين ونقلة الأخبار والنقاد.

○ قوله: «مِنْ كُلِّ خَلَفٍ»، والخلَف، هو الذي يأتي بعد السابق، فالسابق يسمى: سلف، والذي يأتي بعده يكون خَلَفاً، وهو العقب الصالح الذي يأتي بعد السلف الصالح، بخلاف الخَلْف - بإسكان اللام - فهو العقب الفاسد، كما قال ﷻ: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ [مريم: ٥٩] أما العقب الصالح يقال له خلف فيقال: خير خلف لخير سلف.

۞ أوصاف المحدثين ونقلة العلم والأخبار الذين عدَّلهم النبي ﷺ وزكاهم ثلاثة أوصاف:

الوصف الأول: أنهم «**يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ**»، والغالون جمع (غال)، والغالي هو الذي تجاوز الحد.

مثال ذلك: الخوارج الذين غلوا في النصوص؛ فيستدلون بما جاء من النصوص في المعاصي ويجعلونها حجة على التكفير، وذلك بأنهم عمدوا إلى أحاديث نزلت في الكفار فجعلوها في عصاة المسلمين؛ فمثلا إذا قرؤوا قول الله - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ۝١٠﴾ [النساء: ١٠] حكموا على آكل مال اليتم بالكفر، وقالوا: بالتخليد في النار.

وكذلك أيضا حديث: «**إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ[(١)] بِهَا أَحَدُهُمَا، فَإِنْ كانَ كَمَا قَالَ وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ**»[(٢)]. جعلوه

---

(١) باءَ: رجع، والمراد: اتصف بالكفر. انظر: القاموس المحيط (١/ ٣٤).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب من كفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال، رقم (٦١٠٤)، ومسلم: كتاب الإيمان، رقم (٦٠).

في الكفر الأكبر، ولم يجمعوا بين النصوص.

وكذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء: ٩٣] قالوا: إن هذا مخلد في النار، ولم ينظروا إلى الآية الأخرى: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ﴾ [البقرة: ١٧٨] فهم أهل زيغ وضلال، بما غَلَوْا وعمدوا إلى بعض النصوص وأولوها على غير تأويلها، كما أنهم بفعلهم هذا أخذوا ببعض النصوص وتركوا النصوص الأخرى.

فأهل العلم وأهل الحديث ينفون عن الحديث تحريف الغالين، ـ كالخوارج، والمعتزلة، والقدرية، والروافض، والجهمية، والمعتزلة، والمرجئة، وغيرهم من أهل البدع ـ، ويبينون معاني النصوص، ويجمعون بينها، ويضعونها في مواضعها.

الوصف الثاني: أنهم ينفون عن الدين «**انْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ**»؛ والمبطلون هم الذين ينتحلون النصوص، ويستدلون بها على باطلهم، فيبينون هذا الانتحال وهذا الانتساب، وبعض المبطلين (وهم من الطوائف المنحرفة) يأخذ بعض النصوص ويستدل بها على باطله، فيحذف؛ أو يبتر النصوص عما قبلها وما بعدها، كمن يقرأ ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾﴾ [الماعون: ٤]، ولا يقرأ ما بعدها، فينتحل هذه النصوص ويستدل بها على باطله، فالعلماء والمحدثون يبينون انتحال المبطلين، ويبينون معاني النصوص.

الوصف الثالث: أنهم ينفون عن الدين «**تَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ**»: والجهال هم الذين ليس لهم عِلم ولا بصيرة، ولا فقه في شريعة الله ﷻ، ويتأولون النصوص على غير تأويلها بسبب جهلهم وقلة علمهم

وقلة بصيرتهم.

فلهذه الأوصاف العظيمة زكَّاهم النبي ﷺ وعدَّلهم، فقال: «**يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ**»، والحديث له طرق متعددة صححه الإمام أحمد والعلامة ابن القيم وغيرهم من أهل العلم، وإن كان بعضهم قد ضعفه.





الأمر بإكرام الصحابة ولزوم الجماعة

٤ - أَخْبَرَنَا ابْنُ عَبْدِالْجَبَّارِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا الصَّفَّارُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الرَّمَادِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُالرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ عَبْدِالْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ قَامَ بِالْجَابِيَةِ خَطِيبًا، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَامَ فِينَا مَقَامِي فِيكُمْ، فَقَالَ: «أَكْرِمُوا أَصْحَابِي، فَإِنَّهُمْ خِيَارُكُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَظْهَرُ الْكَذِبُ، حَتَّى يَحْلِفَ الإِنْسَانُ عَلَى الْيَمِينِ لَا يُسْأَلُهَا، وَيَشْهَدُ عَلَى الشَّهَادَةِ لَا يُسْأَلُهَا، فَمَنْ سَرَّهُ بُحْبُوحَةُ الْجَنَّةِ فَعَلَيْهِ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْفَذِّ، وَهُوَ مِنَ الاثْنَيْنِ أَبْعَدُ، وَلَا يَخْلُونَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ ثَالِثُهُمَا، وَمَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ»(١).

الشَّرْحُ

هذا الحديث رفعه عمر بن الخطاب ﷺ؛ حيث رواه عن النبي ﷺ، وقال: «إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَامَ فِينَا مَقَامِي فِيكُمْ، فَقَالَ: «أَكْرِمُوا أَصْحَابِي...» إلى آخر الحديث.

وهو حديث لا بأس بسنده، رواه الترمذي وابن ماجه، ورواه أحمد في المسند أيضًا من طريق جرير، عن عبدالملك عن عمير،

---

(١) أخرجه الترمذي: أَبْوَابُ الْفِتَنِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي لُزُومِ الجَمَاعَةِ، رقم (٢١٦٥) وقال: حسن صحيح غريب، وابن ماجه: كتاب الأحكام، بَابُ كَرَاهِيَةِ الشَّهَادَةِ لِمَنْ لَمْ يَسْتَشْهِدْ، رقم (٢٣٦٣)، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين.

عن جابر، عن سَمُرة بنحوه[(١)].

ورواه أحمد أيضًا من طريق علي بن إسحاق، عن عبدالله بن المبارك، عن محمد بن سوقة[(٢)]، وصححه الألباني[(٣)]، وهو حديث صحيح.

وفي هذا الحديث أن النبي ﷺ قال: «**أَكْرِمُوا أَصْحَابِي، فَإِنَّهُمْ خِيَارُكُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَظْهَرُ الْكَذِبُ حَتَّى يَحْلِفَ الْإِنْسَانُ عَلَى الْيَمِينِ لَا يُسْأَلُهَا، وَيَشْهَدُ عَلَى الشَّهَادَةِ لَا يُسْأَلُهَا**»، وهو دالٌّ على ما دلت عليه الأحاديث الأخرى من أن القرون المفضلة ثلاثة، كما في الحديث الآخر: «**إِنَّ خَيْرَكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَكُونُ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذُرُونَ وَلَا يُوفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمْ السِّمَنُ**»[(٤)].

ثم بعد القرون المفضلة حصل الاختلاف والتغير، ولهذا قال: «**ثُمَّ يَظْهَرُ الْكَذِبُ حَتَّى يَحْلِفَ الْإِنْسَانُ عَلَى الْيَمِينِ لَا يُسْأَلُهَا**»؛ لعدم تورعه وجرأته، «**وَيَشْهَدُ عَلَى الشَّهَادَةِ لَا يُسْأَلُهَا**»، كما في الحديث الآخر: «**ثُمَّ يَكُونُ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذُرُونَ وَلَا يُوفُونَ**»، لضعف إيمانهم وقلة ديانتهم.

ثم قال النبي ﷺ: «**فَمَنْ سَرَّهُ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ**»، يعني: وسط

---

(١) المسند (١٧٧).

(٢) المسند (١١٤).

(٣) مشكاة المصابيح (٦٠١٢).

(٤) أخرجه البخاري: كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور، رقم (٢٦٥١)، مسلم: كتاب فضائل الصحابة، رقم (٢٥٣٣).

الجنة، «**فَعَلَيْهِ بِالْجَمَاعَةِ**»، يعني: فليلزم جماعة المسلمين، «**فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْفَذِّ، وَهُوَ مِنَ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ**»، وهذا الحديث فيه حثٌّ على لزوم الجماعة، ومناسبته للترجمة واضحة، فإن الترجمة (باب وجوب النصيحة ولزوم السنة والجماعة)، وهذا الحديث فيه أمرٌ بلزوم أهل السُّنة، قال: «**فَمَنْ سَرَّهُ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَعَلَيْهِ بِالْجَمَاعَةِ**» أي: يلزم جماعة المسلمين وإمامهم.

وكما في حديث حذيفة ﷺ الذي رواه الإمام البخاري، قال ﷺ: «**تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ**»[1]، لما سأله عن وقت اختلاف الفِرَق، وهنا قال: «**فَمَنْ سَرَّهُ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَعَلَيْهِ بِالْجَمَاعَةِ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْفَذِّ، وَهُوَ مِنَ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ**»، يعني: كلما كان الإنسان مع الجماعة كلما بعُد عن الشيطان وعن الاختلاف.

ثم قال النبي ﷺ: «**وَلَا يَخْلُونَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ ثَالِثُهُمَا**»، فيه: تحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية، فيحرم على الرجل أن يخلو بامرأة ليس لها بمحرم؛ ولو كانت بنت عمه، أو بنت خاله، أو زوجة أخيه، أو زوجة عمه؛ لأنها تعتبر أجنبية منه، فلا يخلو بها في البيت وحدها، أو في السيارة وحدها، أو في المصعد الكهربائي؛ بل لابد أن يكون معهم ثالث تزول به الخلوة، بشرط ألا يكون هناك ريبةٌ، فإن كان هناك ريبة، حتى ولو كانوا ثلاثة أو أربعة فلا، أما إذا لم يكن هناك ريبة ـ بأن كانت المرأة على عناية بالغة بالتحشم والتحجب ـ وهم ثلاثة، فإن الخلوة تزول.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٦٠٦)، ومسلم: كتاب الإمارة، رقم (١٨٤٧).

أما في السفر فلا يجوز للمرأة أن تسافر ولو كانت مع ثلاثة أو أربعة، إلا أن يكون معها محرم، لقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**لا يَحِلُّ لامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ تُسَافِرَ مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ**»[1].

ثم قال النبي ﷺ: «**وَمَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ**»، فيه دليل على أن المؤمن هو الذي يعمل الحسنة ويُسرّ بها، وإذا عمل سيئة ساءته، وهو دليل على أن الإيمان يزيد وينقص.

والشاهد من الحديث: الأمر بلزوم الجماعة في قوله ﷺ: «**فَمَنْ سَرَّهُ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَعَلَيْهِ بِالْجَمَاعَةِ**».

فالواجب على الإنسان أن يلزم جماعة المسلمين وإمامهم، وأن يحذر من الفُرقة والاختلاف.



(١) أخرجه البخاري: كتاب تقصير الصلاة، باب: في كم يقصر الصلاة، رقم (١٠٨٨)، ومسلم: كتاب الحج، رقم (١٣٣٩).

الخروج عن طاعة الإمام ومفارقة الجماعة

٥ - وَبِالْإِسْنَادِ عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ غَيْلَانَ بْنِ جَرِيرٍ، عَنْ زِيَادِ بْنِ رِيَاحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ، وَخَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ فَمَاتَ، فَمِيتَتُهُ جَاهِلِيَّةٌ؛ وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا[1]، لَا يَخْشَى مُؤْمِنًا لِإِيمَانِهِ، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ بِعَهْدِهِ، فَلَيْسَ مِنْ أُمَّتِي، وَمَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَةٍ يَغْضَبُ لِلْعَصَبِيَّةِ أَوْ يُقَاتِلُ لِلْعَصَبِيَّةِ[2] فَقِتْلَتُهُ جَاهِلِيَّةٌ»[3].

٦ - وَأَخْبَرَنَا بِهِ أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ بَشْرَانَ، عَنِ الصَّفَّارِ، وَذَكَرَهُ.

وَذَكَرَهُ الْآجُرِّيُّ عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي دَاوُدَ السِّجِسْتَانِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ بَشَّارٍ، أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ جَعْفَرٍ حَدَّثَهُ عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ غَيْلَانَ.

وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي الصَّحِيحِ، عَنْ شَيْبَانَ بْنِ فَرُّوخَ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ حَازِمٍ، عَنْ غَيْلَانَ بْنِ جَرِيرٍ، عَنْ أَبِي قَيْسِ بْنِ رِيَاحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَذَكَرَهُ.

الشَّرْحُ

هذا الحديث صحيح، وقد رواه الإمام مسلم في صحيحه كما بيّن المؤلف رحمه الله من طرق عن غَيْلان بن جرير، ورواه معمر[4]،

(١) الفاجر: الفاسق غير المكترث المنغمس في المعاصي.

(٢) العصبية: التحمس للأهل والمدافعة عنهم ظالمين كانوا أو مظلومين.

(٣) أخرجه مسلم: كِتَابُ الْإِمَارَةِ، رقم (١٨٤٨).

(٤) أخرجه معمر بن راشد في جامعه: بَابُ لُزُومِ الْجَمَاعَةِ، رقم (٢٠٧٠٧).

ورواه الإمام أحمد[١].

وهذا الحديث يدل على أن من خرج عن الطاعة، وخرج على إمام المسلمين، فهو مرتكب لكبيرةٍ من كبائر الذنوب، وظاهر الحديث الكفر، ولهذا قال النبي ﷺ: **«مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ، وَخَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، فَمَاتَ، فَمِيتَتُهُ جَاهِلِيَّةٌ»**، لكن المراد من الحديث الوعيد.

وقوله ﷺ: **«وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، لَا يَخْشَى مُؤْمِنًا لِإِيمَانِهِ»**؛ يعني: لا يبالي بالمؤمن، ولا يبالي بذي العهد؛ فلا يتحاشى[٢] مؤمنًا، ولا يتحاشى صاحب عهد، كما قال: **«وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ بِعَهْدِهِ، فَلَيْسَ مِنْ أُمَّتِي»**، وهذا وعيد شديدٌ يدل على أنه من الكبائر.

وما أشبه الليلة بالبارحة، فهذه الفِرَق الضالة الذين خرجوا الآن على المسلمين، وعلى أئمة المسلمين، يفجرون، ويقتلون، ويُهلكون الحرث والنسل، لا يخشون مؤمنًا لإيمانه، ولا يَفُون لذي عهد بعهده.

وذو العهد: كل من دخل البلاد وله كفيل، سواء كان من الأفراد أو من الدولة، فهذا يعتبر صاحب عهد؛ فلا نمسه بسوء، وماله معصوم، ودمه معصوم.

وفي الحديث الآخر يقول النبي ﷺ: **«مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ[٣] رَائِحَةَ الجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا»**[٤].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: رقم (٨٠٦١).

(٢) يتحاشى: لا يفزع لذلك ولا يكترث له ولا ينفر منه.

(٣) أي: لم يجد لها ريحا، وفيه ثلاث لغات: لم يَرَحْ، ولم يَرِحْ، ولم يُرَحْ. وأصلها: رِحْتُ الشيءَ أراحُهُ وأرِيحُهُ وأرَحْتُهُ إذا وجَدْتَ رائحتَهُ.

(٤) أخرجه البخاري: كتاب الجزية، باب إثم من قتل معاهدا بغير جرم، رقم (٣١٦٦).

فهؤلاء الذين خرجوا على إمام المسلمين، وعلى جماعة المسلمين، وصاروا يضربون البر والفاجر، ولا يخشون مؤمنا لإيمانه، ولا يفون لذي العهد بعهده، عليهم هذا الوعيد الشديد، (ولا حول ولا قوة إلا بالله)، كما يقول النبي ﷺ: «**فَلَيْسَ مِنْ أُمَّتِي**»، مما يدل على أنه مرتكب لكبيرة من كبائر الذنوب.

ثم قال النبي ﷺ: «**وَمَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ**»، يقال: عُمِّية، وعِمِّية، بضم العين وكسرها، لغتان مشهورتان، والميم مكسورة، والياء مشددة، عُمِّية وعِمِّية، وهي الأمر الأعمى الذي لا يستبين وجهه. كذا قال الإمام أحمد وجماعة رحمهم الله تعالى[1]، والمعنى: أنه يقاتل ولا يتبين له وجه القتال، تحت راية لم يعلم وجهها من الشرع وحكمها من الشرع، يغضب للعصبية، أو يقاتل للعصبية، فقِتلته جاهلية.

وليس من هذا قتال الصحابة ﭫ، حيث كان ذلك عن اجتهاد وتأويل سائغ، فإن عليًّا ﭬ بايعه أكثر أهل الحل والعقد، فثبتت له البيعة، واجتهد معاوية ﭬ وأهل الشام، وتأخروا عن البيعة يطالبون بدم عثمان ﭬ، فهم مجتهدون، وعلي ومن معه مجتهدون، لكن عليًّا ﭬ ومن معه مجتهدون مصيبون، لهم أجر الاجتهاد وأجر الصواب، ومعاوية ومن معه اجتهدوا فأخطئوا فلهم أجر الاجتهاد وفاتهم أجر الصواب، وهم الفئة الباغية كما أخبر النبي ﷺ، لكن هم لم يعلموا أنهم بغاة؛ لِما آل إليه اجتهادهم.

وأكثر الصحابة انضموا إلى علي ﭬ، عملًا بقول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى

(١) انظر: تهذيب اللغة (٣/ ١٥٧)، ومشارق الأنوار (٢/ ٨٨).

ﭐلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الحجرات: ٩].

فالصواب كان مع علي رضي الله عنه ولهذا انضم أكثر الصحابة إليه، عملا بالآية الكريمة، أما أهل الشام فكانوا في هذه الأحداث بُغاة، ولذلك قام الصحابة في صفوف علي رضي الله عنه لقتالهم، وليس معنى هذا أنهم كفروا، فهم مجتهدون مخطئون، وكان هدفهم في ذلك المطالبة بدم عثمان رضي الله عنه.

فقتال الصحابة لا يدخل في هذا، لأنه قتال عن تأويل سائغ، ولا يدخل في قول النبي ﷺ: «**لا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**»(١)، إنما القتال الذي لا يعرف وجهه، كما قال النبي ﷺ: «**تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَةٍ**»، أي: ليس له دليلٌ من الشرع، وليس عن اجتهاد سائغ.

ومثال القتال تحت راية عِمِّيَّة، ما جاء في الحديث أنه في آخر الزمان يكثر القتال، «**لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَدْرِي الْقَاتِلُ فِي أَيِّ شَيْءٍ قَتَلَ، وَلَا يَدْرِي الْمَقْتُولُ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ قُتِلَ**»(٢). نسأل الله السلامة والعافية.

والحاصل: أن القتال الذي جرى بين الصحابة رضي الله عنهم لا يدخل في هذا الحديث، فهم ما بين مجتهد مصيب له أجران، وبين مجتهد مخطئ له أجر واحد.

وأشكل هذا على بعض الصحابة، واعتزلوا الفريقين، كابن عمر، وسلمة بن الأكوع، وأسامة بن زيد... وجماعة، فاعتزلوا

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب الإنصات للعلماء، رقم (١٢١)، ومسلم: كتاب الإيمان، رقم (٦٥).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم (٢٩٠٨).

الفريقين لما لم يتبين لهم وجه الصواب مع من، وخافوا من الأدلة التي فيها النهي عن القتال في الفتنة، وأنه يجب كسر جفون السيوف[1] في الفتنة.

أما إذا كان مع إمام مسلم تمت له البيعة، وجاء إنسانٌ باغ يبغي عليه فيقاتل الثاني، كما في قول النبي ﷺ: **«إِنَّهُ سَيَكُونُ هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ[2]، فَمَنْ أَرَادَ أَنَّ يُفَرِّقَ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَائِنًا مَنْ كَانَ»**[3].

وهذا دليل واضح، فإذا اجتمع المسلمون على إمام، وتمت له البيعة وجب السمع والطاعة له بالمعروف، ولا يجوز لأحد أن يفرق الجماعة، فمن جاء ينازع أو يفرق المسلمين يقتل؛ وهذا بأمر الشرع كما في النصوص.

والشاهد من الحديث: أن النبي ﷺ حث على الجماعة، وتوعّد من فارق الجماعة وحكم على من مات مفارقا لها، بأن **«ميتته جاهلية»** ـ وليس المراد الكفر، وإنما الوعيد الشديد ـ، وهذه مناسبة الحديث لترجمة الباب.

❁ ❁ ❁

---

(١) جُفُون السُّيوف: أغمادُها، وَاحِدُها جَفْنٌ. النهاية: جفن. انظر: النهاية في غريب الحديث (١/ ٢٨٠).

(٢) الهنات: الشرور والفساد، والشدائد والأمور العظام. انظر: لسان العرب (١٥/ ٣٥٥).

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الإمارة، رقم (١٨٥٢).

لزوم الجماعة والتحذير من الفُرقة والاختلاف:

٧ ـ أَخْبَرَنَا أَبُو الْفَتْحِ هِلَالُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا النَّجَّادُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُلَاعِبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ثَابِتُ بْنُ مُحَمَّدٍ الزَّاهِدُ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، عَنْ عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابَيْنِ افْتَرَقُوا فِي دِينِهِمْ عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً ـ يَعْنِي الْأَهْوَاءَ ـ وَكُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً وَهِيَ الْجَمَاعَةُ»[1].

وَرَوَاهُ الْآجُرِّيُّ، عَنِ الصَّنْدَلِيِّ، عَنِ ابْنِ زَنْجَوَيْهِ، عَنِ الْفِرْيَابِيِّ، عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، وَذَكَرَهُ. وَقَالَ فِيهِ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي».

الشَّرْح

المراد بأهل الكتابين: اليهود والنصارى.

والمراد بالملة: الأهواء، والأهواء هي البدع.

فأهل الكتابين افترقوا في دينهم على اثنتين وسبعين بدعة، وهذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين بدعة، كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: رقم (١٦٩٣٧)، والحاكم في المستدرك: كتاب العلم، فَصْلٌ: فِي تَوْقِيرِ الْعَالِمِ، رقم (٤٤٣) وقال: «هَذِهِ أَسَانِيدُ تُقَامُ بِهَا الْحُجَّةُ فِي تَصْحِيحِ هَذَا الْحَدِيثِ».

والشاهد من الحديث: الحث على لزوم الجماعة، والتحذير من الفُرقة؛ لأن النبي ﷺ أخبر أن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فِرقة، كلها متوعدة بالنار لكونها مخالفة للجماعة؛ إلا واحدة وهي الجماعة، وفي حديث الآجُرِّيّ بيّن المراد بالجماعة بقوله ﷺ: «**مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي**»، فهذه هي الفِرقة الناجية، وهي الطائفة المنصورة، وهم أهل السنة، وهم الجماعة.

أما الفِرق الأخرى فهي فِرق متوعدة بالوعيد، فِرق مبتدعة، لكونها ابتدعت في دين الله ما ليس منه، لكنها ليست فِرقًا من فِرق الكفر، ولهذا قال العلماء: إن الجهمية والقدرية الغلاة خارجون من الثنتين والسبعين فِرقة لكفرهم وضلالهم.

فالحديث فيه: صفة الفِرقة الناجية، وفيه: الحث على لزوم الجماعة، والتحذير من الفُرقة والاختلاف.



أصول البدع أربعة:
الروافض، والخوارج، والقدرية، والمرجئة

٨ ـ وَأَخْبَرَنَا أَبُو الْفَتْحِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا النَّجَّادُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُاللهِ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ الْأَشْعَثِ السِّجِسْتَانِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْمُسَيِّبُ بْنُ وَاضِحٍ، قَالَ: سَمِعْتُ يُوسُفَ بْنَ أَسْبَاطٍ[1]، يَقُولُ: «أُصُولُ الْبِدَعِ أَرْبَعَةٌ: الرَّوَافِضُ، وَالْخَوَارِجُ، وَالْقَدَرِيَّةُ، وَالْمُرْجِئَةُ، ثُمَّ تَتَشَعَّبُ كُلُّ فِرْقَةٍ ثَمَانِيَ عَشْرَة طَائِفَةً، فَذَلِكَ اثْنَانِ وَسَبْعُونَ فِرْقَةً، وَالثَّالِثُ وَالسَّبْعُونَ الْجَمَاعَةُ، الَّتِي قَالَ رَسُولُ الله ﷺ هِيَ النَّاجِيَةُ»، وَرَوَاهُ الْآجُرِّيُّ، عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي دَاوُدَ[2].

الشَّرْح

هذا الأثر عن يوسف بن أسباط، ليس حديثًا، ولا قولَ صحابيٍّ، ولكنه قولٌ لبعض أهل الحديث، اسمه يوسف بن أسباط.

والشاهد منه، هو قوله: «أُصُولُ الْبِدَعِ أَرْبَعَةٌ: الرَّوَافِضُ، وَالْخَوَارِجُ، وَالْقَدَرِيَّةُ، وَالْمُرْجِئَةُ، ثُمَّ تَتَشَعَّبُ كُلُّ فِرْقَةٍ ثَمَانِيَ عَشْرَة طَائِفَةً، فَذَلِكَ اثْنَانِ وَسَبْعُونَ فِرْقَةً»، وهي الفِرق التي أخبر عنها النبي

---

(١) يوسف بن أسباط الشيباني: الزاهد الواعظ،... وثقه يحيى بن معين، و قال أبو حاتم: لا يحتج به، وقال البخاري: كان قد دفن كتبه فكان لا يجيء بحديثه كما ينبغي. (ميزان الاعتدال في نقد الرجال: (٤/ ٤٦٢). وقال المقريزي: وقال حجاج: ما رأيت أحدا وصف (بخير) إلا رأيته دون ما وصف؛ إلا يوسف بن أسباط.
مختصر الكامل في الضعفاء: (١/ ٨٠١).

(٢) أخرجه الآجُرِّيّ في الشريعة (١/ ٣٠٣/ ٢٠)، وابن بطة في الإبانة (١/ ٣٧٦/ ٢٧٦).

ﷺ في الحديث السابق مباشرة، أصولها أربع فِرق، هي:

الروافض ثماني عشرة فرقة، والخوارج ثماني عشرة فرقة، والقدرية ثماني عشرة فرقة، والمرجئة ثماني عشرة فرقة، فالجميع اثنتان وسبعون فرقة، كلها فرق هالكة، والفرقة الناجية هي الثالثة والسبعون، ولذا قال: «**وَالثَّالِثُ وَالسَّبْعُونَ الْجَمَاعَةُ، الَّتِي قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هِيَ النَّاجِيَةُ**».

وهذا اجتهاد من يوسف بن أسباط، فليس هناك نص يحدد الاثنتين والسبعين فرقة، وكذلك قوله: إن الروافض ثماني عشرة فرقة، والخوارج ثماني عشرة فرقة، قد ينازع في هذا لأن الخوارج ذكر أهل الفرق أنهم يقاربون أربعا وعشرين فرقة، وكذلك الشيعة، وكذلك القدرية والمرجئة، والروافض يقال لهم الرافضة؛ لأن الروافض طائفة من طوائف الشيعة.

الفرقة الأولى: الشيعة[1]:

ذكر أهل الفرق، أن الشيعة أربع وعشرون فرقة، منهم الكافر، ومنهم المبتدع، على حسب العقيدة، ولهذا فإنه لا يقال: إن الشيعة كفار، بل يقال: الشيعة طبقات وفرق، منهم المبتدع، ومنهم الكافر على حسب الاعتقاد، فإذا كانت عقيدته توصل للكفر صار كافرًا، وإن كانت عقيدته لا توصل للكفر صار مبتدعًا.

---

(١) الشيعة: هم الذين شايعوا عليًا رضي الله عنه، وقدموه على سائر الصحابة، ثم ظهرت فيها السبئية المنتسبون إلى عبدالله بن سبأ فادعوا إمامة علي بالنص، وقالوا: بالغيبة والرجعة، ثم ساقوا الإمامة في ذريته على اختلاف بينهم، والشيعة فرق كثيرة منهم الغالي ومنهم دون ذلك، ثم صار التشيع ستارًا للفرق الباطنية الملحدة.

انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٦٥)، والملل والنحل (١/ ١٤٦).

وأعلى طبقة الشيعة: النصيرية[١]، الذين يقولون: إن الله حل في علي ـ والعياذ بالله ـ، فيقولون: إن الله هو علي، وعلي هو الله، وأن عليًا في السحاب، وأنه سيخرج، هؤلاء هم أعلى طبقات الشيعة، وهم أعظم الناس كفرًا ـ والعياذ بالله ـ.

ثم يليهم: المُخَطِّئة؛ طائفة من طوائف الشيعة، وهم الذين خطَّئوا جبريل، وقالوا: إن جبريل أرسله الله بالنبوة والرسالة إلى علي؛ ولكن جبريل خان وأوصلها إلى محمد. ويقولون كلمة مشهورة: غلط الأمين فجازها عن حيدرة. ويريدون بـ(الأمين) وهو جبريل، وقولهم بـ(فجازها) يعني الرسالة، (عن حيدرة) هو لقب لعلي ﷺ[٢]. وهؤلاء أيضا كفار بإجماع المسلمين، يقولون: إن الرسول علي وليس محمدا؛ ولكن جبريل أرسله الله إلى علي، فأخطأ وخان وأوصل وأعطى الرسالة محمدا ـ نعوذ بالله ـ[٣].

ثم يليهم: الروافض، وسُمُّوا روافض لأنهم رفضوا زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، لما سألوه عن أبي بكر وعمر: ما تقول فيهما؟ قال: هما وزيرا جدي رسول الله، فأبغضوه ورفضوه

---

(١) النصيرية: بضم النون، وفتح الصاد المهملة، وسكون الياء المنقوطة بنقطتين، بعدها راء مهملة، وهذه النسبة لطائفة من غلاة الشيعة، يقال لهم: النصيرية، والنسبة إليها نصيري، وهذه الطائفة ينتسبون إلى رجل اسمه نصير، وكان في جماعة قريبًا من سبعة عشر نفسًا، كانوا يزعمون أن عليًا هو الله، وهؤلاء شر الشيعة. انظر: الأنساب (٥/ ٤٩٨).

(٢) قال علي ﷺ:

أَنَـا الَّـذِي سَـمَّـتْـنِـي أُمِّـي حَـيْـدَرَه
كَـلَـيْـثِ غَـابَـاتٍ كَـرِيـهِ الْـمَـنْـظَـرَه
أوفـيـهـمْ بِـالـصَّـاعِ كَـيْـلَ الـسَّـنْـدَرَه

انظر: الطبقات الكبرى (٢/ ١١٢)، ومصنف ابن أبي شيبة (٧/ ٣٩٣)، وفضائل الصحابة لابن حنبل (٢/ ٦٠٦).

(٣) انظر: المواقف للإيجي (٣/ ٦٨٢).

وتركوه، فقال: «رفضتموني رفضتموني»[١]، فسُمُّوا من ذلك الوقت الرافضة، وكانوا يُسَمَّوْن قبل ذلك: **الخَشبية**، لأنهم لا يقاتلون إلا بالخشب[٢].

يقولون: لا قتال بالسيف حتى يخرج المهدي المنتظر؛ وهو الذي دخل سرداب سامراء سنة ستين ومائتين[٣]، وهو شخص موهوم لا حقيقة له؛ لأن أباه الذي ينسبونه له وهو الحسن بن علي العسكري مات عقيما ولم يولد له، فاختلقوا له ولدا وأدخلوه السرداب وهو طفل ابن ثلاث سنين أو ست سنين، سنة ستين ومائتين، كم مضى عليه؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله - في زمانه -: له اليوم أكثر من أربعمائة وأربعين سنة لم يعرف له عين ولا أثر، ولا سمع له أحد بما يعتمد عليه من الخبر[٤].

---

(١) انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، محمد الرازي (١/ ٥٢).

(٢) كان إبراهيم بن الأشتر لقي عبيد الله بن زياد وأكثر أصحاب إبراهيم معهم الخشب، فسموا الخشبية. المعارف لابن قتيبة (١/ ٦٢٢). وقال البلاذري في أنساب الأشراف (٦/ ٣٩٧): «كان أصحاب المختار يُسَمَّون الخشبية، لأن أكثرهم كانوا يقاتلون بالخشب، ويقال إنهم سُمُّوا الخشبية لأن الذي وجههم المختار إلى مكة لنصرة ابن الحنفية، أخذوا بأيديهم الخشب الذي كان ابن الزبير جمعه ليحرق به ابن الحنفية وأصحابه فيما زعم، ويقال بل كرهوا دخول الحرم بسيوف مشهورة، فدخلوه ومعهم الخشب ولم يسلُّوا سيوفهم من أغمادها».

(٣) قال ابن القيم في المنار المنيف في الصحيح والضعيف (١/ ١٥٢): «المهدي هو محمد بن الحسن العسكري المنتظر من ولد الحسين بن علي لا من ولد الحسن الحاضر في الأمصار الغائب عن الأبصار الذي يورث العصا ويختم الفضا، دخل سرداب سامراء طفلا صغيرا من أكثر من خمسمائة سنة فلم تره بعد ذلك عين ولم يحس فيه بخبر ولا أثر وهم ينتظرونه كل يوم يقفون بالخيل على باب السرداب ويصيحون به أن يخرج إليهم اخرج يا مولانا اخرج يا مولانا، ثم يرجعون بالخيبة والحرمان فهذا دأبهم ودأبه».

(٤) انظر: منهاج السنة النبوية (٤/ ٨٧).

ونحن نقول الآن: مضى عليه مئتان وألف سنة ولم يخرج، فالذي دخل سرداب سامراء شخص موهوم، ويقولون: إن الأمة معلقة في دينها حتى يخرج المهدي، ولا يعرفون صيامًا حتى يخرج المهدي، ولا جهادًا حتى يخرج المهدي، ولما فاتهم هذا اختلقوا مسألة الوصاية، صار الخُميني هو الوصي حتى يخرج المهدي المنتظر.

فهؤلاء الروافض ـ والعياذ بالله ـ من عقيدتهم عبادة آل البيت، فهم يعبدونهم ويتوسلون بهم، ويسمون بالأئمة الاثني عشرية [(١)]، ويسمون بالإمامية لأنهم يقولون بإمامة اثني عشر[(٢)].

ويقولون بأن أئمتهم منصوصون معصومون، أي: نص عليهم النبي ﷺ، وهم معصومون من الخطأ، وهكذا روت الشيعة في كتبهم نصوصًا عن الرسول ﷺ، ينص فيها على إمامة كل إمام فمن يليه.

وهؤلاء الأئمة حسب تسلسلهم، هم:

١ ـ علي بن أبي طالب (المرتضى) ٤٠هـ.

٢ ـ الحسن بن علي (الزكي) ٤٩هـ.

٣ ـ الحسين بن علي (الشهيد) ٦١هـ.

٤ ـ علي بن الحسين (زين العابدين) ١١٠هـ.

٥ ـ محمد بن علي أبو جعفر (الباقر) ١١٩هـ.

٦ ـ جعفر بن محمد (الصادق) ١٤٨هـ.

٧ ـ موسى بن جعفر (الكاظم) ١٦٤هـ.

---

(١) انظر: الفرق بين الفرق: (ص٦٤)، والتنبيه والإشراف: (ص ١٩٨)، ومنهاج السنة: (٤/ ٢٠٩).

(٢) انظر: الأنساب: (١/ ٣٤٤)، واللباب: (١/ ٨٤).

٨ ـ علي بن موسى (الرضى) ٢٠٣هـ.

٩ ـ محمد بن علي (النقي) ٢٢٠هـ.

١٠ ـ علي بن محمد (التقي) ٢٥٤هـ.

١١ ـ الحسن بن علي العسكري (الزكي) ٢٦٠هـ.

١٢ ـ محمد بن الحسن (المهدي)، ما زال على قيد الحياة وعمره الآن ١١٧١سنة، فيكون أطول عمرًا من نوح.

فهؤلاء الأئمة؛ يقولون عنهم: أن الرسول نص عليهم، لكن الصحابة أخفوا هذه النصوص، وكفروا وارتدوا بعد وفاة النبي ﷺ، وولَّوا أبا بكر زورًا وبهتانًا، وهو ليس أهلًا للخلافة، ثم ولَّوا عمرَ زورًا وبهتانًا وهو ليس أهلًا للخلافة، ثم ولَّوا عثمانَ زورًا وبهتانًا وهو ليس أهلًا للخلافة، ثم وصلت النوبة إلى علي الذي هو الخليفة الأول.

فهؤلاء كفَّروا الصحابةَ ـ والعياذ بالله ـ، وتكفير الصحابة تكذيب لله، فإن الله قد زكاهم وعدّلهم ووعدهم بالجنة، كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحديد: ١٠]، الحسنى: الجنة، فكل الصحابة وعدهم الله الحسنى.

وقال ﷻ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال ﷻ: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠]، أليس هذا تعديلًا من الله ﷻ؟!

فالله ﷻ عدَّل الصحابة وزكاهم ووعدهم الجنة، فمن كفَّرهم فقد كذَّب اللهَ، ومن كذَّب اللهَ كفر.

ثم إن لتكفير الصحابة بعدًا خطيرًا جدًّا، ألا وهو رد الدين كله، فإذا كان الصحابة كُفَّارًا وهم الذين نقلوا إلينا الشريعة وحملوها إلينا، فكيف يوثق بدينٍ نقله الكُفَّار؟! نسأل الله السلامة والعافية.

كذلك من عقيدتهم أن القرآن غير محفوظ، وأنه ما بقي منه إلا الثلث، وَقد فُقد منه ثلثاه، وهناك مصحفٌ يسمى مصحف فاطمة يعادل حجمه حجم المصحف الذي بين أيدي أهل السنة ثلاث مرات، وهذا تكذيب لله في قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]، فهذا تكذيبٌ لله ﷻ، ومن كذَّب اللهَ كفر.

ومن ثم تكون عقيدة الروافض فيها كفر من ثلاثة وجوه:

الوجه الأول: عبادة آل البيت.

الوجه الثاني: تكذيب الله في تعديل الصحابة وتزكيتهم ووعدهم بالجنة.

الوجه الثالث: تكذيب الله في أن القرآن محفوظ في قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩].

وبقية فرق الشيعة مبتدعة، كالزيدية الذين يفضلون عليًّا على عثمان، والمقصود أن الشيعة طبقاتٌ منهم الكافر، ومنهم المبتدع.

الفرقة الثانية: الخوارج[(١)]:

هم الذين خرجوا على عليٍّ والصحابة ﷺ، وقتلوا عثمان، وقتلوا عليًّا، ومن عقيدتهم تكفير المسلمين بالمعاصي؛ فيقولون: المؤمن إذا فعل كبيرة كفر، وخرج من الملة وخُلِّد في النار، ويقولون: الزاني كافر، وشارب الخمر كافر، والعاق لوالديه كافر، والمرابي كافر، وآكل الرشوة كافر، وهكذا؛ فهم عمدوا إلى النصوص التي جاءت في الكفار فجعلوها في المسلمين، وصاروا يستحلون دماء المسلمين بالمعاصي، ويكفرونهم ويخلدونهم في النار[(٢)].

والمعتزلة يوافقونهم في التخليد في النار؛ لكنهم يخالفونهم في الدنيا، فيقولون: إنه في الدنيا إذا فعل الكبيرة خرج من الإيمان ولم يدخل في الكفر، فكان في منزلة بين المنزلتين، يسمى فاسقا لا هو بمؤمن ولا كافر، والخوارج يقولون: خرج من الإيمان ودخل في الكفر، ويستحلون دمه وماله.

وهم فِرق كثيرة، ما يقرب من أربع وعشرين فرقة ـ كما ذكر أهل الفرق ـ.

والجمهور على أنهم مبتدعة، وسئل عليٌّ ﷺ **أَكُفَّارٌ هُمْ؟ قَالَ: «مِنَ الْكُفْرِ فَرُّوا»**[(٣)].

ومن العلماء مَن كَفَّرُهم، وروي عن الإمام أحمد ﷺ أنهم كُفَّار، واستدلوا بالنصوص التي فيها تصريحٌ بكفرهم، كقوله ﷺ في

---

(١) انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١١٤)، والفرق بين الفرق للبغدادي (٥٤-٩٢).

(٢) انظر: وسطية أهل السنة بين الفرق (١/ ٢٩١).

(٣) أخرجه عبدالرزاق: كِتَابُ اللُّقَطَةِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الْحَرُورِيَّةِ، رقم (١٨٦٥٦)، وابن أبي شيبة: كِتَابُ الْجَمَلِ، بَابُ مَا ذُكِرَ فِي صِفِّينَ، رقم (٣٧٨٤٨).

الصحيحين وفي غيرهما: «**يَمْرُقُونَ**[١] **مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ**»[٢]، وفي لفظ: «**يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**»[٣]، وفي لفظ قال: «**لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ**»[٤]. فشبههم بعاد وهم قوم كفر.

وسماحة شيخنا الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ﷺ يرى كفر الخوارج.

والصحابةُ ﷺ عاملوهم معاملة المبتدعة ـ كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ـ[٥].

الفرقة الثالثة: القدرية، وهم طائفتان:

الأولى: القدرية الكفار:

وهم الذين أنكروا مرتبتين من مراتب القدر، فإن مراتب القدر أربع لا بد من الإيمان بها، ومن لم يؤمن بها لم يؤمن بالقدر.

المرتبة الأولى: علم الله بكل شيء من الموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات، وإحاطته بذلك علمًا، فعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وقد دل على ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمَۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

---

(١) يمرقون: يجوزون ويخرقون ويخرجون.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله ﷻ: ﴿وَأَمَّا عَادٞ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٖ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٖ ﴿٦﴾﴾ [الحاقة: ٦]، رقم (٣٣٤٤)، ومسلم: كتاب الزكاة، رقم (١٠٦٤).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٦١١)، ومسلم: كتاب الزكاة، رقم (١٠٦٦).

(٤) تقدم تخريجه في الحديث قبل السابق.

(٥) انظر: منهاج السنة النبوية (٥/ ١٢)، (٥/ ٩٥)، (٥/ ٢٤١-٢٤٧).

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: سئل النبي ﷺ عن أولاد المشركين فقال: «**اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ**»(١).

المرتبة الثانية: كتابة الله ـ تعالى ـ لكل شيء مما هو كائنٌ إلى قيام الساعة. قال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج: ٧٠] وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس: ١٢].

ومن السنة حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الخَلائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَواتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**»(٢).

المرتبة الثالثة: المشيئة فإن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢] وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٩].

وأخرج الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إذا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ، وَلا يَقُولَنَّ: اللَّهُمَّ إنْ شِئْتَ فَأَعْطِنِي، فَإِنَّهُ لَا مُسْتَكْرِهَ لَهُ**»(٣).

المرتبة الرابعة: خلق الله ـ تعالى ـ للأشياء وإيجادها وقدرته الكاملة على ذلك، فهو ـ سبحانه ـ خالق لكل عامل وعمله، وكل متحرك وحركته، وكل ساكن وسكونه، قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، رقم (١٣٨٤)، ومسلم: كتاب القدر، رقم (٢٦٥٨).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب القدر، رقم (٢٦٥٣).

(٣) تقدم تخريجه.

كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزُّمَر: ٦٢] وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصَّافات: ٩٦].

وروى البخاري في صحيحه من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي ﷺ: **«كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ»**(١).

هذه مراتب القدر: العلم، والكتابة، والإرادة، والخلق، وقد جمعها الناظم في قوله:

عِلْمٌ كتابة مولانا مشيئته ... خلقه وهو إيجادٌ وتقدير

ومن لم يؤمن بهذه المراتب الأربع لم يؤمن بالقدر.

والقدرية الكفار هم الذين أنكروا المرتبتين الأوليين، قالوا: إن الله ـ تعالى ـ لم يسبق علمه بالأشياء قبل كونها، وأنكروا كتابتها؛ أي في اللوح المحفوظ، وهم الذين خرجوا في عهد الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ.

وهم الذين سأل عنهم حميدُ بن عبدالرحمن الحميري وصاحبه يحيى بن يَعْمَر أولَ ما خرج في البصرة، غيلان الدمشقي(٢) ومعبد الجهني(٣)، قال يحيى بن يعمر: **انْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِالرَّحْمَنِ**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [الرُّوم: ٢٧] رقم (٣٠١٩).

(٢) غيلان بن مسلم الدمشقي، أبو مروان: تنسب إليه فرقة الغيلانية من القدرية، وهو ثاني من تكلم في القدر ودعا إليه، لم يسبقه سوى معبد الجهني، واتهم بأنه كان في صباه من أتباع الحارث بن سعيد، المعروف بالكذاب، وقيل: تاب عن القول بالقدر، على يد عمر بن عبدالعزيز، فلما مات عمر جاهر بمذهبه، فطلبه هشام بن عبدالملك، وأحضر الأوزاعي لمناظرته، فأفتى الأوزاعي بقتله، فصلب على باب كيسان بدمشق. [عيون الأخبار، لابن قتيبة (٢: ٣٤٥ و ٣٤٦) وفهرست ابن النديم: الفن الثاني من المقالة الثالثة. ولسان الميزان (٤: ٤٢٤) واللباب (٢: ١٨٦). =

الْحِمْيَرِيُّ حَاجَّيْنِ ـ أَوْ مُعْتَمِرَيْنِ ـ فَقُلْنَا: لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ فِي الْقَدَرِ، فَوُفِّقَ لَنَا عَبْدُاللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ دَاخِلًا الْمَسْجِدَ، فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ، وَالآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: أَبَا عَبْدِالرَّحْمَنِ إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ، وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ، وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنْ لَا قَدَرَ، وَأَنَّ الْأَمْرَ أُنُفٌ[1]، قَالَ: «**فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي**»، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُاللهِ بْنُ عُمَرَ «**لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ**» ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ**

= معبد بن عبدالله بن عليم الجهني البصري: أول من قال بالقدر في البصرة، سمع الحديث من ابن عباس وعمران بن حصين وغيرهما، وحضر يوم (التحكيم) وانتقل من البصرة إلى المدينة، فنشر فيها مذهبه، وعنه أخذ (غيلان) المتقدمة ترجمته وقيل: صلبه عبدالملك بن مروان بدمشق، على القول في القدر.

انظر: تهذيب التهذيب (١٠: ٢٢٥)، وميزان الاعتدال (٣: ١٨٣)، وكتاب الضعفاء الصغير للبخاري، وشذرات الذهب (١: ٨٨)، والبداية والنهاية (٩: ٣٤).

(١) الأمر أُنُف: أي مُسْتأنَفٌ استئنافا من غير أن يكون سبق به سابق قضاء وتقدير، وإنما هو مقصور على اختيارك ودخولك فيه.

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «**مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: «**أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ**»، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «**يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟**» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**» هذا أول الأحاديث التي أخرجها الإمام مسلم في صحيحه[١].

وهذا الصنف من القدرية، كفَّرهم العلماء، وقالوا: إنهم خارجون من الاثنتين والسبعين فرقة؛ لأنهم أنكروا عِلم الله بالأشياء، وقالوا: ما يعلم الله بالأشياء حتى تقع، فنسبوا الله إلى الجهل، لذا هم كفار، وهم الذين قال فيهم الإمام الشافعي: «**ناظروا القدرية بالعلم، فإن أقروا به خصموا، وإن أنكروه كفروا**»[٢]، وهذه الطائفة انقرضت.

الثانية: القدرية المتوسطة:

وهم الذين أثبتوا علم الله بالأشياء، وكتابته له في اللوح المحفوظ، ولكنهم أنكروا عموم الإرادة والمشيئة، وعموم الخلق والإيجاد، فقالوا: إن الله قدَّر كل شيء، وأراد كل شيء؛ إلا أفعالَ العباد من الطاعات والمعاصي، وقالوا: إن الله خالق كل شيء من الذوات والصفات إلا أفعال العباد لم يخلقها؛ بل العباد هم الذين خلقوها بأنفسهم استقلالًا.

وذلك لشبهة عرضت لهم، وهي قولهم: لو قلنا: إن الله خلق

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، رقم (٨).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٢٣/ ٣٤٩).

المعاصي وعذب عليها لصار ظالما. ففرارًا من ذلك قالوا: إن الله ما خلق المعاصي ولا الطاعات، فالعبد هو الذي خلق الطاعة ويجب على الله أن يثيبه؛ فيستحق الثواب على الله كما يستحق الأجير أجره، وإذا فعل المعصية يجب على الله أن يعذبه ويخلده في النار.

ولزمهم على هذا فظائع، فلزمهم: أن يقع في ملك الله ما لا يريد، وأن مشيئة العاصي تغلب مشيئة الله.

فالله ـ تعالى ـ خلق المعاصي؛ وإنما خلقها لحِكَم وأسرار، ولولا خَلْق الله للمعاصي والكفر لفاتت عبوديات محبوبة لله، مثل:

عبودية الجهاد في سبيل الله.

وعبودية الولاء والبراء.

وعبودية الدعوة إلى الله.

وعبودية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وعبودية الحب في الله والبغض في الله.

فلو كان الناس كلهم مطيعين، وليس فيهم عاصٍ، لَمَا كانت هذه العبوديات.

والذي ينسب إلى الله إنما هو الخَلق والإيجاد، والخَلق والإيجاد مبني على الحكمة، وهذا هو معنى قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: **«وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ»**[1]. يعني الشر المحض الذي لا حكمة في تقديره ليس إلى الله.

فهذه الطائفة القدرية مبتدعة مِن أجْل الشبهة التي حصلت لهم، لأنهم متأولون، والمراد بالقدرية هم هؤلاء.

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم (٧٧١).

الفرقة الرابعة: المرجئة:

هم الذين قالوا: إن الأعمال غير داخلة في مسمى الإيمان، وقالوا: إن الإيمان هو التصديق في القلب، **وهم أربع طوائف**[١]:

الطائفة الأولى: الجهمية:

الذين يقولون: إن الإيمان مجرد معرفة الرب بالقلب، والكفر هو جهل الرب بالقلب، فمن عرف ربه بقلبه فهو مؤمن، ومن جهل ربه بقلبه فهو كافر، ولزمهم على ذلك أن إبليس مؤمن لأنه يعرف ربه بقلبه، وأن فرعون مؤمن يعرف ربه بقلبه، وأن اليهود مؤمنون يعرفون، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [البقرة: ١٤٦]، وكذلك أيضًا أبو طالب مؤمن؛ بل إن العلماء كفَّروا الجهم[٢] بتعريفه هو، قالوا: هو أجهل الناس بربه، فيكون كافرًا بشهادته على نفسه.

وهذا هو أفسد قول في الإرجاء، وهو مذهب الجهم.

الطائفة الثانية: الكرامية[٣]:

الذين قالوا: إن الإيمان هو مجرد النطق باللسان، فمن نطق باللسان فهو مؤمن؛ ولو لم يصدق بقلبه، فإن كان مصدقا بقلبه فهو في الجنة، وإن كان مكذبا بقلبه فهو مخلد في النار. ويلزم على قولهم التناقض، وهو أن المؤمن كامل الإيمان يخلد في النار، قالوا: إذا

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٣٢).

(٢) جهم بن صفوان هو: أبو مُحْرِز السَّمَرْقَنِدِي، رأس الجَهْمِيَّة مِن أكذَبِ الناس على الله ـ تعالى ـ وأَعْظَمِهم فتنةً وضلالةً في الدِّين، وكان مِن أعظم الناس نَفيًا لصفات الله ـ تعالى ـ وأسمائه، قال الذهبي في الميزان: ما علمته روى شيئًا، لكنه زرع شرًّا عظيمًا، هلكَ زمن التابعين سنة (١٢٨هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٠٤).

(٣) نسبوا إلى محمد بن كرام السجستاني. انظر: مفاتيح العلوم (١/ ٤٧).

نطق بالشهادتين فهو كامل الإيمان، وإذا كان مكذبا فيخلد في النار. فيلزم على قولهم أن المؤمن كامل الإيمان يخلد في النار(١).

الطائفة الثالثة: الأشعرية:

الذين يقولون: الإيمان مجرد التصديق بالقلب، وهو مروي عن الإمام أبي حنيفة وعليه طائفة من أصحابه.

الطائفة الرابعة: مرجئة الفقهاء:

وهو مذهب الإمام أبي حنيفة، وعليه الجماهير من أصحابه، يقولون: الإيمان شيئانِ: تصديق القلب، وإقرار باللسان؛ لكن الأعمال مطلوبة، فهم طائفة من أهل السنة، ومعنى قولهم هذا، أن الأعمال ـ كالصلاة والصوم والزكاة والحج ـ مطلوبةٌ، فالواجبات واجبات، المحرمات محرمات؛ لكن لا يسمونها إيمانًا، يسمونها بِرًّا، أو تقوى، أو هدى.

وأهل السنة انفصلوا عن جميع الطوائف، فقالوا: إن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان، فالإيمان هو: «تصديق بالقلب، وعمل بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ويذهب بعضه ويبقى بعضه، والأعمال تسمى إيمانًا، وتسمى بِرًّا، وتسمى تقوى»(٢).

وهذا التصنيف المذكور في الأثر اجتهاد من يوسف بن أسباط، وليس هناك دليل يدل على تعداد هذه الفرق.

❁ ❁ ❁

(١) انظر: الفرق بين الفرق (١/ ٩).

(٢) انظر: اعتقاد أهل السنة (٤/ ٩٣١)، ومجموع الفتاوى (٧/ ٣٨٧).

ترك البدع والبعد عن الفرق واتباع الصراط المستقيم

٩ - وَرَوَى الْآجُرِّيُّ الْحَدِيثَ «تَفْتَرِقُ» مَنْ طُرُقٍ وَذَكَرَ عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ زَيْدِ بْنِ طَلْحَةَ قَالَ: «كَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ تَلَا فِيهِ قُرْآنًا ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ١٥٩﴾ [الأعراف: ١٥٩]، ثُمَّ ذَكَرَ أُمَّةَ عِيسَى فَقَرَأَ ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ٩٦﴾ [الأعراف: ٩٦]، الْآيَةَ قَالَ: ثُمَّ ذَكَرَ أُمَّتَنَا فَقَرَأَ ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ١٨١﴾ [الأعراف: ١٨١]».

قَالَ الْآجُرِّيُّ: رَحِمَ اللهُ عَبْدًا حَذِرَ هَذِهِ الْفِرَقَ، وَجَانَبَ الْبِدَعَ، وَاتَّبَعَ وَلَمْ يَبْتَدِعْ، وَلَزِمَ الْأَثَرَ، وَطَلَبَ الطَّرِيقَ الْمُسْتَقِيمَ، وَاسْتَعَانَ بِمَوْلَاهُ الْكَرِيمِ[1].

الشَّرْحُ

روى الآجُرِّيّ حديث: «تَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً»[2] من طرق متعددة، ومعنى ما رواه عن يعقوب بن زيد بن علي أن كل أمة فيها فِرق على الباطل، وفرقة على الحق؛ فاليهود على الباطل وفيهم فرقة على الحق، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ

(١) انظر: الشريعة للآجري (١/ ٣١٤/ ٢٩).

(٢) تقدم تخريجه.

أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ [الأعراف: ١٥٩]، وكذلك النصارى فِرق على الباطل وفرقة على الحق، وهم الذين قال الله ﷻ: ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [المائدة: ٦٦]، وهذه الأمة افترقت ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا الفرقة الناجية، وهم الذين قال الله ﷻ فيهم: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾﴾ [الأعراف: ١٨١].

قال الآجُرِّيّ رَحِمَهُ اللهُ في كتابه - يعني كتاب الشريعة -: «رَحِمَ اللهُ عَبْدًا حَذِرَ هَذِهِ الْفِرَقَ» يعني: ابتعد عنها، ولم يسلك مسالكها، «وَجَانَبَ الْبِدَعَ» يعني: ابتعد عن البدع، «وَاتَّبَعَ وَلَمْ يَبْتَدِعْ، وَلَزِمَ الْأَثَرَ» يعني: النصوص، وما دلت عليه النصوص، «وَطَلَبَ الطَّرِيقَ الْمُسْتَقِيمَ»، وهو العمل بكتاب الله، وسنة رسوله ﷺ والبعد عن البدع «وَاسْتَعَانَ بِمَوْلَاهُ الْكَرِيمِ»، وهذه نصيحة من الإمام الآجُرِّيّ رَحِمَهُ اللهُ؛ ينصح بها كل مسلم ويدعو له.





الباب الثاني

بَابُ الْحَثِّ عَلَى التَّمَسُّكِ بِكِتَابِ اللَّه وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ وَتَرْكِ الْبِدَعِ وَتَرْكِ النَّظَرِ وَالْجَدَلِ فِيمَا يُخَالِفُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَقَوْلَ الصَّحَابَةِ

حَدِيث: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّه ﷺ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْأَعْيُنُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ

١٠ ـ أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ الْفَقِيهُ الْمِصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: حَدَّثَنَا النَّجَّادُ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُالْمَلِكِ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ـ يَعْنِي الضَّحَّاكَ بْنَ مَخْلَدٍ ـ عَنْ ثَوْرٍ ـ يَعْنِي ابْنَ يَزِيدَ ـ عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ، عَنْ عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو السُّلَمِيِّ، عَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ قَالَ: «صَلَّى بِنَا رَسُولُ الله ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْأَعْيُنُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ الله كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا، فَقَالَ: أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى الله وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ بَعْدِي، الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»(١).

---

(١) أخرجه أبو داود: كتاب السنة، بَابٌ فِي لُزُومِ السُّنَّةِ، رقم (٤٦٠٧)، والترمذي: أبواب العلم، بَابُ مَا جَاءَ فِي الأَخْذِ بِالسُّنَّةِ وَاجْتِنَابِ البِدَعِ، رقم (٢٦٧٦)، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه: المقدمة، بَابُ اتِّبَاعِ سُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، رقم (٤٢)، وقال الحاكم: صحيح ليس له علة.

وَرَوَاهُ الآجُرِّيُّ عَنِ ابْنِ عَبْدِالْحَمِيدِ الْوَاسِطِيِّ عَنْ زُهَيْرٍ الْمَرْوَزِيِّ عَنْ أَبِي عَاصِمٍ.

وَرَوَاهُ عَنِ الصَّنْدَلِيِّ عَنِ الْفَضْلِ بْنِ زِيَادٍ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ ثَوْرِ بْنِ يَزِيدَ.

الشَّرْحُ

هذا هو الباب الثاني من أبواب هذا الكتاب، **فيه**: الحث على التمسك بكتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ، والعمل بهما.

وفيه: الحث على ترك البدع.

وفيه: الحث على ترك النظر والجدل فيما يخالف الكتاب والسنة ويخالف أقوال الصحابة.

فهو مكون من ثلاث فقرات:

الفقرة الأولى: الحث على التمسك بالكتاب والسنة.

الفقرة الثانية: الحث على ترك البدع.

الفقرة الثالثة: الحث على ترك النظر والجدل فيما يخالف الكتاب، أو يخالف السنة، أو يخالف أقوال الصحابة(١).

وهذا الحديث حديثٌ ثابتٌ صحيحٌ، وفيه أن العرباض بن سارية ؓ يقول: إن الرسول ﷺ صلى بهم، بعد صلاة الصبح، ثم وعظهم، **ففيه**: مشروعية الموعظة، وأن الإمام يعظ أصحابه، ولا

---

(١) ذكر المحقق الشيخ عبدالرزاق ـ حفظه الله ـ فائدة نقلها عن ابن حبان، قال ابن حبان بعد روايته لهذا الحديث: في قوله ﷺ: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي»، عند ذكره الاختلاف الذي يكون في أمته بيان واضح أن من واظب على السنن، قال بها، ولم يُعَرِّج على غيرها من الآراء من الفرق الناجية في القيامة، جعلنا الله منهم بمنه.

بأس بالموعظة بعد الصلوات الخمس كما فعل النبي ﷺ، فإن النبي ﷺ وعظهم بعد صلاة الصبح.

قال العرباض رضي الله عنه: «**فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْأَعْيُنُ**» أي: من البكاء، «**وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ**» أي: خافت منها القلوب؛ لأنها نابعة من القلب، فلهذا أثرت في الصحابة، «**فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ الله كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ**، يعني: **لكونها مؤثرة كأنك تودعنا فَأَوْصِنَا**، فَقَالَ: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا**».

○ قوله: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى الله**»: تقوى الله هي وصية الله للأولين والآخرين، قال الله ـ تعالى ـ في كتابه العظيم: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١]، وأصل التقوى: أن يتقي سخط الله وعقابه بترك الشرك والمعاصي، وإخلاص العبادة لله، واتباع أمره على ما شرعه[١].

قال طلق بن حبيب رحمه الله في التقوى: «**العمل بطاعة الله، على نور من الله، رجاء ثواب الله، وترك معاصي الله، على نور من الله، مخافة عذاب الله**»[٢].

والتقوى عمليًّا هي: أن تجعل بينك وبين غضب الله وسخطه وقاية تقيك، فتجعل بينك وبين النار وقاية، بتوحيد الله ﷻ وإخلاص الدين له، وأداء حقه، وأداء الواجبات، وترك المحرمات، والوقوف عند حدود الله، والاستقامة على دين الله.

---

(١) انظر: المورد العذب الزلال في كشف شبه أهل الضلال، (ص ٢٩٩).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٠١) ثم عقَّب الذهبي رحمه الله قائلا: «أبدع وأوجز، فلا تقوى إلا بعمل، ولا عمل إلا بتروٍّ من العلم والاتباع، ولا ينفع ذلك إلا بالإخلاص لله».

○ قوله: «**وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا**» الطاعة يعني لولاة الأمور، ولو كان وليُّ الأمر عبدًا حبشيًّا.

وهذا الحديث تقيده الأحاديث الأخرى كقوله ﷺ: «**لا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ الله إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ**»[1]. يعني: الطاعة في طاعة الله، أما المعاصي فلا يطاع فيها أحد، لقول النبي ﷺ: «**لا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الخَالِقِ**»[2]، ومن الطاعة الواجبة في المعروف، عدم جواز الخروج عليه.

وهذا دليل على أن الولاية تثبت لولي الأمر إذا غلب الناس بقوته وسيفه، فيجب السمع له والطاعة، ولو كان عبدًا حبشيًّا، ولو لم تثبت ولايته بالاختيار؛ لأنه لو كانت الولاية بالاختيار لاختير القرشي، يقول النبي ﷺ: «**الأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ**»[3]، إذا توفرت فيهم الشروط، كما في الحديث الآخر: «**إِنَّ هَذَا الأَمْرَ فِي قُرَيْشٍ لَا يُعَادِيهِمْ أَحَدٌ، إِلَّا كَبَّهُ اللهُ عَلَى وَجْهِهِ، مَا أَقَامُوا الدِّينَ**»[4].

فإذا وجد من يقوم بالدين وكان الاختيار للمسلمين اختاروا القرشي، فإن لم يوجد مَن يقوم بالدين من القرشيين يختار من غيره، كما ثبتت الخلافة لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ بالاختيار ، فالخلافة تثبت بالاختيار، كما ثبتت لأبي بكر، وبولاية العهد كما ثبتت لعمر بولاية العهد من أبي بكر.

وثبتت بالقوة، كما كان الأمر في الدولتين الأموية والعباسية، حيث ثبتت الولاية فيهما بالقوة وبولاية العهد، فيجب السمع والطاعة

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه أحمد في المسند :رقم (١٢٣٠٧).

(٤) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب مناقب قريش، رقم (٣٥٠٠).

لولاة الأمور.

وفي اللفظ الآخر حديث أبي ذر رضي الله عنه: «**إِنَّ خَلِيلِي أَوْصَانِي أَنْ أَسْمَعَ وَأُطِيعَ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا مُجَدَّعَ الْأَطْرَافِ**»(١)، أي مقطوع الأنف والأذن، ففي ذلك أداء ما أوجب الله، وترك ما حرم الله.

أما الاختلاف ففيه: الشر والفوضى والاضطراب، وإراقة الدماء، واختلال الأمن والمعيشة والاقتصاد، واختلال الدين، ويحصل فتن وشرور لا أول لها ولا آخر.

فالواجب السمع والطاعة لولي الأمر بالمعروف؛ ولو كان عبدا حبشيا مجدع الأطراف.

○ قوله ﷺ: «**فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا**»: هذا فيه عَلَم من أعلام النبوة؛ حيث أخبر النبي ﷺ أنه سيحصل اختلافٌ، وقد وقع الاختلاف.

○ ثم قال: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي**» الزموا سنتي، فالواجب لزوم السنة، «**وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ بَعْدِي، الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ**» سنة الخلفاء الراشدين يؤخذ بها إذا لم يكن في المسألة نص، مثل: الأذان الثاني يوم الجمعة سنة الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، فإنه لما كثر الناس في المدينة أمر رضي الله عنه بأن يؤذن الأذان الأول على الزوراء(٢)، وكان في عهد النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما وجزء من خلافة عثمان رضي الله عنه للجمعة أذانٌ واحدٌ، وهو الأذان عند دخول الإمام والخطيب، ثم لما كثر الناسُ واستشار عثمانُ الصحابةَ رضي الله عنهم أمر رضي الله عنه بالأذان

(١) أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم (٦٤٨).

(٢) الزوراء: ممدود وبعد الواو راء، هو موضع بالمدينة عند السوق قرب المسجد، وذكر الداودي أنه مرتفع كالمنار. انظر: مشارق الأنوار (١/ ٣١٥).

الأول للتنبيه.

وقد قال النبي ﷺ «وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ» أي: تمسكوا بها. والنواجذ هي: الأسنان التي تلي الأضراس، والمعنى: تمسكوا بها، والإنسان إذا أراد أن يهتم بشيء عض عليه بالنواجذ.

○ قوله ﷺ: «**وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**» هذا تحذير، و«**محدثات الأمور**» يعني: الحدث الذي يخالف دين الله ﷻ، كما في قول النبي ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**»[١].

وهذا الحديث ـ كما هو واضح في الترجمة ـ يحث على: التمسك بالسُّنة، وعلى طاعة ولاة الأمور، ويحذر من البدع.



(١) تقدم تخريجه.

حديث أصدق الحديث كتاب الله

١١ ـ وَأَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُالْمَلِكِ بْنُ مُحَمَّدٍ الزَّاهِدُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ الصَّوَّافِ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُاللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا مُصْعَبُ بْنُ سَلَّامٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللهِ قَالَ: «خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَإِنَّ أَفْضَلَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[1].

وَرَوَاهُ الآجُرِّيُّ، عَنِ الْفِرْيَابِيِّ، عَنْ حِبَّانَ بْنِ مُوسَى، عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ، عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، وَذَكَرَهُ، وَقَالَ فِيهِ: «وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ»[2].

الشَّرْح

هذا الحديث صحيح، وفيه: التحذير من البدع والمحدثات.

◊ قوله ﷺ: «**وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»، المحدثات: كل ما خالف الشرع، فكل ما جاء مخالفًا لكتاب الله ﷻ وسنة رسول الله ﷺ فهو بدعة، وهو محدث، وهو من محدثات الأمور، كما قال النبي ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**». وفي لفظ لمسلم: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»[3] والبدع كلها ضلال، وفي اللفظ الآخر: «**وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ**».

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

الأمر بلزوم السنة

١٢ ـ وَرُوِيَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ نَاسًا يُجَادِلُونَكُمْ[١] بِمُشْتَبَهِ الْقُرْآنِ، فَخُذُوهُمْ بِالسُّنَنِ، فَإِنَّ أَصْحَابَ السُّنَنِ أَعْلَمُ بِكِتَابِ الله ﷻ»[٢].

الشرح

هذا اللفظ موقوف على عمر ﷺ، كما في الشريعة للآجرّي، من حديث الليث بن سعد، قال: أخبرني يزيد بن أبي حبيب، عن ابن عبد الله بن الأشج قال: قال عمر: فذكره.

وهذا الأثر عن عمر ﷺ فيه: الحث على الأخذ بالسنن، قال: فخذوهم بالسنن، وهذا هو الشاهد، وهو لزوم السُّنة.

○ قوله: «**إِنَّ نَاسًا يُجَادِلُونَكُمْ بِمُشْتَبَهِ الْقُرْآنِ**»، أي: أن أهل البدع يجادلونكم بالمشتبه، فإذا جادلوكم بالمشتبه فخذوهم بالسُّنن، فالسُّنة تبين القرآن وتوضحه وتزيل اللبس.

وهذا الموقف الذي اتخذه عمر بن الخطاب ﷺ كان يشكل موقفًا مشتركًا لدى أصحاب النبي ﷺ، قال محمد بن الحسين الآجُرِّيّ ﷺ: «وهكذا كان مِن بعد عمر، علي بن أبي طالب ﷺ، إذا سأله

---

(١) المجادلة: المخاصمة والمحاورة.

(٢) أخرجه الدارمي: المقدمة، بَابُ التَّوَرُّعِ عَنِ الْجَوَابِ فِيمَا لَيْسَ فِيهِ كِتَابٌ وَلَا سُنَّةٌ، رقم (١٢١)، والآجري في الشريعة (١/٤٠٨/٩٣)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (١/ ٢٥٠/ ٨٣)، وأخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ١٣٩/ ٢٠٢).

إنسانٌ عما لا يعنيه عنَّفه، ورده إلى ما هو أولى به، روي أن علي بن أبي طالب ﷺ قال يومًا: «**سلوني**»، فقام ابن الكواء فقال: ما السواد الذي في القمر؟ فقال له: «**قاتلك الله، سل تَفقُّهًا، ولا تسأل تَعنُّتًا، ألا سألت عن شيء ينفعك في أمر دنياك أو أمر آخرتك؟**»[١].

لهذا استحب السلف مباعدة أهل الأهواء، وحذروا من مجالستهم، كما قال عبدالله بن عباس ﷺ: «**لَا تُجَالِسْ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ، فَإِنَّ مُجَالَسَتَهُمْ مُمْرِضَةٌ الْقُلُوبِ**»[٢]، وقال العالم الزاهد الفضيل بن عياض ﷺ: «**صاحبُ بدعَة لا تَأمَنْه عَلى دينِكَ، ولا تُشَاورهُ في أَمْرِكَ، ولا تجلس إليه، ومَنْ جَلَسَ إلى صاحِبِ بدعة أَوْرثَهُ الله العَمَى**» يعني في قلبه[٣]. وكل هذا فيه: الحث على الأخذ بالسنن.

فقال: «**فَإِنَّ أَصْحَابَ السُّنَنِ أَعْلَمُ بِكِتَابِ الله ﷻ**». فالسنة لها ثلاثة أحوال مع القرآن.

۞ مكانة السنة مع القرآن تأتي على ثلاثة أحوال:

الحالة الأولى: أن تكون موافقة له، فيأتي الحكم في القرآن والسنة معًا، مثل الأمر بالصلاة والنهي عن الزنا.

الحالة الثانية: أن تكون السنة بيانًا للقرآن وتفسيرًا له، مثل تفسير الزيادة في قوله ـ تعالى ـ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، فسَّرها ﷺ بالنظر إلى وجه الله تعالى[٤]؛ وتفسيره ﷺ للظلم في قوله ـ تعالى ـ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢]

---

(١) انظر: الشريعة للآجري (١/٤٥٨/١٥٤).

(٢) أخرجه الآجري في الشريعة (١/ ٤٥٢/ ١٣٣)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/ ٤٣٨/ ٣٧١).

(٣) أخرجه ابن بطة في الإبانة (٢/٤٥٩/٤٣٧).

(٤) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، رقم(١٨١).

فسرها بالشرك[١].

الحالة الثالثة: أن تجيء السنة بزيادة حكم لم يرد في القرآن؛ مثل:

- إيجاب استئذان المرأة عند إرادة تزويجها.

- تحريم الجمع بين المرأة وعمتها، والمرأة وخالتها.

فالقرآن الكريم والسنة بينهما من التلازم، ما شهدت به كثير من الآيات والأحاديث، قال - تعالى -: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧].

وقال - تعالى -: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

وقال - تعالى -: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

وقوله ﷺ: «**وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابُ اللهِ، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟**»[٢] الحديث.

ويجب العمل بالسنة، قال النبي ﷺ: «**أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ**»[٣]. وقال ﷻ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾ [المائدة: ٩٢]، وقال ﷻ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧]، فالسنة وحي ثانٍ، قال الله - تعالى -: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: ٣-٤].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب ظلم دون ظلم، رقم (٣٢).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الحج، رقم (١٢١٨).

(٣) أخرجه أبو داود: كتاب السنة، باب في لزوم السنة، رقم (٤٦٠٤).

فالواجب العمل بالسُّنة؛ فهي توضح القرآن، فإذا جادل مجادل بمشتبه القرآن فليأخذ المسلم بالسُّنة، حيث إنها تزيل هذا الاشتباه الذي حصل من أهل البدع.

ثم نقل المؤلف ﷺ عن أبي بكر الآجُرِّيّ في كتاب (الشريعة) نصيحةً لأهل العلم والعقل؛ ماذا يكون موقفهم من أهل البدع الذين لا يعملون بالسنة، فذكر الفصل التالي.



فَصْلٌ

[يَنْبَغِي لِأَهْلِ الْعِلْمِ وَالْعَقْلِ أَنْ يَقُولُوا لِكُلِّ مَنْ يَقُولُ لَا أَقْبَلُ إِلَّا كِتَابَ اللهِ: أَنْتَ رَجُلُ سُوءٍ]

١٣ ـ قَالَ أَبُو بَكْرٍ الآجُرِّيُّ رَحِمَهُ اللهُ: يَنْبَغِي لِأَهْلِ الْعِلْمِ وَالْعَقْلِ إِذَا سَمِعُوا قَائِلًا يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ فِي شَيْءٍ قَدْ ثَبَتَ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ فَعَارَضَ إِنْسَانٌ جَاهِلٌ فَقَالَ: لَا أَقْبَلُ إِلَّا مَا قَالَ اللهُ فِي كِتَابِهِ. قِيلَ لَهُ: «أَنْتَ رَجُلُ سُوءٍ، وَأَنْتَ مِمَّنْ حَذَّرَنَا رَسُولُ اللهِ وَحَذَّرَ مِنْكَ الْعُلَمَاءُ». وَقِيلَ لَهُ: «يَا جَاهِلُ إِنَّ اللهَ أَنْزَلَ فَرَائِضَهُ جُمْلَةً، وَأَمَرَ نَبِيَّهُ أَنْ يُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِ، قَالَ اللهُ ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، فَأَقَامَ اللهُ ﷻ نَبِيَّهُ؛ مَقَامَ الْبَيَانِ عَنْهُ، وَأَمَرَ الْخَلْقَ بِطَاعَتِهِ وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَأَمَرَهُمْ بِالِانْتِهَاءِ عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ، فَقَالَ ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، كَمَا حَذَّرَهُمْ أَنْ يُخَالِفُوا أَمْرَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ ـ تَعَالَى ـ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣] الْآيَةَ وَقَالَ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥] الْآيَةَ. ثُمَّ فَرَضَ عَلَى الْخَلْقِ طَاعَتَهُ فِي نَيِّفٍ وَثَلَاثِينَ مَوْضِعًا مِنْ كِتَابِهِ.

وَقِيلَ لِهَذَا الْمُعَارِضِ لِسُنَنِ الرَّسُولِ: «يَا جَاهِلُ! قَالَ اللهُ ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣] أَيْنَ تَجِدُ فِي كِتَابِ اللهِ أَنَّ الْفَجْرَ رَكْعَتَانِ، وَالظُّهْرَ أَرْبَعٌ، وَالْعَصْرَ أَرْبَعٌ، وَالْمَغْرِبَ

ثَلَاثٌ، وَعِشَاءَ الْآخِرَةِ أَرْبَعٌ؟ أَيْنَ تَجِدُ أَحْكَامَ الصَّلَاةِ وَمَوَاقِيتَهَا وَمَا يُصْلِحُهَا وَمَا يُبْطِلُهَا إِلَّا مِنْ تَبْيِينِ النَّبِيِّ؟

وَمِثْلُهُ الزَّكَاةُ: أَيْنَ تَجِدُ فِي كِتَابِ اللهِ مِنْ كُلِّ مِائَتَيْ دِرْهَمٍ خَمْسَةَ دَرَاهِمَ، وَمِنْ عِشْرِينَ دِينَارًا نِصْفَ دِينَارٍ، وَمِنْ أَرْبَعِينَ شَاةٍ شَاةً، وَمِنْ خَمْسٍ مِنَ الْإِبِلِ شَاةً، وَمِنْ جَمِيعِ أَحْكَامِ الزَّكَاةِ أَيْنَ تَجِدُهَا فِي كِتَابِ اللهِ.

وَكَذَلِكَ جَمِيعُ فَرَائِضِ اللهِ الَّتِي فَرَضَهَا فِي كِتَابِهِ لَا نَعْلَمُ الْحُكْمَ فِيهَا إِلَّا بِسُنَنِ الرَّسُولِ ﷺ.

هَذَا قَوْلُ الْعُلَمَاءِ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ، مَنْ قَالَ غَيْرَ هَذَا خَرَجَ عَنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ وَدَخَلَ فِي مِلَّةِ الْمُلْحِدِينَ، نَعُوذُ بِالله مِنَ الضَّلَالَةِ بَعْدَ الْهُدَى. وَقَدْ رُوِيَ عَنْ نَبِيِّنَا؛ وَعَنْ صَحَابَتِهِ مِثْلُ ذَلِكَ.

الشَّرْح

في هذا ردٌّ على طائفة يُسَمَّوْن بالقرآنيين؛ وهم الذين يزعمون أنهم لا يعملون إلا بالقرآن، وهؤلاء كذبوا، إذ لو كانوا يعملون بالقرآن لعملوا بالسُّنة، لأن الله ﷻ أمر بالأخذ بالسنة في القرآن، فقال ﷻ: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [المائدة: ٩٢]، وقال ﷻ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

فيقول أبو بكر الآجُرّيّ رحمه الله: «**يَنْبَغِي لِأَهْلِ الْعِلْمِ وَالْعَقْلِ إِذَا سَمِعُوا قَائِلًا يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ فِي شَيْءٍ قَدْ ثَبَتَ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ فَعَارَضَ إِنْسَانٌ جَاهِلٌ فَقَالَ: لَا أَقْبَلُ إِلَّا مَا قَالَ اللهُ فِي كِتَابِهِ**».

وقد سبق أن السنة تُبيِّن القرآن، حيث أقام اللهُ ﷻ نبيَّه ﷺ مقام البيان، فالرسول ﷺ مبلِّغ عن الله ومُبيِّنٌ، ولذلك جاء القرآن مُنَبِّهًا على أهمية السنة النبوية، في مواضع عدة من كتاب الله ﷻ، ومن

ذلك:

• أمر ﷻ بطاعة النبي ﷺ، ونهاهم عن معصيته فقال ﷻ: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [المائدة: ٩٢]، «ثُمَّ فَرَضَ عَلَى الْخَلْقِ طَاعَتَهُ»؛ يعني: طاعة الرسول، «فِي نَيِّفٍ وَثَلَاثِينَ مَوْضِعًا مِنْ كِتَابِهِ»، والنيف يعني ما زاد عن الثلاثين؛ يعني فيما يزيد على الثلاثين موضعا كلها فيها الأمر بطاعة النبي ﷺ.

• أمره ﷻ بالانتهاء عما نهاهم عنه الرسول ﷺ، فقال ﷻ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

• حذرهم أن يخالفوا أمر رسوله ﷺ، قال ﷻ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣] وهذا وعيد شديد.

• نفى الله ﷻ الإيمان عمَّن لم يُحكِّم النبي ﷺ في النزاع، فقال ﷻ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥].

ومما يرد به أهل السنة على منكري السنة النبوية - القائلين بعدم الأخذ بسنن الرسول -: إذا كنت لا تأخذ بالسُّنة؛ فكيف تؤدي الصلاة التي قال الله ﷻ في وجوبها: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، فأين تجد في كتاب الله ﷻ أن الفجر ركعتان، والظُّهر أربع، والعصر أربع، والمغرب ثلاث، والعشاء أربع؟ فهذا ليس مقررًا في القرآن، وإنما موجود في السنة.

وأين تجد أحكام الصلاة، من بيان أركان الصلاة، وواجباتها، وغير ذلك؟ هل تجدها في القرآن؟

وأين تجد تحديد المواقيت؟ ستجد في القرآن قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾ [النساء: ١٠٣]، يعني:

مفروضة في أوقات، لكن ما هو تحديد الأوقات؟ وأن صلاة الفجر من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، والظهر من زوال الشمس إلى أن يصير ظِلُّ كل شيء مثله، والعصر إلى اصفرار الشمس، والمغرب إلى بياض الشفق، لا تجد هذا في القرآن، وإنما تجده في السنة، فبيان هذا مُفَصَّل في السنة، وليس في القرآن.

وأين تجد الزكاة في كتاب الله؟ وأنه يجب ربع العشر في الدراهم؛ في كل مائتي درهم خمسة دراهم، ومن عشرين دينارا نصف دينار، وفي الغنم في الأربعين شاة شاة، وفي خمس من الإبل شاة، لا تجد هذا إلا في السُّنة، وكذلك جميع الفرائض.

○ قوله: «**هَذَا قَوْلُ الْعُلَمَاءِ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ، مَنْ قَالَ غَيْرَ هَذَا خَرَجَ عَنْ مِلَّةِ الْإِسْلَام وَدَخَلَ فِي مِلَّةِ الْمُلْحِدِينَ، نَعُوذُ بِالله مِنَ الضَّلَالَةِ بَعْدَ الْهُدَى**» ولَا شك أن من أنكر السُّنة وجحدها كافرٌ؛ لأنه مكذب لله ﷻ، ومن كذب الله كفر، ومن جحد السنة، أو لم يعمل بها وقال: لا أعمل بها. واعتقد أنه لا يجوز العمل بها فهو كافر مرتد بإجماع المسلمين.

قال السيوطي ﷺ: «إن من أنكر كون حديث النبي ﷺ قولًا كان أو فعلًا بشَرطِه المعروف في الأصول حُجة كفر، وخرج عن دائرة الإسلام، وحُشر مع اليهود والنصارى، أو مع من شاء الله مِن فِرق الكفرة»[1].

وقال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ﷺ: «من المعلوم عند جميع أهل العلم أن السنة هي الأصل الثاني من أصول الإسلام، وأن مكانتها في الإسلام الصدارة بعد كتاب الله ﷻ، فهي الأصل

(١) انظر: مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة (ص٥).

المعتمد بعد كتاب الله ﷻ بإجماع أهل العلم قاطبة، وهي حجة قائمة مستقلة على جميع الأمة، من جحدها أو أنكرها أو زعم أنه يجوز الإعراض عنها، والاكتفاء بالقرآن فقد ضلّ ضلالًا بعيدًا، وكفر كفرًا أكبر، وارتدّ عن الإسلام بهذا المقال، فإنه بهذا المقال وبهذا الاعتقاد يكون قد كذّب الله ورسوله، وأنكر ما أمر الله به ورسوله، وجحد أصلًا عظيمًا فرض الله الرجوع إليه والاعتماد عليه والأخذ به، وأنكر إجماع أهل العلم عليه، وكذب به، وجحده، وقد نبغت نابغة بعد ذلك، ولا يزال هذا القول يذكر فيما بين وقت وآخر، وتسمى هذه النابغة الأخيرة «القرآنية»، ويزعمون أنهم أهل القرآن، وأنهم يحتجون بالقرآن فقط، وأن السُّنة لا يحتج بها؛ لأنها إنما كُتبت بعد النبي ﷺ بمدة طويلة، ولأن الإنسان قد ينسى وقد يغلط، ولأن الكتب قد يقع فيها غلط؛ إلى غير هذا من الترهات والخرافات، والآراء الفاسدة، وزعموا أنهم بذلك يحتاطون لدينهم فلا يأخذون إلا بالقرآن فقط، وقد ضلوا عن سواء السبيل، وكذبوا وكفروا بذلك كفرًا أكبر بواحًا؛ فإن الله ﷻ أمر بطاعة الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ واتباع ما جاء به، وسمى كلامه وحيًا في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝﴾ [النجم: ٣-٤]، ولو كان رسوله لا يتبع ولا يطاع لم يكن لأوامره ونواهيه قيمة، وقد أمر ﷺ أن تُبَلَّغ سُنته، فكان إذا خطب أمر أن تُبلّغ السنة، فدل ذلك على أن سُنته ﷺ واجبة الاتباع، وعلى أن طاعته واجبة على جميع الأمة، ومن تدبر القرآن العظيم وجد ذلك واضحًا»[١].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٩/ ١٧٦ ـ ١٧٨).

حديث لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته

١٤ ـ وَرَوَى حَدِيثَ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ «لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا فِي أَرِيكَتِهِ يَبْلُغُهُ الْأَمْرُ عَنِّي، فَيَقُولُ: لَمْ أَجِدْ هَذَا فِي كِتَابِ اللهِ ﷻ»(١).

الشرح

في هذا الحديث يحذر النبي ﷺ مِن ترك العمل بالسنة، يقول: «**لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ**» لا أجدن أحدكم، «**مُتَّكِئًا فِي أَرِيكَتِهِ**» يعني على كرسيه أو على سريره، «**يَبْلُغُهُ الأَمْرُ عَنِّي**»، يعني عن النبي ﷺ، «**فَيَقُولُ: لَمْ أَجِدْ هَذَا فِي كِتَابِ اللهِ**»، فلا يعمل به، وفي اللفظ الآخر: «**أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ**»(٢).

وفي الحديث: ردٌّ على مَن شَغَّب مِن أهل الأهواء، ممن جادل في السُّنة النبوية وادعى الاستغناء بالقرآن عنها، مثل الطائفة الذين يتسمَّون بالقرآنيين، وغيرهم ممن سار على نهجهم، وهم كاذبون في قولهم، فهم لا يعملون بالقرآن، ولو كانوا صادقين في عملهم بالقرآن لعملوا بالسُّنة، لأن الله ﷻ أمر في القرآن بالعمل بالسُّنة، قال الله ﷻ: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [المائدة: ٩٢]، وقال ﷻ:

---

(١) أخرجه أبو داود: كتاب السنة، بَابٌ فِي لُزُومِ السُّنَّةِ، رقم (٤٦٠٥)، والترمذي: أبواب العلم، بَابُ مَا نُهِيَ عَنْهُ أَنْ يُقَالَ عِنْدَ حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ، رقم (٢٦٦٣) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه: المقدمة، بَابُ تَعْظِيمِ حَدِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَالتَّغْلِيظِ عَلَى مَنْ عَارَضَهُ، رقم (١٣)، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

(٢) تقدم تخريجه.

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، وقال تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقد مر بنا الأساليب التي اتبعها القرآن للتنبيه على أهمية السنة.

وهناك رسالة للشيخ الألباني رحمه الله اسمها: «منزلة السنة في الإسلام»، وبين رحمه الله أنه لا يستغنى عن السنة بالقرآن.

وحقيقة أمر هؤلاء عندي ليست هي الدعوة إلى القرآن والتمسك به، وإنما هي الدعوة إلى البدع والأهواء؛ ولهذا جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: **«عَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ قَبْلَ أَنْ يُقْبَضَ، وَقَبْضُهُ أَنْ يُذْهَبَ بِأَصْحَابِهِ، عَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَدْرِي مَتَى يُفْتَقَرُ إِلَيْهِ أَوْ يُفْتَقَرُ إِلَى مَا عِنْدَهُ، إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ أَقْوَامًا يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَدْعُونَكُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَقَدْ نَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ فَعَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّبَدُّعَ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَطُّعَ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّعَمُّقَ، وَعَلَيْكُمْ بِالْعَتِيقِ»**[(١)].

فهذا الحديث فيه: ردٌّ على هؤلاء الطائفة الذين يزعمون أنهم لا يعملون إلا بالقرآن، ويسمون أنفسهم بالقرآنيين، فالرسول ﷺ يقول: «لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ» لا أجدن أحدكم «مُتَّكِئًا فِي أَرِيكَتِهِ» على سريره أو على كرسيه **«يَبْلُغُهُ الأَمْرُ عَنِّي فَلَا يَعْمَلُ بِهِ؛ فَيَقُولُ: لَمْ أَجِدْ هَذَا فِي كِتَابِ اللهِ، وَأَنَا لَا أَعْمَلُ إِلَّا بِكِتَابِ اللهِ»** هذا رد عليه، وتحذير منه.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه الدارمي: كتاب المقدمة، باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع، رقم (١٤٥).



علاقة السنة بالقرآن

١٥ ـ وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْحَافِظُ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ سَلَمَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ بُهْلُولٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ دَاوُدَ، عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدِ بْنِ جُدْعَانَ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ: أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَذَاكَرُونَ الْحَدِيثَ، فَقَالَ رَجُلٌ: دَعُونَا مِنْ هَذَا، وَجِيئُونَا بِكِتَابِ اللهِ، فَقَالَ لَهُ عِمْرَانُ: «إِنَّكَ أَحْمَقُ، أَتَجِدُ فِي كِتَابِ اللهِ الصَّلَاةَ مُفَسَّرَةً، أَتَجِدُ فِي كِتَابِ اللهِ الصِّيَامَ مُفَسَّرًا، الْقُرْآنُ أَحْكَمَ ذَلِكَ وَالسُّنَّةُ تُفَسِّرُهُ»(١).

وَرَوَاهُ الآجُرِّيُّ عَنِ الْأُشْنَانِيِّ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ يَحْيَى بْنِ آدَمَ، عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ؛ وَذَكَرَهُ وَقَرَّرَ بِهِ نَظَائِرَهُ فِي ذَلِكَ.

الشرح

هذا الأثر عن عمران بن الحصين رضي الله عنه، وإن كان فيه من كلا الطريقين: علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف، إلا أنه له شواهد.

قول عمران الصحابي الجليل رضي الله عنه: «إِنَّكَ أَحْمَقُ» يعني: كيف تقول: دعونا من السنة وأُتونا بالقرآن؟ فإنه لا يمكن فصل السنة عن القرآن؟!

السُّنة وحيٌ ثانٍ، فهي تبين القرآن وتوضحه وتُفصِّله وتبيِّن

---

(١) أخرجه ابن عبدالبر في التمهيد (١/ ١٥١).

مجملَه، وتقيد المطلق، وتخصص العام.

○ قوله ﷺ: «**أَتَجِدُ فِي كِتَابِ اللهِ الصَّلَاةَ مُفَسَّرَةً**» يعني: أتجد تحديد صلاة الفجر ركعتين، والظهر والعصر والعشاء أربع ركعات، والمغرب ثلاث ركعات؟!

أتجد بيان الأركان الواجبة، والشروط في القرآن؟!

أتجد في كتاب الله الصيام مفسرًا؟!!

فقد جاء وجوب الصيام في القرآن، لكن ما جاء بيان كيفية الصيام، وبيان المفطرات؛ وإن كانت أصول الفطر قد ذكرها الله فيه، كما في آيات الصيام في قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [البقرة: ١٨٧] وهذه تسمى المفطرات: الجماع والأكل والشرب؛ لكن التفاصيل في السنة.

وهذا فيه: دليل على بطلان مذهب هؤلاء الذين يزعمون أنهم يعملون بالقرآن، فلا يمكن العمل بالقرآن إلا بالعمل بالسنة.



حديث ما ضل قوم بعد هدى

١٦ ـ أَخْبَرَنَا هِلَالُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَفَّارُ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنُ الْبَخْتَرِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُلَاعِبِ بْنِ حَيَّانَ الْمَخْرَمِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ خَلَفُ بْنُ الْوَلِيدِ قَالَ: حَدَّثَنَا شِهَابُ بْنُ خِرَاشٍ عَنِ الْحَجَّاجِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ أَبِي غَالِبٍ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ ثُمَّ تَلَا ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الزخرف: ٥٨]»[(١)].

وَرَوَاهُ الآجُرِّيُّ عَنِ ابْنِ عَبْدِالْحَمِيدِ الْوَاسِطِيِّ عَنْ زُهَيْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَرْوَزِيِّ عَنْ يَعْلَى بْنِ عُبَيْدٍ عَنِ الْحَجَّاجِ بْنِ دِينَارٍ.

ثُمَّ قَالَ: «لَمَّا سَمِعَ هَذَا أَهْلُ الْعِلْمِ مِنَ التَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يُمَارُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُجَادِلُوا، وَحَذَّرُوا الْمُسْلِمِينَ الْمِرَاءَ وَالْجَدَلَ، وَأَمَرُوهُمْ بِالأَخْذِ بِالسُّنَنِ وَبِمَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ، وَهَذَا طَرِيقُ أَهْلِ الْحَقِّ مِمَّنْ وَفَّقَهُ اللهُ ﷻ، وَسَنَذْكُرُ عَنْهُمْ مَا دَلَّ عَلَى مَا قُلْنَا إِنْ شَاءَ اللهُ».

الشَّرْحُ

هذا الحديثُ رواهُ الإمامُ التِّرْمِذِيُّ، وابنُ مَاجه، وقال التِّرْمِذِيُّ: حسنٌ صحيحٌ. وقال الحاكم: صحيحُ الإسنادِ. وقال الألباني في

(١) أخرجه الترمذي: تفسير القرآن، بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ الزُّخْرُفِ، رقم (٣٢٥٣) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه: المقدمة، بَابُ اجْتِنَابِ الْبِدَعِ وَالْجَدَلِ، رقم (٤٨)، وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

تخريج المشكاة: صحيح[١].

وفيه: أنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ بَعْدَ الهُدَى يُعَاقَبُونَ بَأَنْ يُؤْتُوا الجَدَلَ.

وذلك عُقُوبَةٌ؛ كما قالَ اللهُ ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ [الصف: ٥] وقال: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١١٠﴾ [الأنعام: ١١٠].

فإذا تَرَكَ المسلم الحقَّ عن بَصِيرَةٍ عَاقَبَهُ اللهُ بالزَّيْغِ؛ وإِيتَاءِ الجَدَلِ؛ ولهذا قالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ». ثُمَّ تَلَا قَوْلَ الله ـ تَعَالى ـ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ٥٨﴾ [الزخرف: ٥٨]» ومن أُوتِيَ الجَدَلَ فإنه يكون مبْخُوسَ الحقِّ لم يُؤْتَ ما أُوتِيَ الصحابةُ والتابعونَ، والأئمةُ من الهُدَى والعِلْمِ.

والمراد بالجدلُ الذي يؤتونه: الذي ليس فيه عِلْمٌ، وإنما يكون بالآراء الفَاسِدَةِ والتَّخَرُّصَاتِ، يبين الآجُرِّيُّ رَحِمَهُ اللهُ ذلك بقوله: «لمَّا سَمِعَ أهلُ العِلْمِ من التابِعِينَ ومَنْ بَعْدَهُم التحذِيرَ من الجِدَالِ والمِرَاءِ؛ حَذِرُوا من ذَلِك، وصارُوا لا يُمَارُونَ في الدِّينِ، ولا يُجَادِلُونَ، وحَذَّرُوا المسلمين المِراءَ والجِدَالَ، وأَمَرُوهم بالأَخْذِ بالسُّنَنِ، وَبِمَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ»؛ لأنَّ المِرَاءَ والجَدَلَ مقابلُ السُّنَنِ.

فَمَنْ أَخَذَ بالسُّنَنِ والآثَارِ تَرَكَ الجَدَلَ، ومَنْ جَادَلَ ومَارَى تَرك السُّنَنَ وأقوالَ الصحابةِ والتَّابِعينَ.

ثم بين المؤلفُ رَحِمَهُ اللهُ: «أن هَذَا طَرِيقُ أَهْلِ الْحَقِّ مِمَّنْ وَفَّقَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ».



(١) مشكاة المصابيح (١٨٠).

١٧ ـ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُعَدِّلُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا حَمْزَةُ بْنُ مُحَمَّدٍ الدِّهْقَانُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، قَالَ: كَانَ أَبُو قِلَابَةَ يَقُولُ: «لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْأَهْوَاءِ، وَلَا تُجَادِلُوهُمْ، فَإِنِّي لَا آمَنُ أَنْ يَغْمِسُوكُمْ فِي ضَلَالَتِهِمْ، أَوْ يَلْبِسُوا عَلَيْكُمْ مَا تَعْرِفُونَ»[(١)].

وَرَوَاهُ الآجُرِّيُّ عَنِ الْفِرْيَابِيِّ، عَنْ قُتَيْبَةَ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ وَذَكَرَهُ[(٢)].

الشَّرْحُ

هذا الأَثَرُ عن أبي قِلَابَةَ وهو التَّابِعِيُّ، رواهُ الدَّارِمِيُّ، ورواه ابنُ وَضَّاحٍ في (البِدَعِ) في النهي عنها، واللالَكَائِيُّ في (شَرْحِ الاعتقادِ)، وابنُ بَطَّةَ في (الإِبَانَةِ).

يقولُ أبو قِلَابَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «**لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْأَهْوَاءِ وَلَا تُجَادِلُوهُمْ**».

أهل الأهواء هم: أهل البدع، حَذَّرَ رَحِمَهُ اللَّهُ من شَيْئَيْنِ:

الأَوَّلِ: مُجَالَسَة أهلِ البِدَعِ.

الثَّانِي: مُجَادَلَتهِمْ.

وبَيَّنَ رَحِمَهُ اللَّهُ ما يترتبُ على تِلْكَ المسألَةِ؛ أن مُجَالَسَةُ أهلِ البِدَعِ ومُجَادَلَتُهُمْ يُخْشَى فيهَا منْ أنغماس الإنسان في ضَلَالَتِهم؛ فيحمِلُوهُ على بِدْعَتِهِمْ، أو يَلْبِسُوا عليه الحقَّ بالباطلِ؛ فيكونَ الإنسانُ في حَيْرَةٍ، فلابُدَّ أن يَبْتَعِدَ عن أهلِ البِدَعِ، فلا يُجَالِسْهُمْ ولا يجادِلْهُمْ.

---

(١) أخرجه الدارمي في سننه: المقدمة، بَابُ اجْتِنَابِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ، وَالْبِدَعِ، وَالْخُصُومَةِ، رقم (٤٠٥).

(٢) انظر: الشريعة للآجري (١/ ٤٣٥/ ١١٤).

١٨ ـ قَالَ أَبُو بَكْرٍ الآجُرِّيُّ: وَبَلَغَنِي عَنِ الْمُهْتَدِي أَنَّهُ قَالَ: «مَا قَطَعَ أَبِي ـ يَعْنِي الْوَاثِقَ ـ إِلَّا شَيْخٌ جِيءَ بِهِ مِنَ الْمِصِّيصَةِ فَمَكَثَ فِي السِّجْنِ مُدَّةً، ثُمَّ إِنَّ أَبِي ذَكَرَهُ يَوْمًا فَقَالَ: عَلَيَّ بِالشَّيْخِ فَأُتِيَ بِهِ مُقَيَّدًا، فَلَمَّا أُوقِفَ بَيْنَ يَدَيْهِ سَلَّمَ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ، فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا اسْتَعْمَلْتَ مَعِي أَدَبَ الله ﷺ وَلَا أَدَبَ رَسُولِهِ، قَالَ اللهُ ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النِّسَاء: ٨٦] وَأَمَرَ النَّبِيُّ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ بِرَدِّ السَّلَام فَقَالَ لَهُ: وَعَلَيْكُمُ السَّلَامُ. ثُمَّ قَالَ لِابْنِ أَبِي دُؤَادَ: سَلْهُ. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي مَحْبُوسٌ مُقَيَّدٌ، أُصَلِّي فِي الْحَبْسِ بِتَيَمُّمٍ، مُنِعْتُ الْمَاءَ، فَمُرْ بِقُيُودِي تُحَلُّ، وَمُرْ لِي بِمَاءٍ أَتَطَهَّرُ وَأُصَلِّي، ثُمَّ سَلْنِي. قَالَ: فَأَمَرَ بِحَلِّ قَيْدِهِ، وَأَمَرَ لَهُ بِمَاءٍ فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى، ثُمَّ قَالَ: يَا ابْنَ أَبِي دُؤَادَ سَلْهُ. فَقَالَ الشَّيْخُ: الْمَسْأَلَةُ لِي، فَمُرْهُ أَنْ يُجِيبَنِي. فَقَالَ: سَلْ. فَأَقْبَلَ الشَّيْخُ عَلَى ابْنِ أَبِي دُؤَادَ فَقَالَ: أَخْبِرْنِي عَنْ هَذَا الَّذِي تَدْعُو النَّاسَ إِلَيْهِ شَيْءٌ دَعَا إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَشَيْءٌ دَعَا إِلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ بَعْدَهُ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَشَيْءٌ دَعَا إِلَيْهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بَعْدَهُمَا؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَشَيْءٌ دَعَا إِلَيْهِ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ بَعْدَهُمْ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَشَيْءٌ دَعَا إِلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بَعْدَهُمْ؟ قَالَ: لَا. قَالَ الشَّيْخُ: فَشَيْءٌ لَمْ يَدْعُ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ، وَلَا أَبُو بَكْرٍ، وَلَا عُمَرُ، وَلَا عُثْمَانُ، وَلَا عَلِيٌّ، تَدْعُو أَنْتَ النَّاسَ إِلَيْهِ لَيْسَ يَخْلُو أَنْ تَقُولَ: عَلِمُوهُ أَوْ جَهِلُوهُ، فَإِنْ قُلْتَ: عَلِمُوهُ وَسَكَتُوا عَنْهُ، وَسِعَنَا وَإِيَّاكَ مِنَ السُّكُوتِ مَا وَسِعَ الْقَوْمَ، وَإِنْ قُلْتَ: جَهِلُوهُ وَعَلِمْتُهُ أَنَا، فَيَا لُكَعُ ابْنَ لُكَعٍ يَجْهَلُ النَّبِيُّ

عَلَيْهِ السَّلَامَ وَالْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ شَيْئًا تَعْلَمُهُ أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ، فَرَأَيْتُ أَبِي وَثَبَ قَائِمًا وَدَخَلَ الْجَدْيَ، وَجَعَلَ ثَوْبَهُ فِي فِيهِ فَضَحِكَ، ثُمَّ جَعَلَ يَقُولُ: صَدَقَ، لَيْسَ يَخْلُو مِنْ أَنْ يَقُولَ: عَلِمُوهُ أَوْ جَهِلُوهُ، فَإِنْ قُلْنَا: عَلِمُوهُ وَسَكَتُوا عَنْهُ، وَسِعَنَا مِنَ السُّكُوتِ مَا وَسِعَ الْقَوْمَ، وَإِنْ قُلْنَا: جَهِلُوهُ وَعَلِمْتَهُ أَنْتَ، فَيَا لُكَعَ ابْنَ لُكَع يَجْهَلُ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ شَيْئًا وَتَعْلَمُهُ أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ. فَقَالَ: لَسْتُ أَعْنِيكَ إِنَّمَا أَعْنِي ابْنَ أَبِي دُؤَادَ، فَوَثَبَ إِلَيْهِ فَقَالَ: أَعْطِ هَذَا الشَّيْخَ نَفَقَةً وَأَخْرِجْهُ عَنْ بَلَدِنَا»[1].

الشَّرْح

هَذِهِ القِصَّةُ ذَكَرَهَا أبو بكرٍ الآجُرِّيُّ بَلاغًا، عن الخليفةَ العباسيَّ المهتَدِي، أنه قال: «ما قَطَعَ أَبِي إلا شَيْخٌ» يعني: ما قَطَعَ حُجَّةَ أبي - وهو الخليفة الواثقَ - إلا هذا الشَّيْخُ - الذي تقدم خبره -؛ لأنَّ الواثِقَ امْتَحَنَ النَّاسَ، وحَمَلُهم على القول بخَلْقِ القُرْآنِ، وذلك لَمَّا أَثَّرَ عَلَيْهِ المُعْتَزِلَةُ حين صار رئيس القُضَاةِ عِنْدَهُ: أَحْمَدُ بنُ أبي دُؤَادَ، وهُو مُعْتَزِلِيٌّ، أَثَّرُوا على الخُلَفَاءِ من قَبْلِ الوَاثِقِ؛ من المأمونِ ومَنْ بَعْدَهُ إلى الوَاثِقِ، حتى جَاءَ المتَوَكِّلُ بعدَ الوَاثِقِ وحَلَّ الفِتْنَةَ.

فحَمَلَ الخليفةُ الناسَ على القَوْلِ بخلقِ القرآنِ، من زَمن المأمون إلى زَمَنِ الواثِقِ، وصَارُوا يَفْتِنُونَ العلماءَ ويَمْتَحِنُونَهُمْ؛ فالذي يقول: القرآنُ مخلوقٌ. يتركُونَهُ، والذي يقول: غيرُ مَخْلُوقٍ. يَحْبِسُونَهُ.

(١) انظر: الشريعة للآجري: (١/ ٤٥٣/ ١٤٣).

ومن ذلكَ فِتْنَةُ الإمام أحمدَ رَحِمَهُ اللهُ، إذ حُبِسَ وضُرِبَ وأُوذِيَ، حتى أُغْشِي عَلَيه ولَمْ يتأوَّلْ؛ لأنَّه خَشِيَ أن يُضِلَّ النَّاسَ.

وبعضُ العلماءِ من أَقْرَانِ الإمامِ قَدْ تَأَوَّلُوا لأنَّه رُخْصَةٌ ما دَامَت المسألةُ وصلت لحَدِّ الإكْرَاهِ؛ فجاءَ رَجُلٌ إلى الإمام أحمدَ وقال له: يا إمامُ أنت أُوذِيتَ، وضُرِبْتَ، وسُجِنْتَ حتى كنتَ في غَيْبُوبَةٍ، تَأَوَّلْ، فأنتَ في مَنْدُوحَةٍ. فقال له: انظر إلى رَحَبَةِ دَارِ الخليفة ـ رَحَبَةٍ واسِعَةٍ فإذا هي ملآنَةٌ ناسًا؛ كُلٌّ واحد معه آلَةُ الكِتَابَةِ يريدُ أن يَكْتُبَ مَقَالَةَ الإمام أحمدَ ـ تُرِيد أن أُضِلَّ هؤلاء؟ كلا، بل أَمُوتُ ولا أُضِلُّهُمْ. وصَبَرَ رَحِمَهُ اللهُ؛ حَتَّى نَصَرَهُ اللهُ، وصَارَ بذلك إمامَ أهلِ السُّنَّةِ.

ومن ذلك هذه القصة ـ التي أوردها المؤلف ـ من أنه أُتِيَ بِشَيْخٍ من المَصِّيصَةِ فمَكَثَ في السِّجْنِ؛ لأنَّهُ لم يقلْ: القُرَآنُ مَخْلُوقٌ. ثم أمر الواثق أن يخرج الشَّيْخَ مِنَ السِّجْنِ، فَأُتِيَ بِهِ عَلَيْهِ القُيُودُ في يَدَيْهِ وفي رِجْلَيْهِ، فَلَمَّا أُوقِفَ بينَ يَدَي الوَاثِقِ، سَلَّمَ الشيخ فَلَمْ يَرُدَّ الخَلِيفَةُ عَلَيْهِ؛ فقال لَهُ: يا أَمِيرَ المؤْمِنِينَ ما اسْتَعْمَلْتَ مَعِي أَدَبَ الله عَجَلَ وَلَا أَدَبَ رَسُولِهِ عليه الصلاة والسلام، حيث لم يرد السَّلَامَ عَلَيه؛ فاللهُ ـ تَعَالَى ـ يقول: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء: ٨٦] والنبي عليه الصلاة والسلام أمر بِرَدِّ السَّلَامِ؛ فأذعن الخَلِيفَةُ ورَدَّ السَّلَامَ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ لابْنِ أبي دُؤَادَ رَئِيسِ القُضَاةِ المُعْتَزِلِيِّ ـ يُرِيدُ أَنْ يَمْتَحِنَ هَذَا الشَّيْخَ ـ: سَلْهُ، فادعى الشيخ أنه مَحْبُوسٌ مُقَيَّدٌ، ولا تَوَضَّأُ، ولا صَلى؛ فأَمَرَ الخليفة بِحلِّ قُيُودِهِ فَحُلَّت، وأن يعْطَى المَاءَ فتَوَضَّأَ وَصَلَّى. ثم قال لرَئِيسِ القُضَاةِ المُعْتَزِلِيِّ: سَلْهُ؛ امْتَحِنْهُ هل يقول: القرآن مخلوق أَمْ لَا؟

فإن قال: مَخْلُوقٌ، أَطْلَقَهُ.

وإنْ قَالَ: غَيْرُ مَخْلُوقٍ، رَدَّه في السِّجْنِ.

فقال الشيخ: أنَا الَّذِي أَسْأَلُهُ وهو الذِي يُجِيبُ، فَمُرْهُ أن يُجِيبَنِي فقال: سَلْ.

فقال الشيخ: أخْبِرْنِي عن هَذَا الذي تَدْعُو الناسَ إليه؛ وهو القَوْلُ بخَلْقِ القُرْآن، هل هو شَيْءٌ دَعَا إِلَيْهِ رَسُولُ الله؟ قَالَ: لَا.

قَالَ الشيخ: فَشَيْءٌ دَعَا إِلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ بَعْدَهُ؟ قَالَ: لَا.

قَالَ الشَّيْخُ: فَشَيْءٌ دَعَا إِلَيْهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بَعْدَهُمَا؟ قَالَ: لَا.

قَالَ الشَّيْخُ: فَشَيْءٌ دَعَا إِلَيْهِ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ بَعْدَهُمْ؟ قَالَ: لَا.

قَالَ الشَّيْخُ: فَشَيْءٌ دَعَا إِلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بَعْدَهُمْ؟ قَالَ: لَا.

قَالَ الشَّيْخُ: فَشَيْءٌ لَمْ يَدْعُ إِلَيْهِ رَسُولُ الله، وَلَا أَبُو بَكْرٍ، وَلَا عُمَرُ، وَلَا عُثْمَانُ، وَلَا عَلِيٌّ، تَدْعُو أَنْتَ النَّاسَ إِلَيْهِ؟ لَيْسَ يَخْلُو أَنْ تَقُولَ: عَلِمُوهُ أَوْ جَهِلُوه، أي: هَلِ الرَّسُولُ ﷺ والصَّحَابَةُ عَلِمُوا هذَا الأمرَ أو جَهِلُوهُ؟

فَإِنْ قُلْتَ: عَلِمُوهُ وَسَكَتُوا عَنْهُ. وَسِعَنَا وَإِيَّاكَ مِنَ السُّكُوتِ مَا وَسِعَ الْقَوْمَ.

وإن قلت: جَهِلُوهُ وعلمته أنت، فيا لُكَع ابن لُكَعٍ. يعني: سَبا لَهُ؛ إذ كيف يَجْهَلُ النَّبِيُّ ﷺ وأَصْحَابُهُ شَيْئًا وتَعْلَمُهُ أنتَ وأصحابك.

قال المهْتَدِي: فرَأيتُ أبي - الواثِقُ الخليفةُ - وَثَبَ قَائِمًا، ودَخَلَ الحَجْرَ - أي: ودَخَلَ الْخُلْوَةَ - وجَعَلَ ثَوْبَهُ في فِيهِ فَضَحِكَ، وجَعَلَ يُرَدِّدُ مقالةَ الشَّيْخِ، ثم يقول: صَدَقَ الشيخُ، ليسَ يَخْلُو من أن يقولَ: عَلِمُوهُ أو جَهِلُوهُ.

ثم قال الشيخ: يا محمدُ، ـ يُخَاطِبُ ابنُ أبي دُؤَادَ ـ فقال الشيخ: لَبَّيْكَ. فقال الخليفة: لستُ أَعْنِيكَ إِنَّمَا أَعْنِي: ابنَ أبي دُؤَادَ، فَوَثَبَ إليه قال: أعطِ هذَا الشيخَ نَفَقَةً، وأَخْرِجْهُ من بلدنا.

وسَلِمَ الشيخ منَ الحَبْسِ.

وهذه القصة ـ كما تقدم ـ رَواهَا أبو بكر الآجُرِّيُّ بَلاغًا؛ والمعْرُوفُ أن ما يُرْوَى بَلَاغًا يكونُ مُنْقَطِعًا وهو من أقسامِ الضَعِيفِ، فليس فِيهِ سَنَدٌ بينَ الآجُرِّيِّ والمُهْتَدِي، ولا يُعْرَفُ المُبَلِّغُ؟ فَتُكُونُ ضَعِيفَةً؛ لكنْ أَسْنَدَهَا الآجُرِّيُّ في مَكَانٍ آخَرَ، فعن الآجُرِّيِّ رواها ابنُ بَطَّةَ في (الإِبانَة في الرَّدِّ على الجَهْمِيَّةِ)، ولها طُرُقٌ أُخْرَى عندَ ابنِ بَطَّةَ، والخَطِيبِ في (تاريخ بغداد)، وابنِ الجَوْزِيِّ في (مناقبِ الإمامِ أحمدَ)، وعبدِالغَنِيِّ المَقْدِسِيِّ في (المِحْنَة)، وابنِ قُدَامَةَ في (التَّوَّابِين)، وأوردها الذَّهَبِيُّ في (سير أعلامِ النُّبَلَاءِ) بسياقٍ آخَر، ثم لما أَوْرَدَهَا الذَّهَبِيُّ عَقَّبَ على القصة بقوله: «وفي إسنادها مجاهيلُ، فالله أعلمُ بِصِحَّتِهَا». وقال أيضا في موطن آخر: «وهذه قِصَّةٌ مَلِيحَةٌ، وإن كان في طَرِيقِهَا من يُجْهَلُ، ولها شَاهِدٌ».

والمؤلف أَتَى بِهذه القصة من بابِ الاسْتِئْنَاسِ، فليستَ حَدِيثًا، ولَا كَلَامًا للنَّبِيِّ ﷺ، ولا كَلَامًا للصحَابَةِ، وإنما هي قِصة يُسْتَأْنَسُ بها، وتَدُلُّ على أنَّ أهلَ البِدَعِ مَغْلُوبُونَ، وأنَّ حُجَّتَهُمْ دَاحِضَةٌ، وأَنَّهُمْ يَمْتَحِنُونَ النَّاسَ بشيءٍ هم في عَافِيَةٍ منه، وليس عليه دليل ـ نسألُ الله السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ ـ.

۞ ۞ ۞

فَصْلٌ

١٩ ـ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الآجُرِّيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «وَبَعْدَ هَذَا فَنَأْمُرُ بِحِفْظِ السُّنَنِ عَنْ رَسُولِ اللهِ، وَسُنَنِ أَصْحَابِهِ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَقَوْلِ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ مِثْلِ: مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، وَالْأَوْزَاعِيِّ، وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، وَابْنِ الْمُبَارَكِ، وَأَمْثَالِهِمْ، وَالشَّافِعِيِّ، وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَالْقَاسِمِ بْنِ سَلَّامٍ، وَمَنْ كَانَ عَلَى طَرِيقَتِهِمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَنَنْبِذُ مَا سِوَاهُمْ، وَلَا نُنَاظِرُ، وَلَا نُجَادِلُ، وَلَا نُخَاصِمُ، وَإِذَا لَقِيَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ فِي طَرِيقٍ أَخَذَ فِي غَيْرِهِ، وَإِنْ حَضَرَ مَجْلِسًا هُوَ فِيهِ قَامَ عَنْهُ، هَكَذَا أَدَّبَنَا مَنْ مَضَى مِنْ سَلَفِنَا.

قَالَ يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ: «إِذَا لَقِيتَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ فِي طَرِيقٍ فَخُذْ فِي غَيْرِهِ»[(١)].

وَقَالَ أَبُو قِلَابَةَ: «مَا ابْتَدَعَ رَجُلٌ بِدْعَةً إِلَّا اسْتَحَلَّ السَّيْفَ»[(٢)].

الشَّرْحُ

هذا الفَصْلُ نَصِيحَةٌ من الآجُرِّيِّ رَحِمَهُ اللهُ، ينصحُ فيها طَلَبَةَ العِلْمِ بحِفْظِ السُّنَنِ عن رسولِ الله ﷺ، وسُنَنِ الصحابةِ، وسُنَنِ التَّابِعينَ لهم بإحسانٍ، ويَحْفَظ أقوالَ المسلمين، وأقوالَ الأئمةِ كمالكِ بنِ أنسٍ، والأَوْزَاعِيِّ، وسُفيانَ الثوريِّ، وابنِ المباركِ وأمثالهم، والشَّافعيِّ

---

(١) أخرجه ابن بطة في الإبانة: (٢/ ٤٧٥/ ٤٩١)، وابن وضاح في البدع (٢/ ٩٨/ ١٢٠).

(٢) أخرجه الدارمي في سننه: المقدمة، بَابُ اتِّبَاعِ السُّنَّةِ، رقم (١٠٠).

وأحمدَ بنِ حنبلٍ، والقَاسِمِ بْنِ سلَّامٍ، ومن كان على طريقَتِهِمْ من العلماء.

ويَنْصَحُهم بِهَجْرِ من سِوَاهُمْ؛ ونَبْذِ أقوالِ المبْتَدِعَةِ والبُعْدِ عن الجِدَالِ والمنَاظَرَةِ والخِصَامِ مع أهلِ الْبِدَعِ.

فإذا لَقِي المسلم صَاحِبَ بِدْعَةٍ في طَرِيقٍ فعليه أن يأخُذَ طَرِيقًا آخَرَ؛ لئلا يكونَ بَيْنَهمَا كَلَامٌ وأَخْذٌ ورَد، فيكونُ سَبَبًا في ضَلَالِه.

وإذا حَضَرْ المسلم مجلسًا فيه مُبْتَدِعٌ قام عَنْ هَذَا المجْلِسِ، ولم يجْلِسْ فيه خَشْيَةَ أن يَتَكلَّمَ هذا المبتدعُ بباطلٍ، أو يَأْتِيَ بشُبْهَةٍ.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: «هَكَذَا أَدَّبَنَا مَنْ مَضَى مِنْ سَلَفِنَا»، وذكر قول يحيى بن أبي كثير وقول أبي قلابة.

ومنْ ذَلك: بِدْعَةُ الخَوَارِجِ الذِّينَ كَفَّرُوا المسْلِمَ بالمعَاصِي فاسْتَحَلُّوا السيفَ، كَفَّرُوا العُلَمَاءَ وكَفَّرُوا المسلمينَ، وصَارُوا يقتلونَ النَّاسَ ـ كما هو واقعٌ الآن ـ يُكَفِّرُونَ ويُفَجِّرُونَ؛ فاسْتَحَلُّوا دماءَ المسلمين وأموالَهُم، وسَلِمَ منهم اليهودُ والنَّصَارى ولم يَسْلَمْ منهم المسلمون؛ مِثْل ما قال النَّبِيُّ ﷺ: «**يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلامِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ**»[1]، ما ابْتَدَعَ رَجُلٌ بدعةً إلا اسْتَحَلَّ السيفَ.

○ **فإن قال قائل**: مَنْ هُوَ المُبْتَدِعُ الذِي حَذَّرَ السَّلَفُ مِنْ مُجَالَسَتِهِ ومُنَاظَرَتِهِ؟ وما هو حَدُّ البِدْعَةِ الَّتِي يُهْجَرُ صَاحِبُهَا؟ لأنَّ البِدَعَ تتفاوت، وبَعْضُهُمْ يرى من يخالِفُهُ في بعضِ المسَائلِ التي اخْتَلَفَ فيها العلماءُ أنَّه مُبْتَدِعٌ، ويُطَبِّقُ هذه الأقوال عليه.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله ﷻ: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝﴾ [الحاقة: ٦]، رقم (٣٣٤٤)، ومسلم: كتاب الزكاة، رقم (١٠٦٤).

□ **فنقول:** البِدْعَةُ هي: الحَدَثُ في دِينِ اللهِ؛ فمَنْ أَحْدَثَ في دِينِ اللهِ ما ليسَ مِنْهُ فهَذِه هِي البِدْعَةُ، كما قال النبيﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ**»[1] رواه الشيخان، وفي لفظ مسلم: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»[2].

مثل: بِدْعَةِ الجَهْمِيَّةِ الذين يُنْكِرُون الأسماءَ والصفاتِ فمن سلك منهجهم فهو مُبْتَدِعٌ:

أو سلك منهج المعتزلة بإنكار الأسماءَ والصِّفَاتِ فهو مبتدع.

أو كان أَشْعَرِيًّا يُثْبِتُ سَبْعَ صِفَاتٍ.

أو كان قَدَرِيًّا يقول: إنَّ أَفْعَالَ العِبَادِ مَخْلَوقَةٌ لهُمْ، ولَيْسَتْ مخلوقةً للهِ.

أو كان من الخوارجِ يكفِّرُ المسلمينَ بالمعَاصِي.

أو كان من الرَّافِضَةِ الذين يُكَفِّرُونَ الصحابةَ ويَعْبُدُونَ آلَ البيتِ.

أو كان صُوفِيًّا يقول بقول الصوفِيَّةِ.

أو كان ممن أَلْغَى صِفَاتِهِ وجَعَلَهَا صفةً لله، وعلم أن ما قُدِّرَ سَيَكُونُ، وأنَّه تَسْقُطُ عَنْهُ التَّكَالِيفُ.

أو كان من الحُلُولِيَّةِ الذين يقولون: إن الله حَالٌّ في كل مكانٍ.

أو كان من البَاطِنِيَّةِ الذين يَقُولُونَ: إن للشريعة ظاهرًا وبَاطِنًا؛ كل هؤلاء المبتدعة.

أمَّا مَنْ يُخَالِفُ في مسألة من المسائل ـ كما هُوَ مَوْجُودٌ من بعضِ الشَّبَابِ الآن ـ يَتَحَزَّبُونَ أَحْزَابًا وفِرَقًا، فيقولون: هذا إخواني،

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

وهذا سَلَفِي، وهذا سُرُورِيٌّ، وهَذا تَكْفِيرِيٌّ، وهذا جَامِيٌّ. ويُعَادِي بعضهم بعضا، ويُبَدِّعُ بعضهُمْ بَعْضًا، ويَهْجُرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، ويَغْتَابُ بعضهم بعضاً حتى صَارَ هَمَّهُمْ الشَّاغِل، وصَرَفَهُمْ عن طَلَبِ العِلْم، وصارت بينهم العَدَاوَاتُ والحَزَازَاتُ، وكل واحد يرمي الثاني بالبِدَعِ؛ فهذا غلط كبير.

والواجب على الشاب أن يُقْبِلَ على طَلَبِ العلم، ويتْرُكَ هذه التَّحَزُّبَاتِ، ويكتفي بقول: أنَا منْ أَهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ، وأعملُ بكتاب الله وسُنَّةِ رسوله، ولا أَنْتَسِبُ لشيء إلا أهلَ السُّنَّةِ والجماعة.

وإذا سئل عن فلان؛ فليقلْ: لا أعلمُ، أنَا أَطْلُبُ العِلْمِ، ولا أَحْكُمُ على الناس بشيء؛ ولْيرجعْ إلى العلماء ويسألْهُمْ.

وهذا هو الواجب، فإن هذه التَّحَزُّبَاتُ، فَرَّقَتِ الشبابَ وأَضَاعَتْ أَوْقَاتَهُمْ، وضَيَّعَتْ علِيهِم العِلمَ، وأضعَفَتْ دِينَهُمْ.

فصار بعضهم يَحْذَرُ بعْضًا، حَتَّى من حلقاتِ ودُرُوسِ بعض أهلِ العلمِ، وهذه من المصائب.

فتَجْلِسُ في أي حَلَقَةٍ من حلقات دروس أهل العلم فَتَسْتَفِيدُ وتَفْهَمُ.

وبعض الناس يطلق على الدعاة الأخيار أنهم مُبْتَدِعَةٌ، وهم دُعَاةٌ مَعْرُوفُونَ لا نَعْلَمُ عَنْهُمْ إلا الخيرَ، دَرَسُوا في الجامعات الإسلامية، ودَرَسُوا كتاب التوحيد والعَقِيدَةَ الواسِطِيَّةَ، والحَمَوِيَّةَ، والتَّدْمُرِيَّةَ، والطَّحَاوِيَةَ، ومع ذلك بعضُ الناس يُحَذِّرُونَ منهم، ويقولون: هؤلاء مبتدعة!

فنقول: هل هم جَهْمِيَّةٌ؟! هل هم أشاعرة؟! هل هم قَدَرِيَّةٌ؟! هل هُمْ رَافِضَةٌ؟ هل هُمْ خَوَارِجُ؟!

فإنَّا ما عَلِمْنَا هذا عنهم، ولو غَلِطَ في بعضِ المسائلِ، فالحمدُ لله ليس هناكَ أَحَدٌ مَعْصُوم؛ والغَلَطُ مَرْدُودٌ على صَاحِبِهِ، فكُلٌّ يُؤْخَذُ من قوله ويُرَدُّ إلا قول الرسول ﷺ.

أَمَّا أنْ يُرْمَى بالبِدْعَةِ وهُو دَاعِيَةٌ معروف من أهلِ العِلم، نَشَأَ في هَذِهِ البِلَادِ ودَرَسَ في الجامعات، ودَرَسَ كُتبَ العَقِيدَةِ وكُتبَ التوحيد، وهو يُعَلِّمُهَا للنَّاسِ ويَتَبَرَّأُ إلى الله من مَذَاهِبِ الخَوَارِجِ، والمُعْتَزِلَةِ، والجَهْمِيَّةِ، والرَّافِضَةِ، فهذا غلط ـ نسألُ اللهَ السلامة والعافية ـ.

■ **وقد يقول قائل**: هل من ابْتَدَعَ بِدْعَةً يَكُونُ مُبْتَدِعًا؟ ومَا حُكْمُ منْ لَمْ يُبَدِّعِ المُبْتَدِعَ؟

● **فنقول**: من ابْتَدَعَ بِدْعَةً وكَانَتْ بِدْعَةً ظَاهِرَةً، وهُوَ يَعْلَمُ أَنَّها بِدْعَةٌ فهو مُبْتَدِعٌ.

أما من فَعَلَهَا عن اجْتِهَادٍ وهو لا يعلمُ أَنَّها بِدْعَةٌ؛ فيكونُ مَعْذُورًا.

أما مَنْ لمْ يُبَدِّعْ بِدَعَ المبتدع ففيه تَفْصِيلٌ:

إن كانَ هو يَرَى بِدْعَتَهُ فَهُو مُبْتَدِعٌ مِثْلُهُ.

وإن كان لم يُبَدِّعْهُ لأنه ما ظَهَرَ لهُ أَنَّهَا بِدْعَةٌ، فهذا قد لا يكونُ مُبْتَدِعًا.

■ **وقد يقول قائل**: ما حُكْمُ المنَاظرات الَّتِي تكونُ بَيْن بعضِ أَهْلِ السُّنَّةِ وبعض المُبْتَدِعَةِ في القَنَواتِ الفَضَائِيَّةِ؟

● **فنقول**: هذا فيه تفصيل:

إن كانَ المُنَاظِرُ من أهل السُّنَّةِ مُتَمَكِّنًا عِنْدَهُ قُدْرَةٌ، وعِلْمٌ وبَصِيرَةٌ، ومَعْرِفَةٌ بالأَدِلَّةِ والاسْتِدْلَالِ والجِدَالِ، وقُدْرَةٌ على كَشْفِ

الشُّبَهِ، ويكونُ بينَ المُنَاظِرِينَ مَرْجِعٌ ـ الكتاب والسنة ـ إذَا اخْتَلَفُوا؛ فلا بَأْسَ.

أمَّا إذا كانَ المُنَاظِرُ ليسَ عِنْدَهُ عِلْمٌ ولا بَصِيرَةٌ، ولا قُدْرَةٌ على رَدِّ الشُّبَهِ، ويكون خَصْمُهُ المبتدع أقوى مِنه، فيُورِدُ الشُّبَهَ، ويُضِلُّ الناسَ، أو لا يكون هناك مَرْجِعٌ يَرْجِعُ إليه المُتَنَاظِرُونَ، فهذا لا يجوز.

ويُرْوَى أنه جاءَ جَمَاعَةٌ يريدون أن يُنَاظِرُوا الشيخ محمدَ بنَ إبراهيمَ رَحِمَهُ اللَّهُ في حياتِهِ من أهلِ البِدَعِ؛ فقال لهم: نُرِيدُ أن يكون هناكَ شيءٌ نَرْجِعُ إليه، يعنِي: الكِتَابَ والسُّنَّةِ. فقالوا: لا. فقال: إذن لَيْسَ هُنَاك مُنَاظَرَة، إلا أن يكون مَرْجِعَنَا الكِتَابُ والسُّنَّةُ.

■ **وقد يقول قائل:** ما نَصِيحَتُكُمْ لمن يَدْخُلُ في المُنْتَدَيَاتِ، وفي السَّاحَاتِ والإنترنت، فيطالع المناظرات، وقد يتأثر بذلك؟

● **فنقول:** النصيحة لمَنْ يَدْخُلُ في المُنْتَدَيَاتِ أن يكونَ على حَذَرٍ، والمسألة فيها تفصيل:

فإذا كان الداخل لهذه المنتديات والمطالع للمناظرات من أهلِ العِلْمِ وأهلِ البَصِيرَةِ يُرِيدُ أن يَرُدَّ عليهم؛ فلا بأس.

أمَّا إذَا لم يكن من أهلِ العِلْم ولَا أهلِ البَصِيرَةِ، فنصيحتي ألَّا يَدْخُلَ في المنَاظَرَاتِ، وألَّا يَقْرأَ كَلَّ مَا يُكْتَبُ؛ لئلا تَزِلَّ بِهِ القَدَمُ، فقد عَلِمْنَا من العلماءِ والأئمةِ التَحْذِيرَ منْ أهلِ البِدَعِ، ومِنْ مُجَالَسَتِهِمْ، وقراءة كلامهم وشُبَهِهِمْ.

فإذا وَجَدْتَ المُبْتَدِعَ في طَرِيقٍ فاذهبْ إلى طريقٍ آخرَ، وإذا كان في مجلسٍ فلا تَجْلِسْ في المجلسِ الذي يجلس فيه، فكيفَ تَقْرَأُ في المنتديات كلامَ المبتدعةِ وكِتَابَاتِهِمْ وشُبَهَهُمْ؟! أين تحذيرُ العلماء؟! هل عَمِلْتَ بالتَّحْذِيرِ؟!

فالواجب الحذر؛ فلا تقرأْ ما كَتَبُوهُ، واقرأ الشيْءَ الذي يَنْفَعُكَ، ادْخُلْ في مواقع أهل السُّنَّةِ وأهلِ الحقِّ وأهل البَصِيرَةِ حتى تستفيد مما تسمع ومما تقرأ.

■ **وقد يقولُ قائلٌ**: إنَّنِي أَعِيشُ في مُجْتَمَع كُلِّهِ مُبْتَدِعَةٌ، فكيف يُمْكِنُنِي التَّعَامُلُ معهم بهذا المَنْهَجِ المذْكُورِ آنفا؟

● **فنقول**: العُلْمَاءُ يَرَوْنَ أنه يُسْتَحَبُّ للإنسانِ أن يُهَاجِرَ من المكانِ الذي فيه مُبْتَدَعَةٌ أو عُصَاةٌ.

فإذا كان البلد بَلَدُ الكُفَّارِ فيجبُ الهِجْرَة منه إذا كان لا يَسْتَطِيعُ إظهارَ دِينِهِ.

وإذا كان بلدُ مُبْتَدِعَةٍ أو عُصَاةٍ فيُسْتَحَبُّ الهِجْرَةُ مِنْهُ إن استطاع، وإن لم يَسْتَطِعْ فيفعَلْ مَا يَسْتَطِيعُ، من قراءة كُتُبَ أهلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ، وسماع الدُّرُوسَ العِلْمِيَّةَ عبر الشَّبَكَةِ المعلوماتية والأَشْرِطَةَ، والسؤال عما يُشْكَلَ عَلَيْه، والابتعاد عن أهل البدع والمعاصي قَدْرِ الإمكانِ.

■ **وقد يقول قائل**: هَلْ لنَا أنَّ نَتْرُكَ صَاحِبَ البِدْعَةِ على بِدْعَتِهِ ولا نَنْصَحَهُ؟ وكيف يهتدي إلى الصواب إن تركناه؟!

● **فنقول**: إذا كُنْتَ تَسْتَطِيعُ النَّصِيحَةَ، وكُنْتَ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ والبَصِيرَةِ فعَلَيْكَ أنْ تَنْصَحَهُ ويَقْبَلَ مِنْكَ.

أمَّا إذا لم تَكُنْ من أهلِ العِلْمِ؛ فعَلَيْكَ بالابْتِعَادِ، لأنه ليس عِنْدَكَ أَهْلِيَّةٌ للنُّصْحِ؛ وقَدْ يُضِلُّكَ، لأنه يَكُونُ عِنْدَهُ حُجَجٌ وشُبَهٌ تُضِلُّكَ.

❁ ❁ ❁

فَصْلٌ

٢٠ ـ قَالَ: فَإِنْ كَانَتْ مَسْأَلَةً مِنَ الْفِقْهِ وَأَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ فَمُبَاحٌ لَهُ النَّظَرُ فِيهَا، طَلَبَ السَّلَامَةِ لَا يُرِيدُ الْمُغَالَبَةَ، فَيَحْمَرُّ وَجْهُهُ، وَتَنْتَفِخُ أَوْدَاجُهُ، وَيَعْلُو صَوْتُهُ، وَيُحِبُّ أَنْ يُخْطِئَ صَاحِبُهُ، فَهَذَا لَا تُحْمَدُ عَاقِبَتُهُ، فَإِنْ أَرَدْتَ السَّلَامَةَ فِي النَّظَرِ، فَإِذَا كُنْتَ أَنْتَ حِجَازِيٌّ وَالَّذِي يُنَاظِرُك عِرَاقِيٌّ وَبَيْنَكُمَا مَسْأَلَةٌ، تَقُولُ أَنْتَ: حَلَالٌ. وَيَقُولُ هُوَ: حَرَامٌ. نَاظَرْتَهُ عَلَى إِنْ كَانَ الْحَقُّ مَعَهُ تَبِعْتَهُ، وَإِنْ كَانَ مَعَكَ تَبِعَكَ. فَهَذَا حَسَنٌ، وَمَا أَعَزَّهُ فِي النَّاسِ! وَإِلَّا فَقُلْ: قَدْ عَرَفْتُ قَوْلَكَ وَعَرَفْتَ قَوْلِي، فَلَا أَنْتَ تَتَّبِعُنِي إِذَا ظَهَرَ الْحَقُّ عَلَى لِسَانِي وَلَا أَنَا أَتَّبِعُكَ، فَسُكُوتُنَا عَنِ النَّظَرِ أَسْلَمُ.

وَلَا تَأْمَنْ أَنْ يَقُولَ لَكَ فِي مُنَاظَرَتِهِ: قَالَ رَسُولُ اللهِ. فَتَقُولَ لَهُ: هَذَا حَدِيثٌ ضَعِيفٌ. وَهُوَ بِخِلَافِهِ لِتَرُدَّ قَوْلَهُ، وَكَذَلِكَ يَقُولُ لَكَ، فَمَا أَعْظَمَ هَذَا فِي الدِّينِ! وَعَلَيْهِ أَكْثَرُ أَهْلِ زَمَانِنَا إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللهُ ﷻ.

الشَّرْحُ

هَذِهِ أيضا نَصِيحَةٌ من أبي بَكر الآجُرِّيِّ، ينصح المسلم بأن يتعلق بالعَقِيدَةِ، والدِّينِ، والسُّنَنِ، والبِدَعِ، وبألا يكَلِّمْ أهلَ البِدَعِ ولا يُجادِلْهُمْ ولا يُخاصِمْهُمْ، ولا يُجلِسْ في المكانِ الذي هُمْ فِيهِ، ولا يُقَابِلْهُمْ في الطَّرِيقِ خشيةَ أن يُضِلُّوه.

أما المسَائِلُ الفِقْهِيَّةُ وأحكامُ الشَّرِيعَةِ؛ فيجوزُ للمسلم أن ينَاظِرَ ويُجَادِلَ بِشُرُوطٍ يكون حينها مُبَاحٌ للإنسانِ أن يَنْظُرَ فيها ويطلبَ

السَّلَامَةَ، وهي:

١ ـ أنْ تَطْلُبَ الحقَّ ويَطْلُبَ الحقَّ، بأنْ يَكُونَ مَقْصُودَكَ الحقُّ، ويكونَ مَقْصُودَهُ الحقُّ، فتَتَنَاظَرانِ وكُلٌّ يُدْلِي بِحُجَّتِهِ ودَلِيلِهِ؛ فإن كان الحقُّ معه تَبِعْتَهُ وإن كان الحقُّ معكَ تَبِعَكَ.

٢ ـ ألَّا تُرِيدَ المُغَالَبَةَ والانْتِصَارَ لنَفْسِكَ، فيَحْمَرَّ وَجْهُ المُنَاظِرِ، وتَنْتَفِخَ أوْدَاجُهُ، ويَعْلُوَ صَوْتُهُ، ويُحِبُّ أن يُخْطِئَ صَاحِبُهُ.

فإذَا وَصَلَتِ الحالةُ إلى هذا فاتْرُكِ المجادَلَةَ والمنَاظَرَةَ؛ فَهَذَا لَا تُحْمَدُ عَاقِبَتُهُ.

وضرب المؤلف ﷺ مثالا: بحِجَازِيٌّ وعِرَاقِيٌّ يتَنَاظَرَانِ في مسألة؛ فيقول الحجازيُّ: هذه المسْأَلَةُ حَلَالٌ. ويقولُ العِرَاقِيُّ: هذِه حَرَامٌ.

ونَاظَرْتَهُ مُنَاظَرَةً هَادِئَةً تأتي بالدَّلِيلِ الَّذِي عِنْدَكَ، ويأتي بالدَّليل الذي عنده؛ إنْ كَانَ الحقُّ معه تَبِعْتَهُ، وإن كان الحقُّ معك تَبِعَكَ، فهذا حسن إذا كان مَقْصُودًا.

ولكن وقوع مثل هذا قليل عزيز، فنادر أن يكونَ هَذَا هو الهَدَف، فالغالبُ أن يكون هدفَ المتَنَاظِرَيْنِ الانْتِصَارُ للنفس؛ وأن يُخْطِئَ صَاحِبُهُ، ويغلِبَ هو.

وإلا إذَا كَانَ لا يُرِيدُ أن يَتَّبِعَكَ إذا كان الحقُّ معك، أو تَتَّبِعَهُ إذا كانَ الحقُّ معه «**فَقُلْ: قَدْ عَرَفْتُ قَوْلَكَ وَعَرَفْتَ قَوْلِي، فَلَا أَنْتَ تَتَّبِعُنِي إِذَا ظَهَرَ الْحَقُّ عَلَى لِسَانِي وَلَا أَنَا أَتَّبِعُكَ، فَسُكُوتُنَا عَنِ النَّظَرِ أَسْلَمُ**».

○ قوله: «**وَلَا تَأْمَنْ أَنْ يَقُولَ لَكَ فِي مُنَاظَرَتِهِ: قَالَ رَسُولُ الله. فَتَقُولُ لَهُ: هَذَا حَدِيثٌ ضَعِيفٌ. وَهُوَ بِخِلَافِهِ لِتَرُدَّ قَوْلَهُ**» يعني: إذا

كَانَت المنَاظَرَةُ فيها انْتِصَارٌ للنَّفْسِ وأُتِيَ لكَ بحديثٍ، ثم تُرِيدُ الانْتِصَارَ لنفسك وتقول: هذا الحديثُ ضَعِيفٌ، وهو غيرُ ضَعِيفٍ، ولكن تُرِيدُ أن تُبْطِلَ حُجَّتَهُ؛ «فَمَا أَعْظَمَ هَذَا في الدِّينِ!» فهذه مُصِيبَةٌ، ثم حكى المؤلف وقوع هذا في زمانه، فقال: «وعَلَيْهِ أَكْثَرُ أَهْلِ زَمَانِنَا إلَّا مَنْ عَصَمَ الله ﷻ».

فهذه نَصِيحَةٌ من المؤلِّفِ في المناظرة في المسائل الفِقْهِيَّةِ الفَرْعِيَّةِ.



فَصْلٌ

٢١ ـ وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «الْمِرَاءُ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ»[(١)].

قَالَ الآجُرِّيُّ: «وَبَيَانُ هَذَا أَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، وَمَعْنَاهَا: عَلَى سَبْعِ لُغَاتٍ، فَكَانَ يُلَقِّنُ كُلَّ قَبِيلَةٍ مِنَ الْعَرَبِ الْقُرْآنَ حَسَبَ مَا يَحْتَمِلُ مِنْ لُغَتِهِمْ تَخْفِيفًا مِنَ اللهِ ـ تَعَالَى ـ، وَكَانُوا رُبَّمَا إِذَا الْتَقَوْا يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لَيْسَ هَكَذَا الْقُرْآنُ، وَلَا هَكَذَا عَلِمْتُهُ، وَيَعِيبُ بَعْضُهُمْ قِرَاءَةَ بَعْضٍ، فَنُهُوا عَنْ ذَلِكَ وَقِيلَ لَهُمْ: اقْرَءُوا كَمَا عَلِمْتُمْ وَلَا يَجْحَدْ بَعْضُكُمْ قِرَاءَةَ بَعْضٍ، وَاحْذَرُوا الْجَدَلَ وَالْمِرَاءَ فِيمَا قَدْ تَعَلَّمْتُمْ»[(٢)].

الشَّرْح

ذَكَرَ المؤلف ﷺ حديثَ أبي هُرَيْرَةَ عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «الْمِرَاءُ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ». وهذا الحديثُ صَحِيحٌ باعتبار أنَّ لَهُ شواهدَ صَحِيحَةً.

وذَكَرَ ابنُ عَبْدِالْبَرِّ في كتابه (جامع بيانِ العِلْم وفَضْلِهِ) إيضاحًا مُفِيدًا لقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: «المِرَاءُ في الْقُرْآنِ كُفْرٌ». فقال: «والمَعْنَى إِذَا تَمَارَى اثنان في آية يَجْحَدُهَا أَحَدُهُمَا، ويَدْفَعُهَا أو يَسُوقُهَا إلى

---

(١) أخرجه أبو داود: كتاب السنة، بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْجِدَالِ فِي الْقُرْآنِ، رقم (٤٦٠٣)، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ووَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ.

(٢) انظر: الشريعة للآجري: (١/ ٤٧٠/ ١٤٥).

الشَّكِّ، ذَلِكَ هو المِرَاءُ الذي هو الكُفْرُ، وأما التَّنَازُعُ في أحكامِ القُرْآنِ ومَعَانِيهِ؛ فقد تَنَازَعَ أصحابُ رَسُولِ الله ﷺ في كَثِيرٍ من ذَلِكَ»[١].

وهَذَا يُبَيِّنُ لكَ أنَّ المِرَاءَ الذي هو كُفْرٌ هو: الجُحُودُ والشَّكُّ.

وبيانُ هذا الحديث كما قال المؤلف: «**أَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ**». فقد جاء في الحديث: «**إِنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَاقْرَءُوا مِنْهُ مَا تَيَسَّرَ**». وهذا الحديثُ ثَابِتٌ، رواهُ البخاري ومُسْلِمٌ في صحيحيهما[٢].

والآجُرِّيُّ رَحِمَهُ اللهُ فسَّرَ سَبْعَةَ الأَحْرُفِ: على سَبْعِ لُغَاتٍ - من لغات العرب -، فكَانَ الرسول ﷺ: «**يُلَقِّنُ كُلَّ قَبِيلَةٍ من العَرَبِ القرآنَ على حَسَبِ ما يَحْتَمِلُ مع لُغَتِهِمْ**» وهذا من لطف الله كما قال المؤلف: «**تَخْفِيفًا من الله - تعالى -**».

فالآجُرِّيُّ رَحِمَهُ اللهُ جَزَمَ بأنَّ قولَ النَّبِيِّ ﷺ: «**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ**». سَبْعُ لُغَاتٍ، وهَذَا أَحَدُ الأقْوَالِ.

القول الثاني: أنَّ المراد به سَبْعَةُ أَوْجُهٍ من المَعَانِي، وليس هو سَبْعَ لُغَاتٍ.

وقيل غير ذلك[٣].

لكنَّ الآجُرِّيَّ اختارَ أحدَ الأقوالِ وجَزَمَ بذلك، وقد ثبتَ أنَّ

---

(١) انظر: جامع بيانِ العِلْم وفَضْلِهِ (٢/٩٢٨).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الخصومات، باب كلام الخصوم بعضهم في بعض، رقم (٢٢٨٧)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف، رقم (٨١٨).

(٣) انظر: تأويل مشكل القرآن (ص ٣٠).

حُذَيْفَةَ - رضي الله تَعَالَى عنه - حِينَمَا كانَ يُغَازِي أَرْمِينِيَّةَ وأَذْرَبِيجَانَ سَمِعَ اختلافَ النَّاسِ في القِرَاءَةِ، وبَعْضُهُمْ يقولُ: قِرَاءَتِي أَحْسَنُ من قِرَاءَتِكَ؛ فجاءَ إلى أَمِيرِ المؤمنين عُثْمَانَ وقال: «**يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَدْرِكْ هَذِهِ الأُمَّةَ، قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الكِتَابِ اخْتِلَافَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى**»[(١)]. فَأَمَر بِجَمْعِ القُرْآنِ، فَجُمِعَ.

وأَمَرَ بِجَمْعِه مرة أخرى، فَجَمَعَ على حرف واحدٍ، وهو الحَرْفُ الذِي كان في العَرْضَةِ الأخِيرَة لجِبْرِيلَ على النَّبِيِّ ﷺ، وقال للشَّبَابِ الذِينَ يَكْتُبُونَ: «**إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي عَرَبِيَّةٍ مِنْ عَرَبِيَّةِ القُرْآنِ فَاكْتُبُوهَا بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّ القُرْآنَ أُنْزِلَ بِلِسَانِهِمْ فَفَعَلُوا**»[(٢)]. وأَلْغَى بَقِيَّةَ الحُروفِ وأَحْرَقَ المصَاحِفَ، ونَسَخَ عِدَّةَ مَصَاحِفِ، وأبقى في المدينة مُصْحَفًا، وأرسل إلى مكة مُصْحَفًا، وإلى الكوفة مُصْحَفًا، وإلى مصر مُصْحَفًا، وإلى البصرة مُصْحَفًا وهكذا.

وهذا الحَرْفُ الواحِدُ يَدْخُلُ فيه القراءاتُ العَشْرُ.

فالواجبُ على المسلم أن يَحْذَرَ من الجِدَالِ، والمِرَاءِ، والشَّكِّ فيما يَتَعَلَّقُ بكتاب الله، وسُنَّةِ رسوله ﷺ.



(١) أخرجه البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، رقم (٤٩٨٧).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب نزل القرآن بلسان قريش والعرب، رقم (٣٥٠٦).



الباب الثالث

بابُ ذِكْرِ الإيمَانِ بِأَنَّ القُرْآنَ كَلامُ اللهِ، وأنَّ كَلامَ اللهِ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ، ومَنْ زَعَمَ أنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ فَقَدْ كَفَرَ

٢٢ ـ قَالَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الحُسَيْنِ الآجُرِّيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «اعْلَمُوا ـ رَحِمَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ ـ أَنَّ قَوْلَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ لَم تَزِغْ قُلُوبُهُمْ عَنِ الْحَقِّ، وَوُفِّقُوا لِلرَّشَادِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ ـ جَلَّ ثَنَاؤهُ ـ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ مِنْ عِلْمِ الله، وَعِلْمُ اللهِ لَا يَكُونُ مَخْلُوقًا، تَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ دَلَّ عَلَى ذَلِكَ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ، وَقَوْلُ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم، وَقَوْلُ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، لَا يُنْكِرُ هَذَا إِلَّا جَهْمِيٌّ خَبِيثٌ، وَالْجَهْمِيُّ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ كَافِرٌ، قَالَ اللهُ عز وجل: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] وقال: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٥] وَقَالَ اللهُ لِنَبِيِّهِ عليه السلام: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ﴾ [الأعراف: ١٥٨] وَهُوَ الْقُرْآنُ، وَقَالَ لِمُوسَى: ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾ [الأعراف: ١٤٤]. وَقَالَ: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]. فَقَدْ فَصَلَ بَيْنَهُمَا، وَقَالَ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل: ٤٠]. فَلَوْ كَانَتْ: كُنْ مَخْلُوقَةً لَافْتَقَرَتْ إِلَى كُنْ أُخْرَى غَيْرِ مَخْلُوقَةٍ إِلَى مَا لَا نِهَايَةَ لَهُ، وَقَالَ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ [الكهف: ١٠٩]. وَلَوْ كَانَ مَخْلُوقًا لَنَفِدَ، وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ.

وَقَالَ: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٦١].
وقال: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [البقرة: ١٢٠]، وَعِلْمُ اللهِ القُرْآنُ.

قَالَ الآجُرِّيُّ: لَمْ يَزَلِ اللهُ - تعالى - عَالِمًا مُتَكَلِّمًا، سَمِيعًا بَصِيرًا بِصِفَاتِهِ قَبْلَ خَلْقِ الْأَشْيَاءِ، مَنْ قَالَ غَيْرَ هَذَا كَفَرَ، وَسَنَذْكُرُ مِنَ السُّنَنِ وَالْآثَارِ وَقَوْلِ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ لَا يُسْتَوْحَشُ مِنْ ذِكْرِهِمْ مَا إِذَا سَمِعَهَا مَنْ لَهُ عِلْمٌ وَعَقْلٌ، زَادَهُ عِلْمًا وَفَهْمًا، وَإِذَا سَمِعَهَا مَنْ فِي قَلْبِهِ زَيْغٌ، فَإِنْ أَرَادَ اللهُ هِدَايَتَهُ إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ رَجَعَ عَنْ مَذْهَبِهِ، وَإِنْ لَمْ يَرْجِعْ فَالْبَلَاءُ عَلَيْهِ أَعْظَمُ[(١)].

الشَّرْح

هذا البابُ مُشْتَمِلٌ على هَذِهِ الجُمَلِ الثَّلَاثِ:

الجملةُ الأُولَى: الإيمانُ بأنَّ القرآنَ كَلَامُ اللهِ؛ يَعْنِي: القرآنُ كَلَامُ اللهِ مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، صِفَةٌ من صِفَاتِهِ.

الجملةُ الثانِيَةُ: أن القرآنَ كَلَامُ الله لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ، كَلامُ اللهِ لَفْظُهُ ومَعْنَاهُ، حُرُوفُهُ، وأَلْفَاظُهُ، ومَعَانِيهِ.

الجملةُ الثالثةُ: أنَّ مَنْ زَعَمَ أنَّ القُرْآنَ مَخْلُوقٌ فَقَدْ كَفَرَ.

وقد عَقَدَ المؤلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ هذا الباب لِبَيَانِ وُجُوبِ الإيمانِ بِأَنَّ القُرْآنَ كلامُ الله، مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، صِفَةٌ من صِفَاتِهِ، لَفْظُهُ ومَعْنَاهُ؛ ليس كَلَامَ اللهِ الحُرُوفُ دونَ المَعَانِي ولا المَعَانِي دُونَ الحُرُوفِ.

خِلَافًا لأهلِ البِدَعِ كالأشَاعِرَةِ الَّذِينَ يَقُولون: كلامُ اللهِ مَعْنًى

(١) انظر: الشريعة للآجري: (١/ ٤٩٠).

قَائِمٌ بِنَفْسِهِ ليسَ بِحَرْفٍ ولَا صَوْتٍ، لا يُسْمَعُ مثلَ العِلْم؛ كَمَا أن العِلْمَ لا يُسْمَعُ في الصَّدْرِ، فكَذَلِكَ الكَلَامُ. وقالوا: إنَّ هَذِهِ الحُرُوفَ والكَلِمَاتِ الموجودة في الكونِ لَيْسَتْ كَلَامَ اللهِ.

فجَعَلُوا الرَّبَّ أَبْكَمَ ولَا يَتَكَلَّمُ ـ والعِيَاذُ باللهِ ـ؛ لأنَّه لو تَكَلَّمَ بِحُرُوفٍ وأَصْوَاتٍ لصارتِ الحُرُوفُ والأَصْوَاتُ حَادِثَةً، فتَحِلُّ الحَوَادِثُ في ذَاتِهِ وهُوَ مُنَزَّهٌ عن الحَوَادِثِ.

واختلف الأشاعرة فيما بينهم فيمن عبر بالحروف:

فقالت طائفة منهم: عَبَّرَ بِها جِبْرِيلُ ﵇، حيث أن الله اضْطرَّ جِبْرِيل حَتَّى يَفْهَمَ المَعْنَى القَائِمَ بِنَفْسِهِ فَفَهِمَ المَعْنَى فَعَبَّرَ عَنْهُ بهذَا القرآنِ.

وقالت طائفةٌ: إنَّ الذِي عَبَّرَ مُحَمَّدٌ ﷺ.

وقَالَتْ طَائِفَةٌ: إنَّ جِبْرِيلَ أَخَذَ القُرْآنَ من اللَّوْحِ المَحْفُوظِ واللهُ لم يَتَكَلَّمْ بِكَلِمَةٍ واحدة.

ـ وقَابَلَهُمْ بعضُ المعْتَزِلَةَ فقَالُوا: الكَلَامُ هُوَ الحُرُوفُ والألفاظُ، وأمَّا المَعْنَى فليسَ بِكَلَامٍ.

ويقولون: كَلامُ اللهِ اللَّفْظُ، والمعَنْى مَخْلُوقٌ من مَخْلُوقَاتِهِ خَلَقَه في الهَوَاءِ، أو خَلَقَهُ في اللَّوْح المحفوظِ؛ فَهُمْ يقولون: كَلَامُ اللهِ مَخْلُوقٌ.

وَكُلٌّ مِنَ المَذْهَبَيْنِ بَاطِلٌ، فالأَشَاعِرَةُ وهُم أَقْرَبُ الطَّوَائِفِ إلى أهلِ السُّنَّةِ يقولون: المُصْحَفُ ليس فِيهِ كَلَامُ اللهِ؛ حَتَّى إنَّ بعضَ الغُلَاةِ منهم ـ والعِيَاذُ باللهِ ـ قَدْ يَدُوسُ المصحفَ بِقَدَمَيْهِ ويقول: مَا فِيهِ كَلَامُ اللهِ ـ نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ ـ.

والحقُّ أنَّ كَلَامَ اللهِ الأَلْفَاظُ والمَعَانِي؛ فكَلَامُ اللهِ بَحَرْفٍ

وصَوْتٍ يُسْمَعُ، وهو صِفَةٌ من صِفَاتِهِ.

قول المؤلفُ في الباب: «**ومَنْ زَعَمَ أنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ فَقَدْ كَفَرَ**»، كَفَّرَهُ الإمامُ أحمدُ وغيرُهُ، لأَنَّهُ أنْكَرَ صِفَةً مِنْ صِفَاتِ الله، فالقُرْآنُ صِفةُ الله، وهَذَا على العُمُومِ.

أمَّا الشَّخْصُ المُعَيَّنُ فلابُدَّ من إقَامَةِ الحُجَّةِ عَلَيْهِ، فلا يُكَفَّرُ حَتَّى تُزَالَ الشُّبْهَةُ، وتُقَام عليه الحُجَّةُ؛ فإذا أُقِيمَتْ عَلَيْه الحُجَّةُ وأَصَرَّ؛ حُكِمَ بِكُفْرِهِ.

ونَقَلَ المؤلِّفُ عن الآجُرِّيِّ في أنه قال: «**اعْلَمُوا ـ رَحِمَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ ـ**». يعني: تَيَقَّنُوا. فالعِلْمُ هُوَ: اليَقِينُ. وهو: حُكْمٌ جَازِمٌ؛ يعنِي: لا تَشُكُّوا، ولا تَظُنُّوا، ولا تَتَنَاحَرُوا.

والمعلوماتُ أربعةُ أشياء:

الأول: العلِمُ وهو: يَقِينُ القلب.

الثاني: الشَّكُّ: مَا تَرَدَّدَ بين الأَمْرَيْنِ من دونِ تَرْجِيحٍ؛ يقال له: شَكٌّ.

الثالث: الظَّنُّ: التَرَدُّدُ بينَ أَمْرَيْنِ أحدهمَا أرجحُ من الآخر، فالراجِحُ يُسَمَّى ظَنًّا.

الرابع: هو الظن المرجُوحُ ويُسَمَّى: وَهَمًا.

ثم بين ﷺ أن «**قَوْلُ المُسْلِمينَ الذين لم تَزِغْ قُلُوبُهُمْ**» بخلاف المعْتَزِلَةِ ـ وإن كانُوا دَاخِلِينَ في عِدَادِ المسلمين عِندَ بعضِ العُلَمَاءِ، على الخِلَافُ في تكْفِيرِهِمْ، والجمهورُ عَلَى أَنَّهُمْ مُبْتَدِعَةٌ، لكنْ زَاغَتْ قُلُوبُهُمْ عن الحق ـ «**وَوُفِّقُوا للرَّشَادِ**» يعني: الأمرَ الرَّاشِدَ «**قَدِيمًا وحَدِيثًا**»، وهو: «**أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ ـ جَلَّ ثَنَاؤهُ ـ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ مِنْ عِلْمِ الله، وَعِلْمُ اللهِ لَا يَكُونُ مَخْلُوقًا، تَعَالَى اللهُ عَنْ**

ذَلِكَ».

وبين رَحِمَهُ اللهُ أن هذا هو ما دل عليه القرآنُ العظيمُ، والسُّنَّةُ المطهرَةُ، وقول الصحابة، وقولُ أئمةِ المسلِمِينَ.

وأن هذا لا ينكره إلا «إِلَّا جَهْمِيٌّ خَبِيثٌ» نسبة إلى الجَهْم بن صَفْوانَ؛ الذي أنكرَ أسماءَ اللهِ وصِفَاتِهِ حينَ ناظرَ قومًا يقالُ لهم: السّمنِيَّة ـ فلاسِفَةٌ في الهِنْدِ لا يُؤْمِنُونَ إِلَّا بالمَحْسُوسَاتِ، يعني ما يُدْرِكُهُ الإنسانُ بحَوَاسِّهِ الخمسِ، الذَّوْقِ، والشَّمِّ، والسَّمْعِ، والنَّظَرِ، والجَسِّ ـ فقالوا: إلهك هَذا الذِي تَعْبُدُه هَلْ رَأَيْتَهُ بعَيْنَيْكَ؟ قال: لا.

قالوا: هل سَمِعْتَهُ بأُذُنِكَ؟ قال: لا.

قالوا: هل شَمَمْتَهُ بأنْفِكَ؟ قال: لا.

قالوا: هل ذُقْتَهُ بلسانِكَ؟ قال: لا.

قالوا: هل جَسَسْتَهُ بِيَدِكَ؟ قال: لا.

قالوا: إذن مَعْدُومٌ.

فَشَكَّ الجهم في رِبِّهِ وتَرَكَ الصَّلَاةَ أربعينَ يومًا، ثُمَّ نَقَشَ الشَّيْطَانُ في ذِهْنِهِ أن اللهَ مَوْجُودٌ وُجُودًا مُطْلَقًا، والوجودُ المُطْلَقُ هو الذِي ليس له اسمٌ ولا صِفَةٌ؛ فأَثْبَتَ وُجُودَ اللهِ في الذِّهْنِ وسَلَبَهُ جميعَ الأسماءِ والصِّفَاتِ ـ والعياذ بالله ـ.

والحكم في الجهمي كما قال الآجُرِّيُّ أنه: «عندَ العلماءِ كَافِرٌ».

وذَكَرَ ابنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ كَفَّرَهُمْ خَمْسُمِائَةِ عَالِمٍ، فقال في النُّونِيَّةِ ـ الكَافِيَةِ الشَّافِيَةِ ـ:

ولقد تَقَلَّدَ كُفْرَهُمْ خَمْسُونَ في ... عَشْرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ في البُلْدَانِ
واللَّالَكَائِيُّ الإمامُ حَكَاهُ عَنْهُمْ ... بَلْ قَـد حَكَاهُ قَبْلَهُ الطَّبَرَانِي

ثُمَّ ذَكَرَ الأدِلَّةَ من كِتَابِ الله تعالى، كُلُّهَا تَدُلُّ على أنَّ القُرْآنَ

كَلَامُ اللهِ مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ:

الدَّلِيلُ الأَوَّلُ: قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

الشَّاهِدُ: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾. ولم يَقُلْ: حتَّى يَسْمَعَ مَا هُو مَخْلُوقٌ، فَدَلَّ على أنَّ القُرْآنَ كَلَامُ الله.

الدليلُ الثَّانِي: قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٥].

الشَّاهِد: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾.

الدليلُ الثَّالِثُ: قول اللهُ لِنَبِيِّهِ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

الشَّاهِدُ: ﴿ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾. فَأَضَافَ الْكَلَامَ إِلَيْهِ، وهُوَ الْقُرْآنُ.

الدَّلِيلُ الرَّابِعُ: قول الله لِمُوسَى عليه السلام: ﴿إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤].

الشَّاهِدُ: ﴿وَبِكَلَٰمِي﴾، فَأَضَافَ الكَلَامَ إِلَيْهِ.

الدَّلِيلُ الخامسُ: قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

قال المؤلِّفُ في وجهِ الدَّلَالَةِ: «**فَقَدْ فَصَلَ بَيْنَهُمَا**»، فَصَلَ بَيْنَ الخَلْقِ والأَمْرِ، فَدَلَّ على أنَّ الخَلْقَ غَيْرُ الأَمْرِ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾، قالَ في القُرْآنِ: الأَمْرُ هُو كلامُ الله ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢]، فالأَمْرُ هو الكَلَامُ، والخَلْقُ غَيْرُ الأَمْرِ، ولو كانَ الكلامُ مَخْلُوقًا؛ لصَار دَاخِلًا في الخَلْقِ

ولم يَفْصِلْ بينَهُمَا، فلما فَصَلَ بينَ الأمرِ والخَلْقِ؛ دَلَّ على أنَّ الكلامَ غَيْرُ مخلوقٍ.

الدليلُ السادس: قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل: ٤٠]، إِذَا أَرَادَ اللهُ أن يَخْلُقَ شيئا يَخْلُقُه بِكَلِمَةِ ﴿كُن﴾، وكَلِمَةُ ﴿كُن﴾ كَلَامٌ، ولو كَانَتْ (كن) مَخْلُوقَةً لافْتَقَرَتْ إلى (كن) أُخْرَى، و(كن) تَفْتَقِرُ إلى أُخْرَى إلى مَا لَا نِهَايَةَ، وهَذَا يَدَلُّ على أنَّ الكَلامَ غَيْرُ مخلوقٍ، فالخلقُ يَكُونُ بالْكَلَام، فالله ـ تعالى ـ يَخْلُقُ بالكَلَام: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢]، فَيَخْلُقُهُ اللهُ.

الدليل السابع: قوله ـ تعالى ـ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾ [الكهف: ١٠٩]، لو كَانَ الكلامُ مَخْلُوقًا لَنَفِدَ، فالمخلوقاتُ تَنْفَدُ، وكلامُ اللهِ لا يَنْفَدُ، فيَنْفَدُ البَحْرُ، ولا تَنْفَدُ كلماتُ اللهِ، وفي الآية الأُخْرَى يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧].

فلو كانَ جَمِيعُ ما في الأرض من شَجَرٍ أَقْلَامٌ يُكْتَبُ بِهَا، والبحرُ يَمُدُّهُ سبعةُ أبْحُرٍ وصَارَ مِدَادًا يُكْتَبُ به لنَفِدَتِ البِحَارُ وتَكَسَّرَتِ الأقلامُ، ولم تَنْفَدْ كلماتُ اللهِ.

■ **قد يقول قائل:** هل يُفْهَمُ من قَوْلِهِ ـ تَعَالى ـ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾. أنَّ كَلِمَاتِ اللهِ تَنْفَدُ؟

● **فنقول:** نَفْهَمُ مِنْهَا أنَّ كلماتِ اللهِ لا تَنْفَدُ، وأنَّ البَحْرَ ـ وهو مَخْلُوقٌ ـ يَنْفَدُ كما قال تعالى: ﴿لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى﴾،

يَكْتُبُ بِهِ كَلِمَاتِ اللهِ ﴿لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ﴾، والبَحْرُ المُتَلَاطِمُ لو كانَ مِدَادَ حِبْرٍ يُكْتَبُ فِيهِ كَلِمَاتُ اللهِ ﴿لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ﴾، وانْتَهَى المِدَادُ، وتَكَسَّرَتِ الأَقْلَامُ، وكَلِمَاتُ اللهِ لم تَنْفَدْ.

الدليل الثامن: قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عِمران: ٦١].

يقولُ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ: «**ومِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ**»، وقالَ: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾، وقالَ: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [الرّعد: ٣٧].

○ قوله: «**لَمْ يَزَلِ اللهُ ـ تعالى ـ عَالِمًا مُتَكَلِّمًا، سَمِيعًا بَصِيرًا بِصِفَاتِهِ قَبْلَ خَلْقِ الْأَشْيَاءِ، مَنْ قَالَ غَيْرَ هَذَا كَفَرَ**». يعْنِي: أن الله ـ تعالى ـ لم يَزَلْ عَالمًا، مُتَكَلِّمًا، سَمِيعًا، بَصِيرًا، مُتَّصِفًا بالصِّفَاتِ قَبْلَ خَلْقِ الخلقِ، ما اسْتَفَادَ ـ سُبْحَانَهُ ـ صِفَاتِهِ من الخَلْقِ.

ثم قال المؤلف: «**وَسَنَذْكُرُ مِنَ السُّنَنِ وَالْآثَارِ وَقَوْلِ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ لَا يُسْتَوْحَشُ مِنْ ذِكْرِهِمْ مَا إِذَا سَمِعَهَا مَنْ لَهُ عِلْمٌ وَعَقْلٌ، زَادَهُ عِلْمًا وَفَهْمًا**»، فالقرآنُ هُدًى وشِفَاءٌ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [يُونس: ٥٧].

○ قوله: «**وَإِذَا سَمِعَهَا مَنْ فِي قَلْبِهِ زَيْغٌ، فَإِنْ أَرَادَ اللهُ هِدَايَتَهُ إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ رَجَعَ عَنْ مَذْهَبِهِ، وَإِنْ لَمْ يَرْجِعْ فَالْبَلَاءُ عَلَيْهِ أَعْظَمُ**» أي: لا يَزْدَادُ إلا شَرًّا وبَلَاءً كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ [المَائدة: ٦٤] والعِياذُ باللهِ.

والظَّالمونَ لا يَزِيدُهُمْ القرآن كما قال الله ﴿إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: ٨٢].

والْيَهُودُ لا يَزْدَادُونَ بالقرآنِ إلَّا طُغْيَانًا وكُفْرًا قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ [المائدة: ٦٤]، هذا القرآنُ الذي هُوَ هُدًى وشِفَاءٌ، هؤلاءِ الكُفَّارُ يَزْدَادُونَ به طُغْيانًا وكُفْرًا، نسألُ اللهَ السلامَةَ والعَافِيَةَ؛ أعوذُ بالله من زَيْغِ القُلُوبِ.

■ **قد يقول قائل**: ما هو الشيء الذي يَتَرَتَّبُ على من قال: إن القرآن مخلوق؟

● **فنقول**: الَّذِي يَتَرَتَّبُ عليه أنَّه أنْكَرَ صِفَةً من صفات الله، وقال: إنَّ صِفَةَ اللهِ مَخْلُوقَةٌ. وهذا أمر عظيم، فالله ـ تعالى ـ بذَاتِهِ وأسْمَائِهِ وصِفَاتِهِ هُو الخالِقُ؛ فكَيْفَ يَجْعَلُ صِفَةَ الرَّبِّ مَخْلُوقَةً؟! والمخلوقُ فَانٍ، لَهُ أَوَّلُ ولَهُ بِدَايَةٌ، والله ـ تعالى ـ هو الأَوَّلُ الذي ليسَ قَبْلَهُ شَيءٌ، وهو الآخِرُ الذِي ليسَ بَعْدَهُ شيءٌ في ذَاتِهِ ولا في صِفَاتِهِ، فكيفَ يقال: إنَّ كلَامَهُ مَخْلُوقٌ؟ ويُجْعَلُ جُزْءًا من المَخْلُوقَاتِ؟ ولهَذَا كَفَّرَ العُلْمَاءُ من قال: إن كلامَ اللهِ مَخْلُوقٌ.



٢٣ ـ أَخْبَرَنَا هِلَالُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ الْحَفَّارُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ الصَّوَّافِ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ حُبَيْشٍ الْأَنْمَاطِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُعَاوِيَةَ الأَنْمَاطِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عِيْسَى بْنُ مُوسَى الْأَنْصَارِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ قَالَ: نَفَعَنِي بِهِ مَعْمَرٌ وَكُنْتُ صَغِيرًا، عَنْ هِلَالٍ الْوَزَّانِ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ حَسَّانَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ، وَحَمَلَتُهُمَا، وَمَا دُونَهُمَا مِنَ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ إِلَى تُخُومِ الْأَرَضِينَ السَّابِعَةِ السُّفْلَى، وَالْمَاءُ الْأَسْوَدُ، وَالرِّيحُ الْهَفَّافَةُ بِحَيْثُ مَا انْتَهَتْ مِنَ الْحُدُودِ الْمُتَنَاهِيَةِ مَخْلُوقٌ إِلَّا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ كَلَامُ اللهِ ﷻ»[1].

الشرح

وهَذَا الحديثُ رَوَاهُ عَن ابنِ عَبَّاسٍ لِيَسْتَدِلَّ بِهِ عَلَى أنَّ كَلَامَ اللهِ مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ: «**الْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ وَحَمَلَتُهُمَا وَمَا دُونَهُمَا مِنَ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ إِلَى تُخُومِ الْأَرْضِينَ السَّابِعَةِ**». كُلُّ هَذَا مخلوقٌ، والقُرْآنُ كَلَامُهُ صِفَةٌ من صِفَاتِهِ.

هذَا الحَدِيثُ في صِحَّتِهِ نَظَرٌ، وقد رَوَاهُ السُّيُوطِيُّ في (اللآلِئ المَصْنُوعَة) مِنْ طَرِيق محمد بن عبدالصمد الخُزَالِي؛ قال: حَدَّثَنَا أبو دَاوُدَ

(١) أخرجه السيوطي في اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة: كتاب التوحيد (١/١٥).

عن سُفْيانَ الثَّوْرِيِّ، قال: أنبَأنِي مَعْمَرٌ، عن هِلَالٍ الوزَّان، عن يزيدَ بنِ حسَّان، عن مُعَاذِ بن جَبَلٍ قال: قال النَّبِيُّ ﷺ... ثم قال السُّيُوطِيُّ: أبو دَاودَ هو: النَّخَعِيُّ، أجمعوا على أنه كَذَّابٌ يَضَعُ الحَدِيثَ.

وقد نَقَلَ ابْنُ حَجَرٍ فِيهِ عَدَدًا كَبِيرًا مِنْ أَقْوَالِ أَهْلِ العِلْمِ في تَكْذِيبِهِ ثم قال: «**كَذَّاب مَعْرُوف بِالْوَضْعِ، كذبه وَنسبه إِلَى الْوَضع فَوق ثَلَاثِينَ نفسا**»[١].

لكنْ في إسنادِ المؤلِّفِ هُنَا نَصَّ على أَنَّهُ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ، وليسَ أبا دَاودَ الكَذَّاب هَذَا، وليس أبا دَاودَ النَّخَعِيَّ، وإنما قال: الطيالسي. قال: «**حَدَّثَنِي أبو دَاودَ الطَّيَالِسِيُّ**».

واخْتُلِفَ في الصحابي:

فعِنْدَ السُّيُوطِيِّ أنه: مُعَاذٌ.

وعند ابن البَنَّا: ابن عباس، وذَكَرَ الإسنادَ عِنْدَ الدَيْلَمِيِّ، ويلتقي مع إسناد السيوطي في سفيان الثوري.

عَلَى كُلِّ حالٍ، المؤلف رحمه الله أَرَادَ أنْ يُبَيِّنَ أنَّ المخلوقاتِ كُلَّهَا أَعْلَاهَا عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَأَسْفَلُهَا الأرضُ السَّابِعَةُ السُّفْلَى؛ وكُلُّهَا مَخْلُوقَةٌ إلا القُرْآنَ، لكن هذا مَعْلُومٌ من النُّصُوصِ.

لَا حَاجَةَ إلى هذا الحدِيثِ الذي هُوَ مُتَكَلَّمٌ في سَنَدِهِ، وفي مَتْنِهِ هذه النَكَارَةُ، وتكفِي الأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ، والنُّصُوصُ الواضِحَةُ، والآياتُ القرآنِيَّةُ الكَرِيمَةُ في الدَّلَالَةِ على أنَّ كلامَ اللهِ مُنَزَّلٌ وغيرُ مَخْلُوقٍ.

(١) انظر: لسان الميزان (٣/ ٩٩).

ولكِنْ عُذْرُ المؤلِّفُ ﷺ في هَذَا أَنَّهُ يريدُ أن يَذْكُرَ كُلَّ ما وَرَدَ في الباب، ويُبَيِّنَ أيضًا الآياتِ، والأَحَادِيثَ الصحيحةَ، وأَيْضًا كذلك الأَحَادِيثَ الَّتِي في سَنَدِهَا بعضُ الشيءِ، وكذلك الآثَارَ كلها من باب الاسْتِئْنَاسِ، ومن باب تَضَافُرِ الأَدِلَّةِ وتَنَاصُرِهَا.



وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄ فِي قَوْلِهِ ـ تَعَالَى ـ: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ [الزُّمَر: ٢٨]، قَالَ: غَيْرَ مَخْلُوقٍ. وَسُرَّ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلَ بِهَذَا الْحَدِيثِ[(١)].

الشَّرْحُ

هَذَا الْأَثَرُ مَوْقُوفٌ على ابنِ عبَّاسٍ ﵄، ذَكَرَهُ المؤلِّفُ ﵀ تَحْتَ البابِ الثالثِ من أبوابِ هَذَا الكتابِ؛ وهُو: (ذِكْرُ الإيمانِ بأنَّ القُرْآنَ كَلَامُ اللهِ، وأَنَّ كَلَامَ اللهِ ليسَ بِمَخْلُوقٍ، ومَنْ زَعَمَ أنَّ القُرْآنَ مَخْلُوقٌ فَقَدْ كَفَرَ).

وهو في تَفْسِيرِ قَوْلِ الله ـ تعالى ـ: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ [الزُّمَر: ٢٨]، قالَ: غَيْرَ مَخْلُوقٍ. قالَ: وَسُرَّ الإمامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ ﵀ بِهَذَا الحَدِيثِ.

ذَكَرَهُ الآجُرِّيُّ في (الشريعة)، ولم يَذْكُرْ لَهُ المؤلِّفُ هُنَا سَنَدًا[(٢)]، فهذا تَفْسِيرٌ لـ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزُّمَر: ٢٨]، إذا صَحَّ سَنَدُهُ عن ابنِ عَبَّاسٍ ﵄.

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر: الشريعة للآجري (١/ ٤٩٥/ ١٦٠).

(٢) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٥١٨)، والآجري في الشريعة (١٦٠)، والرسعني في رموز الكنوز (٦/ ٥٤٤).

وعَنْ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ﷺ قَالَ: «القُرْآنُ كَلَامُ اللهِ - تعالى - فَلَا تَصْرِفُوهُ عَلَى آرَائِكُمْ»[1].



هَذَا الأَثَرُ مَوْقُوفٌ عَلَى عُمَرَ ﷺ، رواه الآجُرِّيُّ في (الشريعة)، قال: «**القُرْآنُ كَلَامُ اللهِ فَلَا تَصْرِفُوهُ عَلى آرَائِكُمْ**» يَعْنِي: لا تَصْرِفُوا كَلَامَ اللهِ على آرَائِكُمْ المُخَالِفَةَ للشَّرْعِ؛ كَقَولِ أهلِ البِدَعِ من المُعْتَزِلَةِ وغيرِهِمْ: إنَّ القُرْآنَ مَخْلُوق. فلا شكَّ أن هذا من الآراءِ البَاطِلَةِ الفَاسِدَةِ.

وكَلَامُ عُمَرَ ﷺ يحتاج إلى ثبوته من طرق أخرى.

❀ ❀ ❀

(١) انظر: الشريعة للآجري (١/٤٩٢/١٥٦)، في سنده ليث بن أبي سليم

٢٤ ـ وَأَخْبَرَنَا هِلَالُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ الصَّوَّافِ، قَالَ: وَقَالَ لِي أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ الْأَنْمَاطِيُّ بَعْدَ أَنْ حَدَّثَنِي بِهِ فِيمَا كَتَبْتُهُ بِيَدِي عَنْهُ، أَخْرَجَهُ مِنْ كِتَابِ الْوَاقِدِيِّ عَنْ أَبِي مِخْنَفٍ وَغَيْرِهِ مِنْ حَمَلَةِ السِّيَرِ، أَنَّ الهَمْدَانِيَّ شَاعِرَ عَلِيٍّ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ قَامَ إِلَيْهِ وَهُوَ يُنَاظِرُ الخَوَارِجَ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ إِنَّ هَؤُلَاءِ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ حَكَّمْتَ فِي دِينِ اللهِ الرِّجَالَ. فَقَالَ: لَا، وَاللهِ مَا حَكَّمْتُ مَخْلُوقًا، إِنَّمَا حَكَّمْتُ الْقُرْآنَ، وَأَنَا لَهُ مُتَّبِعٌ[1]. فَأَنْشَأَ الهَمْدَانِيُّ يَقُولُ:

أَيُّهَا السَّاعُونَ إِنَّ عَلِيًّا ... لَمْ يُحَكِّمْ فِي دِينِهِ مَخْلُوقَا
إِنَّمَا حَكَّمَ الْقُرَآنَ وَقَدْ كَا ... نَ بِتَحْكِيمِهِ الْقُرَآنَ حَقِيقَا
وَاللهُ يُلْهِمُ التَّوْفِيقَا ... أَعْلَمُ النَّاسِ بِالْكِتَابِ وَبِالسُّنَّةِ

الشَّرْحُ

هَذَا الأَثَرُ سَاقَ لَهُ المُؤَلِّفُ سَنَدًا عنْ أبي مِخْنَفٍ وغَيْرِهِ من حَمَلَةِ السِّيَرِ.

○ قوله: «الهَمْدَانِيَّ شَاعِرُ عَلِيٍّ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ». تَخْصِيصُ عَلِيٍّ بقول: «عَلَيْهِ السَّلَامُ». هَذَا شِعَارٌ لِأَهْلِ الْبِدَعِ، وكَذَلِكَ تَخْصِيصُ علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بقولهم: «عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ». فلَا يُخَصَّصُ عَلِيٌّ بشَيء، فالصَّحَابَةُ كُلُّهُمْ كَرَّمَ اللهُ وَجُوهَهُمْ.

قال ابنُ كَثِيرٍ في تفسيره: «وَقَدْ غَلَبَ هَذَا فِي عِبَارَةِ كَثِيرٍ مِنَ

(١) أخرج هذه القصة ابن بطة في الإبانة (٦/ ٣٨/ ٢٣١)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢/ ٢٥٤/ ٣٧٠).

النُّسَّاخِ لِلْكُتُبِ، أَنْ يُفْرَدَ عَلَيٌّ ﷺ بِأَنْ يُقَالَ: «عَلَيْهِ السَّلَامُ»، مِنْ دُونِ سَائِرِ الصَّحَابَةِ، أَوْ: «كَرَّمَ الله وجهه» وهذا وإن كان معناه صَحِيحًا، لَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يُسَاوى بَيْنَ الصَّحَابَةِ فِي ذَلِكَ؛ فَإِنَّ هَذَا مِنْ بَابِ التَّعْظِيمِ وَالتَّكْرِيمِ، فَالشَّيْخَانِ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ أَوْلَى بِذَلِكَ مِنْهُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ»[١]، يعني: إذَا أُرِيدَ أَنْ يُخصَّصَ، كان ينبغي أن يُخَصَّصَ أبو بكرٍ، وعُمَرُ، وعُثْمَانُ، وهم أفضلُ من عَلِيٍّ، فلماذا نُخَصِّصُ عَلِيًّا بقولنا: عَلَيْهِ السَّلَامُ؟

لكن بعضُ النُّسَّاخ الذين ليس عِنْدَهُمْ بَصِيرَةٌ إذا مَرُّوا على ذِكْرِ عَلِيٍّ قالوا: كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ.

والمَعْرُوفُ عِنْدَ العُلْمَاءِ أَنَّ الصَّحَابَةَ يُتَرَضَّى عَنْهُمْ، يُقَالُ: رَضِيَ اللهُ عن الصَّحَابِيِّ، والرُّسُلُ يُصَلَّى عليهم؛ فيقال: عليهم الصَّلاةُ والسَّلَامُ. ومَنْ بَعْدَ الصَّحَابَةِ يُتَرَحَّمُ عَلَيْهِمْ، فيقال: رَحِمَهُ اللهُ.

ولكن لا مَانِعَ أن نُصَلِّيَ على غَيْرِ الأَنْبِيَاءِ أحيانا؛ ما لم يُتَّخَذْ شِعَارًا، فلَا بَأْسَ أنْ نُصَلِّيَ على بعضِ الصحابة، أو غيرهم في بعض الأحيان، ومن ذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كان إذَا أَتَاهُ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ صَلَّى عَلَيْهِ، كما جاء في الصحيحين أنه لما أَتَى ابنُ أَبِي أَوْفَى بِصَدَقَتِهِ قال ﷺ: **«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى»**[٢].

والشِّيعَةَ يُخَصِّصُونَ آلَ البَيْتِ، وعَلِيٌّ من آلِ البَيْتِ فيقولون: عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وهذا الأَثَرُ الذِي رَوَاهُ الهَمْدَانِيُّ شَاعِرُ عَلِيٍّ، أنه قام إليه وهو

---

(١) انظر: تفسير ابنُ كَثِير (٦/٤٦٨).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الزكاة، باب صلاة الإمام، ودعائه لصاحب الصدقة، رقم (١٤٩٧)، مسلم: كتاب الزكاة، رقم (١٠٧٨).

يناظِرُ الخوارجَ؛ فقال: «**يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ هَؤُلَاءِ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ حَكَّمْتَ فِي دِينِ اللهِ الرِّجَالَ**». وذلك في النِّزَاعِ الذِي كَانَ بَيْنَهُ وبينَ مُعَاوِيَةَ رضي الله عنهما في بعضِ الوقَائِعِ كصِفِّين أو غيرِها، فإن بعضَ جَيْشِ مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه رَفَعُوا المَصَاحِفَ، وقالوا: نَتَحَاكَمُ إلى كِتَابِ اللهِ؛ فقالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه كما هو مشهور: «**كَلِمَةُ حَقٍّ أُرِيدَ بِهَا بَاطِلٌ**».

لَكِنَّ الخَوَارِجَ عَابُوا على عَلِيٍّ رضي الله عنه فقالوا: «**حَكَّمْتَ فِي دِينِ اللهِ الرِّجَالَ**. فقال: «**لَا، وَاللهِ مَا حَكَّمْتُ مَخْلُوقًا، إِنَّمَا حَكَّمْتُ الْقُرْآنَ، وَأَنَا لَهُ مُتَّبِعٌ**».

○ فقوله: «**لَا، واللهِ مَا حَكَّمْتُ مَخْلُوقًا**» فيه الرَّدُّ على من قال: إنَّ القُرْآنَ مَخْلُوقٌ؛ لأَنَّهُ حَاكِمٌ، وكتابُ اللهِ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ، فكَلَامُ اللهِ لَفْظُهُ ومَعَانِيهِ صِفَةٌ من صِفَاتِهِ ليسَ مَخْلُوقًا، والشاهد قوله: «**واللهِ مَا حَكَّمْتُ مَخْلُوقًا، إِنَّمَا حَكَّمْتُ الْقُرْآنَ وَأَنَا لَهُ مُتَّبِعٌ**». **فَأَنْشَأَ الهَمْدَانِيُّ يَقُولُ**:

أَيُّهَا السَّاعُونَ إِنَّ عَلِيًّا ... لَمْ يُحَكِّمْ فِي دِينِهِ مَخْلُوقَا
إِنَّمَا حَكَّمَ الْقُرْآنَ وَقَدْ كَا ... نَ بِتَحْكِيمِهِ الْقُرْآنَ حَقِيقَا
وَاللهُ يُلْهِمُ التَّوْفِيقَا ... أَعْلَمُ النَّاسِ بِالْكِتَابِ وَبِالسُّنَّةِ»

وقَوْلُ عَلِيٍّ رضي الله عنه في مُنَاظَرَةِ الخَوَارِجِ: «**مَا حَكَّمْتُ مَخْلُوقًا، إِنَّمَا حَكَّمْتُ الْقُرْآنَ**». رَوَاهُ البَيْهَقِيُّ في (الأسماء والصفات)، ثُمَّ قال: هَذِهِ الحِكَايَةُ عن عَلِيٍّ رضي الله عنه شَائِعَةٌ فيما بَيْنَ أَهْلِ العِلْمِ. وَلَا أَرَاها شَاعَتْ إِلَّا عَنْ أَصْلٍ، والله أعلم[1].

وذَكَرَهُ شيخُ الإسلامِ ـ كما في مجموع الفتاوى[2] ـ وقال: رَوَاهُ

(١) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٥٩٣/ ٥٢٥).
(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٥/ ٦٧).

ابنُ أَبِي حَاتِمٍ، وابْنُ شَاهِين، واللَّالَكَائِيُّ، وغيرُهُمْ من غَيْرِ وجهٍ عَنْ عَلِيِّ بنِ أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «واللهِ مَا حَكَّمْتُ مَخْلُوقًا، إِنَّمَا حَكَّمْتُ القُرْآنَ».



٢٥ ـ أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الحَافِظُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ أَحْمَدَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُاللهِ بْنُ مَعْمَرٍ الْبَلْخِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ بِشْرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ الْمُهَلَّبِيُّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عَبْدِ الغِفَارِيِّ، وكَانَ مَوْلًى لِلنَّبِيِّ عِتَاقَةً عَنِ النَّبِيِّ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ قَالَ: «إِذَا ذُكِرَ الْقُرْآنُ فَقُولُوا: كَلَامُ الله غَيْرُ مَخْلُوقٍ، ومَنْ قَالَ: مَخْلُوقٌ فَهُوَ كَافِرٌ»[١].

الشَّرْح

هَذَا الأَثَرُ الذِي رَوَاهُ عبيد بن عبدٍ الغفاري، أو عبدالله بن عبدالغافر، أو عُبَيْدُ بنُ عَبْدِالغَافِرِ ـ وكان مولى النبي ﷺ ـ[٢] عن النبي ﷺ أنه قال: «إِذَا ذُكِرَ الْقُرْآنُ فَقُولُوا: كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، ومَنْ قَالَ: مَخْلُوقٌ فَهُوَ كَافِرٌ». رَفَعَهُ إلى النَّبِيِّ ﷺ، وفِي رَفْعِهِ نَظَرٌ؛ لأن الْمَتْنَ ـ واللهُ أَعْلَمُ ـ لا يَصِحُّ عن النبيِّ ﷺ، ويَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ هَذَا مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ ﷺ، فالْأَقْرَبُ ـ واللهُ أَعْلَمُ ـ أَنَّ هَذَا ليسَ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ ﷺ.

ومَسْأَلَةُ خلق الْقُرْآنِ حَدَثَتْ في الْمُتَأَخِّرِينَ، وهذا من كِلَامِ العلماءِ، ومِثْلُ هذا الأسلوب وصِيغَةُ الكَلَامِ لا تُنَاسِبُ أَنَّهُ مِنْ كَلَامِ

(١) انظر: جامع المسانيد والسنن (٥/ ٣٤٧/ ٦٦٣٣)، قال ابن كثير: وهذا منكر جدًا لا يصح إلى حماد بن سلمة.

(٢) انظر: الإصابة (٤/ ١٣٧).

النَّبِيِّ ﷺ، والمُحَدِّثُونَ يَعْرِفُونَ هَذَا.

والحديث قد أورده ابن حجر في الإصابة وذكر بأن في إسناده: سَالِمُ بْنُ مُحَمَّدِ بن علي الحَناحَانِيُّ، قال الحاكم: أكثرُ أَحَادِيثِهِ مَنَاكِيرُ.

وقال ابن كثير في جامع المسانيد والسنن بعد إيراده الحديث: وهذا منكر جدا.

فهَذَا يَدُلُّ على عَدَم صِحَّتِهِ، ولا حاجةَ إلى مِثْلِ هذا الحديث، لكنَّ المؤلفَ رَحِمَهُ اللهُ يُرِيدُ أَنْ يُورد كُلَّ ما وَرَدَ في البابِ.

ولو صَحَّ لاحْتَجَّ به الأَئِمَّةُ في كُلِّ مُنَاسَبَةٍ، ولم أَرَ أحدًا من الأئمةِ كالإمامِ أحمدَ وغيرِهِ؛ حينَمَا قالوا: القرآنُ غير مخلوق. رَفَعُوه إلى النَّبِيِّ ﷺ.





وَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ: «سُئِلَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنِ الْقُرْآنِ خَالِقٌ هُوَ أَوْ مَخْلُوقٌ؟ فَقَالَ: لَيْسَ بِخَالِقٍ وَلَا مَخْلُوقٍ وَلَكِنَّهُ كَلَامُ اللهِ ﷻ»(١).



الشَّرْحُ

هَذَا الْأَثَرُ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الْقُرْآنِ «خَالِقٌ هُوَ أَوْ مَخْلُوقٌ؟ فَقَالَ: لَيْسَ بِخَالِقٍ وَلَا مَخْلُوقٍ وَلَكِنَّهُ كَلَامُ اللهِ ﷻ»، وَهَذَا حَقٌّ.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه الآجري في الشريعة (١/ ٤٩٤/ ١٥٩)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢/ ٢٦٤/ ٣٩٠).

٢٦ - أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ الْأَزْهَرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عُبَيْدُ اللهِ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَصْرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْأَنْمَاطِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يُوسُفَ الزِّمِّيُّ، قَالَ: وَكَتَبَ عَنْهُ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ قَالَ: «كُنَّا عِنْدَ عَبْدِاللهِ بْنِ إِدْرِيسَ بِالْكُوفَةِ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: إِنَّ عِنْدَنَا قَوْمًا بِبَغْدَادَ يَزْعُمُونَ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ. قَالَ: فَقَالَ عَبْدُاللهِ بْنُ إِدْرِيسَ مِنَ الْيَهُودِ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَمِنَ النَّصَارَى؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَمِنَ الْمَجُوسِ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَمِنَ الصَّابِئِينَ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَمِمَّنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ. فَقَالَ ابْنُ إِدْرِيسَ: مَا هَؤُلَاءِ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ، مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ فَقَدْ زَعَمَ أَنَّ اللهَ مَخْلُوقٌ، وَهَذَا كَلَامُ الزَّنَادِقَةِ»[١].

الشَّرْحُ

هَذَا الأثرُ عن عبدِالله بنِ إِدْرِيسَ، وَالشاهد فِيهِ أن عبدالله بن إدريس أَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: «**إِنَّ عِنْدَنَا قَوْمًا بِبَغْدَادَ يَزْعُمُونَ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ**» إلى أن قال ﷺ: «**مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ فَقَدْ زَعَمَ أَنَّ اللهَ مَخْلُوقٌ، وَهَذَا كَلَامُ الزَّنَادِقَةِ**».

وقد سبق بيان المَحْذُورُ من القولِ بأنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ، وأنه كما قال ابن إدريس: «**من قال: إنَّ القرآنَ مخلوقٌ فقد زَعَمَ أنَّ الله**

---

(١) أخرجه الآجري في الشريعة (٢/ ٢٨٣)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ٤٩٦/ ١٦١).

مَخْلُوقٌ» لأنَّ الكَلَامَ صِفَتُهُ، واللهُ بِذَاتِهِ، وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ هو الخَالِقُ؛ فمن قال: إنَّ القُرْآنَ مَخْلُوقٌ. فقد قال: إن اللهَ مَخْلُوقٌ ـ والعياذ بالله ـ، وهَذَا كُفْرٌ وضَلَالٌ.



٢٧ ـ وَقَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ: «مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ فَهُو عِنْدَنَا كَافِرٌ، زِنْدِيقٌ، عَدُّو للهِ؛ لَا نُجَالِسُهُ وَلَا نُكَلِّمُهُ»[١].

الشَّرْحُ

هذا الْأَثَرُ رَوَاهُ الآجُرِّيُّ في (الشريعة)، عن أَبِي بَكْرِ بْنِ عَيَّاشٍ قَالَ: «مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ فَهُو عِنْدَنَا كَافِرٌ، زِنْدِيقٌ، عَدُّو لِلَّهِ؛ لَا نُجَالِسُهُ، وَلَا نُكَلِّمُهُ» وهَذَا حَقٌّ، وقد سبقَ أنَّ التَّكْفِيرَ إِنَّمَا هُوَ على العُمُومِ، فيقال: مَنْ قَالَ: القُرْآنُ مَخْلُوقٌ، فهو كَافِرٌ ـ أي: على العُمُومِ ـ.

أما الشَّخْصُ المُعَيَّنُ فُلَانُ بنُ فُلَانٍ إذا قال: إنَّ القُرْآنَ مَخْلُوقٌ. فلا بُدَّ من إقامَةِ الحُجَّةِ عليه، فإذَا أُقِيمَتِ الحُجَّةُ عليه وَأَصَرَّ؛ حُكِمَ بِكُفْرِهِ، وإلا فقَدْ يَكُونُ عِنْدَهُ شُبْهَةٌ، وقَدْ يَكُونُ جَاهِلًا، وقَدْ يَكونُ تَابَ ورَجَعَ عن هذه المَقَالَةِ، ثم نُقِلَتْ عنه قَبْلَ تَوْبَتِهِ، فلَابُدَّ أن نَسْأَلَهُ، وَنُبَيِّنَ لَهُ، أنه إذا قال: القُرْآنُ مَخْلُوقٌ. لزم مِنْ هَذَا أنْ يَجْعَلَ الرَّبَّ مَخْلُوقًا، لأنه صفة الله، فإذا أَصَرَّ بعدَ أن انْكَشَفَتْ الشُّبْهَةُ عَنْهُ حُكِمَ بِكُفْرِهِ، وأما قبل ذلك فلا يحكم بكفره.

ومِثْلُه اللَّعْنُ يكونُ عَلَى العُمُومِ؛ فيقال: لعَنَ اللهُ المُرَابِيَ، لعَنَ اللهُ السَّارِقُ، لعَنَ اللهُ آكِلَ الرِّبَا، لَعن الله الزَّانِيَ، لعن الله شَارِبَ الخَمر.

---

(١) أخرجه الآجري في الشريعة (١/ ٤٩٩/ ١٦٣).

لكنْ فُلَانُ بن فلان الذي شَرِبَ الخَمْرَ، الصَّوابُ: أنه لَا يُلْعَنْ؛ لأنَّ الشَّخْصَ المُعَيَّنَ لا يُدْرَى عن حاله، فقد يكونُ تَابَ، وقد يكونُ مَعْذُورًا ما عَلِمَ الحُكْمَ، وقد يَكُونُ لَهُ حَسَنَةٌ مَاحِيَةٌ، وقد يُصَابُ بمصائبَ تُكَفِّرُ عَنْهُ.

واللَّعْنُ هُوَ الطَّرْدُ والإِبْعَادُ عَنْ رَحْمَةِ اللهِ؛ ولِهَذَا لمَّا جِيءَ بِرَجُلٍ إلى النَّبِيِّ ﷺ يَشْرَبُ الخَمْرَ، كان كَثِيرًا ما يُجْلَدُ؛ فقَالَ بعضُ الصَّحَابَةِ ﷺ - وكَانَ يُجْلَدُ - أَخْزَاهُ اللهُ، أو لَعَنَهُ اللهُ مَا أَكْثَرَ ما يُؤْتَى بِه! فَقَال النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا تَلْعَنُوهُ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**»[1].

فالمُعَيَّنُ لا يُلْعَنُ، والمُعَيَّنُ لا يُكَفَّرُ بِعَيْنِهِ؛ حتى تَكْشِفَ الشُّبْهَةَ، ويُصِرَّ بَعْدَ ذَلِكَ، ورُبَّمَا هذا من العِلْمِ على العُمُومِ.

فنقول: من قال: القرآن مخلوق فهو كَافِرٌ، ومن أنكر رؤية الله في الآخِرَة فَهُو كَافِرٌ. وهكذا؛ مِثلُ اللعن على العموم، ففَرْقٌ بينَ تَكْفِيرِ المُعَيَّنِ والتَّكْفِيرِ على العُمُومِ، وفرق بين لَعْنِ المُعَيَّنِ واللَّعْنِ على العُمُومِ.



(١) أخرجه البخاري: كتاب الحدود، باب ما يكره من لعن شارب الخمر، وإنه ليس بخارج من الملة، رقم (٦٧٨٠) وفي نسخة الكشميهني «إلا أنه...» بزيادة «إلا» انظر: شرح القسطلاني (١٤/ ١٩٢).

وَقَالَ عَبْدُاللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، وقَرَأَ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ قَالَ: «مَنْ زَعَمَ أَنَّ هَذَا مَخْلُوقٌ، فَقَدْ كَفَرَ بِاللهِ الْعَظِيمِ»[١].



هذا الأثر رَوَاهُ أَبو بَكْرٍ الآجُرِّيُّ في (الشريعة)، واللَّالَكَائِيُّ في (شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة)، والمؤلف رَحِمَهُ اللهُ يُرِيدُ أن يَذْكُرَ أَقْوَالَ العُلَماءِ والأَئِمَّةِ مع النُّصُوصِ من كِتَابِ اللهِ، وسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وأنَّها مُتَضَافِرَةٌ؛ وتَدُلُّ على أن القولَ بأن القرآنَ مَخْلُوقٌ كُفْرٌ وضَلَالٌ، وأنه من أقوالِ أهل البِدَعِ، وأنَّهُ مُخَالِفٌ لكتابِ اللهِ، ومخالف لسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، ومخالف لما عليه الأَئِمَّةُ.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه الآجري في الشريعة (١/ ٥٠٠/ ١٦٤).

وَقَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ: «**القُرْآنُ كَلَامُ اللهِ، وَكَلامُ اللهِ مِنَ اللهِ، وَلَيْسَ مِنَ اللهِ شَيْءٌ مَخْلُوقٌ**»(١).

الشَّرْحُ

هَذَا حَقٌّ من الإمامِ مالكٍ، إمام دارِ الهِجْرَةِ في زَمَانِهِ، وهو أحد الأَئِمَّةِ الأَرْبَعَةِ ـ يقول: «**القُرْآنُ كَلَامُ اللهِ، وَكَلامُ اللهِ مِنَ اللهِ، وَلَيْسَ مِنَ اللهِ شَيْءٌ مَخْلُوقٌ**» هَذَا رَوَاهُ الآجُرِّيُّ في (الشريعة)، ورواه اللَّالَكَائِيُّ في (شرح اعتقاد أهل السُّنَّةِ).

والإمامُ مَالكٌ مَعْرُوفٌ أَنَّهُ إمامٌ لأَهْلِ السُّنَّةِ والجماعَةِ، وهو الذي رُوِيَتْ عنه المَقَالَةُ المشهورةُ الَّتِي تَلَقَّتْهَا الأُمَّةُ بالقَبُولِ لمَّا سأَلَ رَجُلٌ عن الاستواءِ كَيْفَ اسْتَوَى؟ فقال: «**الاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ، والكَيْفُ مَجْهُولٌ، والإيمانُ بِهِ وَاجِبٌ، والسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ**»(٢).



---

(١) أخرجه الآجري في الشريعة (١/ ٥٠١/ ١٦٥)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢/ ٢٧٥/ ٤١٠).

(٢) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (١/ ٦٦/ ١٠٤)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ٤٤٠/ ٦٦٣)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٠٥/ ٨٦٧)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٢٦)، وجود إسناده الحافظ في الفتح.

وَقَالَ عَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ : «لَوْ أَنِّي سُلْطَانٌ لَقُمْتُ عَلَى الْجِسْرِ، فَكَانَ لَا يَمُرُّ بِي رَجُلٌ إِلَّا سَأَلْتُهُ؛ فَإِذَا قَالَ بِأَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ؛ ضَرَبْتُ عُنُقَهُ، وَأَلْقَيْتُهُ فِي الْمَاءِ»(١).



هذا رواهُ الآجُرِّيُّ في (الشريعة)، وأَبُو دَاوُدَ في (مسائل الإمام أحمد)، واللَّالَكَائِيُّ في (شرح الاعتقاد).

وعَبْدُالرحمن بن مهدي من الأَئِمَّةِ المُحَدِّثِينَ، ومن أهلِ السُّنَّةِ والجمَاعَةِ المَعْرُوفِينَ، يقول: «لَوْ أَنِّي سُلْطَانٌ لَقُمْتُ عَلَى الْجِسْرِ» - جسر على النهر - «فَكَانَ لَا يَمُرُّ بِي رَجُلٌ» - يعني من المبْتَدِعَةِ - «إِلَّا سَأَلْتُهُ؛ فَإِذَا قَالَ بِأَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ؛ ضَرَبْتُ عُنُقَهُ، وَأَلْقَيْتُهُ فِي الْمَاءِ»، وذلك لكُفْرِهِ وضَلَالِهِ، نسأل الله السلامة والعافية.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه الآجري في الشريعة (١/ ٥٠٢/ ١٦٧)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢/ ٣٩٤/ ٥٠٤).

وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ ـ وذَكَرَ الجَهْمِيَّةَ ـ فَقَالَ: «هَمْ ـ والله الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ـ زَنَادِقَةٌ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ الله»[١].

الشَّرْحُ

هَذَا رَوَاهُ الآجُرِّيُّ في (الشريعة) عن يَزِيدَ بْنِ هَارُونَ، وَيَزِيدُ بْنُ هَارُونَ مِنَ العُلَمَاءِ ومن الأئمة؛ لمَّا ذَكَرَ الجَهْمِيَّةَ قال: «**هُمْ ـ والله الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ـ زَنَادِقَةٌ**»، والزِّنْدِيقُ هو: المنَافِقُ الَّذِي يُظْهِرُ الإسلامَ ويُبْطِنُ الكُفْرَ، يَعْنِي: أن الجَهْمِيَّةَ يَدَّعُونَ أنهم مسلمون، ويَتَسَتَّرُونَ بأنهم يعْمَلُونَ بالقُرْآنِ والسُّنَّةِ؛ وهُمْ كَفَرَةٌ في البَاطِنِ، فَهُمْ لا يُصَرِّحُونَ بالكفر خَشْيَةَ أن تُقَامَ عليهم الحُدُودُ.

ورِسَالَةُ الإمام أحمدَ في الرَّدِّ عَلَى الزَّنَادِقَةِ والجَهْمِيَّةِ؛ لأَنَّهُمْ يُنْكِرُونَ أسماءَ اللهِ وَصِفَاتِهِ، وإِنْكَارُ الأَسْمَاء والصفاتِ يُنْتِجُ العَدَمَ، فذَاتٌ ليسَ لهَا أسماءٌ وصِفَاتٌ، لا وُجُودَ لها إلا في الذِّهْنِ.

وأصلُ الزِّنْدِيقِ كَلِمَةٌ فَارِسِيَّةٌ، ويُطْلَقُ الزِّنْدِيقُ على الجَاحِدِ في الزَّمَن الماضي، وفي زَمَنِنَا هَذا يُسَمَّى: عَلْمَانِيًّا. فالعَلْمَانِيُّونَ من الصَّحَفِيِّينَ وغَيْرِهِمْ الذين يَطْعَنُونَ في الإسلام ويطعنون في الدِّينِ، ويتَسَتَّرُونَ باسم الإسلام هم منافقون، فإن أعمَالُهُمْ وأفعَالُهُمْ وأقوالُهُمْ تدل على كُفْرِهِمْ، ـ نسأل الله السلامة والعافية ـ.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه الآجري في الشريعة (١/ ٥٠٣/ ١٦٩)، وابن بطة في الإبانة (٦/ ٦٤/ ٢٧٥).

وَقَالَ حَنْبَلُ بْنُ إِسْحَاقَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِاللهِ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، وَسَأَلَهُ يَعْقُوبُ الدَّوْرَقِيُّ عَمَّنْ قَالَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ؟ فَقَالَ: «مَنْ زَعَمَ أَنَّ عِلْمَ اللهِ وَأَسْمَاءَهُ مَخْلُوقَةٌ فَقَدْ كَفَرَ، يَقُولُ اللهُ ـ تَعَالَى ـ: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ [البَقَرَة: ١٤٥]، أَفَلَيْسَ هُوَ الْقُرْآنَ؟ فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ عِلْمَ اللهِ وَأَسْمَاءَهُ، وَصِفَاتِهِ، مَخْلُوقَةٌ فَهُوَ كَافِرٌ لَا يُشَكُّ فِي ذَلِكَ، إِذَا اعْتَقَدَ ذَلِكَ، وَكَانَ رَأْيَهُ وَمَذْهَبَهُ، وَكَانَ دِينًا يَتَدَيَّنُ بِهِ، كَانَ عِنْدَنَا كَافِرًا»(١).

الشَّرْح

أَوْرَدَ المؤلف رَحِمَهُ اللهُ المَقَالَةَ للإمام أَحْمَدَ إمام أَهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ؛ لمَّا سَأَلَهُ يَعْقُوبُ الدَّوْرَقِيُّ عَمَّنْ قال: القرآنُ مخلوقٌ. فقال الإمام أحمدُ: «مَنْ زَعَمَ أَنَّ عِلْمَ الله وَأَسْمَاءَهُ مَخْلُوقَةٌ فَقَدْ كَفَرَ، يَقُولُ اللهُ ـ تَعَالَى ـ: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ [البَقَرَة: ١٤٥] أَفَلَيْسَ هُوَ الْقُرْآنَ؟ فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ عِلْمَ الله وَأَسْمَاءَهُ وَصِفَاتِهُ مَخْلُوقَةٌ فَهُوَ كَافِرٌ لَا يُشَكُّ فِي ذَلِكَ، إِذَا اعْتَقَدَ ذَلِكَ، وَكَانَ رَأْيَهُ وَمَذْهَبَهُ، وَكَانَ دِينًا يَتَدَيَّنُ بِهِ، كَانَ عِنْدَنَا كَافِرًا».

وقال ابنُ هانِئٍ في (مسائل الإمام أحمد): سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِاللهِ يَقُولُ: «أَرْبَعَةُ مَوَاضِعَ فِي الْقُرْآنِ ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ [البَقَرَة: ١٤٥]، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ فَهُوَ كَافِرٌ». وسَمِعْتُهُ يَقُولُ:

---

(١) أخرجه الآجري في الشريعة (١/ ٥٠٣/ ١٧٠).

«الْقُرْآنُ عِلْمٌ مِنْ عِلْمِ اللهِ؛ فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ عِلْمَ اللهِ مَخْلُوقٌ فَهُوَ كَافِرٌ»[1].

هذا قولُ أهلِ العِلْمِ قَاطِبَةً.



(١) انظر: مسائل الإمام أحمد (٢/ ٤٣٠).

وقال ابْنُ عُيَيْنَةَ: هَذِهِ الدُّوَيْبَةُ؟ - يَعْنِي: بِشْرًا الْمِرِّيسِيَّ - قَالُوا: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ يَزْعُمُ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ. فَقَالَ: «كَذَبَ، قَالَ اللهُ - تَعَالَى -: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] فَالْخَلْقُ: خَلْقُ الله، وَالْأَمْرُ: الْقُرْآنُ»(١).

الشَّرْحُ

سفيانُ بنُ عُيَيْنَةُ الإمامُ المُحَدِّثُ المَشْهُورُ يقول رَحِمَهُ اللهُ: «هَذِهِ الدُّوَيْبَةُ، - يَعْنِي: بِشْرًا المِرِّيسِيَّ -» سَمَّاهُ الدُّوَيْبَةَ تَحْقِيرًا لَهُ، وبِشْرٌ المِرِّيسِيُّ جَهْمٌ من الجَهْمِيَّةِ المتأخرين، تَزَعَّمَ طائفةً يُسَمَّوْنَ المِرِّيسِيَّةَ على مذهبِ الجَهْمِ، ويقولونَ: القُرْآنُ مَخْلُوقٌ. والإمام عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ الدَّارِمِيُّ له مؤلف خاصٌّ رَد فيه على بِشْرِ المِرِّيسِيِّ (نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله في التوحيد). فالمِرِّيسِيَّةُ جَهْمِيَّةٌ فَهُمْ كَفَرَةٌ.

○ قوله: «قالوا: يا أَبَا مُحَمَّدٍ» كُنْيَةُ سُفْيانَ بنِ عيينةَ، «يَزْعُمُ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ». يَعْنِي: بِشْرًا المِرِّيسِيَّ، «فَقَالَ: «كَذَبَ، قَالَ اللهُ - تَعَالَى -: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فَالْخَلْقُ: خَلْقُ الله، وَالْأَمْرُ: الْقُرْآنُ»، فسُفْيَانُ بنُ عُيَيْنَةَ رَحِمَهُ اللهُ يَرُدُّ على بِشْرِ المِرِّيسِيِّ يقولُ: اللهُ - تَعَالى - فَرَّقَ بَيْنَ الخَلْقِ والأَمْرِ؛ فقال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فَالخَلْقُ: المَخْلُوقَاتُ، وَالأَمْرُ: كَلامُ الله ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ

---

(١) أخرجه الآجري في الشريعة (١/ ٥٠٤/ ١٧١)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢/ ٢٤٤/ ٣٥٨).

أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢]، إذن الأَمْرُ كلامُ الله، فلو كانَ الكَلَامُ مَخْلُوقًا؛ لمَا فَرَّقَ اللهُ بينهما، فإنه فَصَلَ قال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾، ولو كانَ الأَمْرُ ـ هو الكلام ـ مَخْلُوقًا لقال: أَلَا لَهُ الخَلْقُ فَقَط. فَلَمَّا فَرَّقَ الله بينَ الخَلْقِ والأَمْرِ قال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾، دَلَّ على أنَّ الكَلَامَ غَيْرُ الخلقِ، فالخلقُ شَيءٌ، وكلامُ اللهِ صِفَةٌ من صِفَاتِهِ.

۞ وكلامُ الله نَوْعَان:

الأول: **كَلَامٌ كَوْنِيٌّ قَدَرِيٌّ**؛ كقولِهِ ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢].

الثاني: **كَلَامٌ دِّينِيٌّ شرْعِيٌّ** وهو: القرآنُ، والكتبُ المنَزَّلَةُ.

والفرق بين كلام الله الكوني والقدري، وكلامه الديني الشرعي:

أن كلام الله الكون مثل ما جاء في الحديث: «**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ الَّتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ**»(١) فكلام الله الكوني لا يُمْكِنُ أن يَتَجَاوزَه البَرُّ والفَاجِرُ؛ لَكِنَّ كَلَامَ الله الدِّينِيَّ يَتَجَاوَزُهُ الفَاجِرُ.

وكَلامُ الله الدِّينِيُّ، مثل قوله تعالى: ﴿أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، كَلَامُ الله الدِّينِيُّ فالفاجِرُ يَتَجَاوَزُ هَذَا ولا يُصَلِّي؛ لَكِنَّ كَلَامَ اللهِ الكَوْنِيَّ ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾، لا يُمْكِنُ أنْ يَتَجَاوَزَهُ، إذَا أَرَادَ الله ـ كَوْنًا وَقَدَرًا ـ شَيْئًا أن يكونَ لا بُدَّ أنْ يَفْعَلَ.

۞ ۞ ۞

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير: (٤/١١٤/٣٨٣٨).

وَقَالَ وَكِيعٌ: «مَنْ قَالَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ، فَقَدْ كَفَرَ»[١].



وَكِيعُ بنُ الجَرَّاح شَيْخُ الإمَامِ أَحْمَدَ والشَّافِعِيِّ، يقولُ رَحِمَهُ اللهُ: «**مَنْ قَالَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ فَقَدْ كَفَرَ**»، كَمَا قَالَهُ الأئمِةُ والعُلَمَاءُ، وهذا الأثر رواه الآجُرِّيُّ في (الشريعة).

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه الآجري في الشريعة (١/ ٥٠٦).

وَقَالَ يُوسُفُ بْنُ الطَّبَّاعِ: سَمِعْتُ رَجُلًا سَأَلَ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِالله، أُصَلِّي خَلْفَ مَنْ يَشْرَبُ الْمُسْكِرَ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَأُصَلِّي خَلْفَ مَنْ يَقُولُ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ؟ قَالَ: «سُبْحَانَ الله!! أَنْهَاكَ عَنْ مُسْلِمٍ، وَتَسْأَلُنِي عَنْ كَافِرٍ؟»(١).

الشَّرْح

الإمامُ أحمدُ رَحِمَهُ اللهُ كَفَّرَ من يَقُولُ: القَرْآنُ مَخْلُوقٌ. ولمَّا سَأَلَهُ رجل؛ أَيُصَلِّي خَلْفَ مَنْ يَشْرَبُ الخَمْرَ؟ قال: لا. قال: فَأُصَلِّي خَلْفَ مَنْ يَقُولُ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ؟ فقَالَ: سُبْحَانَ الله!! أَنَا أَنْهَاكَ عَنِ الصَّلَاةِ خَلْفَ الفَاسِقِ، وَتَسْأَلُنِي عَنِ الصَّلَاةِ خَلْفَ الكَافِرِ!!.

فإذا نُهِي عَنِ الصَّلاةِ خَلْفَ الفَاسِقِ الَّذِي يَشْرَبُ المُسْكِرَ؛ فالَّذِي يَقُولُ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ كَافِرٌ، ولا يُصَلَّى خَلْفَهُ من بابِ أَوْلَى - نسأل الله العافية -.



---

(١) أخرجه الآجري في الشريعة (١/٥٠٦/١٧٣).

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ وَنَاظَرَهُ حَفْصٌ الْفَرْدُ بِحَضْرَةِ وَالٍ كَانَ بِمِصْرَ - وَكَانَ يُسَمِّيهِ حَفْصًا الْمُنْفَرِدَ - ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ - فَقَالَ لَهُ الشَّافِعِيُّ: كَفَرْتَ وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، ثُمَّ قَامُوا، فَانْصَرَفُوا، فَسَمِعْتُ حَفْصًا يَقُولُ: أَشَاطَ وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الشَّافِعِيُّ بِدَمِي. قَالَ الشَّافِعِيُّ: «الْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَمَنْ قَالَ: مَخْلُوقٌ، فَهُوَ كَافِرٌ»[1]. هَذِهِ مَقَالَةُ الشَّافِعِيِّ؛ مِثْلُ مَقَالة الإمامِ أحمدَ وغيره.

الشَّرْحُ

هَذَا رَوَاهُ الإِمَامُ الآجُرِّيُّ في (الشريعة) بِأَنَّ الشَّافِعِيَّ نَاظَرَهُ حَفْصٌ الفَرْدُ - وهو من المُعْتَزِلَةِ ومِنَ الجَهْمِيَّةِ - بحَضْرَةِ وَالِي مِصْرَ، وكَانَ الشَّافِعِيُّ يُسَمِّيهِ: حَفْصًا المُنْفَرِدَ؛ يَعْنِي: المُنْفَرِدَ بالكَلَامِ البَاطِلِ، انْفَرَدَ بِهَذَا الكَلَامِ البَاطِلِ؛ وهو القول بِخَلْقِ القُرْآنِ، فقال له الشَّافِعِيُّ: «كَفَرْتَ وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ». ثُمَّ قَامُوا، فَانْصَرَفُوا، فَسَمِعْتُ حَفْصًا يَقُولُ: أَشَاطَ وَالله الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الشَّافِعِيُّ بِدَمِي» يَعْنِي: أَهْدَرَ دَمِي.

وهذا القول عن الشافعي هو قول الأئمة قاطبة.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه الآجري في الشريعة (١/٥٠٨/١٧٦).

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَّام: «مَنْ قَالَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ فَقَدِ افْتَرَى عَلَى الله، وَقَالَ عَلَى الله مَا لَمْ يَقُلْهُ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى»[1].

الشَّرْح

هذا الأثر رَوَاهُ الآجُرِّيُّ في (الشريعة)، أَبُو عُبَيْدٍ القاسمُ بْنُ سَلَّامٍ الفَقِيهُ المعروف؛ له كتاب (الإيمان)، وله كتاب (الأموال)، صاحبُ المؤلفات في التَّوْحِيدِ، والعَقِيدَةِ، والفِقْهِ؛ يقول: «**مَنْ قَالَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ فَقَدِ افْتَرَى عَلَى الله، وَقَالَ عَلَى الله مَا لَمْ يَقُلْهُ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى**» وهَذَا مِثْلُ مقالة عبدِالله بنِ المبارك، يَقُولُ عبدُالله المبارك: «**إِنَّا نَسْتَجِيزُ أَنْ نَحْكِيَ كَلَامَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَلَا نَسْتَجِيزُ أَنْ نَحْكِيَ كَلَامَ الْجَهْمِيَّة**»[2] يَعْنِي: أن كَلَامَ الجَهْمِيَّةِ أَشَرُّ من كلامِ اليهودِ والنصارَى، فإننا نَسْتَطِيعُ أن نَحْكِيَ أقوالَ اليهودِ والنصارى، ولا نَسْتَطِيعَ أَنْ نَحْكِي كلامَ الجَهْمِيَّةِ؛ لخُبْثِهَا وفَسَادِهَا وشَرِّهَا.

❀ ❀ ❀

(١) أخرجه الآجري في الشريعة (١/ ٥٠٩/ ١٧٧).

(٢) أخرجه عبدالله بن الإمام أحمد في السنة (١/ ١١١).

٢٨ ـ قَالَ الآجُرِّيُّ: وَقَدِ احْتَجَّ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ بِحَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ الْقَلَمُ»(١). وَذَكَرَ أَنَّهُ حُجَّةٌ قَوِيَّةٌ عَلَى مَنْ يَقُولُ: إِنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ، كَأَنَّهُ يَقُولُ: قَدْ كَانَ الْكَلَامُ قَبْلَ خَلْقِ الْقَلَمِ، وَإِذَا كَانَ أَوَّلَ خَلْقِ الله مِنْ شَيْءٍ الْقَلَمُ دَلَّ عَلَى أَنَّ كَلَامَهُ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ؛ وَلِأَنَّهُ قَبْلَ خَلْقِ الْأَشْيَاءِ.

قَالَ أَحْمَدُ: وَقَدْ رَوَاهُ خَمْسَةَ عَشَرَ نَفْسًا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ(٢).

الشَّرْح

هذا الأَثَرُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ الْقَلَمُ» رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ، والبَيْهَقِيُّ في (الأسماء والصفات) مِنْ طَرِيقِ عبدِالله بْنِ المُبَارَكِ، ورِجَالُهُ رِجَالٌ ثِقَاتٌ، ورَوَاهُ الآجُرِّيُّ في (الشريعة) من طُرُقٍ، والحَدِيثُ لهُ شَوَاهِدُ.

والإمامَ أحمدَ رَحِمَهُ اللهُ احْتَجَّ بحديث ابن عباس: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ**»: على أنَّ كَلامَ الله مُنَزَّلٌ غيرُ مَخْلُوقٍ، وذكر أَنَّهُ حُجَّةٌ قَوِيَّةٌ على من يقول: القُرْآنُ مَخْلُوقٌ.

وَجْهُ ذَلِكَ: حَدِيثُ النبي ﷺ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ قالَ لَهُ: اكْتُبْ**». فقَدْ كَانَ الكلامُ قَبْلَ خَلْقِ القَلَمِ، فإذا كانَ أَوَّلَ ما خلقَ الله من شيءٍ القَلَمُ؛ دَلَّ على أن كَلَامَهُ ليسَ بمَخْلُوقٍ؛ لأَنَّهُ قَبْلَ خَلْقِ

(١) أخرجه أبو داود: كتاب السنة، بَابٌ فِي الْقَدَرِ، رقم (٤٧٠٠).

(٢) أخرجه الآجري في الشريعة (١/ ٥١٠/ ١٧٨).

الأشياءِ، قال لِلْقَلَم: اكْتُبْ الأشياءَ، فكتبَ اللهُ المخلوقاتِ بالقَلَم.

وقَوْلُ الله قَبْلَ خَلْقِ القَلَم، فإذا كانَ القَلَمُ أَوَّلَ المخلوقاتِ؛ فأوَّلُ ما خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيءٍ القَلَمُ دَلَّيل على أنَّ كَلَامَ اللهِ ليسَ بمَخْلُوقٍ؛ لأنَّهُ ثابتٌ بخَلْقِ القَلَمِ؛ لأنَّهُ قَبْلَ خَلْقِ الأَشْيَاءِ، هَذِهِ حُجَّةُ الإمامِ أحمدَ رَحِمَهُ اللهُ في الحديث.



وَقَالَ ابْنُ أَبِي عَوْفٍ: سَمِعْتُ هَارُونَ الْقِزْوِينِيَّ يَقُولُ: «مَنْ وَقَفَ عَلَى الْقُرْآنِ بِالشَّكِّ، وَلَمْ يَقُلْ: غَيْرُ مَخْلُوقٍ، فَهُوَ كَمَنْ قَالَ هُوَ مَخْلُوقٌ»(١).

الشَّرْحُ

هارونُ القزويني صَوَابُهُ: هَارُونُ الْفَرَوِيُّ؛ كما في (الشريعة) لِلآجُرِّيِّ، وكما في (شرح الاعتقاد) لِللالَكَائيِّ، وهُوَ هارونُ بنُ مُوسى بن أبي عَلْقَمَةَ الفَرَوِيُّ المَدِينِيُّ، روى عنه التِّرْمِذِيُّ والنَّسَائِيُّ، قال أبو حاتم: شيخٌ. وقال النسائيُّ: لا بَأْسَ بِهِ. ترجمته في التَّهْذِيبِ(٢).

«قال ابنُ أَبِي عَوْفٍ: سَمِعْتُ هَارُونَ الفَرَوِيَّ يَقُولُ: «مَنْ وَقَفَ عَلَى الْقُرْآنِ بِالشَّكِّ، وَلَمْ يَقُلْ: غَيْرُ مَخْلُوقٍ، فَهُوَ كَمَنْ قَالَ هُوَ مَخْلُوقٌ». يعني: المُتَوَقِّفَ، فبعضُ الناس يقول: القرآنُ مخلوقٌ، وبعضهم يقول: أنا مُتَوَقِّفٌ، فلا يقول: مخلوق، ولا غير مخلوق. فيقول هَارُونُ الفَرَوِيُّ: من تَوَقَّفَ وَشَكَّ، فَهُو كَمَنْ قال: مَخْلُوقٌ. لا فَرْقَ؛ فالذي يقول: القرآنُ مخلوقٌ. كَافِرٌ، والذي يَشُكُّ كَافِرٌ.

فالوَاجِبُ الجَزْمُ فيقولُ: القُرْآنُ كلامُ الله مُنَزَّلٌ غيرُ مَخْلُوقٍ.

---

(١) أخرجه الآجري في الشريعة (١/٤٩٦/١٦١).

(٢) انظر: تهذيب الكمال (٣٠/١١٢).

وقد وَافَقَ هَارُونُ الفَرَوِيُّ أهلَ العِلْم، كَمَا سينقل المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ فليس خاصًّا بِهِ؛ بل هذا قولُ أهلِ العِلْمِ قَاطِبَةً.



٢٩ ـ وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْحَافِظُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ أَحْمَدَ الْوَاعِظُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْمَحَامِلِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَّامُ بْنُ سَالِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْوَرَّاقُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ مُنْذُ تِسْعَةٍ وَأَرْبَعِينَ عَامًا يَقُولُونَ: «مَنْ قَالَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ، فَامْرَأَتُهُ طَالِقٌ ثَلَاثًا الْبَتَّةَ». قُلْتُ: وَلِمَ ذَلِكَ؟ قَالَ: «لِأَنَّ امْرَأَتَهُ مُسْلِمَةٌ، وَمُسْلِمَةٌ لَا تَكُونُ تَحْتَ كَافِرٍ»[١].

الشَّرْحُ

هَذَا الأَثَرُ عن عبدِالله بْنِ المُبَارَكِ الإمامِ المَعْرُوفِ، قال عنه الحافِظُ ابنُ حَجَرٍ في (التَّقْرِيبِ)[٢]: ثقة ثبت فقيه عالم جواد مجاهد جمعت فيه خصال الخير. وَصَفَهُ بِأَوْصَافٍ فَاضِلَةٍ، يقول: سَمِعْتُ النَّاسَ مُنْذُ تِسْعَةٍ وَأَرْبَعِينَ عَامًا يَقُولُونَ: «مَنْ قَالَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ، فَامْرَأَتُهُ طَالِقٌ ثَلَاثًا الْبَتَّةَ». تُطَلَّقُ زَوْجَتُهُ مِنْهُ، ولَا يَرِثُ ولَا يُورَثُ، ويُقْتَلُ ولَا يُدْفَنُ في مَقَابِرِ المسلمين، ولا يُغَسَّلُ ولا يُصَلَّى عَلَيْهِ. فَقِيلَ لَهُ: وَلِمَ ذَلِكَ؟ قَالَ: «لِأَنَّ امْرَأَتَهُ مُسْلِمَةٌ، وَمُسْلِمَةٌ لَا تَكُونُ تَحْتَ كَافِرٍ». مِصْدَاقًا لقَوْلِ الله ـ تَعَالى ـ في المسلماتِ: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ [المُمتحنة: ١٠]، فامْرَأَتُهُ ليستْ حِلًّا له؛ لأنها مسلمةٌ وهو كافر؛ فلا تَحِلُّ لَهُ ولا يَحِلُّ لهَا، لكُفْرِهِ وضَلَالِهِ.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢/ ٢٧٠/ ٤٠٥).

(٢) انظر: تقريب التهذيب (١/ ٣٢٠/ ٣٥٦٧).

٣٠ ـ أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ الْأَزْهَرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِالرَّحْمَنِ بِالْكُوفَةِ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُاللهِ بْنُ زَيْدَانَ الْبَجَلِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ـ المَعْرُوفُ بِلُؤْلُؤٍ النَّهْدِيِّ ـ قَالَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ وَعَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ قَالَا: قَالَ رَسُولُ الله ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا كُفِرَ بِالْقُرْآنِ، وَقَالُوا إِنَّهُ مَخْلُوقٌ؟ أَمَا إِنَّكُمَا لَنْ تُدْرِكَا ذَلِكَ، وَلَكِنْ إِذَا كَانَ ذَلِكَ بَرِئَ اللهُ مِنْهُمْ، وَجِبْرِيلُ، وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ، وَكَفَرُوا بِمَا أُنْزِلَ عَلَيَّ»[1].

الشَّرْح

هذا الْأَثَرُ عَنْ حُذَيْفَةَ وعَبْدِالله بْنِ مَسْعُودٍ رَوَاهُ الدَّيْلَمِيُّ في (الفِرْدوس)، والشِّيرَازِيُّ في (الألقاب)؛ من طَرِيقِ الحسن بن علي المعروف بِلُؤْلُؤٍ، والحسن هذا ذَكَرَهُ ابن حجر في (الألقاب) فِيمَنْ عُرِفَ بلُؤْلُؤْ.

والأَقْرَبُ أنَّ هذا الأثر لا يَصِحُّ مَرْفُوعًا عن النَّبِيِّ ﷺ، ولَكِنْه من كَلَام أهلِ العِلْم الذين قالوا: إنَّ من قال: القُرْآنُ مَخْلُوقٌ. فَهُوَ كَافِرٌ، لكنَّ المُؤَلِّفَ رَحِمَهُ اللهُ يذكرُ كُلَّ مَا قِيلَ في البَابِ.

وإِذَا ثَبَتَ كُفْرُهُ؛ فَقَدَ بَرِئَ اللهُ مِنْه وجِبْرِيلُ، وصَالِحُ المؤمنين.

❁ ❁ ❁

(١) أخرج الديلمي في الفردوس (٢/ ٢٩٥/ ٤٨٨٣).

٣١ ـ وَأَخْبَرَنَا عُبَيْدُ اللهِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنْصُورٍ الْوَرَّاقُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَّامُ بْنُ سَالِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ سَنَةَ أُخِذَ بِشْرٌ الْمِرِّيسِيُّ بِمَكَّةَ؛ سَنَةَ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وهُوَ يَقُولُ: «شَاهِدَانِ يَشْهَدَانِ عَلَيْهِ حَتَّى أُقَدِّمَهُ إِلَى الْقَاضِي، فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ أَنَا بِيَدِي». وَبَسَطَ سُفْيَانُ كَفَّهُ الْيُمْنَى وَرَدَّهَا.

الشرح

يقول سُفْيانَ بنِ عُيَيْنَةَ الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ: حِينَ أُخِذَ بِشْرٌ الْمِرِّيسِيُّ بِمَكَّةَ؛ سَنَةَ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ «شَاهِدَانِ يَشْهَدَانِ عَلَيْهِ حَتَّى أُقَدِّمَهُ إِلَى الْقَاضِي فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ أَنَا بِيَدِي» يَعْنِي: هَاتُوا شَاهِدَيْنِ يَشْهَدَانِ على بِشْرٍ أنه قال: القرآنُ مَخْلُوقٌ، حتَّى أَقْتُلَهُ.

فدَلَّ على أنَّ مَنْ قال: القرآنُ مَخْلُوقٌ، فإنه يستَحِقُّ القَتْلَ من قِبَلِ وُلَاةِ الأُمُورِ، وليس معناه أن كُلَّ أَحَدٍ يَقْتُلُهُ، فتكون المسْأَلَةُ فَوْضى؛ وُلَاةُ الأُمُورِ يَتَحَقَّقُونَ ويُحِيلُونَهُ إلى المحكمة وإلى القضاء، فإذا ثَبَتَ عَنْهُ واسْتُتِيبَ فلم يَتُبْ قُتِلَ من قِبَلِ ولاةِ الأمورِ.



وقَالَ سُفْيانُ: سَمِعْتُ عَمْرَو بْنَ دِينَارٍ يَقُولُ: «أَدْرَكْتُ النَّاسَ وَهُمْ يَقُولُونَ: اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَمَا دُونَهُ مَخْلُوقٌ إِلَّا كَلَامَهُ ﷻ»[1].

الشَّرْحُ

هذا رَواهُ اللَّالَكَائِيُّ مُخْتَصَرًا مِنْ قَوْلِ سفيانَ بن عيينة: سَمِعْتُ عَمْرَو بْنَ دِينَارٍ يقول: **«أَدْرَكْتُ مَشَايِخَنَا والنَّاسَ مُنْذُ سَبْعِينَ سَنَةً يَقُولُونَ: القُرْآنُ كَلَامُ اللهِ، مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ»**[2]. وفي لفظٍ آخَرَ: **الْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ»**. وقال محمد بن عمار ـ أحد رواته ـ: ومَنْ مَشْيَخَتُهُ إِلَّا أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ ابنُ عَبَّاسٍ وجَابِرٌ، وذَكَرَ جَمَاعَةً.



(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢/ ٢٦٠/ ٣٨١).

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢/ ٢٦٠/ ٣٨٣).

٣٢ ـ وَأَخْبَرَنَا عُبَيْدُ اللهِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: سَمِعْتُ دَاوُدَ بْنَ عَلِيٍّ الْأَصْفَهَانِيَّ يَقُولُ: «كَانَ بِشْرٌ الْمِرِّيسِيُّ يَخْرُجُ إِلَى نَاحِيَةِ الزَّابَيْنِ يَغْتَسِلُ وَيَتَطَهَّرُ؛ وَكَانَ بِهِ المَذْهَبُ. قَالَ: فَمَضَى وَلِيدٌ الْكَرَابِيسِيُّ إِلَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَاءِ، فَقَالَ لَهُ: مَسْأَلَةً. قَالَ: وَأَنَا عَلَى هَذِهِ الْحَالِ؟ فَقَالَ: نَعَمْ. فَقَالَ: أَلَيْسَ يُرْوَى عَنِ النَّبِيِّ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ أَنَّهُ كَانَ يَتَوَضَّأُ بِالْمُدِّ وَيَغْتَسِلُ بِالصَّاعِ؟ فَمَا هَذَا الَّذِي أَنْتَ فِيهِ؟ قَالَ: إِبْلِيسُ يُوَسْوِسُ لِي فَيُوهِمُنِي أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ. قَالَ: فَهُوَ الَّذِي وَسْوَسَ لَكَ حَتَّى قُلْتَ: إِنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ».

الشَّرْح

الزَّابَيْنِ نَهْرٌ احْتَفَرَهُ الحَجَّاجُ فَوْقَ وَاسِط، فَسَمَّاهُ بذلك.

والمعنى: أن بِشْرًا المِرِّيسِيُّ هذا مُوَسْوِسٌ في الطهارة وفي العبادة أيضا، ومُوَسْوِسٌ أيضا في القول بأن القرآن كلام الله وهو مخلوق، هَذَا مِنْ وَسْوَسَتِهِ، ومن استيلَاءِ الشيطانِ عَلَيْهِ.

كما ذَكَرَ مُحَقِّقُ (الأنوار) أنه وَرَدَ في تَرْجَمَةِ بِشْرٍ هذا ما يَدُلُّ على أن عِنْدَهُ شَيْئًا من هَذِهِ الوَسَاوِسِ، أَعْظَمُهَا وَسْوَسَةُ العَقِيدَةِ، وهو القَوْلُ بأن القُرْآنَ مَخْلُوقٌ، ووَسَاوِسُ في الطَّهَارَةِ؛ يَغْتَسِلُ في النَّهْرِ ولا يَكْفِيهِ الماءُ القليلُ.

وكذلك أيضا ذَكَرَ الذَّهَبِيُّ في ترجمته في (سيرِ أعلامِ النُّبَلَاءِ)[1]

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٣٦).

عن البَلْخِيِّ أنه قال: «بَلَغَ مَنْ وَرَعِهِ ـ يعني بشرًا ـ أنَّه كَان لا يَطَأُ أَهْلَهُ لَيْلًا؛ مَخَافَةَ الشُّبْهَةِ». فمن وَسْوَسَتِهِ لا يَطَأُ زَوْجَتَهُ في اللَّيْلِ يخشى أن تكونَ غَيْرَ زَوْجَتِهِ، فلا يَطَأُ أهله إلا في النهار حَتَّى يَرَاهَا ويَرَى وَجْهَهَا، ويتحقق أنها زوجته.

ومن وَسْوَسَتِه أيضا أنه يقول: «ولا يَتَزَوَّجُ إلا من هِيَ أَصْغَرُ مِنْهُ بِعَشْرِ سِنِينَ؛ مخافة أن تكون رَضِيعَتَهُ». فما يَتَزَوَّجُ إلا امْرَأَةً أصْغَرَ مِنْهُ بعشر سنين خوفا أن تكون رَضَعَتْ مَعَهُ وهو لا يدري في الصِّغَرِ.

الشيطانُ ـ والعياذ بالله ـ اسْتَوْلَى على بشر في العِبَادَةِ، والطَّهَارَةِ والوُضُوءِ، وأيضا فيما يَتَعَلَّقُ بالزَّوَاجِ والرَّضَاعَةِ، وأَعْظَمُهَا الوَسْوَسَةُ في القولِ بخلقِ القُرْآنِ.

نَسْأَلُ الله السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ، ونَعُوذُ بالله من الشَّيْطَانِ وَوَسَاوِسِهِ.



٣٣ ـ وَأَخْبَرَنَا عُبَيْدُ اللهِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو الْفَتْحِ الْقَوَّاسُ، حَدَّثَنَا صَدَقَةُ بْنُ هُبَيْرَةَ الْمَوْصِلِيُّ، أَنْبَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِاللهِ الْوَاسِطِيُّ، قَالَ: قَالَ عَبْدُاللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ الزَّمِنُ: «رَأَيْتُ زُبَيْدَةَ فِي الْمَنَامِ، فَقُلْتُ: مَا فَعَلَ اللهُ بِكِ؟ قَالَتْ: غَفَرَ لِي فِي أَوَّلِ مِعْوَلٍ ضُرِبَ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ. قُلْتُ: فَمَا هَذِهِ الصُّفْرَةُ فِي وَجْهِكِ؟ قَالَتْ: دُفِنَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْنَا رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: بِشْرٌ الْمِرِّيسِيُّ، زَفَرَتْ عَلَيْهِ جَهَنَّمُ زَفْرَةً فَاقْشَعَرَّ لَهَا جِلْدِي، فَهَذِهِ الصُّفْرَةُ مِنْ تِلْكَ الزَّفْرَةِ. قُلْتُ: فَمَا فَعَلَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ؟ قَالَتِ: السَّاعَةَ فَارَقَنِي أَحْمَدُ فِي طَيَّارٍ مِنْ دُرَّةٍ بَيْضَاءَ فِي لُجَّةٍ حَمْرَاءَ، يُرِيدُ زِيَارَةَ الْجَبَّارِ ﷻ، قُلْتُ: بِمَ نَالَ ذَلِكَ؟ قَالَتْ: بِقَوْلِهِ: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ»(١).

الشَّرح

هَذِهِ الحِكَايَةُ أو الرُّؤْيَا عَنْ عبدِالله بنِ المُبَارَكِ، رواها ابْنُ الجَوْزِيِّ في (مَنَاقِبِ الإمامِ أحمدَ) مِنْ طريق أبي الفَتْحِ القَوَّاسِ، وفيها يقول عبدالله بن المبارك: «رَأَيْتُ زُبَيْدَةَ فِي الْمَنَامِ» زُبَيْدَةُ هي: زَوْجَةُ هَارُونَ الرَّشِيدِ، وهِيَ مَشْهُورَةٌ بالخَيْرِ والصَّلَاحِ وبالأَعْمَال الخَيْرِيَّةِ فَقَد اسْتَخْرَجَتْ عَيْنًا في مكةَ؛ وجَعَلَتْ لهَا مَجْرى حتى شَرِبَ أهلُ مكة وشَرِبَ الحُجَّاجُ، فهي من الأعمالِ الخيْرِيَّةِ التي تُذْكَرُ بها وهي معروفة إلى الآن مكة مَوْجُودٌ مَكَانُهَا، في الجبال.

(١) أخرجه ابن الجوزي في مَنَاقِبِ الإمامِ أحمدَ (١/ ٦٢٧)، وانظر: تاريخ بغداد (١٦/ ٦٢٠).

في ذلك الوقتِ لم يكن عِنْدَهُمْ تَطُوُّرُ الصِّنَاعات والحَفَّارَاتِ؛ لكن سَخَّرَتِ العمالِ حَتَّى اسْتَخْرَجُوا هذه العَيْنَ من الجَبَلِ، وجَعَلُوهُا طَرِيقًا حَتَّى شرب منها أهل مكة، وشَرِبَ الحُجَّاجُ، وصَارَتْ عَمَلًا خَيْرِيًّا عَظِيمًا.

وقول عبدُالله بنُ المباركِ: إنَّهُ رَآهَا فسَأَلَهَا في الرُّؤْيَا ـ: «مَا فَعَلَ اللهُ بِكِ؟ قَالَتْ: غَفَرَ لِي فِي أَوَّلِ مِعْوَلٍ ضُرِبَ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ» أي: أَوَّلُ فَأْسٍ حَفَرَ به العُمَّالُ بِتَوْجِيهِهَا وعَمَلِهَا غَفَرَ اللهُ لهَا.

فقال: ـ ورأى في وجهها الصفرة ـ: «فَمَا هَذِهِ الصُّفْرَةُ فِي وَجْهِكِ؟ قَالَتْ: دُفِنَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْنَا رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: بِشْرٌ الْمِرِّيسِيُّ، زَفَرَتْ عَلَيْهِ جَهَنَّمُ زَفْرَةً فَاقْشَعَرَّ لَهَا جِلْدِي، فَهَذِهِ الصُّفْرَةُ مِنْ تِلْكَ الزَّفْرَةِ» أي: زَفَرَتْ جَهَنَّمُ على بِشْرٍ المِرِّيسِيِّ فاصْفَرَّ وَجْهُ زُبَيْدَةَ.

ثم سألها قال: «فَمَا فَعَلَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ؟ قَالَتْ: السَّاعَةَ فَارَقَنِي أَحْمَدُ فِي طَيَّارٍ مِنْ دُرَّةٍ بَيْضَاءَ فِي لُجَّةٍ حَمْرَاءَ، يُرِيدُ زِيَارَةَ الْجَبَّارِ ﷻ، قُلْتُ: بِمَ نَالَ ذَلِكَ؟ قَالَتْ: بِقَوْلِهِ: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ».

وعلى كُلِّ حَالٍ هَذِهِ حِكَايَةُ مَنَامٍ، سَوَاءٌ صَحَّتْ أو لم تَصِحَّ؛ فالقُرْآنُ لَا شَكَّ أَنَّهُ كَلَامُ اللهِ مُنَزَّلٌ وغَيْرُ مَخْلُوقٍ، ولكنَّ المؤلِّفَ رحمه الله إنما ذَكَرَهَا للاسْتِئْنَاسِ بِهَا.



٣٤ ـ حَدَّثَنَا أَبُو الْفَتْحِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْحَافِظُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ الصَّوَّافِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو الْوَرَّاقُ، قَالَ: حَدَّثنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي الْعَوَّامِ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي الْعَوَّامُ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: «مَرَرْتُ فِي بَعْضِ الْأَزِقَّةِ بِمَجْنُونٍ، وَقَدْ وَقَعَ فَقِيلَ لِي: تَقَدَّمْ فَاقْرَأْ عَلَيْهِ، فَتَقَدَّمْتُ لِأَقْرَأَ عَلَيْهِ، فَقَالَ لِي شَيْطَانٌ مِنْ جَوْفِهِ: دَعْهُ، فَإِنَّهُ يَقُولُ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ، قُلْتُ لَهُ: فِي شَأْنِكَ وَإِيَّاهُ»[1].

الشَّرْحُ

هَذَا الأَثَرُ عن العَوَّامِ والدِ أبي بَكْرٍ قال: «مَرَّ فِي بَعْضِ الْأَزِقَّةِ بِمَجْنُونٍ». المَجْنُونُ: المَصْرُوعُ؛ فقيل له: «اقْرَأْ عَلَيْهِ». أي: انْفُثْ عَلَيْهِ حتى يَخْرُجَ الجِنِّيُّ، فلما جاء لِيَقْرَأَ تَكَلَّمَ الجِنِّيُّ: «دَعْهُ» لا تَقْرَأْ عَلَيْهِ، هَذَا قَبِيحٌ، هذا يقول: القُرْآنُ مَخْلُوقٌ. قال: فَتَرَكْتُهُ، وقلت: «فِي شَأْنِكَ وَإِيَّاهُ» أَنْتَ وشَأْنَكَ، عَلَيْكَ به. فتركه فلم يقرأ عليه.

على كل حال هذه الْقِصَّةُ ذَكَرَهَا من بابِ الاسْتِئْنَاسِ والتَّأْيِيدِ، فقد تَصِحُّ وقد لا تَصِحُّ، والله أعلم.

وهَذِهِ القِصَّةُ رَوَاهَا اللَّالَكَائِيُّ في (شَرْحِ الاعْتِقَادِ)، ورَوَاهَا البَغْدَادِيُّ في (تاريخِ بَغْدَادَ) عن أحمدَ بْنِ نَصْرِ بنِ مَالكٍ الخُزَاعِيِّ نحو هذه القصة[2].

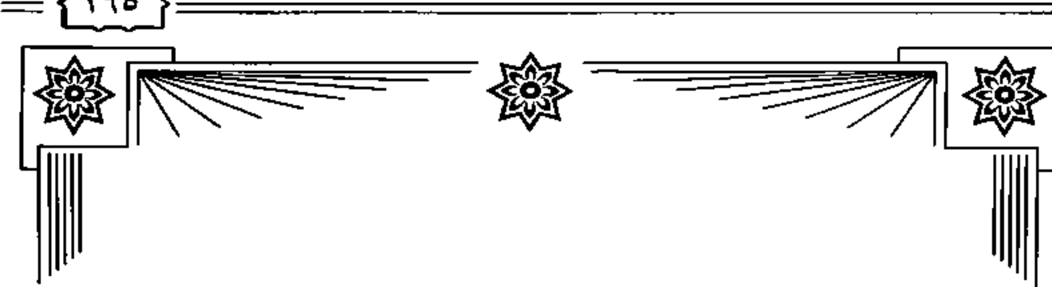
---

(١) أخرجه ابن بطة في الإبانة (٦/ ١١٧/ ٣٨٠).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢/ ٣٦٩)، تاريخ بغداد (٥/ ٣٨٣).

والعلماءُ يَذْكُرُونَ كُلَّ ما قيلَ في المسألة من باب الاسْتِئْنَاسِ، والأَدِلَّةُ من القرآن والسُّنَّةِ، وكَلامِ أهلِ العلم كافي في هذا.





الباب الرابع

بَابُ ذِكْرِ النَّهْيِ عَنْ مَذَاهِبِ الْوَاقِفَةِ، وَذِكْرِ اللَّفْظِيَّةِ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ حِكَايَةٌ لِلْقُرْآنِ الَّذِي فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ

٣٥ ـ قَالَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الآجُرِّيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «وَأَمَّا الَّذِينَ قَالُوا: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ، وَوَقَفُوا، وَقَالُوا: لَا نَقُولُ: غَيْرُ مَخْلُوقٍ. فَهَؤُلَاءِ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ مِثْلُ مَنْ قَالَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ. وَأَشَرُّ؛ لِأَنَّهُمْ شَكُّوا فِي دِينِهِمْ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِمَّنْ شَكَّ فِي كَلَامِ الرَّبِّ أَنَّهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ».

الشَّرْحُ

هَذا الْبَابُ الرَّابِعُ مِنْ أَبْوَابِ الكِتَابِ عَقَدَهُ المؤلف للنَّهْيِ عَنْ مَذْهَبِ الوَاقِفَةِ، وذِكْرِ اللَّفْظِيَّةِ، ومَنْ زَعَمَ أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ حِكَايَةٌ لِلْقُرْآنِ الَّذِي فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، **فهَذَا الباب مُشْتَمِلٌ لثَلَاثَةِ أُمُورٍ:**

الأمرِ الأَوَّلِ: مَذْهَبُ الْوَاقِفَةِ، وهم الَّذِين يَتَوَقَّفُون في الْقُرآنِ؛ فلا يَقُولُونَ: مَخْلُوقٌ ولا غيرُ مَخْلُوقٌ. ما حُكْمُهُمْ؟ وقد سَبَقَ أَنَّ الوَاقِفَ كَافِرٌ؛ فإن مَنْ قَالَ: القُرآنُ مَخْلُوقٌ فَهُو كَافِرٌ، والوَاقِفُ شَاكٌّ، فحُكْمُهُ حُكمُ مَنْ قَالَ: القرآنُ مخلوقٌ.

الأمرِ الثَّانِي: ذِكْرُ اللَّفْظِيَّةِ، وهم الذين يقولُون: لَفْظِي بالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ. أو يقولون: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ.

وهذا أيضًا من الأَلْفَاظِ المُبْتَدَعَةِ، فلا يقالُ لَفْظِي بالقُرْآنِ

مَخْلُوقٌ ولا غَيْرُ مَخْلُوقٍ؛ ولهذا ثَبَتَ عن الإمامِ أحمدَ رَحِمَهُ اللهُ أنه قالَ: «من قال: **لَفْظِي بالقُرْآنِ مَخْلوقٌ فَهُو جَهْمِيٌّ، ومَنْ قالَ: غَيْرُ مَخْلُوقٍ فَهُو مُبْتَدِعٌ**»(١)، فلا تَقُلْ: لَفْظِي بالقُرآنِ مَخْلُوقٌ ولا غَيْرُ مَخْلُوقٍ، فلا تَبْتَدِعْ شَيْئًا لم يَقُلْهُ السَّلَفُ.

الأَمْرِ الثَّالِثِ: مَنْ زَعَمَ أنَّ القُرْآنَ حِكَايةٌ لِلْقُرْآنِ الَّذِي في اللَّوْحِ المَحْفُوظِ، وهذا يقوله الأَشَاعِرَةُ والكُلَّابِيَّةُ، وغَيْرُهُمْ، وعباراتهم في هذا مُتَقَارِبَةٌ؛ حِكَايَةٌ عن كلامِ الله، أو عبارة عن كلام الله.

ونَقَلَ المُؤَلِّفُ عن أَبِي بَكْرٍ الآجُرِّيِّ رَحِمَهُ اللهُ في كتاب (الشريعة) أنه قال: «**وَأَمَّا الَّذِينَ قَالُوا: الْقُرْآنُ كَلَامُ الله وَوَقَفُوا**» يعني: تَوَقَّفُوا وشَكُّوا، ولم يَقُولُوا: غَيْر مَخْلُوقٍ. وقالوا: لا نَقولُ: غَيْرُ مَخْلُوقٍ، ولا نَقُولُ: مَخْلُوقٌ.

يقولُ: «**فَهَؤُلَاءِ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ مِثْلُ مَنْ قَالَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ**» يَعْنِي: لا فَرْقَ. الَّذِي يقُولُ: القرآنُ مخلُوقٌ. والذِي يقُولُ: القُرْآنُ كَلامُ الله ونَتَوَقَّفُ. الحُكْمُ وَاحِدٌ؛ كلهم كَفَّرَهُمُ الْعُلماءُ والأئمةُ، مثل من قال: القرآنُ مَخْلُوقٌ بل وأَشَرُّ مِنْهُ، لأَنَّهُمْ شَكُّوا فِي دِينِهِمْ. نعوذُ بالله من ذلك.



---

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول السنة (٢/ ٣٩٢/ ٦٠٢).

٣٦ ـ قَالَ الآجُرِّيُّ: حَدَّثَنَا ابْنُ مَخْلَدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ السِّجِسْتَانِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ يُسْأَلُ: هَلْ لَهُمْ رُخْصَةٌ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ. ثُمَّ يَسْكُتُ؟ فَقَالَ: وَلِمَ يَسْكُتُ؟ لَوْلَا مَا وَقَعَ فِيهِ النَّاسُ كَانَ يَسَعُهُ السُّكُوتُ، وَلَكِنْ حَيْثُ تَكَلَّمُوا فِيمَا تَكَلَّمُوا، لِأَيِّ شَيْءٍ لَا يَتَكَلَّمُ؟

الشَّرْحُ

۞ أَهْلُ البِدَعِ في القُرْآنِ طائفتين:

الطائفة الأولى: تقول: القرآنُ مخلوقٌ لَفْظُهُ ومَعْنَاهُ. وهو قولُ المُعْتَزِلَة.

الطائفة الثانية: تقول القرآنُ مَعْنًى قائمٌ بالنَّفْسِ. وهُم الكُلَّابِيَّةُ والأَشْعَرِيَّةُ. يقولون: القرآنُ معنًى قائمٌ بالنَّفْسِ؛ ليس أَلْفَاظًا ولا حُرُوفًا، ولكنَّهُ معْنًى قائمٌ بالنَّفْسِ. وأما هذه الحُرُوفُ والأَلْفَاظُ الَّتِي في المصَاحِفِ الَّتِي بأَيْدِينَا يَقُولُونَ: ليسَتْ كَلَامَ الله ولكِنَّهَا عِبَارَةٌ تَأَدَّى بها كَلَامُ الله.

فالأشعرية يقولون: عبارةٌ. والكُلَّابِيَّةُ يقولُون: حكايةٌ، وكلاهما على أنه ليسَ فِي المُصْحَفِ كَلَامُ الله، وإِنَّمَا هَذِهِ العِبَارَةُ أو الحِكَايَةُ من جِبْرِيلَ، فجِبْرِيلُ هُو الذي فَهِمَ المَعْنَى القَائِمَ بِنَفْسِ الرَّبِّ، اضْطَرَّهُ اللهُ فَفَهِمَ هذا المعنى القائمَ بِنَفْسِهِ فَعَبَّرَ بهذِهِ الحُرُوفِ والألفاظِ.

ومِنْهُمْ من يقولُ: إنَّ جِبْرِيلَ أَخَذَهُ من اللَّوْحِ المَحْفُوظِ، فما في القرآنِ حِكَايَةٌ عن كَلَامِ الله.

ومنهم من يقول: الذي عَبَّرَ هو مُحَمَّدٌ ﷺ وكُلٌّ من الطَّوَائفِ ـ والعياذُ بالله ـ كُلُّهُمْ ضَالٌّ.

ـ ولهذا يقولُ العُلَمَاءُ: الأَشْعَرِيَّةُ مَذْهَبُهُمْ نِصْفُ مَذْهَبِ المعْتَزِلَةِ، فالمعْتَزِلَةُ يقولون: القرآنُ مخلوقٌ لَفْظُهُ ومعنَاهُ. والأشاعِرَةُ والكُلَّابِيَّةُ يقولون: القرآنُ نِصْفُهُ مَخْلُوقٌ وهُو الأَلْفَاظ والحُرُوفُ، ونِصْفُهُ غَيْرُ مخلوقٍ وهُوَ المعَانِي؛ لأَنَّهُمْ يقولونَ: الألفاظُ ليستْ كَلَامًا، بل الكَلَامُ يكونُ في النَّفْسِ وفي المَعْنَى وفِي القَلْبِ، والألفاظُ يَتَأَدَّى بها الكَلَامُ ويستدلون بمثل قول الأَخْطَلِ النَّصْرَانِيِّ:

إنَّ الْكَلَامَ لَفِي الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا ... جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى الْفُؤَادِ دَلِيلَا

يعنِي: دَلِيلًا على الأَلْفَاظِ ودليلًا على الكَلَامِ، وهَذَا الكَلَامُ هُوَ المعْنَى القِائِمُ بالنَّفْسِ، وهَذَا مِنْ أَبْطَلِ البَاطِلِ.



وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ، وَذَكَرَ رَجُلَيْنِ كَانَا وَقَفَا فِي الْقُرْآنِ، وَدَعَوَا إِلَيْهِ فَجَعَلَ يَدْعُو عَلَيْهِمَا وَقَالَ لِي: «هَؤُلَاءِ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ». وَجَعَلَ يَذْكُرُهُمَا بِالْمَكْرُوهِ[1].



وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ: «سَمِعْتُ أَحْمَدَ، وَذَكَرَ رَجُلَيْنِ كَانَا وَقَفَا فِي الْقُرْآنِ ودَعَيَا إِلَيْهِ» معنى وَقَفَا: تَوَقَّفَا وسَكَتَا؛ فَلَمْ يَقُولَا: إِنَّهُ مَخْلُوقٌ ولا غَيْرُ مَخْلُوقٍ؛ «فجَعَلَ يَدْعُو عليْهِمَا» أي: جَعَلَ الإمامُ أحمدُ رَحِمَهُ اللَّهُ يَدْعُو عَلَيْهِمَا، وقال: «هَؤُلَاءِ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ» وَجَعَلَ يَذْكُرُهُمَا بِالْمَكْرُوهِ.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه الآجُرّيُّ في الشريعة (١/٥٢٨/١٨٨).

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: وَرَأَيْتُ أَحْمَدَ سَلَّمَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَغْدَادَ، مِمَّنْ وَقَّفَ فِيمَا بَلَغَنِي، فَقَالَ لَهُ: «اغْرُبْ، لَا أَرَاكَ تَجِيءُ إِلَى بَابِي فِي كَلَامٍ غَلِيظٍ، وَلَمْ يَرُدَّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، وَقَالَ لَهُ: مَا أَحْوَجَكَ أَنْ يُصْنَعَ بِكَ مَا صَنَعَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِصُبَيْغٍ، وَدَخَلَ بَيْتَهُ، وَرَدَّ الْبَابَ»[1].

الشرح

○ قوله: «مِمَّنْ وَقَّفَ» يعْنِي: مِمَّنْ تَوَقَّفَ في القرآنِ، فلا يَقُولُ: مخلوقٌ ولا غَيْرُ مَخْلُوقٍ.

○ قوله: «فَقَالَ: اغْرُبْ، لَا أَرَاكَ» يعنِي: ابتعد عَنِّي. فمعنى اغْرُبْ: اذْهَبْ بَعِيدًا؛ كما أن المُغْتَرِبَ يَبْتَعِدُ عن أهْلِهِ.

○ قوله: «لَا أَرَاكَ تَجِيءُ إِلَى بَابِي، فِي كَلَامٍ غَلِيظٍ» أي: أَغْلَظَ عَلَيْهِ القول لأنَّهُ مُبْتَدِعٌ، ولم يَرُدَّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، وهذا يَدُلُّ على أنَّ أهلَ البِدَعِ لا يُرَدُّ عَلَيْهِم السَّلَامُ، ويُغْلَظُ عَلَيْهِمْ، ويُهْجَرُونَ.

○ قوله: «مَا أَحْوَجَكَ أَنْ يُصْنَعَ بِكَ مَا صَنَعَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِصُبَيْغٍ وَدَخَلَ بَيْتَهُ وَرَدَّ الْبَابَ» يَعْنِي: تُضْرَبُ بالدِّرَرِ[2] والنِّعَالِ حَتَّى يَخْرُجَ الدَّمُ من رَأْسِكَ؛ لتَزُولَ الشُّبْهَةُ من رَأْسِكَ.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) جمع دُرَّة - بالكَسْرِ - وهي: دِرَّة السُّلطانِ، الَّتي يُضْرَب بهَا، عَرَبِيَّةٌ مَعْرُوفَة.

فإن صُبَيْغاً[1] كانَ في زَمَنِ عمرَ بنِ الخَطَّابِ ﷺ يُثِيرُ الأشياءَ المتَشَابِهَةَ من القرآنِ ومنْ غَيْرِهِ، فسَمِعَ به عُمر ﷺ فَأَعَدَّ لَهُ عَرَاجِينَ النَّخْلِ فلما جَاءَ قال: مَا أَنْتَ؟ قالَ: أَنَا عَبْدُ اللهِ صُبَيْغٌ؛ فجَعَلَ يَضْرِبُهُ بالعَرَاجِينِ حتَّى فَارَ الدَّمُ من رَأْسِهِ. فقال: يا أَمِيرَ المؤمِنِينَ، واللهِ ذَهَبَ مَا في رَأْسِي من الشُّبْهَةِ، ثُمَّ غَرَّبَهُ إلى الكُوفَةِ أَوْ إلى البَصْرَةِ. وقال لِلْوَالِي: لا يُكَلِّمْه أَحَد؛ وهُجِرَ حَتَّى تَابَ.



(١) هو صَبِيغ بن عِسل، بمهملتين الأولى مكسورة والثانية ساكنة، ويقال بالتصغير، ويقال: ابن سهل الحنظليّ، له إدراك، وقصته مع عمر مشهورة. انظر ترجمته في الإصابة: (٣/ ٣٧٠).

وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ: سَمِعْتُ إِسْحَاقَ بْنَ رَاهَوَيْهِ يَقُولُ: «مَنْ قَالَ: لَا أَقُولُ الْقُرْآنُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، فَهُوَ جَهْمِيٌّ».

وَسَمِعْتُ قُتَيْبَةَ بْنَ سَعِيدٍ قَالَ: «هَؤُلَاءِ الْوَاقِفَةُ شَرٌّ مِمَّنْ قَالَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ»[(١)].

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ: «الْوَاقِفُ شَاكٌّ، وَالشَّاكُّ كَافِرٌ»[(٢)].

الشَّرْحُ

هَذَا الأَثَرُ عنْ إِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوَيْهِ رَوَاهُ الآجُرِّيُّ في (الشَّرِيعَةِ).

وإِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ إمامٌ من أهلِ الحَدِيثِ - مِثْلُ الإمامِ أحمدَ - يقول: «مَنْ قَالَ: لَا أَقُولُ الْقُرْآنُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، فَهُوَ جَهْمِيٌّ» مِنَ الجَهْمِيَّةِ، والجَهْمِيَّةُ كَفَّرَهُمُ السَّلَفُ، كَفَّرَهُمْ خَمْسُمِائَةِ عالم، فالواجب على المسلم أن يقولَ: القُرْآنُ كلامُ الله مُنَزَّلٌ غيرُ مَخْلُوقٍ.

○ قوله: «وَسَمِعْتُ قُتَيْبَةَ بْنَ سَعِيدٍ قَالَ: «هَؤُلَاءِ الْوَاقِفَةُ شَرٌّ مِمَّنْ قَالَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ».

والوَاقِفَةُ هم الذينَ يَتَوَقَّفُونَ ويَشُكُّونَ فلا يقولون: مَخْلُوقٌ ولا غَيْرُ مَخْلُوقٍ. وهم «شَرٌّ مِمَّنْ قَالَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ» لأَنَّهُمْ يَشُكُّونَ في دِينِهِمْ، فأولئك تَكَلَّمُوا بالبِدْعَةِ، وهؤلاء شَكُّوا، والشَّاكُّ في دِينِهِ كَافِرٌ، فَمَنْ شَكَّ في القِيامَةِ، أو شَكَّ في البَعْثِ، أو شَكَّ في

(١) أخرجه الآجُرِّيُّ في الشريعة (١/ ٥٢٩).

(٢) المرجع السابق.

الجَزَاءِ، أو في الجَنَّةِ، أو في النار فكافر، وكذلك الجَهْمِيُّ والشَّاكُّ في القرآن كُلٌّ مِنْهُمَا كَافِرٌ.

وهَذَا تَصْرِيحٌ مِنْ أَحْمَدَ بنِ صَالحٍ: «**الْوَاقِفُ شَاكٌ**». أي: الوَاقِفُ الذِي يَتَوَقَّفُ لَا يَقُولُ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ ولَا غَيْرُ مَخْلُوقٍ شَاكٌّ، «**والشَّاكُّ كَافِرٌ**».

وهَذَا رَوَاهُ الآجُرِّيُّ في (الشَّرِيعَةِ)، ولَفْظُهُ فيه: قَالَ أَبُو دَاوُدَ: «وَسَأَلْتُ أَحْمَدَ بْنَ صَالِحٍ: عَمَّنْ قَالَ: الْقُرْآنُ كَلَامُ الله، وَلَا يَقُولُ: غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَلَا مَخْلُوقٍ؟ فَقَالَ: هَذَا شَاكٌّ، وَالشَّاكُّ كَافِرٌ». وهُوَ في مَسَائلِ أبي دَاودَ، وليس فيه قوله: «**والشَّاكُّ كَافِرٌ**».



وَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِاللهِ عَمَّنْ أَمْسَكَ فَقَالَ: لَا أَقُولُ: لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ. إِذَا لَقِيَنِي فِي الطَّرِيقِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ، أُسَلِّمُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: لَا تُسَلِّمْ عَلَيْهِ؟ وَلَا تُكَلِّمْهُ، كَيْفَ يَعْرِفُهُ النَّاسُ إِذَا سَلَّمْتَ عَلَيْهِ؟![1]

الشَّرْحُ

هذا الأثر عن الإمام أحمد رواه الآجُرِّيُّ في (الشَّرِيعَةِ)، وتَتِمَّتُهُ كما في (الشَّرِيعَةِ): «**وَكَيْفَ يَعْرِفُ هُوَ أَنَّكَ مُنْكِرٌ عَلَيْهِ؟ فَإِذَا لَمْ تُسَلِّمْ عَلَيْهِ عَرَفَ الذُّلَّ، وَعَرَفَ أَنَّكَ أَنْكَرْتَ عَلَيْهِ، وَعَرَفَهُ النَّاسُ**»[2].

○ قوله: «**سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِاللهِ**» هُوَ الإِمَامُ أحمدُ بنُ حنبلٍ رَحِمَهُ اللهُ «**عَمَّنْ أَمْسَكَ فَقَالَ: لَا أَقُولُ: لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ**». الواقفي المتوقف في القرآن يعني: «**إِذَا لَقِيَنِي فِي الطَّرِيقِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ، أُسَلِّمُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: لَا تُسَلِّمْ عَلَيْهِ؟ وَلَا تُكَلِّمْهُ**». يُرِيدُ هَجْرَهُ؛ فَلَا يُسَلَّمُ عَلَيْهِ، ولَا يُكَلَّمُ، ولا تُجَابُ دَعْوَتُهُ؛ حَتَّى يَتُوبَ.

○ قوله: «**كَيْفَ يَعْرِفُهُ النَّاسُ إِذَا سَلَّمْتَ عَلَيْهِ؟!**» أي: إذا سَلَّمْتَ عَلَيْهِ لم يَعْرِفُ النَّاسُ أَنَّهُ مُبْتَدِعٌ، لكن إذَا هَجَرْتَهُ عرِفَوا أَنَّهُ مُبْتَدِعٌ فاجْتَنَبُوهُ. ولَا سِيَّمَا إذا كنت من أهل العلم وأهل البصيرة.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه الآجُرِّيُّ في الشريعة (١/ ٥٣٠/ ١٩١).

(٢) المرجع السابق.

٣٧ ـ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الآجُرِّيُّ رَحِمَهُ اللهُ: احْذَرُوا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ لَفْظَهُمْ بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ، هَذَا عِنْدَ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ مُنْكَرٌ عَظِيمٌ، وَقَائِلُهُ مُبْتَدِعٌ، يُجْتَنَبُ، وَلَا يُكَلَّمُ، وَلَا يُجَالَسُ، وَيُحَذَّرُ مِنْهُ النَّاسُ. لَا يَعْرِفُ الْعُلَمَاءُ غَيْرَ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُنَا لَهُ، وَهُوَ: أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَمَنْ قَالَ: مَخْلُوقٌ. فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ وَقَفَ فَهُوَ جَهْمِيٌّ، وَمَنْ قَالَ: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ. فَهُوَ جَهْمِيٌّ، وَمَنْ قَالَ: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي يَقْرَأُهُ النَّاسُ، وَهُوَ فِي الْمَصَاحِفِ حِكَايَةٌ لِمَا فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ. فَهَذَا قَوْلٌ مُنْكَرٌ، يُنْكِرُهُ الْعُلَمَاءُ، يُقَالُ لِقَائِلِ هَذِهِ الْمَقَالَةِ.

الشَّرْحُ

هَذَا نَقْلٌ عن محمدِ بنِ الحُسَيْنِ الآجُرِّيِّ؛ في نَصِيحَةٍ منه لِلنَّاسِ، يقول فيها: «احْذَرُوا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ لَفْظَهُمْ بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ» أي: احَذَرُوهُمْ، وابْتَعِدُوا عَنْهُمْ وعَنْ مَقَالَتِهِمْ، فإنما هم مبتدعة.

○ قوله: «وَهَذَا عِنْدَ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ مُنْكَرٌ عَظِيمٌ» أي: الذِي يقول: لَفْظِي بالقُرْآنِ مَخْلُوقٌ، والإمام أحمد هُوَ إِمَامُ أَهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ.

○ قوله: «وَقَائِلُهُ مُبْتَدِعٌ، يُجْتَنَبُ، وَلَا يُكَلَّمُ، وَلَا يُجَالَسُ»؛ لأَنَّ أَهْلَ البِدَعِ يُهْجَرُونَ، فإن من يقول: لَفْظِي بالقُرآنِ مَخْلُوقٌ مبتدع.

والقُرْآنُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، والتَّخْصِيصُ فيه من التلفظ به ونحو ذلك: بِدْعَةٌ؛ فيه مَوَافَقَةٌ لِقَوْلِ الجَهْم، ومَعْلُومٌ أنَّ الإنسانَ مَخْلُوقٌ صِفَاتُهُ وأَفْعَالُهُ، ومن ذَلِكَ كَلامُهُ، لكن لا تُخَصِّصْ، لا تَقُلْ: لَفْظِي بالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ. ولأنَّ اللَّفْظَ قَدْ يُرَادُ بِهِ المَلْفُوظُ، والمَلْفُوظُ هُوَ القُرْآنُ.

○ قوله: «**لَا يَعْرِفُ الْعُلَمَاءُ غَيْرَ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُنَا لَهُ، وَهُوَ: أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ الله غَيْرُ مَخْلُوقٍ**». هَذَا قَوْلُ أَهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ، من أن كلامُ الله مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ وإِلَيْهِ يَعُودُ.

○ قوله: «**وَمَنْ قَالَ: مَخْلُوقٌ، فَقَدْ كَفَرَ**» هَذِهِ مَقَالَةُ الأَئِمَّةِ، مَنْ قَالَ: إنَّ القُرْآنَ مَخْلُوقٌ، فَقَدْ كَفَرَ.

○ قوله: «**ومَنْ وَقَفَ**» يَعْنِي: تَوَقَّفَ فلا يقولُ: مخلوق ولا غير مخلوق. «**فَهُوَ جَهْمِيٌّ**» والجَهْمِيُّ كَافِرٌ، والجَهْمِيَّةُ هُمْ الذِينَ أَنْكَرُوا أسماءَ الله وَصِفَاتِهِ؛ ومَعْلُومٌ أن إِنْكَارَ الأسماءِ والصفاتِ يُنْتِجُ العَدَمَ.

فكل ذَات ليسَ لهَا اسْمٌ، ولا صِفَة لا وُجُودَ لهَا؛ والجَهْمِيَّةُ يُنْكِرُونَ أسماءَ الله وصِفَاتِهِ فيقولون: لا يكونُ سَمِيعًا، ولا بَصِيرًا، ولا عَلِيمًا، ولا قَدِيرًا، ولا فَوْقَ، ولا تَحْتَ، ولا يَمِينَ، ولا شِمَالَ، وليس له كَلَامٌ، ولا سَمْعٌ، ولا بَصَرٌ، ولا فَوْقَ العَالَم، ولا تَحْتَ العَالم، ولا مُبَايِنٌ للعَالَمِ، ولا مُحِيطٌ لَهُ! وهذا عَدَمُ والعِيَاذُ بالله، لا نقول به.

○ قوله: «**وَمَنْ قَالَ: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي يَقْرَأُهُ النَّاسُ، وَهُوَ فِي الْمَصَاحِفِ حِكَايَةٌ لِمَا فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ. فَهَذَا قَوْلٌ مُنْكَرٌ، يُنْكِرُهُ الْعُلَمَاءُ**» وهَذَا قَوْلُ الكُلَّابِيَّةِ.

فالأشاعرةُ يقولونَ: عِبَارَةٌ عَنْ كَلَامِ الله لأَنَّهُمْ يقولون: كلامُ الله المَعْنَى القَائِمُ بِنَفْسِهِ لا يُسْمَعُ، وليس بَحَرْفٍ، ولا صَوْتٍ.

والكُلَّابِيَّةُ يقولون: حِكَايَةٌ عَنْ كَلَامِ الله.

واتَّفَقُوا - الأشاعرة والكلابية - على أنَّ مَا في المُصْحَفِ ليسَ كَلَامَ الله، وإنما كَلَامُ اللهُ هو المَعْنَى القَائِمُ بِنَفْسِهِ لا يُسْمَعُ مِثْلُ العِلْمِ، كما أنَّ العِلْمَ لا يُسْمَعُ، فالكَلَامُ لا يُسْمَعُ.

○ لهذا قال: «**وَمَنْ قَالَ: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي يَقْرَأُهُ النَّاسُ، وَهُوَ فِي الْمَصَاحِفِ حِكَايَةٌ لِمَا فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ. فَهَذَا قَوْلٌ مُنْكَرٌ، يُنْكِرُهُ الْعُلَمَاءُ**».



يُقَالُ لِقَائِلِ هَذِهِ الْمَقَالَةِ: الْقُرْآنُ يُكَذِّبُكَ، وَيَرُدُّ قَوْلَكَ، وَالسُّنَّةُ تُكَذِّبُكَ، وَتَرُدُّ قَوْلَكَ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] فَأَخْبَرَنَا ﷻ أَنَّهُ إِنَّمَا سَمِعَ النَّاسُ كَلَامَ اللهِ، وَلَمْ يَقُلْ: حِكَايَةَ كَلَامِ اللهِ، وَقَالَ ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ﴾ [الأعراف: ٢٠٤] فَأَخْبَرَ أَنَّ السَّامِعَ إِنَّمَا يَسْمَعُ الْقُرْآنَ، وَلَمْ يَقُلْ: حِكَايَةَ الْقُرْآنِ. وَقَالَ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩] وَقَالَ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الأحقاف: ٢٩]. وَهَذَا فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ.

وَقَالَ النَّبِيُّ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ: «إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْءٌ، كَالْبَيْتِ الْخَرِبِ»[١].

وَقَالَ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»[٢].

الشَّرْحُ

هَذِهِ مُنَاقَشَةُ الْمُؤَلِّفِ رَحِمَهُ اللهُ لمَنْ يقولُ: إنَّ القرآنَ حكايةٌ عن كلام الله، فالمناقِشُ رَدَّ عَلَيْهِ بالأدِلَّةِ من الكِتَابِ والسُّنَّةِ، وبَيَّنَ وَجْهَ الدِّلَالَةِ، فقال: «يُقَالُ لِقَائِلِ هَذِهِ الْمَقَالَةِ» الذي يقولُ: إنَّ القُرْآنَ حِكَايةٌ عن كلام الله. «الْقُرْآنُ يُكَذِّبُكَ، وَيَرُدُّ قَوْلَكَ، وَالسُّنَّةُ تُكَذِّبُكَ، وَتَرُدُّ قَوْلَكَ».

---

(١) أخرجه الترمذي: أَبْوَابُ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، رقم (٢٩١٣)، وقال هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(٢) أخرجه البخاري: كِتَابُ فَضَائِلِ القُرْآنِ، خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ، رقم (٥٠٢٧).

ثُمَّ ذَكَرَ الأَدِلَّةَ من القرآن:

الدَّلِيلُ الأَوَّلُ: «قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]».

وَجْهُ الدَّلَالَةِ: قال: «**فَأَخْبَرَنَا ﷻ أَنَّهُ إِنَّمَا سَمِعَ النَّاسُ كَلَامَ اللهِ، وَلَمْ يَقُلْ**: حِكَايَةَ كَلَامِ اللهِ». ما قال: فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ حِكَايَةَ كَلَامِ اللهِ، بل قال: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾، فَدَلَّ على أنَّ المَسْمُوعَ كَلَامُ اللهِ ليسَ الحِكَايَةَ.

الدَّلِيلُ الثَّانِي: «وَقَالَ ـ تَعَالى ـ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟﴾ [الأعراف: ٢٠٤]».

وَجْهُ الدَّلَالَةِ: قال: «**فَأَخْبَرَ أَنَّ السَّامِعَ إِنَّمَا يَسْمَعُ الْقُرْآنَ، وَلَمْ يَقُلْ**: حِكَايَةَ الْقُرْآنِ» أي: قَالَ: ﴿فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ﴾ يَعْنِي: لِلْقُرْآنِ، ولَمْ يَقُلْ: فَاسْتَمِعُوا لِحِكَايَتِهِ.

الدَّلِيلُ الثَّالِثُ: «﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]» ولم يَقُلْ: إنَّ حِكَايَةَ الْقُرْآنِ يَهْدِي للَّتِي هي أَقْوَمُ.

الدَّلِيلُ الرابعُ: «وَقَالَ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الأحقاف: ٢٩]» وَلم يَقُلْ: يَسْتَمِعُونَ حِكَايَةَ القُرْآنِ.

قال: «وَهَذَا فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ».

ثُمَّ أَتَى بِالْأَدِلَّةِ من السُّنَّةِ:

الدَّلِيلُ الأَوَّلُ: «قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْءٌ، كَالْبَيْتِ الْخَرِبِ**»[١] وهَذَا رَوَاهُ الإمامُ أحمدُ، والتِّرْمِذِيُّ، والدَّارِمِيُّ، والحَاكِمُ، والبَغَوِيُّ في (شَرْحِ السُّنَّةِ) مِنْ

---

(١) تقدم تخريجه.

طَرِيقِ أَبِي يُوسُفَ بْنِ أبي رَبِيعَة، وفِيهِ لِينٌ عنِ ابنِ عَبَّاسٍ. قال التِّرْمِذِيُّ: حسن صحيحٌ. وقال الحاكم: صَحِيحُ الإِسْنَادْ وقد تعقبه الذهبي بقوله: قَابُوسُ لَيِّنُ الحَدِيثِ فيه ضَعْفٌ[1]، ولكنْ لَهُ شَوَاهِدُ.

وجه الدلالة: أنه لَمْ يَقُلْ: الَّذِي ليس فِي جَوْفِهِ حِكَايَةُ القُرْآنِ.

الدَّلِيلُ الثَّانِي: «وَقَالَ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»[2] هَذَا الحَدِيثُ رَوَاهُ الإمامُ البُخَارِيُّ في (صَحِيحِهِ) من حَدِيثِ عُثمانَ بنِ عفَّان ﷺ، وهو حديث عَظِيمٌ، وفِيهِ بَيانُ فَضْلِ تَعَلُّم القُرْآنِ وتَعْلِيمِهِ، ولمَّا سَمِعَ أَبُو عَبْدِالرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ التَّابِعِيُّ[3] هَذَا الحَدِيثَ جَعَلَ يُقْرِئُ النَّاسَ القُرآنَ أَرْبَعِينَ سَنَةً.

وجه الدَّلَالَةِ: أنه لم يَقُلْ: خيركم مَنْ تَعَلَّمَ حِكَايَةَ القُرْآنِ؛ فَدَلَّ على بُطْلَانِ قَوْلِ الكُلَّابِيَّةِ الذِينَ يقولون: إنَّ القُرْآنَ حِكَايَةٌ. وكَذَلِكَ بُطْلَانُ قولِ الأَشَاعِرَةِ الذِينَ يَقُولُونَ: عِبَارَةٌ.



(١) المستدرك (١/ ٥٥٤).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) هو عبدالله بن حبيب بن رُبَيْعة ـ بالتصغير ـ أَبُو عَبْدالرحمن السلمي الكوفي القارئ. ترجمته في تهذيب الكمال (١٤/ ٤٠٨).

وَقَالَ: «مَثَلُ الْقُرْآنِ مَثَلُ الْإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ، إِنْ تَعَاهَدَهَا صَاحِبُهَا أَمْسَكَهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا ذَهَبَتْ»[١].

الشَّرْحُ

هَذَا الحَدِيثُ فِيهِ إِرْشَادٌ من النَّبِيِّ ﷺ لحُفَّاظِ القُرْآنِ أَنْ يُرَاجِعُوا حِفْظَهُ ولا يَتْرُكُوه، فحَافِظُ القرآنِ يَجِبُ عَلَيْهِ أنْ يُرَاجِعَ ويُكَرِّرَ حَتَّى لا يَنْسَى، وهو **الدليل الثالث** من السنة.

○ قوله: **«مَثَلُ الْقُرْآنِ مَثَلُ الْإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ، إِنْ تَعَاهَدَهَا صَاحِبُهَا أَمْسَكَهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا ذَهَبَتْ»** الإبلُ معلومٌ أَنَّهَا إِذَا بَرَكَتْ تُرْبَطُ يَدُهَا بحَبْلٍ، فإِذَا لم يتعاهد صاحبها الحَبْلُ تَحَرَّكَ، ثم تَرْفَعُ رِجْلَهَا فيَنْفَلِتُ العِقَالُ، ثُمَّ تَمْشِي وتَتْبَعُهَا الأُخْرَى تَقْتَدِي بِهَا، وهكذا حتى تَتَفَلَّتْ كلُّ الإبلِ.

كَذَلِكَ صَاحِبُ القُرْآنِ إن تَعَاهَدَهُ وصَارَ يُرَاجِعُ بَقِيَ القرآنُ، وإِنْ أَهْمَلَ ضَاعَ، وهذه نَصِيحَةٌ من النَّبِيِّ ﷺ لحافظ القرآن.

وجه الدلالة: أنه لم يَقُلْ: مَثَلُ حِكَايَةِ القُرْآنِ، أو عِبَارَةِ القُرْآنِ؛ فَدَلَّ على بطلانِ مَذْهَبِ الكُلَّابِيَّةِ والأَشَاعِرَةِ.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده رقم (٤٧٥٩).

وَقَالَ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ: «لَا تُسَافِرُوا بِالْقُرْآنِ إِلَى أَرْضِ الْعَدُوِّ»[١].

وَقَالَ: فِي حَدِيثٍ آخَرَ: «لَا تُسَافِرُوا بِالْمَصَاحِفِ إِلَى الْعَدُوِّ، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَنَالُوهَا»[٢].

الشَّرْح

هَذَا الحديثُ رَوَاهُ البُخَارِيُّ ومسلمٌ من حَدِيثِ ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما بلفظ: «**نَهَى رَسُولُ الله ﷺ أَنْ يُسَافَرَ بِالْقُرْآنِ إِلَى أَرْضِ الْعَدُوِّ**»[٣]. وفي حديث آخر: «**لَا تُسَافِرُوا بِالْقُرْآنِ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَنَالَهُ الْعَدُوُّ**»[٤]. ورَوَاهُ بهذا اللفظ أحمدُ.

وهذا فِيه النَّهْيُ عن السَّفَرِ بالمصَاحِفِ إلى العَدُوِّ، وقد بيَّنَ النَّبيُّ ﷺ العِلَّةَ وهي: خَشْيَةَ أَنْ يَنَالُوهَا فَيُهِينُوا القرآنَ أو يُغَيِّرُوهُ.

لكنْ هَذَا المَحْظُورُ زالَ الآن، فالقُرْآنُ في بلادِ الكفَّارِ، بل إِنَّهُمْ يَفْتَتِحُونَ إذَاعَتَهُمْ بالقُرْآنِ، الآنَ، ولكنَّهُ في السَابِقِ كَانَ الكُفَّارُ إذا وَصَلَ القرآنُ أو المصَاحِفُ إلى أيْدِيهِمْ حَرَّفُوهَا وأهَانُوهَا.

---

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ السَّفَرِ بِالْمَصَاحِفِ إِلَى أَرْضِ العَدُوِّ، رقم (٢٩٩٠)، ومسلم: كتاب الإمارة، رقم (١٨٦٩)، بلفظ: «**أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَهَى أَنْ يُسَافَرَ بِالْقُرْآنِ إِلَى أَرْضِ الْعَدُوِّ**».

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الإمارة، رقم (١٨٦٩)، بلفظ: «**أَنَّهُ كَانَ يَنْهَى أَنْ يُسَافَرَ بِالْقُرْآنِ إِلَى أَرْضِ الْعَدُوِّ، مَخَافَةَ أَنْ يَنَالَهُ الْعَدُوُّ**».

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، بَابُ السَّفَرِ بِالْمَصَاحِفِ إِلَى أَرْضِ العَدُوِّ، رقم (٢٩٩٠)، ومسلم: كتاب الإمارة، رقم (١٨٦٩).

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٤٥٧٦).

والشاهد: «لَا تُسَافِرُوا بِالْقُرْآنِ» ولم يقل: لا تُسَافِرُوا بِحِكَايَةِ القُرآنِ، أو بعبارةِ القُرْآنِ.

فهذا هو **الدليل الرابع** من السنة على أن القرآن ليس حكاية عن كلام الله.



وَقَالَ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ، فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ»(١).

الشَّرْحُ

هَذَا الحَدِيثُ رواهُ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ من حديث أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ: هو مِنْ أَفْرَادِ البُخَارِيِّ، وهو عندهما من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

○ قوله: «لَا حَسَدَ» يَعْنِي: لا غِبْطَةَ، **والحَسَدُ حَسَدَانِ:**

الأَوَّلُ: حَسَدٌ مَذْمُومٌ: وهو أن تَتَمَنَّى أن تَزُولَ النِّعْمَةُ عن أَخِيكَ، ويَبْقَى فَاقِدًا لهَا، وهذا الحسدُ يَأْكُلُ الحَسَناتِ كما تأكل النَّارُ الحَطَبَ. قَالَ اللهُ: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [الفَلَق: ٥].

الثَّانِي: حَسَدُ الغِبْطَةِ: وهُوَ أنْ تَتَمَنَّى أن يكونَ لَكَ من النِّعْمَةِ مثل ما لأَخِيكِ من غَيْرِ زَوالِهَا.

○ قوله: «إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ، فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ» يَعْنِي: يَعْمَلُ بِهِ ويَقْرَأُهُ.

الشَّاهِدُ قَوْلُهُ: «رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ» ولَمْ يَقُلْ آتاهُ اللهُ عِبَارَةَ القُرْآنِ، أو حِكَايَةَ القرآنِ، فدَلَّ على بُطْلَانِ مَذْهَبِ الأَشَاعِرَةِ

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ الِاغْتِبَاطِ فِي العِلْمِ وَالحِكْمَةِ، رقم (٧٣)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين، رقم (٨١٦).

والكُلَّابِيَّةِ.

فهذا **الدليل الخامس** من السنة على أن القرآن ليس حكاية عن كلام الله.



وَقَالَ: «إِنَّ اللهَ ـ تَعَالَى ـ قَرَأَ طَهَ، وِيَس قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ بِأَلْفِ عَامٍ، فَلَمَّا سَمِعَتِ الْمَلَائِكَةُ الْقُرْآنَ، قَالُوا: طُوبَى لِأُمَّةٍ يَنْزِلُ هَذَا عَلَيْهِمْ، وَطُوبَى لِأَلْسُنٍ تَتَكَلَّمُ بِهَذَا، وَطُوبَى لِأَجْوَافٍ تَحْمِلُ هَذَا»(١).

الشَّرْحُ

هَذَا الحَدِيثُ رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ، وابنُ أَبِي عَاصِم في (السُّنَّةِ)، وابْنُ خُزَيْمَةَ في (كتاب التوحيد)، والبَيْهَقِيُّ في (الأَسْمَاءِ والصِّفَاتِ)، ورواهُ ابنُ الجَوْزِيِّ، وقال: وهذا حديثٌ موضوعٌ رواه من طرق عن إبراهيم بن المهاجر عن عمر بن حفص بن ذكوان(٢).

وقال الحافظ ابن كثير في (تفسيره): هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، وَفِيهِ نَكَارَةٌ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ مُهَاجِرٍ وَشَيْخُهُ تُكلِّم فِيهِمَا(٣).

وقال الأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ في (السلسلة الضعيفة): منكر(٤).

فالحَدِيثُ هو إما ضَعِيفٌ جِدًّا أو مَوْضُوعٌ.

وكان على المؤلف رَحِمَهُ اللهُ أنْ يُنَزِّهَ كِتَابَهُ عن مثلِ هَذَا الحَدِيثِ، وهو لم يَذْكُرِ الْسَّنَدَ لكنَّ المُحَدِّثِينَ الذِينَ خَرَّجُوهُ كالدَّارِمِيِّ، وابْنَ أبِي عَاصِمٍ، وابنَ خُزَيْمَةَ، واللَّالَكَائِيَّ كُلُّهُمْ ذَكَرُوهُ بالسَّنَدِ، ومن ذَكَرَ

(١) أخرجه الدارمي في سننه: كِتَابِ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، بَابُ: فِي فَضْلِ سُورَةِ طه وَيس، رقم (٣٤٥٧)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٦٩/ ٦٠٧).

(٢) انظر: الموضوعات لابن الجوزي (١/ ١١٠).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٢٤٠).

(٤) انظر: السلسلة الضعيفة (٣/ ٤٠٢/ ١٢٤٨).

السَّنَدَ بَرِئَ من العُهْدَةِ؛ لأنَّ العُلَماءَ كَانُوا في مؤلَّفَاتِهِمْ يَذْكُرُونَ كُلَّ ما وَرَدَ في البابِ، ويذكُرونَ الأَسَانِيدَ وكانَ العُلَماءُ يَعْرِفُونَ الأَسَانِيدَ، ومن أسندَ فَقَدْ بَرِئَ من العُهْدَةِ.

لكن مع ذلك كَانَ الأَوْلَى أَلَّا يَذْكُرَ مِثْلَ هَذَا الحَدِيثِ المَوْضُوعِ أو الضَّعِيفِ جِدًّا، فلا حاجة إليه.

الشاهِدُ: أنه لَمْ يَقُلْ: لمَّا سَمِعَتِ المَلَائِكَةُ حكايةَ القرآن، أو عِبَارَةَ القرآن.

فهذا الحديث أتى به المؤلف باعتباره **الدليل السادس على أن** القرآن ليس حكاية عن كلام الله، وإنما هو كلام الله حقيقة.



وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: «تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ وَاتْلُوهُ، فَإِنَّ لَكُمْ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرَ حَسَنَاتٍ»[١]. وَفِي السُّنَنِ مِنْ هَذَا كَثِيرٌ.

الشَّرْحُ

هذا الحديث في فضائلِ القُرْآنِ مَوْقُوفٌ على عبدِالله بنِ مَسْعُودٍ، ولِلْحَدِيثِ طُرُقٌ أُخْرَى عن عبدِالله بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه وجاءَ في حَدِيثٍ آخَرَ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ بِسَنَدٍ لا بَأْسَ بِهِ عن عبدِالله بنِ مَسْعُودٍ أن النبي ﷺ قال: **«مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ الله فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ ﴿الٓمٓ﴾ حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ»**[٢]، فلَوْ أَتَى المُؤَلِّفُ بهذا كان أَوْلَى.

الشَّاهِدُ: أنه قال: «تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ» لَمْ يَقُلْ: تَعَلَّمُوا حِكَايَةَ القُرْآنِ، وفي الحَدِيثِ الآخَرِ: **«مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ الله»**. ولم يقل: عِبَارَةً مِنْ كَلَامِ الله.



(١) أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن (١/ ٤٦/ ٥٨).

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ما له من الأجر، برقم (٢٩١٠).

٣٨ ـ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: «فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِينَ أَنْ يَتَّقُوا اللهَ، وَيَتَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ، وَيَتَعَلَّمُوا أَحْكَامَهُ، فَيُحِلُّوا حَلَالَهُ وَيُحَرِّمُوا حَرَامَهُ، وَيَعْمَلُوا بِمُحْكَمِهِ، وَيُؤْمِنُوا بِمُتَشَابِهِهِ، وَلَا يُمَارُوا فِيهِ، وَيَعْلَمُوا أَنَّ كَلَامَ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ؛ فَإِنْ عَارَضَكُمْ إِنْسَانٌ جَهْمِيٌّ فَقَالَ: مَخْلُوقٌ. أَوْ قَالَ: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ، وَوَقَفَ، أَوْ قَالَ: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ، أَوْ قَالَ: هَذَا الْقُرْآنُ حِكَايَةٌ لِمَا فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، فَحُكْمُهُ أَنْ يُهْجَرَ وَلَا يُكَلَّمَ، وَلَا يُصَلَّى خَلْفَهُ، وَيُحَذَّرَ مِنْهُ، فَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ رَجَوْتُ لَهُ مِنَ اللهِ ﷻ كُلَّ خَيْرٍ»[1].

الشَّرْحُ

هَذِهِ نَصِيحَةٌ للإِمَام مُحَمَّدِ بنِ الحُسين الآجُرِّيِّ رَحِمَهُ اللهُ قال فيها: «فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِينَ أَنْ يَتَّقُوا اللهَ».

وتَقْوَى الله: تَوْحِيدُهُ، وإِخْلَاصُ الدِّينِ لَهُ، وأَدَاءُ الوَاجِبَاتِ، وتَرْكُ المُحَرَّمَاتِ، فينبغي للمُسْلِمِينَ أَنْ يُوَحِّدُوا الله ويُخْلِصُوا لَهُ العِبَادَةَ، ويَقُومُوا بحقه وأَمْرِهِ، ويمْتَثِلُوا أَمْرَهُ، ويَجْتَنِبُوا نَهْيَهُ، ويَقِفُوا عِنْدَ حُدُودِهِ، ويَسْتَقِيمُوا على دِينِهِ حتى يَنْصُرَهُمُ اللهُ، ويُؤَيِّدَهُمْ ويُثِيبَهُمْ في الدُّنْيَا والآخِرَةِ.

○ قوله: «وَيَتَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ، وَيَتَعَلَّمُوا أَحْكَامَهُ» أَيْضًا ينبغي للمسلمين أن يَتَعَلَّمُوا القُرْآنَ، فيَتَعَلَّمُوا اللَّفْظَ، ويَدْرُسُوه ويَتَعَبَّدُوا

---

(١) انظر: الشريعة للآجري: (١/ ٥٣٩).

بِتَلَاوَتِهِ، ثُمَّ يَتَعَلَّمُوا أَحْكَامَهُ الحَلَّالَ والحَرَامَ؛ «**فَيُحِلُّوا حَلَالَهُ وَيُحَرِّمُوا حَرَامَهُ، وَيَعْمَلُوا بِمُحْكَمِهِ**» ـ والمُحْكَمُ: الوَاضِحُ المَعْنَى ـ «**وَيُؤْمِنُوا بِمُتَشَابِهِهِ، ولا يُمَارُوا فِيهِ**» يَعْنِي: لا يُجَادِلُوا فِي القُرْآنِ، «**وَيَعْلَمُوا أَنَّ كَلَامَ الله غَيْرُ مَخْلُوقٍ**».

وهَذَا وَاجِبٌ على المُسْلِمِينَ، فقَدْ صَدَقَ رَحِمَهُ اللهُ ونَصَحَ.

○ قوله: «**فَإِنْ عَارَضَكُمْ إِنْسَانٌ جَهْمِيٌّ فَقَالَ: مَخْلُوقٌ، أَوْ قَالَ: الْقُرْآنُ كَلَامُ الله، وَوَقَفَ**». أي: تَوَقَّفَ فلَمْ يَقُلْ: مَخْلُوقٌ وَلَا غَيْرُ مَخْلُوقٍ.

○ قوله: «**أَوْ قَالَ: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ، أَوْ قَالَ: هَذَا الْقُرْآنُ حِكَايَةٌ لِمَا فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ**» فَهَذَا مُبْتَدِعٌ.

فهولاء الأَرْبَعَةُ كُلُّهُمْ مُبْتَدِعُونَ:

١- الذِي يقولُ: القرآنُ مَخْلُوقٌ، فَهَذَا مُبْتَدِعٌ.

٢- الذي يقول: كلامُ الله، ويتَوَقَّفُ مُبْتَدِعٌ.

٣- الذِي يَقُولُ: لَفْظِي بالقُرآنِ مخلوقٌ، مُبْتَدِعٌ.

٤- الذي يقولُ: القرآنُ حِكَايَةٌ لِمَا في اللَّوْحِ المَحْفُوظِ، مُبْتَدِعٌ.

كُلُّ هَؤلاءِ الأَرْبَعَةِ المبتدعة الحُكْمُ فيهم أنْ يُهْجَرُوا ولَا يُكَلَّمُوا، ولَا يُصَلَّى خَلْفَهم، ويُحَذَّرَ مِنْهُم؛ «**فَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ رَجَوْتُ لَهُ من الله ﷻ كُلَّ خَيْرٍ**».

❁ ❁ ❁



٣٩ ـ أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُعَدِّلُ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو عُمَرَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِالْوَاحِدِ اللُّغَوِيُّ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو عُمَرَ الْفَيَّاضِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ الْمُوَفَّقِ يَقُولُ: «كَانَ لِي جَارٌ مَجُوسِيٌّ اسْمُهُ شَهْرَنَارُ، فَكُنْتُ أَعْرِضُ عَلَيْهِ الإِسْلَامَ فَيَقُولُ: نَحْنُ عَلَى الْحَقِّ، فَمَاتَ عَلَى الْمَجُوسِيَّةِ فَرَأَيْتُهُ فِي النَّوْمِ فَقُلْتُ لَهُ: مَا الْخَبَرِ؟ قَالَ: نَحْنُ فِي قَعْرِ جَهَنَّمَ، قُلْتُ: تَحْتَكُمْ قَوْمٌ؟ قَالَ: نَعَمْ قَوْمٌ مِنْكُمْ. قَالَ: قُلْتُ: مِن أَيِّ الطَّوَائِفِ مِنَّا؟ قَالَ: الَّذِينَ يَقُولُونَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ»[1].

الشَّرْح

هَذِهِ الْقِصَّةُ رَوَاهَا اللَّالَكَائِيُّ في (شَرْحِ اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ)، وهَذِهِ رُؤْيَا مَنَام، وفيها أن عَلِيَّ بْنُ الْمُوَفَّقِ كَانَ لَهُ جَارٌ مَجُوسِيٌّ، وكَانَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ الإسلَامَ فيَأْبَى، فَلَمَّا ماتَ رَآهُ في النَّوْم، فَسَأَلَهُ عن حَالِهِ، وقال: إنَّهُ في قَعْرِ جَهَنَّمَ. فَسَأَلَهُ: هَلْ تَحْتَكُمْ أَحَدٌ أي: تَحْتَ القَعْرِ؛ لأنَّ النَّارَ دَرَكَاتٌ، فكُلُّ دَرَكَةٍ سُفْلَى أَشَدُّ عَذَابًا مِنَ الَّتِي فَوْقَهَا، والجَنَّةُ دَرَجَاتٌ، فكُلُّ دَرَجَةٍ عُلْيَا أَعْلَى نَعِيمًا مِنَ التي تَحْتَهَا.

فقال: «نَعَمْ، قَوْمٌ منكم» يعني: يا أَهْلَ الإِسْلَامِ. قال: «قلت: مِنْ أَيِّ الطَّوَائِفِ؟» قَالَ الَّذِي يَقُولُ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ.

---

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول السنة (٢/ ٤٠٥/ ٦٢٧).

عَلَى كُلِّ حَالٍ؛ الله أعلم بصحة هذه القصة، ولَا حَاجَةَ إِلَيْهَا؛ فالأَدِلَّةُ والآثَارُ عنِ السَّلَفِ كَافِيَةٌ في هَذَا، ولكن هذا من باب الاسْتِئْنَاسِ بها.



٤٠ ـ وَأَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ الْحِمَامِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ الصَّوَّافِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو الْوَرَّاقُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي الْعَوَّامِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: «كَانَ لَنَا جَارٌ فَافْتَقَرَ، فَبَاعَ مَنْزِلَهُ، فَنَزَلَ فِي سِرْدَابِ الدَّارِ يُفَتِّشُ وَيُسَلِّمُ عَلَى الْعُمَّارِ، ويقول: أنا مُتَحَوِّلٌ. فَقَالُوا لَهُ: وَنَحْنُ أَيْضًا هُوَ ذَا نَتَحَوَّلُ. قَالَ: فَقُلْتُ لَهُمْ: أَنَا افْتَقَرْتُ، أَنْتُمْ مَا لَكُمْ؟ قَالُوا: اشْتَرَى دَارَكَ مَنْ يَقُولُ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ. وَنَحْنُ لَا نُسَاكِنُ مَنْ يَقُولُ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ»[1].

الشَّرْحُ

هَذِهِ القِصَّةُ رَوَاهَا ابنُ بَطَّةَ في (الإبانة)، وفِيهَا أَنَّ أَبَا العَوَّامِ قال: «كانَ لَهُ جَارٌ فافْتَقَرَ» وَاحْتَاجَ إِلَى أَنْ يَبِيعَ مَنْزِلَهُ ونزلَ في أَسْفَلَ، وقال: «أَنَا مُتَحَوِّلٌ» فَوَجَدَهُمْ أَيْضًا يَقُولُونَ: نَحْنُ أَيْضًا نُرِيدُ أَنْ نَتَحَوَّلَ نَنْتَقِلَ، فَقَالَ: أَنَا عُذْرِي أَنِّي فَقِيرٌ، فَأَنْتُمْ مَا لَكُمْ؟ قالوا: اشْتَرَى الدَّارَ الَّتِي بِعْتَهَا رَجُلٌ يَقُولُ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ. وَنَحْنُ لَا نُسَاكِنُهُ، فَلِذَلِكَ انْتَقَلْنَا عَنْهَا.

وهَذَا فِيهِ: بَيَانُ أَنَّ أَهْلَ الحَقِّ يَبْتَعِدُونَ عَنْ أَهْلِ البِدَعِ، ولا يُسَاكِنُونَهُمْ.

وعَلَى كُلِّ حَالٍ؛ هَذِهِ القِصَّةُ من بابِ الاسْتِئْنَاسِ، ولَيْسَتْ حَدِيثًا ولا أَثَرًا.

---

(١) أخرجه ابن بطة في الإبانة (٦/١١٨/٣٨٢).

٤١ ـ أَخْبَرَنَا الْقَاضِي أَبُو عَلِيٍّ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي مُوسَى الْهَاشِمِيُّ الْحَنْبَلِيُّ ﷺ قَالَ: أَمْلَى عَلَيْنَا الشَّيْخُ أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الآجُرِّيُّ الْمُقْرِئُ مِنْ حِفْظِهِ يَوْمَ الْخَمِيسِ السَّادِسِ مِنَ الْمُحَرَّمِ سَنَةَ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِ مِائَةٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عِمْرَانَ بْنِ مُوسَى الشَّاهِدُ، قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ حَفْصُ بْنُ أَحْمَدَ السَّرَاوِيلِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُوسَى مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى الزَّمِنُ عَلَى مِنْبَرِهِ بِسُرَّ مَنْ رَأَى، قَالَ: «كَانَ لِي صَدِيقٌ مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ، فَنَاظَرَهُ رَجُلٌ فِي خَلْقِ الْقُرْآنِ، فَقَالَ لَهُ صَدِيقِي: إِنْ لَمْ يَكُنِ الْقُرْآنُ مَخْلُوقًا فَمَحَاهُ اللهُ مِنْ صَدْرِي. قَالَ: فَمَحَاهُ اللهُ مِنْ صَدْرِهِ. فَبَلَغَنِي فَلَمْ أُصَدِّقْ حَتَّى مَضَيْتُ إِلَيْهِ فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لِي: هُوَ كَمَا بَلَغَكَ. فَقُلْتُ لَهُ: أَمَا تَقْرَأُ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْئًا؟ فَقَالَ لِي: لَا إِلَّا فَاتِحَةَ الْكِتَابِ، إِذَا تُلِيَتْ بِحَضْرَتِي عَرَفْتُهَا»[١].

الشرح

هَذِهِ الْقِصَّةُ فِيهَا أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ الْمُثَنَّى أَخْبَرَ أَنَّ لَهُ صَدِيقًا مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ نَاظَرَهُ رَجُلٌ فِي خَلْقِ الْقُرْآنِ، فَقَالَ لَهُ صَدِيقُهُ: إِنْ لَمْ يَكُنِ الْقُرْآنُ مَخْلُوقًا فَمَحَاهُ اللهُ مِنْ صَدْرِي. فَعُوقِبَ ومَحَا اللهُ الْقُرْآنَ مِنْ صَدْرِهِ. فَبَلَغَه الخبر فَلَمْ يُصَدِّقْ حَتَّى مَضَى إِلَيْهِ وَسَأَلَهُ، فَقَالَ: أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قَالَ: لَا، قد مَحَاهُ اللهُ مِنْ صَدْرِي إِلَّا فَاتِحَةَ الْكِتَابِ،

---

(١) أخرج هذه القصة الآجري في الشريعة (١/ ٥٤٩)، وابن بطة في الإبانة (٦/ ١١٥/ ٣٧٥).

وأَيْضًا لَا يَحْفَظُهَا إِلَّا إِذَا تُلَيَتْ فِي حَضْرَتِهِ ـ نَسْأَلُ الله السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ ـ.

والقِصَّةُ رواهَا الآجُرِّيُّ في (الشريعة) فقال:

حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُاللهِ بْنُ الْعَبَّاسِ الطَّيَالِسِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا بُنْدَارٌ مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْوَاسِطِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُوسَى مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى قَالَ: «كُنَّا نَقْرَأُ عَلَى شَيْخٍ ضَرِيرٍ بِالْبَصْرَةِ، فَلَمَّا أَحْدَثُوا بِبَغْدَادَ الْقَوْلَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ قَالَ الشَّيْخُ: إِنْ لَمْ يَكُنِ الْقُرْآنُ مَخْلُوقًا، فَمَحَا اللهُ الْقُرْآنَ مِنْ صَدْرِي. قَالَ: فَلَمَّا سَمِعْنَا هَذَا مِنْ قَوْلِهِ تَرَكْنَاهُ وَانْصَرَفْنَا عَنْهُ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ مُدَّةٍ لَقِينَاهُ، فَقُلْنَا: يَا فُلَانُ مَا فَعَلَ الْقُرْآنُ؟ قَالَ: مَا بَقِيَ فِي صَدْرِي مِنْهُ شَيْءٌ، قُلْنَا: وَلَا ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١]، قَالَ: وَلَا ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ إِلَّا أَنْ أَسْمَعَهَا مِنْ غَيْرِي يَقْرَأُهَا».

وعلى كُلِّ حَال، فاللهُ أَعْلَمُ بِصِحَّة هذه القصة، ولكنْ تورد من بابِ الاسْتِئْنَاسِ.



٤٢ ـ أَخْبَرَنِي هِلَالُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَفَّارُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُاللهِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْقَاضِي، قال: حَدَّثَنَا الحَسَنُ بْنُ رَشِيقٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ زَبَّانَ، قَالَ: حَدَّثَنِي بَعْضُ إِخْوَانِنَا، قَالَ: كُنْتُ فِي مَسْجِدِ الْأَقْدَامِ وَإِلَى جَانِبِي إِنْسَانٌ، فَأَنِسْتُ بِهِ وَأَنِسَ بِي فَتَحَدَّثْنَا فَقَالَ لِي: أَلَا أُحَدِّثُكَ بِعَجَبٍ، قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: كُنْتُ بِالْمَوْصِلِ وإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ شَابٌّ قَاعِدٍ لَيْسَ فِي فَمِهِ سِنٌّ ولا ضِرْسٌ، فَعَجِبْتُ مِنْ ذَلِكَ، فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ: لَمْ يَأْتِ عَلَيْكَ مِنَ السِّنِّ مَا يُذْهِبُ أَسْنَانَكَ وَأَضْرَاسَكَ فَحَدِّثْنِي بِشَأْنِكَ.

فَقَالَ: كَانَتْ لِي قِصَّةٌ عَجِيبَةٌ، كُنْتُ أَنَا وَأَبِي مِمَّنْ يَقُولُ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، فَنَاظَرْتُ أَبِي لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي، فَلَمْ نَزَلْ نَتَنَاظَرُ وَنَتَجَادَلُ حَتَّى اتَّفَقْنَا جَمِيعًا عَلَى أَنَّهُ مَخْلُوقٌ، ثُمَّ قَامَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا إِلَى فِرَاشِهِ فَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذ رَأَيْتُ كَأَنَّهُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَأَنَا رَائِحٌ إِلَى الْجُمْعَةِ حَتَّى أَتَيْتُ بَابَ الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ، فَإِذَا عَلَيْهِ رَجُلٌ فَطَرَدَنِي عَنِ الدُّخُولِ وَطَرَدَ غَيْرِي، وَلَمْ يَتْرُكْنَا نَدْخُلُ فَقُلْتُ لِرَجُلٍ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَلَمْ أَزَلْ أَتحَيَّنُ غَفْلَتَهُ حَتَّى وَجَدْتُهَا فَظَفَرْتُ فَدَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَقَامَ إِلَيَّ رَجُلَانِ فَأَخَذَا بِضَبْعَيَّ ثُمّ سَاقَانِي إِلَى الْمَقْصُورَةِ فَأَدْخَلَانِي عَلَى رَجُلٍ قَاعِدٍ فِيهَا كَأَنَّهُ الْبَدْرُ حُسْنًا وَجَمَالًا، وَعَنْ يَمِينِهِ شَيْخٌ، وَعَنْ يَسَارِهِ شَيْخٌ، فَإِذَا هُوَ النَّبِيُّ ﷺ وَالشَّيْخَانِ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ.

فَقَالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ: أَنْتَ ـ وَيْلَكَ ـ الَّذِي تَقُولُ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ. فَرُعْتُ فَلَمْ أَجِدْ جَوَابًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: قُمْ يَا عُمَرُ فَجَأْ فَكَّهُ، فَقَامَ إِلَيَّ عُمَرُ فَضَرَبَ فِي فَمِي بِيَدِهِ، فَمَا بَقِيَ فِي فَمِي سِنٌّ وَلَا ضِرْسٌ إِلَّا

سَقَطَ فِي فِرَاشِي، فَانْتَبَهْتُ وَأَنَا غَرِيقٌ بِالدِّمَاءِ فَصِحْتُ صَيْحَةً هَائِلَةً، فَقَامَ أَبِي وَأَهْلُ بَيْتِي فَزِعِينَ مِنْ صَيْحَتِي مُبَادِرِينَ إِلَيَّ، فَقُلْتُ لِأَبِي: بَقِيَ شَيْءٌ؟ هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلامَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فَفَعَلَهُ بِي، فَأَنَا تَائِبٌ إِلَى اللهِ وَإِلَى رَسُولِهِ مِمَّا كُنْتُ قُلْتُهُ، فَقَالَ أَبِي مِثْلَ ذَلِكَ، وَلَمْ يَتُبْ مِنْ أَهْلِ الْمَوْصِلِ مِنْ هَذِهِ الْمَقَالَةِ أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرَ أَبِي، فَهَذَا مَا كَانَ مِنْ خَبَرِ سُقُوطِ أَسْنَانِي وَأَضْرَاسِي.

الشَّرْحُ

هَذِهِ القِصَّةُ رُؤْيَا مَنَامِيَّة، فيها أنَّ هَذَا الرَّجُلَ وَأَبَاهُ كَانَا يَقُولَانِ بِخَلْقِ القُرْآنِ ويَتَجَادَلَانِ، ثُمَّ حَصَلَتْ لَهُمْ هَذِهِ الرُّؤْيَا، وأَنَّهُ رَأَى أَنَّهُ أُدْخِلَ على النَّبِيِّ ﷺ، وأَنَّهُ أَمَرَ عُمَرَ رضي الله عنه بأنْ يَضْرِبَهُ، فَضَرَبَ فَكَّهُ فَتَسَاقَطَتْ أَضْرَاسُهُ، وانْتَبَهَ وهُوَ غَرِيقٌ بالدِّمَاءِ.

وعَلَى كُلِّ حَالٍ؛ فهَذِهِ رُؤْيَا مَنَامِيَّةٌ لَا يُعْتَمَدُ عَلَيْهَا.

وَلَوْ أن المؤلفُ تَرَكَ هَذِهِ القِصَصَ كَانَ أَوْلَى، فهذه القِصَّةُ في سَنَدِهَا من هُوَ مُبْهَمٌ، والحديث الذي في سنده مُبْهَمٌ ضَعِيفٌ، فهَذِهِ القِصَّةُ فيها ضَعْفٌ، ولكن أتى بها المؤلِّفُ من باب الاسْتِئْنَاسِ.

وفيها أيضا نَكَارَةٌ من جِهَةِ قوله: «تَائِبٌ إلى الله وإِلَى رَسُولِهِ»؛ فإن الرَّسُولُ ﷺ يُتَابُ إِلَيْهِ في حَيَاتِه، مِثْلُ ما قَالَتْ عائشةُ رضي الله عنها كما في الصحيح، لما دخل عليها رسول الله ﷺ وعَلَى البَابِ سِتْرٌ فِيهِ صُورَةٌ فامْتَنَعَ من الدُّخُولِ فقالت عائشة: «**أَتُوبُ إِلَى اللهِ وَإِلَى رَسُولِهِ**»[1]. فالتوبة إلى الله من مَعْصِيته، والتوبة إلى الرسولِ ﷺ مِمَّا

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب البيوع، باب التجارة فيما يكره لبسه للرجال والنساء، رقم (٢١٠٥)، ومسلم: كتاب اللباس والزينة، رقم (٢١٠٧).

أَخْطَأْت في حَقِّه.

أما بعدَ وفاتِهِ فلا يقالُ: أَتُوبُ إلى رسولِ الله. بل يقال: أتُوبُ إلى الله.



٤٣ ـ وَقَالَ أَبُو أَحْمَدَ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي مُسْلِمٍ: نَقَلْتُ هَذَا مِنْ كِتَابِ عُبَيْدِ اللهِ النَّحْوِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ عُلْوَانَ الْمُقْرِئُ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو حَمْدُونٍ الْمُقْرِئُ، قَالَ: لَمَّا هَاجَ النَّاسُ فِي اللَّفْظِ بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ، وَأَمْرِ حُسَيْنٍ الْكَرَابِيسِيِّ فِي ذَلِكَ، كُنْتُ أُقْرِئُ بِالْكَرْخِ، فَأَتَانِي رَجُلٌ فَجَعَلَ يُنَاظِرُنِي وَيَقُولُ: وَإِنَّمَا أُرِيدُ: لَفْظِي مَخْلُوقٌ، وَالْقُرْآنُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ. قَالَ: فَشَكَّكَنِي، فَدَعَوْتُ اللهَ ﷻ بِالْفَرَجِ، فَلَمَّا كَانَ بِاللَّيْلِ نِمْتُ فَرَأَيْتُ كَأَنِّي فِي صَحْرَاءَ وَاسِعَةٍ فِيهَا سَرِيرٌ عَلَيْهِ نَضَدٌ فَوْقَهُ شَيْخٌ مَا رَأَيْتُ أَحْسَنَ وَجْهًا مِنْهُ، وَلَا أَنْقَى ثَوْبًا مِنْهُ، وَلَا أَطْيَبَ رَائِحَةً، وَإِذَا النَّاسُ قِيَامٌ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ يَسَارِهِ؛ إِذْ جِيءَ بِالرَّجُلِ الَّذِي كَانَ يُنَاظِرُنِي فَأُوقِفَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَجِيءَ بِصُورَةٍ في سُوسَنْجِرْدَ، فَقَالَ: هَذِهِ صُورَةُ مَانِي الَّذِي أَضَلَّ النَّاسَ، فَوُضِعَتْ عَلَى قَفَا الرَّجُلِ، فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ: اضْرِبُوا وَجْهَ مَانِي، فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ الصُّورَةَ وَالرَّجُلُ يَسْتَغِيثُ، فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ: إِنَّمَا نُرِيدُ الصُّورَةَ لَيْسَ نُرِيدُكَ. قَالَ: فَنَحِّهَا عَنْ قَفَايَ وَاضْرِبْ بِهِ كَيْفَ شِئْتَ. قَالَ: وَأَنْتَ أَيْضًا فَنَحِّ لَفْظَكَ عَنِ الْقُرْآنِ، وَقُلْ فِي لَفْظِكَ مَا شِئْتَ. قَالَ: فَانْتَبَهْتُ وَقَدْ سُرِّيَ عَنِّي[1].

الشَّرْح

○ قوله: «سُوسَنْجِرْدُ» نوعٌ من الفُرُشِ يُصْنَعُ في الأَهْوَازِ.

---

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول السنة (٢/٣٩٨/٦١٤).

ـ وهذه صورة مَانِي بْن فَاتِكٍ الحَكِيم الذِي ظَهَرَ فِي زَمَانِ سَابُورَ بْنِ الْأَرْدَشِير، وقَتَلَهُ البَهْرَامُ بْنُ هُرمز بن سَابُور، وذلكَ بعدَ عِيسى عليه السلام أَحْدَثَ دِينًا بَيْنَ المَجُوسِيَّةِ والنَّصْرَانِيَّةِ، جُعِلَتْ صُورَةُ مَانِي بنِ فَاتكَ الحَكِيم على ظهر هذا الرجل، وهَذَا نَوْع من الفُرُشِ وجُعِلَتْ في قَفَاهُ، وجَعَلَ يضربُ الصُّورَةَ وهِي على قَفَاه.

وهَذِهِ القِصَّةُ رَوَاهَا اللَّالَكَائِيُّ في (شَرْحِ الاعْتِقَادِ)، وهي قِصَّةٌ مَنَامِيَّةٌ أيضا، وكَانَ الأَوْلَى بالمؤلِّفِ رحمه الله أن يُنَزِّهَ كِتَابَهُ عن مِثْلِ هَذِهِ القِصَصِ، ولكن كما سَبَقَ عُذْرُهُ أَنَّهُ يَنْقُلُهَا عن غَيْرِهِ ويُذكرُهَا بالسَّنَدِ.



٤٤ ـ أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عُبَيْدُ اللهِ الْأَزْهَرِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عُمَرُ بْنُ أَحْمَدَ الْوَاعِظُ، قَالَ: حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ خَلَفٍ الْقُرَشِيُّ بِمِصْرَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ وَهْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمِّي، قَالَ: حَدَّثَنَا الْمَاضِي بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ جُوَيْبِرٍ، عَنِ الضَّحَّاكِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّ اللهَ ﷻ نَاجَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامَ بِمِائَةِ أَلْفِ كَلِمَةٍ وَأَرْبَعِينَ أَلْفَ كَلِمَةٍ، فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَصَايَا كُلِّهَا، فَلَمَّا سَمِعَ مُوسَى كَلَامَ الْآدَمِيِّينَ مَقَتَهُمْ مِمَّا وَقَعَ فِي مَسَامِعِهِ مِنْ كَلَامِ الرَّبِّ ـ تَعَالَى ـ»(١).

الشَّرح

هَذَا الحَدِيثُ رواهُ الطَّبَرَانِيُّ في (الكَبِيرِ)، والآجُرِّيُّ في (الشَّرِيعَةِ)، وقالَ الحافظُ ابنُ كَثِيرٍ في (تفسيره) بعد أن ذكر الحديث: «وَهَذَا أَيْضًا إِسْنَادٌ ضَعِيفٌ، فَإِنَّ جُوَيْبِرًا ضَعِيفٌ، والضَّحاكَ لَمْ يُدْرِكِ ابنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما»(٢). فالحديث فيه علتان:

الأولى: فِيهِ جُوَيْبِرٌ، وهو ضَعِيفٌ جِدًّا.

الثانية: الانْقِطَاعُ بينَ الضَّحَّاكِ وابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما.

وفيه: «أَنَّ الله ﷻ نَاجَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامَ بِمِائَةِ أَلْفِ كَلِمَةٍ وَأَرْبَعِينَ أَلْفَ كَلِمَةٍ». الله فأعلم.

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير: (١٢/ ١٢٠/ ١٢٦٥٠)، وابن بطة في الإبانة (٦/ ٣١٤/ ٤٨١).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٤٧٤).

○ قوله: «فَلَمَّا سَمِعَ مُوسَى كَلَامَ الْآدَمِيِّينَ مَقَتَهُمْ» يَعْنِي: أَبْغَضَ كَلَامَ الآدَمِيِّينَ بعدَ أَنْ سَمِعَ كَلَامَ الله، مما وَقَعَ في مَسَامِعِهِ من كَلَامِ الله، وسَمِعَ شيئًا من كَلَامِ الله.

وعلى كُلِّ حَالٍ هَذَا الحَدِيثُ ضَعِيفٌ لا يُعَوَّلُ عَلَيْهِ.



٤٥ ـ أَخْبَرَنَا أَبُو الْفَتْحِ الْحَافِظُ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ سَالِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو حَفْصٍ الْجَوْهَرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا صَالِحُ بْنُ أَحْمَدَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: سَمِعْتُ عَبْدَالرَّحْمَنِ بْنَ مَهْدِيٍّ، وَذُكِرَ عِنْدَهُ الْمِرِّيسِيُّ فَقَالَ: «مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللهَ ـ تَعَالَى ـ لَمْ يُكَلِّمْ مُوسَى فَهُوَ كَافِرٌ يُسْتَتَابُ، فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا ضُرِبَتْ عُنُقُهُ»[1].

الشَّرْحُ

هَذَا الأَثَرُ رَوَاهُ اللَّالَكَائِيُّ في (شَرْحِ الاعْتِقَادِ)، وهذا المَقَالُ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ، الإمَامِ المَعْرُوفِ المُحَدِّثِ النَّقَّادِ، لما ذُكِرَ عِنْدَهُ بِشْرٌ المِرِّيسِيُّ، ـ وبِشْرٌ المِرِّيسِيُّ جَهْمِيٌّ يقولُ: القرآنُ مَخْلُوقٌ ـ.

قَالَ الإمامُ عَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ: «مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللهَ لَمْ يُكَلِّمْ مُوسَى فَهُوَ كَافِرٌ يُسْتَتَابُ، فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا ضُرِبَتْ عُنُقُهُ» لِكُفْرِهِ وَضَلَالِهِ، والَّذِي يَسْتَتِيبُهُ هُوَ الحَاكِمُ الشَّرْعِيُّ، فيُحَالُ إلى مَحْكَمَةٍ، ويُسْتَتَابُ فإنْ تَابَ وإلَّا قُتِلَ.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول السنة (٢/ ٣٤٩/ ٥٠٥)، وابن بطة في الإبانة (٦/ ٣١٨/ ٤٨٨).

فَصْلٌ

٤٦ ـ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ ﷺ فِي رِوَايَةِ عَبْدِاللهِ: مَنْ قَالَ التِّلَاوَةُ مَخْلُوقَةٌ، وَأَلْفَاظُنَا بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقَةٌ، وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ؟ قَالَ: «هَذَا كَافِرٌ، وَهُوَ فَوْقَ الْمُبْتَدِعِ، وَهَذَا كَلَامُ الْجَهْمِيَّةِ»[1].

وَقَالَ فِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ: «يُجَانَبُ، وَهُوَ فَوْقَ الْمُبْتَدِعِ، وَمَا أُرَاهُ إِلَّا جَهْمِيًّا»[2].

وَقَالَ فِي رِوَايَةِ يَعْقُوبَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الدَّوْرَقِيِّ: «فِيمَنْ زَعَمَ أَنَّ لَفْظَهُ بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ فَهُوَ عِنْدِي أَشَرُّ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ، مَنْ زَعَمَ هَذَا فَقَدْ زَعَمَ أَنَّ جِبْرِيلَ جَاءَ بِمَخْلُوقٍ، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَكَلَّمَ بِمَخْلُوقٍ، الْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ عَلَى كُلِّ جِهَةٍ، وَكُلِّ وَجْهٍ تَصَرَّفَ، قَالَ اللهُ ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وَلَمْ يَقُلْ: حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَكَ يَا مُحَمَّدُ، وَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامَ: «صَلَاتُنَا هَذِهِ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ»[3]. وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «حَتَّى أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي»[4]. هَذَا قَوْلُ جَهْمٍ، عَلَى مَنْ جَاءَ بِهَذَا

---

(١) أخرجه عبدالله بن أحمد في السنة (١/ ١٦٣/ ١٧٨)، وابن بطة في الإبانة (٥/ ٣٤٢/ ١٤٩).

(٢) أخرجه أبو داود في مسائله (١/ ٣٥٦/ ١٧١٠).

(٣) أخرجه مسلم: كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةَ، رقم (٥٣٧).

(٤) أخرجه أبو داود: كتاب السنة، بَابٌ فِي الْقُرْآنِ، رقم (٤٧٣٤)، والترمذي: فضائل القرآن، رقم (٢٩٢٥) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وابن ماجه: المقدمة، بَابٌ فِيمَا أَنْكَرَتِ الْجَهْمِيَّةُ، رقم (٢٠١).

غَضَبُ اللهِ».

الشَّرْحُ

هَذَا الفَصْلُ نَقَلَ فِيهِ عَنِ الإمام أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللهُ في رِوَايَةِ عبدِ الله قَوله فيمن قال التِّلَاوَةُ مَخْلُوقَةٌ، وَأَلْفَاظُنَا بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقَةٌ، فقال رَحِمَهُ اللهُ: «**هَذَا كَافِرٌ، وَهُوَ فَوْقَ الْمُبْتَدِعِ، وَهَذَا كَلَامُ الْجَهْمِيَّةِ**».

وذلك لأَنَّ التِّلَاوَةَ قد يُرَادُ بِهَا المَتْلُوُّ؛ وكذا اللَّفْظَ قد يُرَادُ بِهِ المَلْفُوظُ، والمَلْفُوظُ هُوَ القُرْآنُ، فلذلك يكون هذا من أقوالِ أَهْلِ البِدَعِ.

وكذلك مَنْ قَالَ: غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مُبْتَدِعٌ أيضا؛ لأنَّ الملفُوظَ قد يُرَادُ به اللَّفْظُ أيضا، والمَتْلُوُّ قد يُرَادُ بِهِ التِّلَاوَةُ، فالواجِبُ على الإنسانِ أن يقولَ: القُرْآنُ كلامُ الله مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ. ولَا يُفَسِّرُ ولَا يَقُولُ التِّلَاوَةُ مَخْلُوقَةٌ والألفاظُ مَخْلُوقَةٌ.

○ قوله: «**وَهَذَا كَلَامُ الجَهْمِيَّةِ**» أي: الَّذِينَ يَقُولُونَ: أَلْفَاظُنَا بالقُرْآنِ مَخْلُوقَةٌ.

○ قوله: «**فِيمَنْ زَعَمَ أَنَّ لَفْظَهُ بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ فَهُوَ عِنْدِي أَشَرُّ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ**»؛ لأَنَّ الجَهْمِيَّةَ قَالُوا: القُرْآنُ مَخْلُوقٌ، وَسَكَتُوا، وهَذَا يُفَصِّلُ ويُشَكِّكُ.

○ قوله: «**مَنْ زَعَمَ هَذَا فَقَدْ زَعَمَ أَنَّ جِبْرِيلَ جَاءَ بِمَخْلُوقٍ، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَكَلَّمَ بِمَخْلُوقٍ، القرآنُ كَلَامُ الله غيرُ مَخْلُوقٍ على كُلِّ جِهَةٍ وكُلِّ وَجْهٍ تَصَرَّفَ**» يعني: إِنْ قَرَأَهُ القَارِئُ فَهُوَ كَلَامُ الله، وإِنْ كَتَبَهُ الكَاتِبُ فالمكتُوبُ كَلَامُ الله، وإن سَمِعَهُ السَّامِعُ فالمسموعُ كَلَامُ الله، وإن حَفِظَهُ الحَافِظُ فالمَحْفُوظُ كَلَامُ اللهِ، عَلَى أَيِّ جِهَةٍ صُرِفَ فَهُو

كَلَامُ الله.

ثُمَّ اسْتَدَلَّ بالنصوص، «قالَ اللهُ ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]»، وَجْهُ الدَّلَالَةِ قَالَ: «قَالَ اللهُ ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]»، وَلَمْ يَقُلْ: حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَكَ يَا مُحَمَّدُ.

○ قوله: «وَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلامَ: «**صَلَاتُنَا هَذِهِ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ**» هَذَا جُزْءٌ مِنْ حَدِيثٍ رَواهُ الإمامُ مسلمٌ وغَيْرُهُ من حَدِيثِ مُعَاوِيَةَ بنِ الحَكَمِ السُّلَمِيِّ لمَّا قدم المدينة وجَاءَ إلى مسجد النبي ﷺ ـ وكانوا في أَوَّلِ الإِسْلَامِ يَتَكَلَّمُونَ في الصَّلَاةِ، ثُمَّ نُسِخَ هَذَا، لكن مُعَاوِيَةُ لم يكن قد عَلِمَ بالنَّسْخِ ـ فبينما هو في الصلاة إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فقال له: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَرَمَاه الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ فقال: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ، مَا شَأْنُكُمْ؟ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ، فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، الصَّحَابَةُ يُسَكِّتُونَهُ ثُمَّ بَعْدَ ذلِكَ أَخْبَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ قال: «**إِنَّ صَلَاتَنَا هَذِهِ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالذِّكْرُ**».

وَوجْهُ الدَّلَالَةِ: أَنَّ القرآنَ ليسَ من كَلامِ النَّاسِ، بل هُوَ كلامُ الله.

○ قوله: «وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**حَتَّى أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي**» هذا رواهُ أَبُو دَاوُدَ والترمذي وابن ماجه.

○ قوله: «**هَذَا قَوْلُ جَهْمٍ، عَلَى مَنْ جَاءَ بِهَذَا غَضَبُ الله**» يعني: مَنْ قالَ: القرآنُ كَلامٌ مَخْلُوقٌ، أو أنه مِنْ كَلَامِ النَّاسِ فَهَذَا قولُ جَهْمٍ، وعَلَى مَنْ قَالَ هَذَا الكلامَ غَضَبُ الله.

❁ ❁ ❁

٤٧ ـ فَقَدْ نَصَّ أَحْمَدُ فِي هَذِهِ الرِّوَايَاتِ وَغَيْرِهَا عَلَى أَنَّ التِّلَاوَةَ هِيَ الْقُرْآنُ، وَأَنَّهَا غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ خِلَافًا لِلْأَشْعَرِيَّةِ فِي قَوْلِهِمْ: التِّلَاوَةُ غَيْرُ الْمَتْلُوِّ وَالْقِرَاءَةُ غَيْرُ الْمَقْرُوءِ، وَأَنَّ التِّلَاوَةَ وَالْقِرَاءَةَ مَخْلُوقَةٌ، وَالْمَقْرُوءُ وَالْمَتْلُوُّ غَيْرُ مَخْلُوقٍ.

وَدَلِيلُنَا قَوْلُ اللهِ ﷻ إِخْبَارًا عَنْ قُرَيْشٍ: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾ [المدثر: ٢٥-٢٦]، فَوَعَدَهُمْ بِالنَّارِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّهَا إِشَارَاتٌ بِهَذَا الْقَوْلِ إِلَى التِّلَاوَاتِ الَّتِي سَمِعُوهَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ فَدَلَّ عَلَى أَنَّهَا لَيْسَتْ بِقَوْلِ الْبَشَرِ.

وَرَوَى جَابِرُ بْنُ عَبْدِاللهِ قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَى النَّاسِ بِالْمَوْقِفِ فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ رَجُلٍ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ، فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي»(١). وَعِنْدَ مُخَالِفِنَا إِنْ كَانَ يُبَلِّغُ قِرَاءَةَ كَلَامِ اللهِ، وَتِلَاوَتَهُ، فَأَمَّا أَنْ يُبَلِّغَ كَلَامَهُ فَلَا.

وَرَوَى عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَفْوَاهَكُمْ طُرُقٌ لِلْقُرْآنِ فَطَهِّرُوهَا بِالسِّوَاكِ»(٢). وَعِنْدَ مُخَالِفِنَا هِيَ طُرُقٌ لِلْقِرَاءَاتِ وَالتِّلَاوَاتِ وَلَيْسَتْ بِطُرُقٍ لِلْقُرْآنِ.

وَأَيْضًا لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ ـ تَعَالَى ـ: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾﴾ [الروم: ١-٢]، إِلَى آخِرِ الآيَتَيْنِ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ـ رضوانُ الله عَلَيْهِ ـ فَقَرَأَهَا رَافِعًا بِهَا صَوْتَهُ فَقَالَ لَهُ مُشْرِكُو مَكَّةَ: مَا هَذَا يَا ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه ابن ماجه: كتاب الطهارة، بَابُ السِّوَاكِ، رقم (٢٩١).

لَعَلَّهُ مِمَّا يَأْتِي بِهِ صَاحِبُكَ، فَقَالَ: «لَا وَلَكِنَّهُ كَلَامُ اللهُ وَقَوْلُهُ»[(١)].

وَهَذَا إِجْمَاعٌ مِنْهُمْ وَمِنَّا فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، فَيَجِبُ أَلَّا يُلْتَفَتَ إِلَي خِلَافٍ حَدَثَ بَعْدَهُ، وَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ كُلَّ مَنْ سَمِعَ قِرَاءَةَ الْقَارِئِ، قَالَ: هَذَا كَلَامُ اللهِ.

وَأَيْضًا فَإِنَّ سَامِعَ الْقِرَاءَةِ هُوَ سَامِعُ الْقُرْآنِ؛ قَالَ اللهُ ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، وَقَالَ: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وَلِأَنَّ الْعَرَبَ تُسَمِّي الْقِرَاءَةَ قُرْآنًا، قَالَ الشَّاعِرُ فِي عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ:

ضَحَّوْا بِأَشْمَطَ عُنْوَانُ السُّجُودِ بِهِ يَقْطَعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحًا وَقُرْآنَا

أَيْ: تَسْبِيحًا وقِرَاءَةً.

وقال أَبُو عُبَيْدَةَ: يُقَالُ: قَرَأْتُ قِرَاءَةً وقُرْآنًا بِمَعْنًى وَاحِدٍ، فَجَعَلَهُمَا مَصْدَرَيْنِ لِقَرَأْتُ.

وَقَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾ [الإسراء: ٧٨]، أَيْ: قِرَاءَةَ الْفَجْرِ، وَإِلَّا فَلَيْسَ لَهُ قُرْآنٌ مُعَيَّنٌ، وإِذَا كَانَتِ الْقِرَاءَةُ هِيَ الْقُرْآنَ فَمَنْ قَالَ: الْقِرَاءَةُ مَخْلُوقَةٌ. فَقَدْ قَالَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ.

وَأَيْضًا فَإِنَّ مَعْنَى الْقَدِيم ثَابِتٌ فِي التِّلَاوَةِ بِدَلِيلِ قِيَامِ الْمُعْجِزِ، وَثُبُوتِ الْحُرْمَةِ، وَالْعَجْزِ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ.

وَلَوْ حَلَفَ: لَا تَكَلَّمْتُ، فَقَرَأَ، لَمْ يَحْنَثْ، وَلَوْ كَانَتْ تِلَاوَتُهُ وَقِرَاءَتُهُ كَلَامَهُ لَحَنِثَ كَمَا يَحْنَثُ بِغَيْرِهِ مِنَ الْكَلَامِ.

الشَّرْح

هَذَا الفَصْلُ بَيَّنَ فِيهِ المؤلفُ ؒ أَنَّهُ لا يجوزُ للإنْسَانِ أَنْ يُفَصِّلَ

(١) أخرجه ابن خزيمة في التوحيد: (١/ ٤٠٤).

ويقولُ: التِّلَاوَةُ مَخْلُوقَةٌ، وَأَلْفَاظُنَا بالقُرْآنِ مَخْلُوقَةٌ؛ لأَنَّ هَذَا مُبْتَدَعٌ لِأَمْرَيْنِ:

الأَمْرُ الأَوَّلِ: أَنَّ هَذَا بِدْعَةٌ.

الأمرُ الثَّانِي: أَنَّ التِّلَاوَةَ قَدْ يُرَادُ بِهَا المَتْلُوُّ، والمَتْلُوُّ هُوَ كَلَامُ الله، والألفاظ يُرَادُ بِهَا الملفوظُ، والملفوظُ هُوَ كلام الله؛ ولهذا قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ في رواية عبدالله «**من قال: التِّلَاوَةُ مَخْلُوقَةٌ، وَأَلْفَاظُنَا بالقُرْآنِ مَخْلُوقَةٌ، والقُرْآنُ كلامُ الله ليس بمَخْلُوقٍ؛ فَهُوَ كَافِرٌ، وهُوَ فَوْقَ المُبْتَدِعِ**».

فَقَدْ نَصَّ أحمدُ رَحِمَهُ اللهُ في هَذِهِ الرِّوَايَاتِ وغَيْرِهَا لمَّا ذَكَرَ الأدلةَ على أن التِّلَاوَةَ هي القرآنُ، وأَنَّهَا غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ، خِلَافًا للأشْعَرِيَّةِ في قَوْلِهِمْ: التِّلَاوَةُ غَيْرُ المَتْلُوِّ، والقراءةُ غيرُ المقروء، والتِّلَاوَة والقراءة مخلوقةٌ، والمقروء والمتلو غَيْرُ المَخْلُوقِ، هذا معروف من كلام الأشاعرة.

فالأَشَاعِرَةُ يقولونَ: كَلَامُ الله المعْنَى القَائِمُ بالنَّفْسِ، أمَّا تِلَاوَةُ الحُرُوفِ والألفاظِ فهي مَخْلُوقَةٌ، فالقُرْآنُ المعْنَى القَائِمُ بالنَّفْسِ.

والصواب: أن القرآن كلامُ الله، حُرُوفُهُ ومَعَانِيهِ قال: «**وَالْمَقْرُوءُ وَالْمَتْلُوُّ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَدَلِيلُنَا قَوْلُ الله ﷻ إِخْبَارًا عَنْ قُرَيْشٍ:** ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ۝٢٥ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۝٢٦﴾ [المدثر: ٢٥-٢٦]. **فَوَعَدَهُمْ بِالنَّارِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّهَا إِشَارَاتٌ بِهَذَا الْقَوْلِ إِلَى التِّلَاوَاتِ الَّتِي سَمِعُوهَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ فَدَلَّ عَلَى أَنَّهَا لَيْسَتْ بِقَوْلِ الْبَشَرِ**».

وَاسْتَدَلَّ بِحَدِيثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «**كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَى النَّاسِ بِالْمَوْقِفِ**». الأقْرَبُ: أنَّه ﷺ كَانَ يَعْرِضُ نَفْسَهُ بالمَوْسِمِ، يعْنِي: مَوْسِمَ الحَجِّ.

ويُحْتَمَلُ مَوْقف عرفة، ولكنَّ المعروفَ في الحديث أنه في موسم الحج.

○ قوله: «**فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ رَجُلٍ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ، فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي**».

الشاهد: «كَلَامُ رَبِّي» ولمْ يَقُلْ: لَفْظِي بالقرآنِ مَخْلُوقٌ. وهَذَا رواهُ البُخَارِيُّ في (خلق أفعال العباد)، وأبُو داود، والتِّرْمِذِيُّ، وابن ماجه.

○ قوله: «**وَعِنْدَ مُخَالِفِنَا إِنْ كَانَ يُبَلِّغُ قِرَاءَةَ كَلَامِ اللهِ، وَتِلَاوَتَهُ فَأَمَّا أَنْ يُبَلِّغَ كَلَامَهُ فَلَا**» أي: أن المعنى عِنْدَ المخَالِفِينَ: لا يُبَلِّغُ الرَّسُولُ كَلَامَ الله، إِنَّمَا يبلغُ قراءةَ كَلامِ الله.

وهذا باطل، واستدل بحديثِ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ قال: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ أَفْوَاهَكُمْ طُرُقٌ لِلْقُرْآنِ فَطَهِّرُوهَا بِالسِّوَاكِ**». وَهَذَا رَوَاهُ أَبو نُعَيْم فِي (الحلية)، وابن بطة في (الإبانة)، وبين الألباني أن الحديث ضَعِيفٌ لَكِن له طُرق[1].

واسْتَدَلَّ أيضًا بِقِصَّةِ أبي بَكْرٍ لمَّا أَنْزَلَ اللهُ ـ تعالى ـ: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣﴾ [الروم: ١-٣]، خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ فَقَرَأَهَا على النَّاسِ رَافِعًا بِهَا صَوْتَهُ فَقَالَ لَهُ مُشْرِكُو مَكَّةَ: مَا هَذَا يا ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ الَّذِي تَقْرَأُ لَعَلَّهُ مِمَّا يَأْتِي بِهِ صَاحِبُكَ؟ قَالَ: «**لا، ولَكِنَّهُ كَلَامُ اللهِ**».

والشَّاهِدُ قَوْلُهُ: «كَلَام الله» وهَذَا أَخْرَجَهُ ابنُ خُزَيْمَةَ في (التوحيد)، وعَبْدُالله بنُ أحمدَ في (السُّنَّةِ)، والبَيْهَقِيُّ في (الأسماء

---

(١) انظر: صحيح سنن ابن ماجه (١/ ٣٦٣).

والصفات)، وفي (الاعتقاد) من طَرِيقِ نِيَارِ بْنِ نُطْفَةَ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣﴾ [الروم: ١-٣]، إلى آخِرِ الآيَتَيْنِ خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ فَجَعَلَ يَقْرَأُ بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣﴾ [الروم: ١-٣]، فَقَالَ رُؤَسَاءُ وَمُشْرِكُو مَكَّةَ: يَا ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ هَذَا مِمَّا أَتَى بِهِ صَاحِبُكَ؟ قال: «لَا والله وَلَكِنَّهُ كَلَامُ الله».

○ قوله: «**وَهَذَا إِجْمَاعٌ مِنْهُمْ وَمِنَّا فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ**» عَلَى أَنَّهُ كَلَامُ الله، وأَنَّ مَا بَلَّغَهُ النَّبِيُّ ﷺ هُوَ كَلَامُ الله.

○ قوله: «**فَيَجِبُ أَلَّا يُلْتَفَتَ إِلَى خِلَافٍ حَدَثَ بَعْدَهُ**» إلى خِلَافِ أَهْلِ الْبِدَعِ الذِينَ يَقُولُونَ: اللَّفْظُ مَخْلُوقٌ.

○ قوله: «**وَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ كُلَّ مَنْ سَمِعَ قِرَاءَةَ الْقَارِئِ قَالَ هَذَا كَلَامُ الله، وَأَيْضًا فَإِنَّ سَامِعَ الْقِرَاءَةِ هُوَ سَامِعُ الْقُرْآنِ**» أي: أن الذي يسمع الْقِرَاءَةَ من القارئ يكون سامعا للقرآن، ويقول: هذا كلام الله. وهذا لا خلاف فيه بين المسلمين.

○ قوله: «**قَالَ اللهُ ـ تَعَالَى ـ:** ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟﴾ [الأعراف: ٢٠٤]» الذي يُسْتَمَعُ لَهُ كَلَامُ الله.

○ قوله: «**وَقَالَ:** ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، قَالَ: وَلأَنَّ الْعَرَبَ تُسَمِّي الْقِرَاءَةَ قُرْآنًا ودَلِيلُهُ، قَالَ الشَّاعِرُ فِي عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ:

ضَحَّوْا بِأَشْمَطَ عُنْوَانُ السُّجُودِ به ... يَقْطَعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحًا وَقُرْآنَا»

الشاهد قوله: «**تَسْبِيحًا وَقُرْآنًا**» يعني: قراءة عثمان رضي الله عنه للقرآن.

○ قوله: «**وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ**» مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى، مُؤَلِّفُ كِتَابِ (مجاز القرآن) «**يُقَالُ: قَرَأْتُ قِرَاءَةً وقُرْآنًا، بِمَعْنًى وَاحِدٍ، فَجَعَلَهُمَا**

مَصْدَرَيْنِ لِلْقُرْآنِ، وَقَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۝٧٨﴾ [الإسراء: ٧٨]، **أَيْ: قِرَاءَةَ الْفَجْرِ، وَإِلَّا فَلَيْسَ لَهُ قُرْآنٌ مُعَيَّنٌ، وإِذَا كَانَتِ القِرَاءَةُ هِيَ الْقُرْآنَ، فَمَنْ قَالَ: الْقِرَاءَةُ مَخْلُوقَةٌ. فَقَدْ قَالَ الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ**».

يُبَيِّنُ المؤلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّ الْقِرَاءَةَ يُرَادُ بِهَا المَقْرُوءُ، فَلَا يُقَالُ: إِنَّ الْقِرَاءَةَ مَخْلُوقَةٌ. بل يُقالُ: القُرْآنُ كَلَامُ الله، ومَا نَسْمَعُهُ كَلَامُ الله.

○ قوله: «**وَأَيْضًا فَإِنَّ مَعْنَى الْقَدِيمِ ثَابِتٌ فِي التِّلَاوَةِ بِدَلِيلِ قِيَامِ الْمُعْجِزِ، وَثُبُوتِ الْحُرْمَةِ، وَالْعَجْزِ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ**» يعني: الْقَارِئُ حِينَمَا يَقْرَأُ، فإن كَلامَ الله مُعْجِزٌ، فلا يَسْتَطِيعُ أن يأتِيَ بمِثْلِ ما يسمع القارئُ، وكذلك أيضا حُرْمَةُ القرآنِ حينما تَسْمَعُ القرآنَ، فدَلَّ كل هذا على أنه لا يقال: التلاوةُ مَخْلُوقَةٌ.

○ قوله: «**وَلَوْ حَلَفَ... إلخ**» لو حَلَفَ إنسانٌ أَلَّا يَتَكَلَّمَ، فَقَرَأَ هَلْ يَحْنَثُ أم لا يَحْنَثُ؟

■ **الجواب**: لا يَحْنَثُ لأنَّه لم يَتَكَلَّمْ؛ لأن القرآنُ ليسَ مِنْ كَلَامِ الآدَمِيِّينَ، بل هو كلامُ الله، ولو كانت تلاوته وقراءته كلامًا لحَنِثَ؛ كَمَا يَحْنَثُ بِغَيْرِهِ من الكلام، وقد حَكَى التَّيْمِيُّ في (الحُجَّةِ)[1] إجماعَ الأُمَّةِ على أنَّ مَن حَلَفَ بالطَّلَاقِ أَلَّا يَتَكَلَّمَ، فَقَرَأَ القُرْآنَ أنَّه لا يَحْنَثُ.



---

(١) انظر: الحجة في بيان المحجة (١/ ٤٣٤).

فَصْلٌ

٤٨ ـ وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ غَامِضَةُ الْمَعْنَى دَقِيقَةُ الشَّبَهِ، قَدْ كَدَّرَتْ مَذَاهِبَ جَمَاعَةٍ؛ رُوِيَ عَنْ أَبِي أَحْمَدَ الْأَسَدِيِّ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِاللهِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبَلٍ ﷺ وَسَأَلْتُهُ فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِاللهِ لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ أَوْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، فَمَا أَجَابَنِي بِشَيْءٍ، ثُمَّ أَعَدْتُ عَلَيْهِ الْمَسْأَلَةَ، فَمَا أَجَابَنِي فِيهَا بِشَيْءٍ. قَالَ: ثُمَّ خَرَجْتُ فِي سَفَرِي إِلَى مَكَّةَ فَصَارَتِ الْبَادِيَةُ فِي طَرِيقِي عَلَى شِبْهِ الْحَبْسِ مِنْ شِدَّةِ الْفِكْرَةِ فِي أَمْرِهِ. قَالَ: فَدَخَلْتُ إِلَى مَكَّةَ فَقَطَعَ بِيَ الطَّوَافُ، فَخَرَجْتُ إِلَى بِئْرِ زَمْزَمٍ وَقُبَّةِ الشَّرَابِ فَصَلَيْتُ بِهَا رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ نَعَسْتُ فَرَأَيْتُ رَبَّ الْعِزَّةِ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ فِي مَنَامِي فَكَانَ آخِرُ مَا قُلْتُ لَهُ:

إِلَهِي قِرَاءَتِي بِكَلَامِكَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. وَقَوِيَ عَزْمِي»[١].

وَهَذِهِ نَحْوُ حِكَايَةِ أَبِي حَمْدُونَ الْمُقْرِئِ الْمُتَقَدِّمَةِ.

٤٩ ـ وَأَصَابَنِي فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ شَيْءٌ يُشْبِهُ نَحْوَ هَذَا، رَأَيْتُ لِبَعْضِ مَنْ أَسْكُنُ إِلَى عِلْمِهِ قَوْلًا شَغَلَ قَلْبِي، وَأَحْوَجَنِي إِلَى النَّظَرِ فِيمَا أَسْتَدِلُّ بِهِ، وَكُنْتُ قَدْ بَلَغَتُ إِلَيْهَا فَنَهَضْتُ وَنِمْتُ وَتَرَكْتُهَا، فَرَأَيْتُ فِي مَنَامِي كَأَنِّي فِي جَامِعِ الْمَهْدِيِّ، وَفِي الصَّحْنِ الَّذِي فِيهِ الْمَنَارَةُ خَلْقٌ عَظِيمٌ، وَرَأَيْتُ ثَلَاثَ حِلَقٍ مُسْتَدِيرَةً، وَفِيهَا خَلْقٌ قِيَامٌ وَقُعُودٌ، فِي كُلِّ حَلْقَةٍ شِبْهُ الدَّقْلِ الطَّوِيلِ بِحَبْلَيْنِ مُتَّصِلَيْنِ كَأَنَّهُمَا قَدْ جُعِلَا لِمَنْ

(١) أخرجه ابن بطة: (٥/ ٣٣٩/ ١٤٥).

يَعْتَصِمُ بِهِمَا وَيَرْقَى فِيهِ.

فَدَخَلْتُ إِلَى أَحَدِ الْحِلَقِ وَأَخَذْتُ بِالْحَبْلَيْنِ أَحَدِهِمَا بِيَمِينِي وَالآخَرُ بِشِمَالِي، وَلَمْ أَزَلْ أَرْتَقِي إِلَى أَنْ صِرْتُ عَلَى سَطْحِ الْجَامِعِ، وَلَا أَدْرِي هَلْ صَعِدَ غَيْرِي أَمْ لَا؟ وَاسْتَيْقَظْتُ فَقُلْتُ: الْحَبْلُ: الْقُرْآنُ قَالَ اللهُ ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣]، الْوَاجِبُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ الأَخْذُ بِالإِجْمَاعِ، ثُمَّ كَتَبْتُ فِي اللَّيْلِ هَذَا الْفَصْلَ الَّذِي أَجْمَعَ عَلَى صِحَّتِهِ الْمُتَقَدِّمُونَ وَالْمُتَأَخِّرُونَ إِلَّا الطَّائِفَةَ الَّتِي ذَكَرْتُهَا، وَكَانَ ذَلِكَ فِي لَيْلَةِ الأَرْبِعَاءِ الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ جُمَادَى الأُولَى مِنْ سَنَةِ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ.

الشَّرْحُ

هَذَا فَصْلٌ في مسألة كَمَا قَالَ المؤلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ: «**غَامِضَةُ المَعْنَى دَقِيقَةُ الشَّبَهِ، قَدْ كَدَّرَتْ مَذَاهِبَ جَمَاعَةٍ**» يَعْنِي: مَسْأَلَةَ القُرآنِ ولَفْظِي بالقُرْآنِ مَخْلُوقٍ، فقد أَلَّفَ فيها الإمامُ البُخَارِي رَحِمَهُ اللهُ رسالَةً خَاصَّةً سَمَّاهَا (خَلْقُ أَفْعَالِ الْعِبَادِ)، وكذلك ذَكَرَ في صَحِيحِهِ وأَطَالَ وذَكَرَ الأَحادِيثَ فيها.

○ قوله: «**المسأَلَةُ غَامِضَةٌ تشْتَبِهُ**» أي: صَارَ فِيهَا اشْتِبَاهٌ كَثِيرٌ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، والإمامُ أحمدُ رَحِمَهُ اللهُ ثَبَتَ عَنْهُ في عِبَارَتِهِ المشهورة أنه قال: «مَنْ قَالَ: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ فَهُوَ جَهْمِيٌّ، وَمَنْ قَالَ: غَيْرُ مَخْلُوقٍ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ». وبهذا يكون قد سَدَّ الْبَابَ.

وَالإِمَامُ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فَصَّلَ في كِتَابِهِ (الجامع الصحيح)، وبَيَّنَ أَنَّ الإنسانُ مَخْلُوقٌ بِذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ، وبِهَذَا بَوَّبَ فقال: «بَابُ قِرَاءَةِ الفَاجِرِ وَالمُنَافِقِ، وَأَصْوَاتُهُمْ وَتِلاوَتُهُمْ لَا تُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ»، لِأَنَّهَا

مَخْلُوقَةٌ، وَبَيَّنَ أنّ أَلْفَاظَ العِبَادِ وَصِفَاتِهِمْ وحَرَكَاتِهِمْ كُلَّهَا مَخْلُوقَةٌ، والقُرْآنُ كَلَامُ الله مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وهَذَا يَشْتَبِهُ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، وَيظنُّونَ أَنَّ هُنَاكَ خِلَافًا بينَ الإمامِ البُخَارِيِّ والإمام أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللهُ، وقد بحث هذه المسألة ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ في (الصَّوَاعِقِ المُرْسَلَةِ) وجَمَعَ بَيْنَهُمَا[١].

والحَقُّ أَنَّهُ لَا خِلافَ بيَن الإِمَامَيْنِ، فأَئِمَّةُ أهلِ السُّنَّةِ كُلُّهُمْ على الحَقِّ، ولكنَّ الإمامَ أحمدَ رَحِمَهُ اللهُ أَجْمَلَ وَسَدَّ البَابَ فَقَالَ: مَنْ قَالَ: لَفْظِي بالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ فَهُوَ جَهْمِيٌّ، ومَنْ قَالَ: غَيْرُ مَخْلُوقٍ فَهُوَ مَبْتَدِعٌ. والإمامُ البُخَارِيُّ فَصَّلَ وَمَيَّزَ بَيْنَ مَا يَقُومُ به الإنسانُ مِنْ أَلْفَاظِهِ، وأَصْوَاتِهِ، وحَرَكَاتِهِ، فَهُوَ مَخْلُوقٌ، وما يقومُ بِالله فليسَ بمَخْلُوقٍ.

فلَمَّا أَجْمَلَ الإمامُ أحمدُ وَفَصَّلَ البُخَارِيُّ نشأتْ فِتْنَةٌ بينَ أهلِ الحَدِيثِ، ونشأتْ من الشُّبْهَةِ الَّتِي حَصَلَتْ من القَوْلِ المُجْمَلِ للإمامِ أحمدَ حَسَدُ بَعْضِ النَّاسِ للإِمَامِ البُخَارِي رَحِمَهُ اللهُ، وقَالُوا: إنَّ البُخَارِيَّ مُبْتَدِعٌ، وأَنَّهُ يقولُ: لَفْظِي بالقُرْآنِ مَخْلُوقٌ، ومَنْ جَالَسَ البُخَارِيَّ بَعْدَ مَجْلِسِنَا فهُو مُبْتَدِعٌ.

والحَقُّ أن كلَّ أئمةِ أَهْلِ السُّنَّةِ على الحَقِّ، والإمامُ أحمدُ يوافِقُ الإمامَ البُخَارِيَّ، والبُخَارِيُّ يوافِقُ الإمامَ أحمدَ، ولَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْا.

فلا يجوز للإنسان أن يقول: لفظي بالقرآن مخلوق لما فيه من التخصيص للقرآن عن غير القرآن وهذا التخصيص بدعةٌ كَمَا لَوْ قَالَ شَخْصٌ: الْفَاتِحَةُ لَيْسَتْ مَخْلُوقَةً. أو قَالَ: السَّبْعُ الطِّوَلُ ليست مَخْلُوقَةً. فنَقُولُ: هَذَا بِدْعَةٌ؛ لأن القُرْآنَ كله غَيْرُ مَخْلُوقٍ، ولِمَاذَا

---

(١) انظر: مختصر الصواعق المرسلة (ص ٥٠٣).

تُخَصِّصُ الفَاتِحَةَ؟ لمَاذَا تُخَصِّصُ السبع الطوال؟

فالصَّوَابُ: أنَّ القُرْآنَ كَلَامُ الله مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، لكن ما يَقْرَأُهُ القَارِئُ بألْفَاظِهِ وحُرُوفِهِ مخلوق؛ ولهَذَا قَالَ كَثِيرٌ مِنَ السَّلَفِ: التِّلَاوَةُ تَلَاوَةُ القَارِئِ، والقَوْلُ قَوْلُ البَارِي.

ولهَذَا صدق المؤلِّفُ رحمه الله حين قال: «**هَذِهِ مَسْأَلَةٌ غَامِضَةٌ دَقِيقَةُ الشَّبَهِ قَدْ كَدَّرَتْ مَذَاهِبَ جَمَاعَةٍ**».

ولهَذَا نُقِل عن الإمام أحمدَ أَنَّهُ قَالَ لمَّا سُئِلَ: «**هَلْ لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ، أو غَيْرُ مَخْلُوقٍ؟ قَالَ: فَمَا أَجَابَنِي بِشَيْءٍ**». ثُمَّ ذَكَرَ الرُّؤْيَةَ ولَا حَاجَة إلى هذه القِصَّةِ أَنَّهُ ذَهَبَ إلى البادية، وأَنَّهُ جاءَ إلى زمزمَ، وأَنَّهُ نَعَسَ، وأَنَّهُ رَأى رَبَّ العِزَّةِ والجَلَالِ وسأله فقال: «**قُلْتُ: إِلَهِي قَرَاءَتِي بِالْقُرْآنِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. وَقَوِيَ عَزْمِي**». هَذَا رَوَاهُ ابْنُ بَطَّةَ ولا حاجة له، وفي هذه القصة إثبات رؤية الله في المنام.

وقد بين شَيْخُ الإسلام ابْنُ تَيْمِيَةَ[١] أن جَمِيعَ الطوائفِ أَثْبَتُوا رُؤْيَةَ الله في المَنَامِ إلَّا الجَهْمِيَّةَ، لِشِدَّةِ إِنْكارِهِمْ لرُؤْيَةِ الله حتَّى أَنْكَرُوا رؤيةَ الله في المنامِ، لَكِنْ لا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ المُشَابَهَةُ، فالإنسانُ يَرَى رَبَّهُ في النَّوْمِ على حَسَبِ اعْتِقَادِهِ، فإِنْ كَانَ اعْتَقَادُهُ سَلِيمًا رَأى رَبَّهُ بِصُورَةٍ حَسَنَةٍ، وإنْ كانَ اعْتِقَادُهُ غيرَ ذَلِكَ رَأى رَبَّهُ على حَسْبِ اعْتِقَادِهِ، ولَا يَلْزَمُ من هَذَا التَّشْبِيهُ، ولما كانَ النَّبِيُّ ﷺ أَصَحَّ النَّاسِ اعْتِقَادًا قال في الحديث الصحيح: «**رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ**»[٢].

وذَكَرَ الحِكَايَةَ الثَّانِيَةَ أيضًا قال: «**فَوْلَا شَغَلَ قَلْبِي**». وَبَدَأَ يَتَفَكَّرُ

---

(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية (١/ ٣٢٦).

فيه ثم قال: «رَأَيْتُ فِي مَنَامِي كَأَنِّي فِي جَامِعِ المَهْدِيِّ، وَفِي الصَّحْنِ الَّذِي فِيهِ الْمَنَارَةُ خَلْقٌ عَظِيمٌ، وَرَأَيْتُ ثَلَاثَ حِلَقٍ مُسْتَدِيرَةً» إلى آخِرِهْ ثُمَّ قَالَ: «فَاسْتَيْقَظْتُ فَقُلْتُ الْحَبْلُ: الْقُرْآنُ. قَالَ اللهُ: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣]» كُلُّ هَذَا يُبَيِّنُ أنَّ المسألةَ غَامِضَةٌ(١).

بل ذَكَرَ شَيْخُ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ الإمامُ ابنُ تَيْمِيَةَ أن الإمام أحمد أنْكَرَ على من قَالَ: إنَّ تِلَاوَةَ العِبَادِ، وقِرَاءَتَهُمْ، وألْفَاظَهُمْ، وأَصْوَاتَهُمْ غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ. وَأَمَرَ بِهُجْرَانِ هؤلاءِ، كَمَا جَهَّمَ الأَوَّلِينَ وبَدَّعَهُمْ، يعني: قَالَ: إِنَّهُمْ جَهْمِيَّةٌ، والنَّقْلُ عَنْهُ بِذَلِكَ في روايَةِ ابْنِهِ عَبْدِ الله، وصَالح والمروزي، وأبي طالب، وأبي بكر بن صدقة وخلق كثير إلى أن قال رَحِمَهُ اللهُ: «وَأَحْمَد وَالْأَئِمَّةُ يُنْكِرُونَ عَلَى مَنْ يَجْعَلُ شَيْئًا مِنْ أَفْعَالِ الْعِبَادِ أَوْ أَصْوَاتِهِمْ غَيْرَ مَخْلُوقٍ، فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ قَدِيمًا وَكَلَامُ أَحْمَد فِي مَسْأَلَةِ التِّلَاوَةِ وَالْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ مِنْ نَمَطٍ وَاحِدٍ مَنَعَ إطْلَاقَ الْقَوْلِ بِأَنَّ ذَلِكَ مَخْلُوقٌ؛ لِأَنَّهُ يَتَضَمَّنُ الْقَوْلَ بِأَنَّ مِنْ صِفَاتِ اللهِ مَا هُوَ مَخْلُوقٌ وَلِمَا فِيهِ مِنَ الذَّرِيعَةِ، وَمَنَعَ أَيْضًا إطْلَاقَ الْقَوْلِ بِأَنَّهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْبِدْعَةِ وَالضَّلَالِ»(٢).

وتحرير القولِ في مسألةِ التلاوة والصواب فِيها هو ما ذكره شيخ الإسلامِ ابن تيمية: «أنَّ التلاوةَ قَدْ يُرَادُ بِهَا نَفْسُ الْكَلَامِ الَّذِي يُتْلَى،

---

(١) أخرجه الترمذي: كتاب التفسير، باب ومن سورة ص، رقم (٣٢٣٤).

(٢) ذكر المحقق الشيخ عبدالرزاق البدر ـ حفظه الله ـ كَلَامًا جَيِّدًا على قَوْلِهِ، فَقَدْ نَصَّ أَحْمَدُ فِي هَذِهِ الرِّوَايَاتِ: قَالَ ليسَ في هَذِهِ الرِّوَايَاتِ الَّتِي ذَكَرَهَا المصَنِّفُ عن الإمام أحمدَ التَّنْصِيصُ على أن التلاوة هي القُرْآنُ وأَنَّهَا غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ، وإِنَّمَا فِيهَا إِنْكَارُ قَوْلِ الجَهْمِيَّةِ القَائِلِينَ: إنَّ التِّلَاوَةَ مخلوقةٌ.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٢/٢٥٩-٢٦٣).

وَقَدْ يُرَادُ بِهَا نَفْسُ حَرَكَةِ الْعَبْدِ، وَقَدْ يُرَادُ بِهَا مَجْمُوعُهُمَا، فَإِذَا أُرِيدَ بِهَا الْكَلَامُ نَفْسُهُ الَّذِي يُتْلَى فَالتِّلَاوَةُ هِيَ الْمَتْلُوُّ، وَإِذَا أُرِيدَ بِهَا حَرَكَةُ الْعَبْدِ فَالتِّلَاوَةُ لَيْسَتْ هِيَ الْمَتْلُوَّ، وَإِذَا أُرِيدَ بِهَا الْمَجْمُوعُ فَهِيَ مُتَنَاوِلَةٌ لِلْفِعْلِ وَالْكَلَام فَلَا يُطْلَقُ عَلَيْهَا أَنَّهَا الْمَتْلُوُّ وَلَا أَنَّهَا غَيْرُهُ»[1].

وبِهَذَا التَّفْصِيلِ يَسْتَبِينُ السَّبِيلُ كَمَا سَبَقَ.

والصوابُ في هَذَا أنَّ القرآنَ كَلَامُ الله، وأمَّا أفعالُ العِبَادِ وأَصْوَاتُهُمْ وحَرَكَاتُهُمْ فهَذِهِ مَخْلُوقَةٌ، لكنْ لا ينبغي للإنسانِ أنْ يُخَصِّصَ ويقولَ: لفْظِي بالقُرْآنِ مَخْلُوقٌ أو غير مَخْلُوقٍ، وذلك لأمور:

أولًا: أن هذا قَوْلٌ مُبْتَدَعٌ.

ثانيًا: أنه ذَرِيعَةٌ لمنْ يَقُولُ: القرآنُ مَخْلُوقٌ.

ثالثًا: أن اللفظ قد يُراد به الملفُوظُ، والتلاوة يُراد بها المَتْلُوُّ.



(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٠٧).

بَابُ التَّحْذِيرِ مِنْ مَذَاهِبِ الْحُلُولِيَّةِ وَالْمُشَبِّهَةِ وَالْمُجَسِّمَةِ

٥٠ ـ قَالَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الحُسَيْنِ الآجُرِّيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «إني أُحَذِّرُ إِخْوَانِي الْمُؤْمِنِينَ مَذَاهِبَ الْحُلُولِيَّةِ الَّذِينَ لَعِبَ بِهِمُ الشَّيْطَانُ فَخَرَجُوا بِسُوءِ مَذْهَبِهِمْ عَنْ طَرِيقِ أَهْلِ الْعِلْمِ، مَذَاهِبُهُمْ قَبِيحَةٌ، لَا تَكُونُ إِلَّا فِي كُلِّ مَفْتُونٍ هَالِكٍ.

زَعَمُوا أَنَّ الله ﷻ حَالٌّ فِي كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى أَخْرَجَهُمْ سُوءُ مَذْهَبِهِمْ إِلَى أَنْ تَكَلَّمُوا فِي الله ﷻ بِمَا تُنْكِرُهُ الْعُلَمَاءُ الْعُقَلَاءُ، لَا يُوَافِقُ قَوْلَهُمْ كِتَابٌ، وَلَا سُنَّةٌ، وَلَا قَوْلُ الصَّحَابَةِ، وَلَا قَوْلُ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ.

وَإِنِّي لَأَسْتَوْحِشُ أَنْ أَذْكُرَ قَبِيحَ أَفْعَالِهِمْ تَنْزِيهًا لِجَلَالِ الله الْكَرِيمِ وَعَظَمَتِهِ، كَمَا قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: «إِنَّا لَنَسْتَطِيعُ أَنْ نَحْكِيَ كَلَامَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَحْكِيَ كَلَامَ الْجَهْمِيَّةِ»[(١)].

ثُمَّ إِنَّهُمْ إِذَا أُنْكِرَ عَلَيْهِمْ سُوءُ مَذْهَبِهِمْ قَالُوا: لَنَا حُجَّةٌ مِنْ كِتَابِ اللهِ ـ تَعَالَى ـ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]، وَيَقُولُ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، فَلَبَّسُوا عَلَى السَّامِعِ مِنْهُمْ بِمَا تَأَوَّلُوا، وَفَسَّرُوا الْقُرْآنَ عَلَى أَهْوَاءِ أَنْفُسِهِمْ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا.

فَمَنْ سَمِعَهُمْ مِمَّنْ جَهِلَ الْعِلْمَ ظَنَّ أَنَّ الْقَوْلَ كَمَا قَالُوا، وَلَيْسَ

---

(١) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (١/ ٣٠)، وابن بطة في الإبانة (٢/ ٥٥٧/ ٦٩٣).

هُوَ كَمَا تَأَوَّلُوهُ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ.

وَالَّذِي يَذْهَبُ إِلَيْهِ أَهْلُ الْعِلْمِ أَنَّ الله ﷻ عَلَى عَرْشِهِ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ، وَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، فَلَمَّا أَحَاطَ عِلْمُهُ بِجَمِيعِ مَا خَلَقَ فِي السَّمَوَاتِ الْعُلَى، وَبِجَمِيعِ مَا فِي سَبْعِ أَرَضِينَ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى: ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧﴾ [طه: ٧]، ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ ۝١٩﴾ [غافر: ١٩]. **يَعْلَمُ الْخَطْرَةَ وَالْهَمَّةَ، يَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ النُّفُوسُ، يَسْمَعُ وَيَرَى وَلَا يَعْزُبُ عَنِ الله مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرَضِينَ وَمَا بَيْنَهُنَّ إِلَّا وَقَدْ عَلِمَ بِهِ، وَهُوَ عَلَى عَرْشِهِ ـ سُبْحَانَهُ الْعَلِيُّ الْأَعْلَى ـ، تُرْفَعُ إِلَيْهِ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ يَرْفَعُونَهَا بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**(١).

الشَّرْحُ

هَذَا البابُ فيه التَّحْذِيرُ مِنْ مَذَاهِبِ الحُلُولِيَّةِ والمُشَبِّهَةِ والمُجَسِّمَةِ، فالحُلُولِيَّةُ ـ وهم جهمية أيضا ـ: يَقُولُونَ: إنَّ الله حَالٌّ في كُلِّ مكانٍ كَمَا يحُلُّ المَاءُ في الإناء. ولهذا سموا بالحلولية فأنكروا أن يكون الله فوق العرش وقالوا: إنَّ الله مُخْتَلِطٌ بالمَخْلُوقَاتِ.

تَعَالى الله عمَّا يقولونَ عُلُوًّا كَبِيرًا؛ وهَذَا كُفْرٌ وضَلَالٌ.

والمُشَبِّهَةُ وهم: الَّذِينَ يُشَبِّهُونَ الله بالخَلْقِ فيقول أَحَدُهُمْ: للَّهِ يَدٌ كَيَدِي، وسَمْعٌ كَسَمْعِي، وبَصَرٌ كَبَصَرِي، واسْتِوَاءٌ كاسْتِوَائِي. وغَالِبُ المُشَبِّهَةِ مِنْ غُلَاةِ الشِّيعَةِ؛ مثل: البَيَانِيَّةِ ـ نسبة لبَيَانَ بْنِ سَمْعَانَ التَّمِيمِيِّ ـ، والسَّالِمِيَّة ـ نسبةً لهِشَامِ بْنِ سَالِمٍ الجَوَالِيقِي ـ،

(١) انظر: الشريعة للآجري (٣/ ١٠٧٦).

ودَاودَ الجَوَارِبِيِّ، حَتَّى قالَ بعضُ المُشَبِّهَةِ ـ والعياذُ بالله ـ: الله مِثْلُ الإنسانِ عدا اللِّحْيَةِ والفَرْجِ ـ تَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ـ.

والمُشَبِّهُ في الحَقِيقَةِ لَا يَعْبُدُ الله وإِنَّمَا يَعْبُدُ وَثَنًا صَوَّرَهُ لَهُ خَيَالُهُ ونَحَتَهُ لَهُ فِكْرُهُ فَهُوَ مِنْ عُبَّادِ الْأَوْثَانِ لا مِنْ عُبَّادِ الرَّحْمَنِ؛ ولهَذَا قَالَ ابنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللهُ في الكافية الشافية:

لَسْنَا نُشَبِّهُ وَصْفَهُ بِصِفَاتِنَا ... إِنَّ المُشَبِّهَ عَابِدُ الْأَوْثَانِ

والمُشَبِّهُ أيضًا شَبِيهٌ بالنَّصَارَى، فالنَّصَارَى قَالُوا: إِنَّ المَسِيحَ ابْنُ الله ـ والعياذ بالله ـ، فرَفَعُوا المَسِيحَ مِنْ مَقَام العُبُودِيَّةِ والنُّبُوَّةِ إلى مَقَامِ الأُلُوهِيَّةِ، وشَبَّهُوا المَخْلُوقَ بالخَالِقِ، أَما المُشَبِّهَةُ فبالعَكْسِ يَنْسِبُونَهُ عَكْسِيًّا؛ إذ شَبَّهُوا الخالقَ بالمخلوقِ، فجَعَلُوا الخالقَ مِثْلَ المخلوقِ؛ ولهذا قال العلامة ابن القيم:

مَنْ شَبَّهَ الله العَظِيمَ بِخَلْقِهِ ... فَهُوَ النَّسِيبُ لِمُشْرِكِ النَّصْرَانِي

فالنِّسْبَةُ بينَ المُشَبِّهةِ وبَيْنَ النَّصَارَى عَكْسِيَّةٌ، النَّصَارَى شَبَّهُوا المَخْلُوقَ بالخَالِقِ، والمُشَبِّهَةُ شَبَّهُوا الخَالِقَ بالمَخْلُوقِ.

والمُجَسِّمَةُ وهم: الذينَ يَقُولُونَ إنَّ الله جِسْمٌ. قد يكونُ هُمُ المُشَبِّهَةُ، فالجِسْمُ لا يُطْلَقُ عَلَى الله لا نَفْيًا ولَا إِثْبَاتًا عِنْدَ أهلِ الحَقِّ، فلا يقال: إنَّ الله جِسْمٌ. ولَا يُقَالُ: إنَّ الله ليسَ بِجِسْمٍ.

فالَّذِي يَقُولُ: إنَّ الله جِسْمٌ. مُبْتَدِعٌ، والَّذِي يَقُولُ ليسَ بِجِسْمٍ. مُبْتَدِعٌ، فلَا يُطْلَقُ عَلَى الله جِسْمٌ نَفْيًا ولا إِثْبَاتًا، والَّذِي يُطْلِقُهُ يُسْتَفْسَرُ؛ فإنْ أَرَادَ المَعْنَى الحَقَّ رَدَّ اللَّفْظَ، وإن أَرَادَ مَعْنَى البَاطِلِ رَدَّ اللَّفْظَ والمَعْنَى.

فالمُشَبِّهَةُ يَقُولُونَ: إنَّ الله جِسْمٌ يُشْبِهُ الأَجْسَامِ، والمُشَبِّهَةُ والحُلُولِيَّةُ كُفَّارٌ؛ فإن مَنْ شَبَّهَ الله بِخَلْقِهِ كَفَرَ.

كَمَا أَنَّ المُعَطِّلَةَ الَّذِينَ عَطَّلُوا الرَّبَّ من أَسْمَائِهِ وصِفَاتِهِ كُفَّارٌ.

والمُعَطِّلَةُ سُمُّوا مُعَطِّلَةً؛ لأَنَّهُمْ عَطَّلُوا الرَّبَّ من الأَسْمَاءِ والصِّفَاتِ، والتَّعْطِيلُ هُوَ: الخُلُو والفَرَاغُ، ومِنْهُ: امْرَأَةٌ عَاطِلٌ؛ إِذَا كَانَتْ من غَيْرِ زَوْجٍ، وكَذَلِكَ: الدَّارُ عَاطِلٌ؛ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهَا سَاكِنٌ، ويقال: عَطَلَتِ الدَّارُ عَنْ سَاكِنِهَا، والإِبِلُ عن رَاعِيهَا، ويقال لمن يزعم أن خُلُوَّ العالمِ عن صَانِعٍ أَتْقَنَهُ: مُعَطِّلٌ.

ولهذا قالَ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ الخزاعي الإمامُ المعروف[1]: «مَنْ شَبَّهَ اللهَ بخلْقِه فقد كَفَرَ، وَمْن جَحَدَ ما وَصَفَ اللهُ به نفسَه فقد كَفَرَ، وليس فيما وَصَفَ اللهُ به نَفْسَه، أو رسولُه تشبيهٌ»[2]. فالمُشَبِّهُ كَافِرٌ؛ لِأَنَّهُ شَبَّهَ الخَالِقِ بالمَخْلُوقِ والمُعَطِّلُ كَافِرٌ؛ لأنه عَطَّلَ اللهُ سبحانه من الأَسْمَاءَ والصِّفَاتِ فنفاها عنه، وشَيْءٌ ليس له اسْمٌ، ولَا صِفَةٌ، لا وُجُودَ لَهُ إِلَّا في الذِّهْنِ.

ولهذَا قَالَ نُعَيْمُ بنُ حَمَّادٍ: مَنْ نَفَى مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ أَوْ وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ كَفَرَ.

والحُلُولِيَّةُ يَقُولُونَ: إِنَّ الله حَالٌّ فِي كُلِّ مكانٍ. فَهُمْ كُفَّار بِإِجْمَاعِ

---

(١) هو نعيم بن حماد بن الحارث بن همام بن سلمة بن مالك، الإمام، العلامة، الحافظ، أبو عبدالله الخزاعي، المروزي، صاحب التصانيف. قال صالح بن مسمار: سمعت نعيم بن حماد يقول: أنا كنت جَهْمِيًّا، فلذلك عرفت كلامهم، فلما طلبت الحديث، عرفت أن أمرهم يرجع إلى التعطيل. قال محمد بن سعد: طلب نعيم الحديث كثيرا بالعراق والحجاز، ثم نزل مصر، فلم يزل بها حتى أشخص منها في خلافة أبي إسحاق - يعني: المعتصم - فسئل عن القرآن، فأبى أن يجيب فيه بشيء مما أرادوه عليه، فحبس بسامراء، فلم يزل محبوسا بها حتى مات في السجن، سنة ثمان وعشرين ومائتين. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦١١).

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٢/ ١٦٣)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢/ ٥٣٢)، والذهبي في العلو (ص ١٢٦)، وفي العرش (٢/ ٢٣٨)، وفي السير (١٠/ ٦١٠).

المسلمين ـ نسأل الله السلامة والعافية ـ.

۞ مسألة: في الفَرْقُ بين الاتحاد والحلول؟

كل من الاتحاد والحلول كُفر؛ لكن الاتحادية أشدُّ كُفرًا، فالحلولية يقولون الخالقُ حَلَّ في المخلوق، فهناك شيئان أحدهما حَلَّ في الآخر، كالماء حَلَّ في الكوب، فالماء شيء، والكوب شيء آخر؛ فهما اثنان أحدهما حَلَّ في الآخر.

أما الاتحادية فيقولون: الذاتان اتحدتَا وامتزجتَا وصارتا شيئًا واحدًا، كما لو صَبَبْت اللبنَ على الماء فصارا ماءً ـ صارا ذاتًا واحدةً ـ، ولهذا إذا قِيل عن الاتحادية إنهم حُلولِية؛ فيقولون: لا، نحن لسنا حُلولية!! فأنت ما عرفت سِرَّ المذهب، أنت محجوب عن سِر المذهب!! نحن لسنا اثنينية، فلا تَعدُّد عندنا.

فالحلولية عِندهم تعدد: فهما اثنان حَلَّ أحدُهما في الآخر، وأما الاتحادية: فليس عندهم تعدد، بل الوجود واحد! الخالق هو المخلوق، وأنت الرب وأنت العبد، أنت الخالق وأنت المخلوق!!

كما قال ابن عربي:

الـرَّبُّ عَـبْـدٌ وَالْـعَـبْـدُ رَبٌّ ... يَا لَيْتَ شِعْرِي مَنِ الْمُكَلَّفْ؟[1]

التبسَ عليه الأمرُ!

إِنْ قُـلْـتَ عَـبْـدٌ فَـذَاكَ مَـيْـتٌ ... أَوْ قُـلْـتَ رَبٌّ أَنَّـى يُـكَـلَّـفْ؟

وقال ابن سبعين: «رَبٌّ مَالِكٌ، وَعَبْدٌ هَالِكٌ، ومثل ذلك»[2].

إذن الاتحاديةُ يقولون: ما تراه هو الخالق وهو المخلوق؛ ليس

---

(١) الفتوحات المكية (١/ ٣٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٢/ ٢٨٧).

هناك تَعددٌ.

أمَّا الحُلوليةُ فيقولون: لا، هناك اثنان، أحدهما حَلَّ محل الآخر، الخالقُ حَلَّ في المخلوقات.

○ قَالَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الحُسَيْنِ الآجُرِّيُّ رَحِمَهُ اللهُ **«إِنِّي أُحَذِّرُ إِخْوَانِي الْمُؤْمِنِينَ مَذَاهِبَ الْحُلُولِيَّةِ»** هذه نَصِيحَة مِنْهُ رَحِمَهُ اللهُ، ثم وصفهم محذرا منهم فقال: **«الَّذِينَ لَعِبَ بِهِمُ الشَّيْطَانُ فَخَرَجُوا بِسُوءِ مَذْهَبِهِمْ عَنْ طَرِيقِ أَهْلِ الْعِلْمِ، مَذَاهِبُهُمْ قَبِيحَةٌ، لَا تَكُونُ إِلَا فِي كُلِّ مَفْتُونٍ هَالِكٍ، زَعَمُوا أَنَّ الله ﷻ حالٌّ في كُلِّ شيءٍ حتَّى أخْرَجَهُمْ سُوءُ مَذْهَبِهِمْ إلى أن تَكَلَّمُوا في الله ـ تَعَالَى ـ بما يُنْكِرُهُ العُلَمَاءُ العُقَلاءُ، لَا يُوَافِقُ قَوْلَهُمْ كِتَابٌ، وَلَا سُنَّةٌ، وَلَا قَوْلُ الصَّحَابَةِ، وَلَا قَوْلُ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ»**.

زَعَمُوا أنَّ الله ﷻ حَالٌّ في كُلِّ شيءٍ حَتَّى قَالُوا: إنَّ الله حَالٌّ في كُلِّ مكانٍ. نَعُوذُ بالله، حتى قالوا: إنَّ اللهَ حَالٌّ في أجوافِ الطُّيور، وفي بُطُونِ السِّبَاعِ، وفي كُلِّ شيءٍ. تَعَالى اللهُ عمَّا يقولون.

بل إن قَوْلَهُمْ هذا كُفْرٌ صَرِيحٌ؛ كما يقولُ شَيْخُ الإسلام ابنُ تَيْمِيَةَ رَحِمَهُ اللهُ[1]: «أَمَّا كَوْنُ وُجُودِ الْخَالِقِ هُوَ وُجُودُ الْمَخْلُوقِ؛ فَهَذَا كُفْرٌ صَرِيحٌ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْإِيمَانِ؛ وَهُوَ مِنْ أَبْطَلِ الْبَاطِلِ فِي بَدِيهَةِ عَقْلِ كُلِّ إنْسَانٍ وَإِنْ كَانَ مُنْتَحِلُوهُ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ غَايَةُ التَّحْقِيقِ وَالْعِرْفَانِ».

○ قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: **«وَإِنِّي لَأَسْتَوْحِشُ أَنْ أَذْكُرَ قَبِيحَ أَفْعَالِهِمْ تَنْزِيهًا لِجَلَالِ الله الْكَرِيمِ وَعَظَمَتِهِ، كَمَا قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: «إِنَّا لَنَسْتَطِيعُ أَنْ نَحْكِيَ كَلَامَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَحْكِيَ**

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢/ ٢٦).

كَلَامَ الْجَهْمِيَّةِ» فهذا الإمامُ الزَاهِدُ عبدُالله بنُ المُبَارَكِ، يبين أنه لا يَسْتَطِيعُ أن يحْكِيَ قَوْلَ الْجَهْمِيَّةِ؛ لخُبْثِهِ وشَرِّهِ، وصدق ﷺ وهَذَا الأثرُ رَوَاهُ البُخَارِيُّ في (خلقِ أفعالِ العِبَادِ)، والدَّارِمِيُّ في (الرَّدِّ عَلَى الجَهْمِيَّةِ)، وغيرهما.

وقد قال الدَّارِمِيُّ لمَّا نَقَلَ الكَلامَ عَنِ ابْنِ المُبَارَكِ: «وَصَدَقَ ابْنُ المُبَارَكِ، إِنَّ مِنْ كَلَامِهِمْ مَا هُوَ أَوْحَشُ مِنْ كَلَامِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى».

○ قال المؤلف ﷺ: **«ثُمَّ إِنَّهُمْ إِذَا أُنْكِرَ عَلَيْهِمْ سُوءُ مَذْهَبِهِمْ قَالُوا: لَنَا حُجَّةٌ مِنْ كِتَابِ الله ـ تَعَالَى ـ»**. أي: يستَدِلُّونَ على باطِلِهِمْ بكتاب اللهِ بَزَعْمِهِمْ.

فمن أَدِلَّتِهِمْ الَّتِي اسْتَدَلُّوا بها على الحُلُولِ قول الله ـ تعالى ـ في سورة المجادلة: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ﴾ [المجادلة: ٧] قالوا: هَذَا دَلِيلٌ على أن الله حَالٌّ في كُلِّ مكانٍ، فالثَّلاثَةُ هُوَ رَابِعُهُمْ، والخَمْسَةُ هُوَ سَادِسُهُمْ ﴿وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ﴾ [المجادلة: ٧].

واستدلوا أيضا بقول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ﴾ [الحديد: ٤] قالوا: هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللهَ مُخْتَلِطٌ بالمخلوقاتِ.

واستدلاهم على باطلهم بشيء من القرآن يوهم الجاهل أن الصواب معهم، لذا قال المؤلف ﷺ: **«فَمَنْ سَمِعَهُمْ مِمَّنْ جَهِلَ الْعِلْمَ ظَنَّ أَنَّ الْقَوْلَ كَمَا قَالُوا، وَلَيْسَ هُوَ كَمَا تَأَوَّلُوهُ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَالَّذِي يَذْهَبُ إِلَيْهِ أَهْلُ الْعِلْمِ أَنَّ الله ﷻ عَلَى عَرْشِهِ، فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ، وَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ»**.

والله ـ تعالى ـ جَمَعَ بَيْنَ هاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ: العلوِّ والمَعِيَّةِ، في سورةِ الحديدِ قال الله ـ تعالى ـ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد: ٤]، قال: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، وقال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾، فاللهُ ـ تَعالى ـ فوقَ العَرْشِ بذاتِهِ وفوق السموات بِذَاتِهِ، وهو مع الخَلْقِ بعِلْمِهِ، واطِّلَاعِهِ، وإحاطَتِهِ، ونُفُوذِ قُدْرَتِهِ ومَشِيئَتِهِ، يراهم من فوقِ عَرْشِه.

والمَعِيَّةُ ليس معناها الاخْتِلَاط؛ فإن المَعِيَّةُ في لُغَةِ العَرَبِ معناها: المُصَاحَبَةُ، أي: مُطْلَقُ المُصَاحَبَةِ، تقول العربُ: مَا زِلنَا نَسِيرُ والقَمَرُ مَعَنَا، والقَمَرُ فَوْقَنَا، وما زِلْنَا نَسِيرُ والنَّجْمُ مَعَنَا. وقول حامل المتاع: المَتَاعُ مَعِي. وإن كانَ فوقَ رأسِه. ويقال: فلانٌ زَوْجَتُهُ معه. وهُوَ في المشرق وهي في المَغْرِبِ، يعني: أنها في عِصمَتِهِ، ويقول الرئيسُ أو المَلِكُ: أنَا مَعَكَ. لمَنْ يُؤَيِّدُهُ ويَنْصُرُه، والمرادُ: مَعَكَ جَيْشِي، يُرْسِلُ جَيْشَهُ ويقولُ: أنا مَعَكَ.

إذن فالمَعِيَّةُ ليسَ معْنَاهَا الاخْتِلَاط، فليست تُفِيدُه، ولا تفيد أيضا: الامْتِزَاجَ، ولا المُحَاذَاةَ عن يمين ولا عن شمال، وإنَّمَا تُفِيدُ مُطْلَقَ المصَاحَبَةِ.

فَهَؤلَاءِ الحُلُولِيَّةُ ضَرَبُوا النُّصُوصَ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ، فضَرَبُوا نُصُوصَ المَعِيَّةِ بنُصُوصِ الفَوْقِيَّةِ والعُلُوِّ، وأبْطَلُوا نُصُوصَ الفَوْقِيَّةِ والعُلُوِّ بنُصُوصِ المَعِيَّةِ وقالوا: إنَّ الله مُخْتَلِطٌ بالمَخْلُوقَاتِ. تَعَالى اللهُ عَمَّا يَقُولُونَ.

وأَهْلُ الحَقِّ ـ أَهْلُ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ ـ وَفَّقَهُمُ اللهُ فعَمِلُوا

بالنُّصوصِ من الجَانِبَيْنِ، وقالوا: إنَّ اللهَ فوقَ العَرْشِ وفَوْقَ المخْلُوقَاتِ بذَاتِهِ، وهُوَ مَعَهُمْ بعِلْمِهِ وإحَاطَتِهِ واطِّلَاعِهِ.

فآيةُ المُجَادَلَةِ تُرِيدُ مَعِيَّةَ العِلْم، لأنَّ الله افتتحَ الآية بالعِلْم وخَتَمَهَا بالعِلْم؛ فدَلَّ على أنَّهَا مَعِيَّةُ عِلْم وإحَاطَةٍ واطِّلَاعٍ، انْظُرْ أَوَّلَ الآيـــة: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [المجادلة: ٧]، ثُمَّ قَالَ ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٧﴾ [المجادلة: ٧].

ولهذا قال المؤلف رحمه الله: «**وَالَّذِي يَذْهَبُ إِلَيْهِ أَهْلُ الْعِلْم أَنَّ الله عز وجل عَلَى عَرْشِهِ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ وَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، فَلَمَّا أَحَاطَ عِلْمُهُ بِجَمِيعِ مَا خَلَقَ فِي السَّمَوَاتِ الْعُلَى، وَبِجَمِيعِ مَا فِي سَبْعِ أَرَضِينَ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى:** ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧﴾ [طه: ٧]، ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ۝١٩﴾ [غافر: ١٩]. **يَعْلَمُ الْخَطْرَةَ وَالْهَمَّةَ، يَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ النُّفُوسِ، يَسْمَعُ وَيَرَى، وَلَا يَعْزُبُ عَنِ الله مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرَضِينَ وَمَا بَيْنَهُنَّ إِلَّا وَقَدْ عَلِمَ بِهِ، وَهُوَ عَلَى عَرْشِهِ ـ سُبْحَانَهُ الْعَلِيُّ الْأَعْلَى ـ، تُرْفَعُ إِلَيْهِ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ يَرْفَعُونَهَا بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**».

هَذَا الكلام نَقَلَهُ مِنْ كِتَابِ (الشَّرِيعَةِ) للآجُرِّيِّ.

والنُّقُولُ عن السَّلَفِ في ذلك كَثِيرَةٌ جِدًّا، أَفْرَدَ فِيهَا أَهْلُ العِلْم كُتُبًا مُسْتَقِلَّةً، بل قال شيخُ الإسلام ابنُ تَيْمِيَةَ رحمه الله: «ثُمَّ عَنِ السَّلَفِ في ذلكَ منَ الأَقْوَالِ مَا لَوْ جُمِعَ لَبَلَغَ مِئَات أَوْ أُلُوفًا»[١].

---

(١) انظر: الفتوى الحموية (ص ٢١٩).

■ **فإن قال قائل:** هل صِفة النزول تُعارِض صِفةَ العلو، وكيف نَجْمَع بينهما؟

• **فنقول:** أن صِفةَ النزول وصِفةَ العُلو صِفتان لله ﷻ كما تليقان بالله ﷻ، فالله فوق العرش بذاته فوق المخلوقات، فهو ينزل كيف يشاء، فالنزولُ فِعل يَفعلُه؛ والنزول كما قال الإمام مالك: النزول معلومٌ في اللغة العربية، وأما كيفيةُ نُزول الرب فمجهولة، فهو ينزل كيف يشاء؛ فالله أعلم بكيفيته، وهو فوق العرش ينزل، وهو فوق العرش في سمائه؛ ولذا اختلف العلماء: هل يخلو العرش بالنزول أو لا يخلو؟ على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنه يخلو.

القول الثاني: أنه لا يخلو.

القول الثالث: بالتوقف، ولكن بإثبات صحيح النزول.

وأرجحه: أنه لا يخلو العرش، فالله ـ تعالى ـ فوق العرش بذاته وهو ينزل كيف يشاء، أي إننا لا نُكيِّف النزولَ، فلا نقول: مثل نزول المخلوقِ، بل هو نُزولٌ يَليق بجلاله؛ ولا نعلم كيف ينزل سبحانه، فهو فعل يفعله الله، هو أعلم به سبحانه.



٥١ ـ قَالَ أَبُو بَكْرٍ الآجُرِّيُّ ﵀: «فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَأَيش مَعْنَى مَا ذَكَرُوهُ؟ قِيلَ لَهُ: اللهُ ـ تَعَالى ـ عَلَى عَرْشِهِ، وَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِهِمْ، وَبِكُلِّ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ، كَذَا فَسَّرَهُ أَهْلُ الْعِلْمِ.

وَالآيَةُ يَدُلُّ أَوَّلُهَا وَآخِرُهَا عَلَى أَنَّهُ الْعِلْمُ، قَالَ اللهُ ـ تَعَالَى ـ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]، إِلَى آخِرِ الآيَةِ، قَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٧﴾ [المجادلة: ٧].

فَابْتَدَأَ اللهُ الآيَةَ بِالْعِلْمِ، وَخَتَمَهَا بِالْعِلْمِ، فَعِلْمُهُ ﷻ مُحِيطٌ بِجَمِيعِ خَلْقِهِ، وَهُوَ عَلَى عَرْشِهِ، وَهَذَا قَوْلُ الْمُسْلِمِينَ».

الشَّرْح

قَالَ أَبُو بَكْرٍ الآجُرِّيُّ ﵀: «فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَأَيشْ مَعْنَى مَا ذَكَرُوهُ؟» أيش: نَحْتٌ أَصْلُهَا: أَيُّ شَيْءٍ، فنُقِلَتْ مِنْهَا. ومعناها هنا: أَيُّ شَيْءٍ مَعْنَى مَا ذَكَرُوهُ؟

وقد جَاءَتَ كَلِمَةُ أَيْشِ في كَلَامِ الإمام أحمد ﵀، وجاء بها الشيخ مُحَمَّدُ بنُ عبدِالوهَّابِ ﵀ أيضًا فِي تعليم أُصُولِ العَقِيدَةِ العامة.

«قِيلَ لَهُ: اللهُ ـ تَعَالى ـ عَلَى عَرْشِهِ، وَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِهِمْ، وَبِكُلِّ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ، كَذَا فَسَّرَهُ أَهْلُ الْعِلْمِ». إذن فلا مُنَافَاةَ بَيْنَ نُصُوصِ الفَوْقِيَّةِ والعُلُوِّ ونُصُوصِ المَعِيَّةِ:

فنُصُوصُ الفَوْقِيَّةِ والعُلُوِّ تَدُلُّ على أن اللهَ فَوْقَ العَرْشِ وفَوْقَ السموات.

ونُصُوصُ المَعِيَّةِ تَدُلُّ على مَعِيَّةِ العِلْم، يعْنِي: اللهُ مَعَهُمْ بِعِلْمِهِ، وإِحَاطَتِهِ، واطِّلَاعِهِ، ونُفُوذِ قُدْرَتِهِ، ومَشِيئَتِهِ، وتَدْبِيرِهِمْ، والإحَاطَةِ بهم وهُوَ فَوْقَ العَرْشِ ﷻ.

○ قوله: «**وَالْآيَةُ يَدُلُّ أَوَّلُهَا وَآخِرُهَا عَلَى أَنَّهُ الْعِلْمُ**» يعْنِي: آية المجادلة، فإِنَّ الله افْتَتَحَهَا بالعِلم وخَتَمَها بالعِلْم؛ قال - تعالى -: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، ثُمَّ قَالَ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾، ثم قال في آخِرِ الآيَةِ: ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة: ٧]. «**فَابْتَدَأَ اللهُ الْآيَةَ بِالْعِلْمِ، وَخَتَمَهَا بِالْعِلْمِ، فَعِلْمُهُ ﷻ مُحِيطٌ بِجَمِيعِ خَلْقِهِ، وَهُوَ عَلَى عَرْشِهِ، وَهَذَا قَوْلُ الْمُسْلِمِينَ**».

أي: أن قول المسلِمينَ هو الجمع بينَ نُصُوصِ العُلُوِّ والمَعِيَّةِ، فيقولون: إنَّ الله فوقَ العَرْشِ بذاته ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ﴾. أي: مَعَ النَّاسِ، فهُو معَ الخلْقِ بعِلْمِهِ، وإِحَاطَتِهِ، واطِّلَاعِهِ. فذَاتُه فَوْقَ العَرْشِ، وهو معهم بعِلْمِهِ، واطِّلَاعِهِ، وإِحَاطَتِهِ، وتَدْبِيرِهِ، ونُفُوذِ قُدْرَتِهِ، ومَشِيئَتِهِ.



٥٢ ـ أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ الْحِمَامِيُّ ﷺ، قَالَ: أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَلِيٍّ الْخُطَبِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، قال: حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا سُرَيْجُ بْنُ النُّعْمَانِ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ نَافِعٍ، قَالَ: قَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ: «اللهُ فِي السَّمَاءِ، وَعِلْمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ».

وَرَوَاهُ الآجُرِّيُّ وَزَادَ فِيهِ: «لَا يَخْلُو مِنْ عِلْمِهِ مَكَانٌ»[١].

وَعَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، قَالَ: «عِلْمُهُ»[٢].

وَعَنِ الضَّحَّاكِ ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]، قَالَ: «هُوَ عَلَى الْعَرْشِ، وَعِلْمُهُ مَعَهُمْ»[٣].

وَقَالَ الْفَضْلُ بْنُ زِيَادٍ وَغَيْرُهُ عَنِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ﷺ فِي الآيَةِ: «المُرَادُ بِهِ العِلْمُ لِأَنَّهُ بَدَأَهَا بِالْعِلْمِ وَخَتَمَهَا بِهِ»[٤].

الشَّرْحُ

ذَكَرَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ هَذَا الأَثَرَ عن مالكِ بنِ أَنسٍ، فقال: عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ: «اللهُ فِي السَّمَاءِ وَعِلْمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ» هَذَا جَمْعٌ بَيْنَ

---

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول السنة (٣/ ٣٤٩/ ٥٠٥)، والسنة لعبد الله بن أحمد (١/ ١٧٣/ ٢١٣).

(٢) أخرجه الآجري في الشريعة (٣/ ١٠٧٧/ ٦٥٤).

(٣) أخرجه الآجري في الشريعة (٣/ ١٠٧٨/ ٦٥٥).

(٤) ذكر الإمام أحمد في الرد على الجهمية قريب من هذا (١/ ١٥٥ ـ ١٥٨).

النُّصُوصِ، فاللهُ في السَّمَاءِ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ نُصُوصُ العُلُوِّ، والفَوْقِيَّةِ، والاسْتِوَاءِ، وعِلْمُهُ في كلِّ مكان كما دَلَّتْ عَلَيْهِ نصوصُ المَعِيَّةِ.

○ قوله: «ورَوَاهُ الآجُرِّيُّ وزَادَ فَيهِ: «لَا يَخْلُو مِنْ عِلْمِهِ مَكَانٌ» أي: هَذَا الأثر عن مالك رَوَاهُ الآجُرِّيُّ مِنْ طَرِيقِ الإمام أحمدَ بنِ حَنْبَلٍ.

○ قوله: «وَعَنْ سُفْيانَ الثَّوْرِيِّ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، قَالَ: «عِلْمُهُ». وَعَنِ الضَّحَّاكِ ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]، قَالَ: «هُوَ عَلَى الْعَرْشِ، وَعِلْمُهُ مَعَهُمْ».

وهَذَا جَمْعٌ بَيْنَ النُّصُوصِ، فالله عَلى العَرْشِ بِذَاتِهِ، وعِلْمُهُ مَعَ الخَلْقِ.

○ قوله: «وَقَالَ الْفَضْلُ بْنُ زِيَادٍ وَغَيْرُهُ عَنِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ﷺ فِي الآيَةِ: «الْمُرَادُ بِهِ العِلْمُ، لِأَنَّهُ بَدَأَهَا بِالْعِلْمِ وَخَتَمَهَا بِهِ».

يعني: آيةَ المُجَادَلَةِ وهذا ذكره الإمامُ أحمدُ في كِتَابِ (الرَّدِّ عَلَى الجَهْمِيَّةِ).

فالخلاصة: أن اللهُ ـ تَعَالَى ـ فِي السَّمَاءِ عَلَى عَرْشِهِ وَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِجَمِيعِ خَلْقِهِ.



ذِكْرُ السُّنَنِ الَّتِي دَلَّتْ عَلَى أَنَّ اللهَ ﷻ عَلَى عَرْشِهِ وَفَوْقَ سَمَوَاتِهِ

٥٣ ـ قَالَ أَبُو بَكْرٍ الْآجُرِّيّ: فِي كِتَاب الله ـ تَعَالَى ـ آيَاتٌ تَدَلُّ عَلَى أَنَّ اللهَ ـ تَعَالَى ـ فِي السَّمَاءِ عَلَى عَرْشِهِ، وَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِجَمِيعِ خَلْقِهِ.

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝١٦ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ۝١٧﴾ [المُلك: ١٦-١٧]، وَقَالَ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فَاطِر: ١٠]، وَقَالَ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى: ١] وَقَالَ لِعِيسَى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عِمران: ٥٥]، وَقَالَ: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]، وَقَالَ: ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ۝١٢﴾ [الطلاق: ١٢].

الشَّرح

«قَالَ أَبُو بَكْرٍ الْآجُرِّيُّ: فِي كِتَابِ الله ـ تَعَالَى ـ آيَاتٌ تَدَلُّ عَلَى أَنَّ الله ـ تَعَالَى ـ فِي السَّمَاءِ عَلَى عَرْشِهِ وَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِجَمِيعِ خَلْقِهِ»، ثم استدلَّ بالآيات: «قال الله ﷻ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝١٦ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ۝١٧﴾ [الملك: ١٦-١٧]». ﴿أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ المرادُ بالسماء: العلو، فكلُّ شيء فوق رأسك فهو سماءٌ، فمعنى قول الله: ﴿مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ يعني: مَن في العُلو، فالله ـ تعالى ـ له أعلى العلو، وهو ما فوق العرش.

وقد يقال: المرادُ بالسَّماء الطِّبَاق المبنيَّة، وتكون (في) بمعنى (على): ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ يعني: مَنْ عَلَى السماءِ؛ لكن الأصل أن (في) للظرفية، وكَون المرادِ بالسماء العلوَّ هذا هو الأصل.

○ قوله: «وقال: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]»، الصعودُ إنما يكون من أَسْفل إلى أعْلى؛ فدلَّ على أن الله في العلو.

○ قوله: «لعيسى: «﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]» فالرفعُ يكون من أَسْفل إلى أعلى؛ فدلَّ على أن الله في العلو.

○ قوله: «﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١﴾ [الأعلى: ١]» فالله ـ تعالى ـ وصف نفسَه بأنه الأعلى، وله أعلى العلو وهو ما فوق العرش.

○ قوله: «وقال: ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ۝١٢﴾ [الطلاق: ١٢]» فالله فوق العرش، وعِلمُه محيطٌ بكل شيء.





فصل

٥٤ ـ قَالَ: وَالسُّنَنُ وَالْآثَارُ قَدْ وَرَدَتْ بِذَلِكَ مُتَوَاتِرَةً مِنَ الطُّرُقِ الصِّحَاحِ.

أَخْبَرَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ الْبَزَّازُ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْفَضْلِ عِيسَى بْنُ مُوسَى بْنِ أَبِي الْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللهِ قَالَ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ الْجَصَّاصُ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ شُعَيْبٍ التُّسْتَرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا صَفْوَانُ بْنُ عِيسَى قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَجْلَانَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله «لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ كَتَبَ بِيَدِهِ عَلَى نَفْسِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي».

وَرَوَاهُ الْآجُرِّيُّ: «فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ».

الشرح

أَخذ المؤلفُ في بيان الأدلة من السُّنَّة، على إثباتِ أن اللهَ في العلو، وأنه فوق العَرش؛ فهو فوقَ المخلوقات بذاته، وعِلمُه محيطٌ بكل شيء.

فذَكَر حديثَ محمد بن عَجلان عن أبيه عن أبي هُرَيرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ كَتَبَ بِيَدِهِ عَلَى نَفْسِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي» وفيه: إثباتُ أربع صفات لله: صِفةُ الخلق، وصِفة الكتابة، وصِفة الرحمة، وصفة الغضب.

وفيه: أن الرحمةَ تَغْلِب الغضبَ.

وروى هذا الحديثَ من هذا الطريق أحمدُ والتِّرمِذيُّ وابنُ ماجَه وابنُ حِبَّان، قال الترمذي: حديثٌ حسنٌ غريبٌ.

والحديث من هذا الطريق حسنٌ؛ لأنه من رواية محمد بن عَجْلان؛ ومحمد بن عجلان حَسنُ الحديث، ولكن الحديث رواه الشيخان؛ البخاري ومسلم من طريق الأَعْمَش عن ذَكْوَان عن أبي هريرة بلفظ: «**لَمَّا خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ وَهُوَ يَكْتُبُ عَلَى نَفْسِهِ، وَهُوَ وَضْعٌ عِنْدَهُ عَلَى العَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي**»(١).

والدليلُ على العُلوِّ قولُه: «**كَتَبَ فِي كِتَابِهِ وَهُوَ وَضْعٌ عِنْدَهُ**» فالعِنْديَّةُ تُفيد العُلوَّ عِنده. فالله ـ تعالى ـ فوقَ العرشِ كَتَب في كتابه، وهو موَضْوعٌ عنده على العَرش. والعرش سَقْفُ المخلوقات، والله ـ تعالى ـ فوق العرش، فدلَّ على أن الله في العلو.



(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ التَّوْحِيدِ، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عِمرَان: ٢٨]، رقم (٧٤٠٤)، ومسلم: كتاب التوبة، رقم (٢٧٥١).

٥٥ ـ وَحَدَّثَنَا أَبُو الْفَتْحِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي الْفَوَارِسِ الْحَافِظُ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَمِّي مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مَعْدَانَ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ جَعْفَرٍ عَنْ أَبِي قُرَّةَ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ فِي قَوْلِهِ ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ [القصص: ٤٦] قَالَ: «كَتَبَ اللهُ كِتَابًا فِي وَرَقَةٍ، وَوَضَعَهُ مَعَهُ عَلَى الْعَرْشِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الدُّنْيَا بِأَلْفَيْ عَامٍ، وَأَمَرَ مُنَادِيًا يُنَادِي: يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ قَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَسْتَغْفِرُونِي، وَأَعْطَيْتُكُمْ قَبْلَ أَنْ تَسْأَلُونِي، فَمَنْ لَقِيَنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَلَمْ يُشْرِكْ بِي؛ أَوْجَبْتُ لَهُ الْجَنَّةَ»[1].

الشَّرْحُ

في متن هذا الحديث غَرَابة، وهي قوله: «قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الدُّنْيَا بِأَلْفَيْ عَامٍ» وقد رواه ابن مَرْدَوَيْه وأَبُو نُعَيم في دلائل النبوة، والدَّيْلَمي عن عمرو بن عبسة قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَمَا كُنتَ﴾ مَا كَانَ النِّدَاءُ؟ وَمَا كَانَ الرَّحْمَةُ؟ قَالَ: «كِتَابٌ كَتَبَهُ اللهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقَهُ بِأَلْفَيْ عَامٍ» وَذَكَر نَحْوَهُ.

ولا شكَّ أن في مَتْن هذا الحديث غرابةً، والأقرب أنه لا يصح؛ لقوله: «كَتَبَ فِي كِتَابٍ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الدُّنْيَا بِأَلْفَيْ عَامٍ»،

(١) أخرجه الختلي في الديباج (١/ ٢٣/ ٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٤١٨).

والآياتُ والأحاديثُ الصحيحة كافيةٌ في هذا.

والشاهدُ قوله: «وَوَضَعَهُ مَعَهُ عَلَى الْعَرْشِ» لإثبات أن الله فوق العرش؛ لكن لا حاجة إلى مثل هذا الحديث الذي في متنه غرابة؛ لأن الآيات والأحاديث الصحيحة كافية.



٥٦ ـ وَقَدْ حَدَّثَنَا بِكِتَابِ الَعَرْشِ لِابْنِ أَبِي شَيْبَةَ عَنِ ابْنِ الصَّوَّافِ وَهُوَ يَشْتَمِلُ عَلَى عِدَّةِ أَحَادِيثَ فِي الْعَرْشِ رَدًّا عَلَى الْجَهْمِيَّةِ، وَذَكَرَ الْآجُرِّيُّ فِي كِتَابِ الشَّرِيعَةِ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا كَثِيرًا[1].



ذَكَر الْآجُرِّيُّ هذا في الشريعة، وكتاب العرش لابن أبي شيبة معروف، وهو يشتمل على أحاديث العرش، وفيه: الرد على الجهمية، من رواية أبي الفتح ابنَ أبي الفَوَارس، وهو من شيوخ المؤلف.

❁ ❁ ❁

(١) وهو مطبوع بتحقيق: محمد بن محمود.





فَصْلٌ
تَكْفِيرُ الْمُشَبِّهَةِ وَالْمُجَسِّمَةِ

٥٧ ـ وَأَمَّا الْمُشَبِّهَةُ وَالْمُجَسِّمَةُ فَهُمُ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ صِفَاتِ اللهِ ﷻ مِثْلَ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، وَهُمْ كُفَّارٌ.

الشَّرْحُ

المُشبِّهَةُ هم الذين يُشبِّهونَ الخالقَ بالمخلوقِ؛ فيقول أحدهم: إنَّ لله يَدًا كيَدِي، واستواءً كاستوائي، والمُجَسِّمَة هم الذين يقولون: إن الله جِسم مثل الأجسام المخلوقة.

وهؤلاء كفارٌ كفَّرهم الأئمةُ؛ يقول نُعَيم بن حَمَّاد وابن خزيمة: «**مَنْ شَبَّهَ الله بِخَلْقِهِ فَقَدْ كَفَرَ**». نسألُ الله السلامةَ والعافية، فإن الله ـ تعالى ـ يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١] وهذا مُكذِّبٌ لله، ويقول: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم: ٦٥]، ويقول: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢]، ويقول: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤] و﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠]. والمُشبِّهةُ مُكذِّبون لله ـ تعالى ـ في هذه الآيات فهم كفار.



المُشَبِّهَةُ يُشَبِّهُونَ صِفَاتِ الْخَالِقِ بِصِفَاتِ الْمَخْلُوقِ

قَالَ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِاللهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبَلٍ ﷺ: الْمُشَبِّهَةُ تَقُولُ: بَصَرٌ كَبَصَرِي، وَيَدٌ كَيَدِي. وَمَنْ قَالَ هَذَا فَقَدْ شَبَّهَ اللهَ ـ تَعَالَى ـ بِخَلْقِهِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

الشَّرْحُ

○ قوله: «الْمُشَبِّهَةُ تَقُولُ: بَصَرٌ كَبَصَرِي، وَيَدٌ كَيَدِي. وَمَنْ قَالَ هَذَا فَقَدْ شَبَّهَ اللهَ ـ تَعَالَى ـ بِخَلْقِهِ»، والله ـ تعالى ـ يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ وتُعَدُّ هذه الآية الكريمة أصلًا عظيمًا في تقرير مُعتقَد أهل السُّنة، وإبطال ما سواه؛ ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: فطريقتهم ـ أي: طَريقةُ أهلِ السُّنة ـ إثبات الأسماء والصفات، مع نفي مماثلة المخلوقات، إثباتا بلا تشبيه، وتنزيها بلا تعطيل، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ ففي قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ردٌّ للتشبيه والتمثيل، وفي قوله ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ ردٌّ للحَجْر والتعطيل[1]، وكذلك في إثبات السمع والبصر بعد نفي المثلية أبينُ دلالةٍ على أن إثباتَ الصفات على الوجه اللائق بالله لا يقبل تشبيه الله بالمخلوقات.



(١) التدمرية (٨).

إِضافةُ التشبيهِ والتجسيمِ إلى أهلِ السُّنةِ كَذِبٌ وبُهتَان

وَبِهِمْ وَجَدَ الْمُبْتَدِعُ الْمُلْحِدُ طَرِيقًا عَلَى أَهْلِ السُّنَّةِ وَأَصْحَابِ الْحَدِيثِ فَأَضَافَ إِلَيْهِمُ التَّشْبِيهَ وَالتَّجْسِيمَ، وَهَذَا كَذِبٌ وَبُهْتَانٌ وَإِفْكٌ وَطُغْيَانٌ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهِ مِنْ سُلْطَانٍ.

قَدْ نَزَّهَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ حَمَلَةَ الْقُرْآنِ وَآثَارِ الرَّسُولِ ﷺ الَّذِينَ هُمْ سُرُجُ الْعِبَادِ وَنُورُ الْبِلَادِ عَنْ مِثْلِ هَذِهِ الْمَقَالَةِ الْعَوْرَاءِ وَالْجَهَالَةِ الْعَمْيَاءِ، بَلْ يَصِحُّ عِنْدَ الْعُقَلَاءِ، وَيَصِحُّ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ أَنَّهَا مِنْ أَبَاطِيلِ الْمُلْحِدَةِ، حِينَ ضَاقَ بِهِمُ الْمَخْرَجُ؛ وَلَمْ يَصِحَّ لَهُمُ الْمَنْهَجُ، وَرَأَوْا مَا أَبْدَى اللهُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ مِنْ عَوْرَاتِهِمُ الشَّنِيعَةِ وَجَهَالَاتِهِمُ الْفَظِيعَةِ مَا خَالَفُوا فِيهِ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَإِجْمَاعَ الْأُمَّةِ: أَرَادُوا أَنْ يُمَوِّهُوا عَلَى الْعَوَامِّ، وَيُوهِمُوا بِزُخْرُفِ الْكَلَامِ مَا نَزَّهَ اللهُ عَنْهُ كُلَّ إِمَامٍ يُقْتَدَى بِهِ فِي الْإِسْلَامِ، وَيُهْتَدَى بِقَوْلِهِ فِي الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ.

أَتُرَى يَظُنُّ مُسْلِمٌ أَنَّ مَا تَخَرَّصُوهُ يُدَنِّسُ مِثْلَ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَغَيْرِهِمْ مِنَ السَّادَاتِ أُولِي الْعِبَادَاتِ وَالْمُجَاهَدَاتِ؟ هَيْهَاتَ! خَابَ وَاللهِ مَا رَجَوْهُ، وَبَطَلَ مَا أَمَّلُوهُ؛ بَلْ مَا ذَكَرَهُ الْأَئِمَّةُ فِي غُلَاتِهِمْ وَغُوَاتِهِمْ أَلْيَقُ وَإِلَيْهِمْ أَسْبَقُ؛ مِثْلِ جَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ الَّذِي قَالَ فِيهِ ابْنُ شَوْذَبٍ: تَرَكَ الصَّلَاةَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا عَلَى وَجْهِ الشَّكِّ، وَقِيلَ لَهُ بِالشَّامِ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ فَقَالَ: أَطْلُبُ رَبًّا أَعْبُدُهُ، وَمِثْلِ مَعْبَدٍ الْجُهَنِيِّ الَّذِي قَالَ فِيهِ الْحَسَنُ: لَا تُجَالِسُوهُ فَإِنَّهُ ضَالٌّ مُضِلٌّ.

وَمِثْلِ عَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ الَّذِي قَالَ أَبُو النَّضْرِ: سَمِعْتُهُ يَطْعَنُ عَلَى الصَّحَابَةِ وَيَقُولُ: كَانَ ابْنُ عُمَرَ حَشْوِيًّا.

وَقَالَ قَيْسٌ الْعَبَّاسِيُّ: سَأَلْتُهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَلَمْ يُجِبْنِي فَقُلْتُ: لَا بُدَّ لِي، فَقَالَ: قَدْ كَانَ مِنْ بَعْثَةِ مُحَمَّدٍ بُدٌّ؟! فَكَيْفَ مِنْ مَسْأَلَتِكَ؟! وَكَانَ يُظْهِرُ الزَّهَادَةَ عَلَى وَجْهِ التَّلْبِيسِ، وَهُوَ فِي اعْتِقَادِهِ شَرٌّ مِنْ إِبْلِيسَ، وَقَدْ أُنْشِدْتُ لِلطَّوْلَقِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

دَعْ عَنْكَ هَزْلَ الْهَزَلَةِ وَاعْتَزِلِ الْمُعْتَزِلَهْ
فَإِنَّهَا شِرْذِمَةٌ عَنِ الْهُدَى مُنْخَذِلَهْ
أَخَسُّ كَلْبٍ فِي الْوَرَى أَجَلُّ مِنْهُمْ مَنْزِلَهْ

وَأَنْشَدَ آخَرُ:

خُذْهَا أَتَتْ مُنْطَبِعَةً مَقَالَةً مُرْتَفِعَهْ
ثُمَامَةُ وَمَعْبَدٌ وَجَهْمُهُمْ مُبْتَدِعَهْ
ثَلَاثَةٌ شَرُّ الْوَرَى إِبْلِيسُ خَيْرُ الْأَرْبَعَهْ

الشَّرْحُ

لما بين المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أن المُشبِّهةَ هم الذين شَبَّهوا الله بخَلْقه، بين أن الهَزَلة المبتدعة لم يجدوا طريقًا على أهل السُّنة، وأصحاب الحديث، فأضافوا إليهم التشبيه والتجسيد، أي: أنهم فتحوا الباب أمام المبتدعة الذين شبَّهوا الله بخَلْقه، وقالوا: إن الله مثل المخلوقات، وأنه من الأجسام، ففتحوا بابًا لطريق المبتدع الملحد فقالوا: إن أهل السُّنة الذين يُثبتون هذه الأسماء والصفات مشبهة، وقالوا: كل من أثبت الصفاتِ فهو مُشبِّه.

فمن الذي فتح الباب له؟

• **الجواب**: إنهم المشبهة؛ لمَّا قالوا: إن الله يُشبه المخلوقات، ففتحوا بابًا لهؤلاء المبتدعة فقالوا: كلُّ مَن يُثبت الصفاتِ فهو مُشبِّه؛ ولهذا قال المؤلف ﷺ: «**وَبِهِمْ وَجَدَ الْمُبْتَدِعُ الْمُلْحِدُ طَرِيقًا عَلَى أَهْلِ السُّنَّةِ، وَأَصْحَابِ الْحَدِيثِ فَأَضَافَ إِلَيْهِمُ التَّشْبِيهَ وَالتَّجْسِيمَ**»، ثم قال: «**وَهَذَا كَذِبٌ وَبُهْتَانٌ وَإِفْكٌ وَطُغْيَانٌ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهِ مِنْ سُلْطَانٍ**» أي: إن إضافة التشبيه والتجسيم إلى أهل السُّنة كَذِب وبُهتان، فـ«**قد نزَّه اللهُ ـ سبحانه ـ حملةَ القُرآن وآثار الرسول ﷺ: «الَّذِينَ هُمْ سُرُجُ الْعِبَادِ وَنُورُ الْبِلَادِ عَنْ مِثْلِ هَذِهِ الْمَقَالَةِ الْعَوْرَاءِ وَالْجَهَالَةِ الْعَمْيَاءِ**» وهي القول بأن الله يُشبه المخلوقات؛ ثم قال: «**بَلْ يَصِحُّ عِنْدَ الْعُقَلَاءِ، وَيَصِحُّ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ أَنَّهَا مِنْ أَبَاطِيلِ الْمُلْحِدَةِ، حِينَ ضَاقَ بِهِمُ الْمَخْرَجُ؛ وَلَمْ يَصِحَّ لَهُمُ الْمَنْهَجُ، وَرَأَوْا مَا أَبْدَى اللهُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ مِنْ عَوْرَاتِهِمُ الشَّنِيعَةِ وَجَهَالَاتِهِمُ الْفَظِيعَةِ مَا خَالَفُوا فِيهِ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَإِجْمَاعَ الْأُمَّةِ**».

■ **فإن قال قائل**: هل يُثْبِتُ أهلُ السُّنة الجسم لله ـ تعالى ـ؟

• **فنقول**: أهلُ السُّنَّة يَقولون: لا يُثْبَتُ الجسم ولا يُنْفَى، فلا يقولون: إن الله جسم، ولا يقولون ليس بجسم؛ لأنه لم يَرِدْ في الكتاب ولا السنة، ولكن مَن قال: إن الله جسم، فيستفسرون منه، فيقولون له: ما مُرادُك بالجسم؟ فإذا قال: مرادي بالجسم أن الله مُتَّصف بالصِّفات، قالوا: هذا حقٌّ، ولكن لا تَقُلْ: جِسم؛ لأنه لم يَرِد. وإذا قال: مُرادي بالجسم أن الله يُشبِه المخلوقات، فنقول له: هذا باطلٌ في اللفظ والمعنى.

فلا يقال: إن الله جِسم، ولا يقال: إن الله له حَدٌّ، ولا ليس له حَدٌّ، ولا جِهَة، ولا أبعاض ولا أغراض، كل هذه ألفاظٌ مُبتدعَة،

لا يُثبتها أهلُ السُّنة ولا ينفونها.

○ قوله: «**أَرَادُوا أَنْ يُمَوِّهُوا عَلَى الْعَوَامِّ**» أي: يُلبِّسوا، فالتمويهُ يعني: تمويه الباطل وتزيينه. «**وَيُوهِمُوا بِزُخْرُفِ الْكَلَامِ**» أي: أرادوا أن يُموِّهوا على الناس بأن أهل السُّنة مُشبِّهة، أي الذين يثبتون الصفات مشبهه؛ حتى يضطروهم إلى أن ينفوا الصفات؛

○ ثم يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «**هَذَا مَا نَزَّهَ اللهُ عَنْهُ كُلَّ إِمَامٍ يُقْتَدَى بِهِ فِي الْإِسْلَامِ، وَيُهْتَدَى بِقَوْلِهِ فِي الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ. أَتُرَى يَظُنُّ مُسْلِمٌ أَنَّ مَا تَخَرَّصُوهُ يُدَنِّسُ مِثْلَ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَغَيْرِهِمْ مِنَ السَّادَاتِ أُولِي الْعِبَادَاتِ وَالْمُجَاهَدَاتِ؟ هَيْهَاتَ!**» أي هل يُمكن لكلامهم وكَذِبهم أن يدنس الأئمةَ الكبار مثل مالك بن أنس وسفيان الثوري والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم من السادات؟

● **الجواب**: هيهات هيهات؛ فهذا كَذِب بعيدٌ «**خَابَ وَاللهِ مَا رَجَوْهُ، وَبَطَلَ مَا أَمَّلُوهُ**» لا يمكن لهم أن يُدنِّسوا مثل هؤلاء الأئمة، «**بَلْ مَا ذَكَرَهُ الْأَئِمَّةُ فِي غُلَاتِهِمْ وَغُوَاتِهِمْ أَلْيَقُ وَإِلَيْهِمْ أَسْبَقُ**» أي: أن هذه العيوب إنما هي في أئمة المبتدعة، «**مثل الجهم بن صفوان**» الذي تُنسب إليه الجَهْمِيَّة؛ لأنه يُنكِر الأسماء والصفات، بل هو الذي نَشَر عقيدةَ نفي الصفات ونُسِبَت إليه؛ وهو «**الَّذِي قَالَ فِيهِ ابْنُ شَوْذَبٍ: تَرَكَ الصَّلَاةَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا عَلَى وَجْهِ الشَّكِّ**»، أي: أنه ترك الصلاةَ أربعين يومًا ـ والعياذ بالله ـ شاكًّا في ربه، «**وَقِيلَ لَهُ بِالشَّامِ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ فَقَالَ: أَطْلُبُ رَبًّا أَعْبُدُهُ**» أي: أنه ـ والعياذ بالله ـ لا يعرف ربَّه.

وروى قولَ ابنِ شَوْذَبٍ البُخارِيُّ في (خلق أفعال العباد)

واللَّالكائي في (شرح الاعتقاد)، وروى المقالة الثانية ابنُ بَطَّة في (الشرح والإبانة)، وسبب هذا فَسَاد المعتقَد؛ ولهذا قال ابن المبارك: «كُلُّ قَوم يَعرفُون ما يعبدون إلا الجَهمية ما يعرفون ما يعبدون» نعوذ بالله من ذلك.

○ ثم يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومثل مَعْبَد الجُهَني» أول من تَكلَّم في القَدَر بالبصرة، الذي يقول: إن الله لا يعلم الأشياء حتى تقع، وقد «قَالَ فِيهِ الْحَسَنُ: لَا تُجَالِسُوهُ فَإِنَّهُ ضَالٌّ مُضِلٌّ» رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق[1].

○ ثم يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومثل عمرو بن عُبَيْد» رئيس المعتزلة والاعتزال؛ وقد قال عنه أبو النضر: «سَمِعْتُهُ يَطْعَنُ عَلَى الصَّحَابَةِ وَيَقُولُ: كَانَ ابْنُ عُمَرَ حَشْوِيًّا» وحَشْويٌّ هذه نَبْزَةٌ يَنبزون بها أهلَ السنة يسمونهم: حشوية؛ فعند هؤلاء كلُّ مَن يثبت الأسماء والصفات يُسمونه: حَشويًّا، ويسمونهم: نوابتَ، كالشيء الذي يَنبت في الزرع ولا فائدة فيه. ويُسمي القَدَريَّةُ أهلَ السُّنة: مُجبِّرةً؛ تنفيرًا منهم ونَبْزًا بالألقاب السيئة.

وقال قيسٌ العَبَّاسي عن عَمْرو بن عُبَيد هذا: «سَأَلْتُهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَلَمْ يُجِبْنِي فَقُلْتُ: لَابُدَّ لِي، فَقَالَ: قَدْ كَانَ مِنْ بَعْثَةِ مُحَمَّدٍ بُدٌّ؟! فَكَيْفَ مِنْ مَسْأَلَتِكَ؟! وَكَانَ يُظْهِرُ الزَّهَادَةَ عَلَى وَجْهِ التَّلْبِيسِ، وَهُوَ فِي اعْتِقَادِهِ شَرٌّ مِنْ إِبْلِيسَ»؛ ولهذا اغتر به أقوام بسبب تظاهره بالزهد والعبادة، وممن اغتر بعمرو بن عبيد لإظهاره الزهد في الدنيا مع كونه معتزليًّا يُنكِر كل الصفات أبو جعفر المنصور الخليفة، فقد كان يعظم ابنَ عبيد هذا، ويقول: «كلُّكم يمشي رويد، كُلكم يطلب

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٩/ ٣٢١).

الصيدَ، غيرَ عمرو بن عبيد» يعني: أنه زاهد في الدنيا؛ فكلكم يريد مالي إلا عمرو بن عبيد، فقد اغترَ بزُهدِه وادعائه الإخلاص وأغفل بدعته؛ بل ذكر ابن قتيبة في كتابه (المعارف) أن المنصور رثى عمرو بن عبيد لما مات فقال:

صَلَّى الإِلَهُ عَلَيْكَ مِنْ مُتَوَسِّدٍ ... قَبْرًا مَرَرْتُ بِهِ عَلَى مِرَّانِ
قَبْرًا تَضَمَّنَ مُؤْمِنًا مُتَحَنِّثًا ... صَدَقَ الإِلهَ وَدَانَ بِالْقُرْآنِ
فَلَوَ انَّ هَذَا الدَّهْرَ أَبْقَى صَالِحًا ... أَبْقَى لَنَا حَقًّا أَبَا عُثْمَانِ

ذكر ذلك الذَّهَبي في تاريخ الإسلام في ترجمة عمرو بن عبيد، ثم قال: «**لَمْ يُسْمَعْ بِخَلِيفَةٍ رثى من دونه سواه**»[1]، فلا يُعرَف أن خليفةً رفع من دونه سِوى المنصور رفع عمرو بن عبيد.

وكل هذا بسبب الاغترار به؛ ولهذا قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: «**وَكَانَ يُظْهِرُ الزَّهَادَةَ عَلَى وَجْهِ التَّلْبِيسِ، وَهُوَ فِي اعْتِقَادِهِ شَرٌّ مِنْ إِبْلِيسَ**».

قال: «**وَقَدْ أُنْشِدْتُ لِلطَّوْلَقِيِّ** رَحِمَهُ اللهُ:

دَعْ عَنْكَ هَزْلَ الْهَزَلَةِ وَاعْتَزِلِ الْمُعْتَزِلَهْ
فَإِنَّهَا شِرْذِمَةٌ عَنِ الْهُدَى مُنْخَذِلَهْ
أَخَسُّ كَلْبٍ فِي الْوَرَى أَجَلُّ مِنْهُمْ مَنْزِلَهْ

وَأَنْشَدَ آخَرُ:

خُذْهَا أَتَتْ مُنْطَبِعَةً مَقَالَةً مُرْتَفِعَهْ
ثُمَامَةُ وَمَعْبَدٌ وَجَهْمُهُمْ مُبْتَدِعَهْ
ثَلَاثَةٌ شَرُّ الْوَرَى إِبْلِيسُ خَيْرُ الْأَرْبَعَهْ»

---

(١) انظر: تاريخ الإسلام للذهبي (٣/ ٩٤٣).

ثمامة بن أشرس المعتزلي[١] ومعبد الجهني[٢] القَدَري الذي قال بالقدر وجَهْم بن صفوان[٣] رأس الجهمية شر الورى ـ أي: شر الناس ـ ورابعهم إبليس، وإبليس خير الأربعة ـ نسأل الله السلامة والعافية ـ.



(١) هو ثمامة بن أشرس أبو معن النميري البصري المتكلم من رؤوس المعتزلة القائلين بخلق القرآن، اتصل بالرشيد ثم بالمأمون. سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٣٨).

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) تقدمت ترجمته.

ذِكْرُ الْمُؤَلِّفِ لِبَعْضِ أَسْمَاءِ الْمُبْتَدِعَةِ

وَمِنْهُمْ غَيْلَانُ الْقَدَرِيُّ الَّذِي ضُرِبَتْ عُنُقُهُ بَعْدَ قَطْعِ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ وَسَمْلِ عَيْنَيْهِ، وَأَبُو الْهُذَيْلُ الْعَلَّافُ، وَإِبْرَاهِيمُ النَّظَّامُ وَالْجُبَّائِيُّ وَابْنُ أَبِي دُؤَادٍ الَّذِي أَبَانَ اللهُ فَضَائِحَهُ، وَأَظْهَرَ قَبَائِحَهُ عَلَى لِسَانِ الْإِمَامِ أَبِي عَبْدِاللهِ أَحْمَدِ بْنِ حَنْبَلٍ ﷺ.

وَمِنْهُمْ ثُمَامَةُ بْنُ أَشْرَسَ وَبَرْغُوثٌ وَرَبَالُوَيْهِ وَ[أَبُو شعيب] الْحَجَّامُ، وَسَهْلٌ الْجَزَّارُ وَأَبُو لُقْمَانَ الْكَافِرُ، وَحَفْصٌ الْفَرْدُ الَّذِي كَفَّرَهُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ وَسَمَّاهُ: حَفْصٌ الْمُنْفَرِدُ.

وَلَقَدْ رُوِيَ عَنِ الْمَأْمُونِ أَنَّهُ قَالَ يَوْمًا لِحَاجِبِهِ: انْظُرْ مَنْ بِالْبَابِ مِنْ أَصْحَابِ الْكَلَامِ، فَخَرَجَ وَعَادَ إِلَيْهِ فَقَالَ: بِالْبَابِ أَبُو الْهُذَيْلِ الْعَلَّافُ وَهُوَ مُعْتَزِلِيٌّ وَعَبْدُالله بْنُ إِبَاضٍ الْإِبَاضِيُّ، وَهِشَامُ بْنُ الْكَلْبِيِّ الرَّافِضِيُّ. فَقَالَ الْمَأْمُونُ: مَا بَقِيَ مِنْ أَعْلَامِ جَهَنَّمَ أَحَدٌ إِلَّا وَقَدْ حَضَرَ.

وَقَالَ أَبُو عَبْدِاللهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّاسٍ الْمِصْرِيُّ: سَمِعْتُ هَارُونَ الرَّشِيدَ يَقُولُ: طَلَبْتُ أَرْبَعَةً فَوَجَدْتُهَا فِي أَرْبَعَةٍ؛ طَلَبْتُ الْكُفْرَ فَوَجَدْتُهُ فِي الْجَهْمِيَّةِ، وَطَلَبْتُ الْكَلَامَ وَالشَّغَبَ فَوَجَدْتُهُ مَعَ الْمُعْتَزِلَةِ، وَطَلَبْتُ الْكَذِبَ فَوَجَدْتُهُ مَعَ الرَّافِضَةِ، وَطَلَبْتُ الْحَقَّ فَوَجَدْتُهُ مَعَ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ.

الشرح

ذَكر المؤلف رحمه الله من المُبتدعة عددًا:

منهم: غَيلانُ القَدَري، الذي يُنكرِ القَدَر، وينكر عِلمَ الله بالأشياء

قبل كَوْنها، وقد ضُرِبت عنقُه بعد قَطْع يديه ورجليه وسَمْل عينيه.

ومنهم: أبو هذيل العَلَّاف شيخ المعتزلة، وإبراهيمُ النَّظَّام المعتزلي، والجُبَّائي المعتزلي.

ومنهم: ابن أبي دؤاد المعتزلي رئيس القضاة عند الخليفة المأمون، وهو الذي امتحن الأئمة، فامتحن الإمام أحمد، وأمر بسجنه لأنه لم يقل بأن القرآن مخلوق؛ لذلك قال عنه المؤلف رحمه الله: «**وَابْنُ أَبِي دُؤَادٍ الَّذِي أَبَانَ اللهُ فَضَائِحَهُ، وَأَظْهَرَ قَبَائِحَهُ عَلَى لِسَانِ الْإِمَامِ أَبِي عَبْدِ اللهِ أَحْمَدِ بْنِ حَنْبَلٍ** رضي الله عنه».

وقد حاول ابن أبي دؤاد بكل ما أوتي من قوة أن يجعل الإمام أحمد يقول إن القرآن مخلوق، فرفضَ الإمام أحمد رحمه الله؛ فسُحِب وضُرِب وأُوذِي وسُجِن وأُغْمِي عليه، وهو ثابت لا يتتعتع حتى فرَّج الله عنه، وخرج من المحنة صَفِيًّا تَقِيًّا، رحمه الله.

ومنهم: ثُمَامَة بن الأَشْرَس[1] وبُرْغُوث[2]؛ وكلُّ هؤلاء المبتدعة من المعتزلة وغيرهم ورَبَالُوَيه، وأبو شُعَيب الحَجَّام[3] وسَهْل الجَزَّار وأبو لقمان الكافر، وحَفْص الفَرْد[4] الذي كفَّره الشافِعي، وسمَّاه حَفْصا المُنفرد.

وذَكر المؤلفُ قِصةً عن المأمون أنه قال يومًا لحاجبه: «**انْظُرْ مَنْ بِالْبَابِ مِنْ أَصْحَابِ الْكَلَامِ، فَخَرَجَ وَعَادَ إِلَيْهِ فَقَالَ: بِالْبَابِ**»

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) هو رأس البدعة، أبو عبدالله محمد بن عيسى الجهمي. ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٥٤).

(٣) له ذكر في سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٤٣).

(٤) ترجمته في لسان الميزان (٣/ ٢٤٠).

أربعةٌ أو ثلاثةٌ، قال: بالباب أبو هُذَيلٍ العَلَّاف[1]؛ وهو شيخ المعتزلة في القرن الثاني، وعبدالله بن إِباض الإِباضي[2] مِن الخوارج من الإِباضية، وهِشام بن كَلْبٍ الرافضي، فكان بالباب ثلاثة معتزلي وخارجي إباضي ورافضي؛ كُلُّهم من أئمة البدع، فقال المأمون: «**مَا بَقِيَ مِنْ أَعْلَامِ جَهَنَّمَ أَحَدٌ إِلَّا وَقَدْ حَضَرَ**».

وقد روى هذا اللَّالَكَائِيّ في (شرح الاعتقاد) من طرق، ورواه عن الشافعي: في حَفْص الفرد وتكفيره له، وتَسميته له حفصا المنفرد.

وذكر المؤلفُ كلامَ أبي عبدالله المصري قال: «**سَمِعْتُ هَارُونَ الرَّشِيدَ يَقُولُ: طَلَبْتُ أَرْبَعَةً فَوَجَدْتُهَا فِي أَرْبَعَةٍ؛ طَلَبْتُ الْكُفْرَ فَوَجَدْتُهُ فِي الْجَهْمِيَّةِ**»؛ فالجهميةُ ينكرون أسماءَ الله وصفاتِه؛ ومعنى ذلك أنه لا وجود له، فما لا اسم له ولا صفة لا وجود له؛ وهذا كفر وضلال.

○ ثم قال: «**وَطَلَبْتُ الْكَلَامَ وَالشَّغَبَ فَوَجَدْتُهُ مَعَ الْمُعْتَزِلَةِ**»؛ فهم أهل الكلام والشَّغَب. «**وَطَلَبْتُ الْكَذِبَ فَوَجَدْتُهُ مَعَ الرَّافِضَةِ**»، فالرافضة يتدينون بالكذب حتى قال عنهم الشَّعْبِي: «**لَوْ شِئْتُ أَنْ يَمْلَئُوا هَذَا الْبَيْتَ ذَهَبًا وَفِضَّةً عَلَى أَنْ أَكْذِبَ لَهُمْ عَلَى عَلِيٍّ لَفَعَلُوا،**

---

(١) هو رأس المعتزلة؛ أبو الهذيل محمد بن الهذيل البصري، العلاف، صاحب التصانيف، الذي زعم أن نعيم الجنة وعذاب النار ينتهي، بحيث إن حركات أهل الجنة تسكن، حتى لا ينطقوا بكلمة، وأنكر الصفات المقدسة حتى العلم والقدرة. ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٤٢).

(٢) هو عبدالله بن إباض التميمي الإباضي، رأس الإباضية، من الخوارج، وهم فرقة كبيرة، وكان هو فيما قيل رجع عن بدعته فتبرأ أصحابه منه، واستمرت نسبتهم إليه. ومن مقالتهم: إن من أتى كبيرة فقد جهل الله فهو كافر لجهله بالله لا لإتيانه الكبيرة. انظر: لسان الميزان (٤/ ٤١٨).

وَكَانَ يَقُولُ: لَوْ كَانَتِ الشِّيعَةُ مِنَ الطَّيْرِ لَكَانُوا رَخَمًا[١]**، وَلَوْ كَانُوا مِنَ الدَّوَابِّ لَكَانُوا حُمُرًا»**[٢]، فدينهم الكذب يتدينون به؛ حتى قال أبو العباس ابن تيمية: «**هُمْ أَكْذَبُ الطَّوَائِفِ**»[٣]؛ فدينهم مبني على الكذب، والقول المُعتمَد عندهم هو القول المُبهَم الذي لا أصل له، فإذا اختلفت الإماميةُ الرافضة في قولين أحدهما لا يُعرَف قائلُه، فالحق في القول الذي لا يُعرَف قائلُه عندهم. نسأل الله السلامة والعافية.

ثم يختم الرشيد بقوله: «**وَطَلَبْتُ الْحَقَّ فَوَجَدْتُهُ مَعَ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ**» وهذا الخبر رواه الخطيب في شرف أصحاب الحديث، وهذا قريب من معنًى روي عن هارون الرشيد أيضًا أنه قال: «**الْمُرُوءَةُ فِي أَصْحَابِ الْحَدِيثِ، وَالْكَلَامُ فِي الْمُعْتَزِلَةِ، وَالْكَذِبُ فِي الرَّوَافِضِ**»[٤].



---

(١) الرَّخَم: طائِر أبقَعُ على شَكْل النَّسر خِلْقَة إلا أنه مُبَقَّع بِسَوادٍ وبَياضٍ، وهو موصوف بالغَدْر والمُوقِ، وقيل: بالقذر. انظر: تاج العروس (٣٢/ ٢٣٥).

(٢) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي (٧/ ١٣٤٣/ ٢٣٩٤).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٢٢/ ٤٢٣).

(٤) انظر: شرف أصحاب الحديث (ص ٧٨).





فَصْلٌ

عُقُوبَةُ الْإِمَامِ وَالْأَمِيرِ لِأَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ

٥٨ ـ أما الْجَهْمِيَّة فَقَالَ عَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ: «مَا كُنْتُ لِأَعْرِضَ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ عَلَى السَّيْفِ إِلَّا الْجَهْمِيَّةَ فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ قَوْلًا مُنْكَرًا»(١).



هذا القول شهادةٌ من الإمام عبدالرحمن بن مَهدي؛ من أئمة أهل الحديث ومن أئمة النُّقَّاد من أهل الجَرْح والتَّعْديل، يقول: «مَا كُنْتُ لِأَعْرِضَ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ عَلَى السَّيْفِ إِلَّا الْجَهْمِيَّةَ، فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ قَوْلًا مُنْكَرًا».

ويعني بـ«أَهْلِ الْأَهْوَاءِ»: أهل البدع، ومعنى: «يعرضهم على السيف»: أيْ ليس لهم إلا القتل؛ لأنهم يقولون قولا منكرًا.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢/ ٣٤٨/ ٥٠٢).

قَولُ يزيدَ بن هارون في الْجَهْمِية

وقال يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ: «الجَهْمِيَّةُ هُمْ وَاللهِ زَنَادِقَةٌ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ»[١].

وقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: «مَنْ صَلَّى خَلْفَ جَهْمِيٍّ سَنَةً يُعِيدُ وَسَنَتَيْنِ».

وَقَالَ فِي رِوَايَةِ صَالِحٍ: «افْتَرَقَتِ الْجَهْمِيَّةُ عَلَى ثَلَاثِ فِرَقٍ: فِرْقَةٌ قَالُوا: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ، وَفِرْقَةٌ قَالُوا: كَلَامُ اللهِ وَسَكَتُوا، وَفِرْقَةٌ قَالُوا: لَفْظُنَا بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ»[٢].

وَعِنْدَهُمْ أَنَّ الْعِبَادَاتِ كُلَّهَا لَيْسَتْ مِنَ الْإِيمَانِ، وَهُوَ عِنْدَهُمُ التَّصْدِيقُ فَقَطْ؛ لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ.

وَعِنْدَهُمْ أَنَّ إِيمَانَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَالْأَوْلِيَاءِ الْمُتَّقِينَ مُسَاوٍ لِإِيمَانِ الْعُصَاةِ الْفَاسِقِينَ.

وَعِنْدَهَمْ أَنَّ اللهَ ـ تَعَالَى ـ كَانَ فِي الْقِدَمِ بِلَا اسْمٍ وَلَا صِفَةٍ، وَأَنَّ تَسْمِيَةَ الْعِبَادِ اللهَ بِأَنَّهُ وَاحِدٌ أَحَدٌ مَخْلُوقٌ مُحْدَثٌ، كَمَا قَالُوا: إِنَّ تِلَاوَةَ الْعِبَادِ لِلْقُرْآنِ مَخْلُوقَةٌ مُحْدَثَةٌ.

وَعِنْدَهُمْ أَنَّ نُبُوَّةَ نَبِيِّنَا ﷺ قَدِ انْقَطَعَتْ بِمَوْتِهِ، وَأَنَّ قَوْلَنَا فِي الْأَذَانِ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، أَوْ فِي التَّشَهُّدِ قَوْلٌ لَا حَقِيقَةَ لَهُ الْآنَ، وَقَالُوا: لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: يَا قَدِيمَ الْإِحْسَانِ.

الشَّرح

هَذِه هي أقوالُ الجَهْمِية؛ ولهذا قال عنهم يزيدُ بن هارون: «هُمْ

(١) أخرجه ابن بطة في الإبانة (٦/ ١٠٠/ ٣٣٧)، وعبدالله بن أحمد في السنة (١/ ١٢١/ ٤٩).

(٢) انظر: الحجة في بيان المحجة (١/ ٤٢٠).

وَاللهِ زَنَادِقَةٌ، عَلَيْهُمْ لَعْنَةُ اللهِ ﷺ» والفساق يلعنون على العموم.

○ قوله: «وقال الإمام أحمد بن حنبل: «**مَنْ صَلَّى خَلْفَ جَهْمِيٍّ سَنَةً يُعِيدُ وَسَنَتَيْنِ**» وهذا دليل على أن الإمام يُكفِّرهم؛ لأن الكافر لا تصح الصلاة خلفه بخلاف المبتدع على الصحيح.

○ قوله: «وقال في رواية صالح: «**افْتَرَقَتِ الْجَهْمِيَّةُ عَلَى ثَلَاثِ فِرَقٍ: فِرْقَةٌ قَالُوا: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ**» وهم كُفَّار، «**وَفِرْقَةٌ قَالُوا: كَلَامُ اللهِ وَسَكَتُوا**» وحُكمُهم أيضًا الكفرُ لأنه لا يَجب أن يَسْكت الإنسان، بل يجب أن يقول كلام الله المُنزَّل، «**وَفِرْقَةٌ قَالُوا: لَفْظُنَا بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ**» وهذا هو السبب في التكفير.

○ قوله: «وعِنْدَهُمْ» يعني الجهمية «**أَنَّ الْعِبَادَاتِ كُلَّهَا لَيْسَتْ مِنَ الْإِيمَانِ، وَهُوَ عِنْدَهُمُ التَّصْدِيقُ فَقَطْ؛ لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ**»؛ وذلك لأن الجَهْميةَ مُرجِئة.

وقد تَزعَّم الجَهْمُ بن صفوان ـ قبَّحه الله ـ عقائدَ خبيثة، تزعَّم أربعَ عقائد:

١- تزعَّم عقيدةَ نفي الصفات، فأنكر الأسماءَ والصفات.

٢- تزعَّم عقيدة الإِرْجاء فقال: «الإيمانُ مُجرد معرفةِ الرب بالقَلْب».

٣- تزَعَّم عقيدة الجَبْر فقال: «إِنَّ الْعَبْدَ مَجْبُورٌ».

٤- وقال في عقيدته الرابعة: بفَناء الجنة والنار.

أما عقيدة الإرجَاء، فقد قال: «الإيمانُ مُجرَّدُ مَعرفةِ الرَّبِّ بِالقَلْبِ، والكُفْرُ هو جَهْلُ الرَّبِّ بِالْقَلْبِ». ومن ثَمَّ قال: «إذا عَرف الإنسانُ ربَّه بقَلبه فهو مُؤمنٌ، ولو فَعَل جميعَ أنواع الرِّدَّة والكُفْر، ولا يَضُره شَيْءٌ حتَّى يجهل ربَّه بقلبه».

ومِن هنا أَلزمَه العُلماءُ بأن إبليس على ذلك يكون مؤمنًا؛ لأنه يعرف ربَه بقَلْبِه، فقد قال: ﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ﴾ [الحِجر: ٣٦] وكذلك فرعون مؤمنٌ؛ لأنه يعرفُ ربَّه بقلبه ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النَّمل: ١٤]، واليهودُ يعرفون ربهم: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البَقَرة: ١٤٦] وأبو طالب يَعرف ربَّه.

وكَفَّر العلماءُ الجهمَ فقالوا: إنه كافر بشهادته على نفسه؛ لأنه لم يعرف ربَّه؛ فلو عرَف ربَّه لما قال هذا الكلام.

فإن هذا التعريف الذي عَرَّفه يشمله هو، فقوله: «الإيمانُ معرفةُ الربِّ بالقلب، والكُفرُ جَهلُ الرَّبِّ بالقلب»، ولا أحدَ أجهل بربِّه منه الجهم؛ فما عَرف ربَّه حينما قال هذا القول؛ فدَلَّ على أنه كافر بشهادته على نفسه، نسأل الله السلامة والعافية.

والعباداتُ كلُّها عند الجهمية ليست من الإيمان؛ لأنهم مُرجِئة في الإيمان؛ لإدخالهم الأعمال في مُسمَّى الإيمان؛ وهم جَبريةٌ في الأفعال، فهم يَقولون: العبدُ مجبور على أفعاله، وهم جَهميةٌ في الصفات لأنهم أنكروا الأسماءَ والصفات؛ ويقولون أيضًا: الجنةُ والنار تفنيان يوم القيامة ـ نعوذ بالله من هذه المقالات الخبيثة ـ.

○ قوله: «**وَعِنْدَهُمْ أَنَّ الْعِبَادَاتِ كُلَّهَا لَيْسَتْ مِنَ الْإِيمَانِ**»؛ لأن الإيمانَ «**عِنْدَهُمُ التَّصْدِيقُ فَقَطْ؛ لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ**»، «**وَعِنْدَهُمْ أَنَّ إِيمَانَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَالْأَوْلِيَاءِ الْمُتَّقِينَ مُسَاوٍ لِإِيمَانِ الْعُصَاةِ الْفَاسِقِينَ**».

فيقولون: إن إيمانَ أَعْبَدِ الناسِ وأَفْسَق الناس سواءٌ؛ لأنَّ الإيمان هو التصديق. ومن هنا يكون المرجئةُ قد فَتحوا بابًا للعُصَاة، فعلى قولهم يأتي السِّكِّيرُ العِرْبِيدُ ويقول: أنا مُؤمنٌ كَاملُ الإيمانِ؛

إيماني كإيمان أبي بكر وعمر وجبريل وميكائيل، فإذا قيل له: أبو بكر وعمر لهم أعمال عظيمة، قال: لا شأنَ للأعمالِ في ذلك، فأبو بكر مُصدِّق وأنا مُصدِّق، والإيمانُ هو التصديقُ والتصديقُ واحدٌ، فكُلُّنا مُصدِّقون. أما العمل فشيء آخر، ليس من الإيمان.

والصواب هو أن العمل داخل في مسمى الإيمان؛ فالبِرُّ والتقوى وسائرُ الأعمال كلُّها من الإيمان.

وعند الجَهمية أيضًا: «**أَنَّ الله ـ تَعَالى ـ كَانَ فِي الْقِدَمِ بِلَا اسْمٍ وَلَا صِفَةٍ، وَأَنَّ تَسْمِيَةَ الْعِبَادِ اللهَ بِأَنَّهُ وَاحِدٌ أَحَدٌ مَخْلُوقٌ مُحْدَثٌ. كَمَا قَالُوا: إِنَّ تِلَاوَةَ الْعِبَادِ لِلْقُرْآنِ مَخْلُوقَةٌ مُحْدَثَةٌ**» أي: يقول الجهمية: إن الله كانَ وَليسَ له صِفةٌ حتى أَحدَث له العبادُ الأسماءَ والصفاتِ؛ فالله ـ تعالى ـ لم يكن اسمه الخالقَ إلا بعد أن خلق الخَلْق، وأمَّا قبل ذلك فلا يُسمَّى خالقًا؛ وبذلك تكون أسماءُ الله وصفاتُه عندهم حادثةً مخلوقةً ـ كما أن تلاوة العباد للقرآن مَخلوقةٌ مُحدَثة ـ وهذا مِن كُفْرِهم وضَلالهم، فالله ـ تعالى ـ له الأسماء وله الصفات قبل خَلْق الخلق، والعبادُ لم يسموه باسمه ولكنه ﷻ هو الذي سمَّى نفسه بأسمائه وصفاته.

○ قوله: «**وَعِنْدَهُمْ أَنَّ نُبُوَّةَ نَبِيِّنَا ﷺ قَدِ انْقَطَعَتْ بِمَوْتِهِ**»؛ فقد كان نبيًّا في حياته، فلما مات انتهت النبوة، وهم يقولون ذلك؛ لأنَّ النبوة صفةٌ للحيِّ، مثل الكلام والسمع والبصر؛ فإذا مات انتهت هذه الصفات وانتهت معها صفة النبوة؛ لأن صفة الحي تزول بموته كالسمع والكلام.

وهذا باطلٌ بل إنه أبطل الباطل، فرسول الله ﷺ له صفة الرسالة، وهو نبي الله، ورسوله، وخاتم النبيين؛ نُصلي عليه ونسلم ونَدِين له بالنبوة، ولا يصح إيمان المؤمن حتى تقوم الساعة إلا

بالإيمان بنبوته.

○ قوله: «**وَعِنْدَهُمْ أَنَّ قَوْلَنَا فِي الْأَذَانِ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، أَوْ فِي التَّشَهُّدِ قَوْلٌ لَا حَقِيقَةَ لَهُ الْآنَ**»؛ أي ليس لقول المؤذن «أَشهدُ أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسولٌ الله» الآن أيّ حقيقة، فقد انتهت نبوة النبي ﷺ.

○ قوله: «**وَقَالُوا: لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: يَا قَدِيمَ الْإِحْسَانِ**» قد عَقَد القاضي أبو يعلى في إبطال التأويلات فَصْلًا في جواز وصف الله ﷻ بأنه قديم الإحسان؛ خِلافًا للأَشْعرية وغيرهم ممن قال بعدم جواز ذلك. وقد عبَّر شيخُ الإسلام بهذا الوصف كما في مقدمة شرح العمدة فقال: «وَوَسِعَ خَلِيقَتَه إِحسانُه القديمُ»[1].



(١) انظر: شرح عمدة الفقه لشيخ الإسلام (١/ ٥٩).

ذِكْرُ عَقِيدَةِ الْجَهْمِيَة

وَعِنْدَهُمْ أَنَّ كَلَامَ اللهِ قَائِمٌ بِذَاتِهِ؛ لَيْسَ بِحَرْفٍ وَلَا بِصَوْتٍ.

وَعِنْدَهُمُ التِّلَاوَةُ غَيْرُ الْمَتْلُوِّ وَالْقِرَاءَةُ غَيْرُ الْمَقْرُوءِ، وَهُمَا مَخْلُوقَتَانِ عِنْدَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: الْقُرْآنُ عِبَارَةٌ عَنْ هَذِهِ الْحُرُوفِ وَالْأَصْوَاتِ وَالسُّوَرِ وَالْآيَاتِ، وَلَيْسَ هَذَا هُوَ الْقَدِيمَ عِنْدَهُمْ.

وَبِهَذِهِ الْمَقَالَةِ كَفَّرَهُمْ أَحْمَدُ حِينَ قَالَهَا ابْنُ كِلَابٍ، وَقَالَ اللهُ ـ تَعَالَى ـ إِخْبَارًا عَنْ قُرَيْشٍ ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ۝٢٥ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۝٢٦﴾ [المدثر: ٢٥-٢٦] وَمَعْلُومٌ أَنَّهُمْ أَشَارُوا إِلَى التِّلَاوَاتِ الَّتِي سَمِعُوهَا.

وَعِنْدَهُمُ الْكِتَابَةُ غَيْرُ الْمَكْتُوبِ، وَأَنَّ الْكِتَابَةَ مَخْلُوقَةٌ كَالتِّلَاوَةِ، فَعَلَى قَوْلِهِمُ: الَّذِي فِي الْمُصْحَفِ مَخْلُوقٌ، وَلَيْسَ بِقَدِيمٍ، وَكَذَلِكَ يَقُولُونَ فِي الصَّدْرِ حِفْظُ التِّلَاوَاتِ الْمُحْدَثَةِ، وَكَذَا يَقُولُونَ: كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مُنَزَّلٍ عَلَى النَّبِيِّ، وَلَا عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّمَا مُنَزَّلٌ تِلَاوَتُهُ وَعِبَارَتُهُ، إِلَى أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ فَظِيعَةٍ، قَدْ أَجَابَ شُيُوخُنَا وَأَئِمَّتُنَا عَنْ جَمِيعِهَا بِحَمْدِ اللهِ وَمَنِّهِ.

وَخَالَفُوا الْأَخْبَارَ الْمُدَوَّنَةَ الصِّحَاحَ عَنْ رَسُولِ اللهِ فِي صَلَاةِ الْجُمُعَةِ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ، وَقَالُوا: قَدْ سَقَطَتْ إِمَامَةُ مَنْ فَسَقَ فِي أَفْعَالِهِ وَخَرَجَ مِنَ الْإِمَامَةِ، وَخَالَفُوا إِجْمَاعَ الصَّحَابَةِ وَأَئِمَّةِ الدِّينِ فِي تَفْضِيلِ الْخُلَفَاءِ الْأَئِمَّةِ الرَّاشِدِينَ الْأَرْبَعَةِ الْمَهْدِيِّينَ؛ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ أَكْثَرُهُمْ: نَقِفُ فِي ذَلِكَ. وَكَذَاكَ قَالُوا فِي عَائِشَةَ، وَهِيَ عِنْدَنَا أَفْضَلُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ.

الشَّرْحُ

يَذكرُ المؤلفُ رَحِمَهُ اللهُ عَقيدةَ الجَهمية، والجَهميةُ ـ كما ذكر شيخُ

الإسلام ـ **تنقسم إلى عدة أقسام:**

جَهمِية المخبر: وهم الذين ينكرون الأسماءَ والصفاتِ.

جَهمِية المعتزلة: وهم الذين يُنكرُون الصفاتِ ويُثبتُون الأسماءَ.

جَهمِية الأشاعرة: وهم الذين يُثبتون الأسماءَ وسَبْعَ صِفات.

وكُلُّهم يُسمَّون جَهمِيةً؛ لأنهم وافقوا الجهم في بعض عقائده؛ ولذلك تجد البعض ينسبون بعض عقائد الأشاعرة إلى الجهمية ـ جهمية الأشاعرة ـ؛ لأن عندهم نوعًا من التَّجهم؛ فعندهم أن كلامَ الله قائم بذاته معنى، وليس بحرف ولا بصوت؛ فهذا من مذهب الأشاعرة، فعندهم الحروف والأصوات ليست من الكلام؛ لأنَّها عندهم حادثة؛ فلو كان الكلام حرفًا وصوتًا لَلَزِم أن تكون الحوادث صفةَ الرب.

وبالرغم من ذلك قالوا: الكلام في النَّفْس يُسمَّى كلامًا نَفسيًا؛ لأنه قائم بالنفس، وقالوا: إن الله لم يتَكلَّم بحَرْف، فجعلوا الربَّ أبكمَ والعياذ بالله، وقالوا: إن الذي تكلَّم هو جَبريلُ أو مُحمَّد.

ومن أيِّ شيءٍ تكلَّم؟

قالوا: فَهِم المعنى القائمَ بالرب ـ أي: المعنى الذي في نَفْس الرب ـ.

ولكن مَن يعلم ذلك؟

قالوا: اللهُ اضطره اضطرارًا ففَهِم المعنى القائمَ بالنفس وهو لم يتكلم؛ لكن اضطره اضطرارًا ففهم المعنى القائمَ بنفسه فعبَّر بهذا القرآن.

إذن أين كلامُ الله؟

قالوا: كلامُ الله في نفسه قائم بذاته، لا يُسمَع؛ مثل العلم.

○ قال المؤلف: «وَعِنْدَهُمْ أَنَّ كَلَامَ الله قَائِمٌ بِذَاتِهِ؛ لَيْسَ بِحَرْفٍ وَلَا بِصَوْتٍ» هذا مذهب الأشعرية؛ لأنهم جهمية، ولديهم نوعٌ من التَّجهُّم، وإلا فإنَّ الجهمية والمعتزلة ينكرون الكلامَ من أساسه، فيقولون: الكلامُ مخلوق.

○ يقول المؤلف: «وَعِنْدَهُمُ التِّلَاوَةُ غَيْرُ الْمَتْلُوِّ وَالْقِرَاءَةُ غَيْرُ الْمَقْرُوءِ، وَهُمَا مَخْلُوقَتَانِ عِنْدَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: الْقُرْآنُ عِبَارَةٌ عَنْ هَذِهِ الْحُرُوفِ وَالْأَصْوَاتِ وَالسُّوَرِ وَالْآيَاتِ، وَلَيْسَ هَذَا هُوَ الْقَدِيمُ عِنْدَهُمْ» الحروفُ والأصواتُ والسورُ والآياتُ كلُّ هذه مخلوقة؛ وهذا هو القرآن فهو عندهم عبارة عن هذه الحروف المخلوقة.

وأما القديمُ فهو المعنى القائم بنَفْس الربِّ، فالقديم هو الكلام.

○ يقول المؤلفُ رَحِمَهُ اللهُ: «وَبِهَذِهِ الْمَقَالَةِ كَفَّرَهُمْ أَحْمَدُ حِينَ قَالَهَا ابْنُ كِلَابٍ» أي حِين قالَ ابنُ كِلَاب: إن الحروفَ والأصواتَ مَخلوقةٌ، والكلام هو المعنى القائم بالرب، كفَّره الإمام أحمدُ بذلك.

○ يقول المؤلفُ: «وَقَالَ اللهُ ـ تَعَالَى ـ إِخْبَارًا عَنْ قُرَيْشٍ: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾ [المدثر: ٢٥-٢٦]» يعني: كُفَّار قريش قالوا عن القرآن: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ فبماذا توعَّدهم اللهُ قال: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾ سَقَر: النار، «وَمَعْلُومٌ أَنَّهُمْ أَشَارُوا إِلَى التِّلَاوَاتِ الَّتِي سَمِعُوهَا».

«وَعِنْدَهُمْ» يعني: عند الجَهْمية؛ جهمية الأشاعرة «الْكِتَابَةُ غَيْرُ الْمَكْتُوبِ» فيقولون: الكتابة غير المكتوب، والكتابة مخلوقة، ومن ثَمَّ يَقولُون: القرآن هو هذه الكتابة؛ فـ«الْكِتَابَةُ مَخْلُوقَةٌ كَالتِّلَاوَةِ».

○ يقول المؤلف: «فَعَلَى قَوْلِهِمُ: الَّذِي فِي الْمُصْحَفِ مَخْلُوقٌ، وَلَيْسَ بِقَدِيمٍ، وَكَذَلِكَ يَقُولُونَ فِي الصَّدْرِ حِفْظُ التِّلَاوَاتِ الْمُحْدَثَةِ،

وَكَذَا يَقُولُونَ: كَلَامُ الله غَيْرُ مُنَزَّلٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَلَا عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّمَا مُنَزَّلٌ تَلَاوَتُهُ وَعِبَارَتُهُ، إِلَى أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ فَظِيعَةٍ، قَدْ أَجَابَ شُيُوخُنَا وَأَئِمَّتُنَا عَنْ جَمِيعِهَا بِحَمْدِ الله وَمَنِّهِ» أي إنهم يقولون: إن الكتابة مخلوقة، وليس الذي في المصحف كلام الله؛ ولكن ما في المصحف هو عِبارةٌ تَأَدَّى بها كلام الله.

والصَّوابُ في هذه المسألة أن في المصحف كلام الله، وفيه غيره، فالمكتوب كلام الله، والكتابة غيره. وفيه خَطُّ القارئ، وفيه الوَرَق، وفيه المِدَاد، وفيه الحِبْر، وفيه خَطُّ فُلان. فكونه فيه كلام الله؛ هذا هو الصوابُ كما بيَّن أهلُ العلم، ولهذا قال المؤلف رحمه الله: **«إِلَى أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ فَظِيعَةٍ، قَدْ أَجَابَ شُيُوخُنَا وَأَئِمَّتُنَا عَنْ جَمِيعِهَا بِحَمْدِ الله وَمَنِّهِ»**.

○ يقول المؤلف: **«وَخَالَفُوا الْأَخْبَارَ الْمُدَوَّنَةَ الصِّحَاحَ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ فِي صَلَاةِ الْجُمُعَةِ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ»** أي: خَالَفَ الجهميةُ الأخبارَ المدونةَ الصحاح عن رسولِ الله ﷺ في صلاة الجمعة خَلْف كلِّ بر وفاجر.

فقد جاءت الأحاديثُ بأنه يُصَلَّى الجمعة والعيد خلف كل بر وفاجر من المسلمين؛ ما دام أنه لم يفعل مُكفِّرات ولو كان عاصيًا؛ ولا سيما الإمام والأمير وإمام الجمعة وإمام العيد، إذا لم يوجد غيره، فخالفوا بذلك أهلَ السُّنَّة والجماعة.

وإذا كان إمام الجُمعة فاسقًا، ولا يوجد في البلد إلا جُمعة واحدةٌ فهل نصلي خلفه أم نصلي في البيت؟

● **الجواب**: بل نُصلي خَلفه، ومَن صلَّى في البيت فهو مبتدع، وكذلك إمام العيد وإمام الجماعة إذا لم يوجد غيره.

أمَّا الجهمية فلا يُصلُّون خلفَ إمامٍ إذا كان عاصيًا أو فاجرًا أو جائرًا، ويقولون: قد سقطت إمامةُ مَنْ فَسَق في أفعاله وخرج عن الإمامة. بل ويكفرون وليَّ الأمر بالمعاصي، ويَخرجُون عليه ويَستحلُّون دَمه؛ كما فعل الخوارج والمعتزلة.

○ يقول المؤلف: «**وَخَالَفُوا إِجْمَاعَ الصَّحَابَةِ وَأَئِمَّةِ الدِّينِ فِي تَفْضِيلِ الْخُلَفَاءِ الأَئِمَّةِ الرَّاشِدِينَ الأَرْبَعَةِ الْمَهْدِيِّينَ؛ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ - رُضْوَانُ الله عَلَيْهِمْ**» أي: أن أَهلُ الحقِّ يُفضِّلون الخلفاءَ الأربعة، فيقولون: أبو بكر ثم عُمَر ثم عثمان ثم عَلِيٌّ، أما المعتزلة وغيرهم فقد «**قَالَ أَكْثَرُهُمْ: نَقِفُ فِي ذَلِكَ**» أي: نتوقف عن الحكم، فنحن لا ندري مَن هو الأفضلُ فلا نُفضِّل أحدًا على أحد.

○ ويقول المؤلفُ أيضًا: «**وَكَذَاكَ قَالُوا فِي عَائِشَةَ، وَهِيَ عِنْدَنَا أَفْضَلُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ**» أي: أنهم توقَّفوا في فَضْلها.



فَصْلٌ
عَقِيدَةُ الْقَدَرِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ وَأَنْوَاعِهِمْ:

٥٩ ـ وَأَمَّا الْقَدَرِيَّةُ وَالْمُعْتَزِلَةُ وَأَنْوَاعُهُمْ فَيُنْكِرُونَ الصِّرَاطَ، وَالْمِيزَانَ، وَالْكُرْسِيَّ، وَفَزَعَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَنَعِيمَ الْقَبْرِ وَعَذَابَهُ، وَسُؤَالَ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ، وَضَغْطَةَ الْقَبْرِ، وَخَلْقَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَالْحُورَ الْعِينَ.

وَقَالُوا: لَيْسَ لِلنَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفَاعَةٌ وَلَا حَوْضٌ، وَكَذَّبُوا بِالْأَخْبَارِ الْوَارِدَةِ فِي ذَلِكَ وَقَالُوا: لَا يَجُوزُ أَنْ يَرَى اللهَ ﷻ أَحَدٌ لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ؛ لَا مُؤْمِنٌ وَلَا كَافِرٌ، وَقَالُوا: كَلَامُ اللهِ مُحْدَثٌ مَخْلُوقٌ، وَقَالُوا: أَسْمَاءُ اللهِ مَخْلُوقَةٌ، وَمَا كَانَ لَهُ اسْمٌ حَتَّى خَلَقَ لَهُ الْخَلْقُ اسْمًا، وَيَبْقَى عِنْدَ عَدَمِ الْخَلْقِ بِلَا اسْمٍ وَلَا صِفَةٍ.

وَقَالُوا: يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ بِأَنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى الظُّلْمِ وَالْكَذِبِ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْقَبَائِحِ. وَقَالَ الْجُبَّائِيُّ: يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ بِأَنَّ اللهَ مُحَبِّلُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ. وَقَالُوا: يَجِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُعَوِّضَ الثَّوَابَ وَالْجَزَاءَ. وَأَهْلُ السُّنَّةِ يَقُولُونَ: ذَلِكَ تَفَضُّلٌ مِنْهُ غَيْرُ وَاجِبٍ عَلَيْهِ.

وَعِنْدَنَا جَمِيعُ أَفْعَالِ الْعِبَادِ خَلْقُ اللهِ ـ تَعَالَى ـ، كَسْبٌ لَهُمْ خَيْرَهَا وَشَرَّهَا، وَعِنْدَ الْقَدَرِيَّةِ هِيَ خَلْقٌ لَهُمْ لَا رَبَّ لَهَا وَلَا إِلَهَ.

وَعِنْدَنَا صَانِعُ الْعَالَمِ وَاحِدٌ، وَعِنْدَهُمْ عَدَدٌ كَثِيرٌ يُشْرِكُونَهُ فِي الصَّنْعَةِ وَالْخَلْقِ، وَقَالُوا: الْمَقْتُولُ يَمُوتُ بِغَيْرِ أَجَلِهِ، وَاللهُ يَقُولُ: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأعراف: ٣٤].

وَأَنْكَرُوا كَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ، وَأَنْكَرُوا الْجِنَّ وَالسِّحْرَ، وَقَدْ كَذَّبَهُمُ

اللهُ بِقَوْلِهِ: ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البَقَرَة: ١٠٢] وَبِسُورَةِ الْجِنِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَأَنْكَرُوا الْمَنَامَاتِ، وَقَدْ كَذَّبَهُمُ اللهُ بِقِصَّةِ يُوسُفَ وَبِقَوْلِهِ: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ﴾ [يُونس: ٦٤] قِيلَ فِي تَفْسِيرِهِ: هِيَ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ، وَبِقَوْلِ النَّبِيِّ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ: «هِيَ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ»[١] وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَقْوَالِ الْقَبِيحَةِ.

الشَّرْحُ

يذكر المؤلفُ رَحِمَهُ اللهُ هنا عقيدة القَدَرية والمعتزلة وأنواعهم فيقول: **«وَأَمَّا الْقَدَرِيَّةُ وَالْمُعْتَزِلَةُ وَأَنْوَاعُهُمْ فَيُنْكِرُونَ الصِّرَاطَ، وَالْمِيزَانَ»** يُنكرُون الصِّراط والميزان فيقولون: لا يوجد يوم القيامة مِيزانٌ تُوزَن به الأعمال والآثار، ولكنَّ المرادَ بالميزان العَدْلُ.

قالوا ذلك بزعمهم أن الله ـ تعالى ـ لا يحتاج إلى ميزان، وإنما الذي يحتاج إلى الميزان البَقَّالُ والفَوَّالُ؛ فأنكروا الميزان الحِسِّي، وقالوا إنما هو ميزان معنوي وهذا باطل.

والصواب أن الميزان ميزانٌ حِسِّي له كِفَّتان عظيمتان، الكِفةُ أعظم من أطباق السموات والأرض، تُوزن فيه الأشخاص والأعمال والصحف.

وكذلك، أنكر القدرية والمعتزلة وأنواعهم الصِّراط الحِسِّيَّ، وقالوا: إنما هو صراطٌ معنوي، وأنكروا الكُرسيَّ وفَزَع يومَ القيامة، وأنكروا نَعيمَ القَبر وعَذَابه، وقالوا: لا يُوجد نَعيم في القبر، بل النعيمُ والعذابُ للروح، وأمَّا البدنُ فليس له نعيم ولا عذاب في القبر.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التعبير، بَابُ رُؤْيَا الصَّالِحِينَ، رقم (٦٩٨٣)، ومسلم: كتاب الرؤيا، رقم (٢٢٦٤).

وأنكروا سؤال مُنكَر ونَكِير؛ وأنكروا البعث؛ مع أن الأحاديثَ وَارِدةٌ في هذا؛ وقالوا عن هذه الأحاديث: إنما هي أخبار آحاد لا يُعمَل بها.

كما أنكروا ضَغْطةَ القبر؛ مع أنه قد ورد في السُّنَّة أن كلَّ إنسانٍ يموت يَضمُّه القبرُ ضَمَّةً، فقد قال ﷺ: «**إِنَّ لِلْقَبْرِ لَضَغْطَةٌ لَوْ نَجَا مِنْهَا أَحَدٌ لَنَجَا مِنْهَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ**»[1] الذي اهتز له عَرْش الرحمن.

وكذلك أنكر المعتزلةُ خَلْق الجنة والنار، فقالوا: الجنةُ النار ليستا مخلوقتين الآن، وإنما يُخلقَان يَومَ القيامة، أمَّا وُجودُهم الآن فعَبَثٌ، لأنه لا جَزاء ولا حِسابَ الآن، والعَبثُ محالٌ على الله ـ تعالى ـ؛ وهذا من فَرْط جَهلِهم وضَلالِهم. كذلك أنكروا وُجود الحُور العين في الجنة.

والصوابُ أن أرواح المؤمنين في الجنَّة تُنعَّم، كما أن أرواح الكُفَّار في النار تُعذَّب، فالمؤمنُ إذا مات فُتِح له باب من الجنة يأتيه من نَعيمها ورُوحِها، والكافر يُفتَح له باب من النار فيأتيه من حَرِّها وسَمُومها.

والنصوص صريحةٌ في خَلْق الجنة والنار؛ قال الله ـ تعالى ـ: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣﴾ [آل عمران: ١٣٣] ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ۝٢٤﴾ [البقرة: ٢٤] فمَعنى ﴿أُعِدَّتْ﴾ خُلِقت انتهى خَلقُها.

وأيضًا الوَعدُ والوعيد بالجنة والنار يؤكدان أنهما مخلوقتان بالفعل، وليس كما تقول المعتزلةُ: إنه لا يوجد الآن جَنَّة ولا نار، بل يخلقهما الله يومَ القيامة.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢٤٢٨٣).

كذلك أنكروا الشفاعة؛ شفاعة النبي ﷺ للعصاة، فقالوا: العُصاة يدخلون النار يُخلَّدون فيها، وليس لهم شفاعة، فأنكروا نصوصَ الشفاعة مع تواترها.

كذلك أنكروا الحَوْض، وكَذَّبوا بالأخبار الواردة في ذلك، وأنكروا رؤية الله في الدنيا والآخرة فقالوا: «**لَا يَجُوزُ أَنْ يَرَى الله ﷻ أَحَدٌ لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ؛ لَا مُؤْمِنٌ وَلَا كَافِرٌ**» ـ نعوذ بالله ـ من هذا الكفر والضلال.

وقالوا: «**كَلَامُ الله مُحْدَثٌ مَخْلُوقٌ، وَقَالُوا: أَسْمَاءُ الله مَخْلُوقَةٌ، وَمَا كَانَ لَهُ اسْمٌ حَتَّى خَلَقَ لَهُ الْخَلْقُ اسْمًا، وَيَبْقَى عِنْدَ عَدَمِ الْخَلْقِ بِلَا اسْمٍ وَلَا صِفَةٍ**» أي: يقولون إن الله لم يكن له اسمٌ ولا صفةٌ قبل خَلْق الخَلْق، فالخَلْق هم الذين جَعَلوا له اسمًا، وإذا عَدِم هؤلاء الخَلْقُ وماتوا زالت أسماءُ الله وصفاتُه عندهم.

وقالوا: «**يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ بِأَنَّ الله قَادِرٌ عَلَى الظُّلْمِ وَالْكَذِبِ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْقَبَائِحِ**»

في هذه المسألة تفصيلٌ: فقد اختلف الناس في الظُّلْم.

فالجبرية من الأشاعرة والجهمية يقولون: الظُّلم محالٌ على الله وغير مقدور له؛ ومُمتنع عليه، لأنه كالجمع بين النقيضين. وقالوا: إن الظُّلْم هو تَصرُّف المالك في غير ملكه، وكل ما في السموات والأرض مِلكٌ لله وخاضعٌ لتصرفه، فمتى يكون ظالمًا؟

إذن هم يقولون: ليس هناك حَسَنٌ ولا قَبِيحٌ، ويجوز على الله عَقلًا أن يُعاقِب الأنبياءَ والصالحين والمتقين ويُحمِّلَهم أوزارَ الفُجَّار، ويُدخلهم النَّارَ ويُبطِل حسناتِهم، ويجوز أن يُنعِّم الكفَّارَ والمشركين ويُدخلهم الجنَّة، ولا يُسمَّى هذا ظُلمًا؛ لأنه تَصرُّفٌ في مِلكه،

والظلمُ تَصرُّف المالك في غير مِلكه. فالظلم إذن غير مقدورٍ لله، ومستحيلٌ عليه.

أما المعتزلة: فالظُّلم بالنسبة لله عندهم مِثل ظُلْم المخلوق، فما كان ظُلمًا وقبيحًا من المخلوق فهو ظُلمٌ من الخالق ـ تعالى ـ فشبَّهوا الله بخَلْقه.

وأما أهل السُّنة والجماعة فقالوا: الظلم وَضْع الشيء في غير مَوضعه، كأن يُحَمِّل أحدًا أوزارَ غَيرِه، أو يَحرِمَه ثوابَ حسناته وهو مقدورٌ لله يَقدِر عليه، ولكن الله تنزَّه عنه، وحرَّمه على نفسه، كما قال في الحديث القدسي: «**يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا**»[1]، فهل يُحرِّم على نفسه شيئًا لا يَقدر عليه؟!

وقال ـ تعالى ـ في كتابه العزيز: ﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٧]، وقال: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾ [طه: ١١٢] فلو كان الظلم غيرَ مَقدور لله كما تقول الأشاعرة والجبرية، فهل يخاف الإنسانُ من شيء لا يقدر عليه اللهُ.

وبهذا يتبينُ أن الظلمَ عند المعتزلة يُشبِّهون فيه الخالقَ بالمخلوق، فما كان ظُلمًا وقبيحًا من المخلوق فهو ظلمٌ من الخالق ـ تعالى ـ.

أما الأشاعرةُ والجَبْرية فيقولون: الظلمُ مُستحيلٌ على الله، ولا يُفصِّلون في ذلك.

أما أَهل السُّنَّة: فالظلمُ عِندهم وَضْع الشيء في غير مَوضعه، وهو مقدور لله؛ لكن الله تَنزَّه عنه، وحَرَّمه على نفسه.

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، رقم (٢٥٧٧).

○ وقول المؤلف: «**وَقَالُوا: يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ بِأَنَّ الله قَادِرٌ عَلَى الظُّلْمِ وَالْكَذِبِ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْقَبَائِحِ**» تَأثَّر المؤلفُ هنا بمَذهب الأشاعرة؛ لأن الأشاعرة يقولون: لا يجوز أن يُقالَ بأن الله قادر على الظلم.

أما نحن فنقول: الله ـ تعالى ـ يَقدِر على الظُّلم؛ لكنَّه تنزَّه عنه وحرَّمه على نفسه ونفاه.

فأهل السُّنَّة يقولون: إنه قادر ولكنَّه تنزَّه عنه، أما الأشاعرة فيقولون: غير قادر على الظلم، فهو محال بالنسبة له.

وقال الجُبَّائي[1] وهو من المعتزلة: «**يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ بِأَنَّ الله مُحَبِّلُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ**» يعني: أن الله هو الخالق، وإذا كان هو الخالق فهو مُحبِّل نساءِ العالمين.

وقالوا: «**يَجِبُ عَلَى الله أَنْ يُعَوِّضَ الثَّوَابَ والْجَزَاءَ**»؛ وذلك لأن المعتزلة يرون أن العباد يخلقون أفعالَ أنفسهم من دون الله استقلالًا، فيخلقون الطاعات والمعاصي، وإذا كانوا يخلقون الطاعات، ويخلقون الحسنات فيجب على الله أن يُثيبَهم، ويعطيَهم أجرَهم كما يُعطي صاحبُ العمل الأجيرَ أجرتَه، كما يجب على الله أن يُعاقِبَ العاصي فيُخلِّدَه في النار، وهذا قولٌ باطل.

فالله ـ تعالى ـ تَفضَّل على العبد بالثواب؛ لأنه هو الذي وفَّقه وهَداه، ولا يجب عليه أن يُعذِّب العاصي فهو تحت مَشيئته؛ ولهذا قال المؤلف: «**وَأَهْلُ السُّنَّةِ يَقُولُونَ: ذَلِكَ تَفَضُّلٌ مِنْهُ غَيْرُ وَاجِبٌ عَلَيْهِ**».

---

(١) هو أبو علي محمد بن عبدالوهاب البصري، شيخ المعتزلة، مات بالبصرة، سنة ثلاث وثلاث مائة. ترجمته سير أعلام النبلاء (١١/ ١١٣).

○ ويقول المؤلف: «**وَعِنْدَنَا جَمِيعُ أَفْعَالِ الْعِبَادِ خَلْقُ الله ـ تَعَالَى ـ كَسْبٌ لَهُمْ خَيْرُهَا وَشَرُّهَا**» فكما هو مشهور عند أهل السُّنة أن الله ـ تعالى ـ هو الذي خَلَق أفعالَ العباد، ولكنَّ العِبادَ هم الذين اكتسبوها مختارين، فالله ـ تعالى ـ خالق العباد وخالق أفعالهم قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: ٩٦].

أما عند القدرية فالأفعال «**خَلْقٌ لَهُمْ لَا رَبَّ لَهَا وَلَا إِلَه**» يعني: الأفعالُ عند القَدَرية والمعتزلة هي خَلْقٌ لفاعليها، ولا ربَّ لها ولا إلهَ؛ لأنهم هم الذين خلقوها.

ويقول أهلُ السُّنة والجماعة: «**وَعِنْدَنَا صَانِعُ الْعَالَم وَاحِدٌ**» وهو الله الخالق، «**وَعِنْدَهُمْ عَدَدٌ كَثِيرٌ يُشْرِكُونَهُ فِي الصَّنْعَةِ وَالْخَلْقِ**» أي عدد صُنَّاع العالم عند المعتزلة والقَدَرية كثيرون يشركونهم في الصَّنْعَة والخَلْق؛ وذلك لأن المعتزلة يقولون: العَبدُ يَخلق فِعْلَ نفسه؛ فإذن عدد الخالقين عندهم لا حصرَ لهم، لأن كُل شَخص خالق يخلق فعل نفسه، فيكون الخالقون لا حصر لهم؛ فصاروا أَشْنَع من المجوس؛ لأن المَجُوس يقولون: الخالقان اثنان؛ خالقُ الخير وخالق الشر، أما المعتزلة فعندهم خالقون كثيرون، فكل شخص يخلق فعل نفسه؛ ولهذا قال أهل السُّنة: «**وَعِنْدَنَا صَانِعُ الْعَالَم وَاحِدٌ، وَعِنْدَهُمْ عَدَدٌ كَثِيرٌ يُشْرِكُونَهُ فِي الصَّنْعَةِ وَالْخَلْقِ**».

«**وقالوا**» وهم المعتزلة: «**الْمَقْتُولُ يَمُوتُ بِغَيْرِ أَجَلِهِ**»؛ لأنه في زَعْمهم لو لم يُقتَل لعاش. أما أهل السُّنة فيقولون: إنه مات بأَجله، لأنه مكتوب عليه أنه سيموت بالقَتْل، والله تعالى يقول: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأعراف: ٣٤].

○ ويقول المؤلفُ: «**وَأَنْكَرُوا كَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ**» فقالوا ليس للأولياء كرامات، «**وَأَنْكَرُوا الْجِنَّ وَالسِّحْرَ**» وقالوا: لأنه لو كان للأولياء كرامات لاشتبهت بالمعجزات التي هي للأنبياء، ففِرارًا من ذلك أنكروا كرامات الأولياء والسِّحرَ والجِنَّ؛ حتَّى لا تَشتبه بالمعجزات، كما أنكروا الجن لنفس السبب «**وَقَدْ كَذَّبَهُمُ اللهُ بِقَوْلِهِ:** ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢] وَبِسُورَةِ الْجِنِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ» ففي سُورة الجن أخبر الله ـ تعالى ـ عن الجن وعن حالهم.

○ ويقول المؤلف: «**وَأَنْكَرُوا الْمَنَامَاتِ، وَقَدْ كَذَّبَهُمُ اللهُ بِقِصَّةِ يُوسُفَ**» حِينَما رأى الرُّؤيَا، فقال: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ④﴾ [يوسف: ٤]، وَبِقَوْلِهِ: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٤] **قِيلَ فِي تَفْسِيرِهِ: هِيَ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ، وَبِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «هِيَ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ»**(١).



(١) تقدم تخريجه.



فَصْلٌ
ذِكْرُ عَقِيدَةِ الرَّافِضَةِ

٦٠ ـ وَأَمَّا الرَّوَافِضُ فَأَقْوَالُهُمْ فِي فِرَقِهِمْ مُخْتَلِفَةٌ، وَأَشَرُّهُمُ الْغُلَاةُ، وَلَهُمْ مَسَائِلُ فَظِيعَةٌ، مِنْهَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ أَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَى تَفْضِيلِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِ وَعَلَى سَائِرِ الصَّحَابَةِ قَبْلَ خَلْقِ الْمُخَالِفِ.

وَمِنْهَا أَنَّ عَلِيًّا عِنْدَهُمْ فِي السَّحَابِ يُقَاتِلُ أَعْدَاءَهُ، وَأَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ جَسَدَهُ فِي الْقَبْرِ مَدْفُونٌ، وَمِنْهَا: أَنَّهُ عِنْدَهُمْ يَرْجِعُ آخِرَ الزَّمَانِ.

وَيَقُولُونَ: إِنَّ جِبْرِيلَ غَلِطَ بِالْوَحْيِ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَدَّعِي فِيهِ الْإِلَهِيَّةَ، وَعِنْدَهُمُ الْقُرْآنُ غُيِّرَ وَبُدِّلَ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْقَبَائِحِ.

الشَّرْحُ

هذا فَصْلٌ عَقَده المؤلفُ رحمه الله في بيان الروافض ومخازيهم فقال: «وَأَمَّا الرَّوَافِضُ فَأَقْوَالُهُمْ فِي فِرَقِهِمْ مُخْتَلِفَةٌ، وَأَشَرُّهُمُ الْغُلَاةُ، وَلَهُمْ مَسَائِلُ فَظِيعَةٌ» وبهذا يكون المؤلفُ قد جعل الروافض فِرقًا مُتعددةً. والمعروف أن الشيعةَ فِرقٌ مُتعددة، وأن الروافض فِرقةٌ مِن فِرَق الشيعة.

والشيعةُ كما ذكر أصحاب الفِرَق كالبغدادي وابن حَزْم، والشَّهرستاني وغيرهم ممن كتبوا في الفِرَق والمِلَل والنِّحَل؛ أن

الشيعةَ أربع وعشرون فِرقة، منهم الغالي ومنهم غير الغالي، ومنهم الكافر ومنهم المشرك؛ على حسب العقيدة، وأشد فرقهم غُلَاة النُّصَيْرِية، القائلين: بأن الله حَلَّ في عَلِيٍّ، وأن عَليًّا هو الإله؛ وهؤلاء أكفر الناس.

ومنهم المُخَطِّئة الذين قالوا: إن جِبريل أخطأ في الرسالة، فالله ـ تعالى ـ أرسل جِبريلَ بالرسالة إلى عَلِيٍّ، ولكن جبريل خَان وأوصَلها إلى محمد، ويقولون قولتهم المشهورة: «خَانَ الأمينُ» يعني جبريل «وصَدَّهَا» يعني الرسالة «عن حَيْدَرَة» لَقبٌ لعَلِيٍّ. وهذا كُفْر وغُلو ما بعده غلو.

وتأتي الفِرقةُ الثالثة، وهُم الرَّوافضُ، وسُمُّوا رافضةً؛ لأنهم رَفَضوا زيدَ بنَ عَلِيٍّ لمَّا سألوه عن أبي بكر وعمر فترحَّم عليهما وقال: هما وزيرَا جَدي رسول الله. فرفضوه فقال: رَفَضْتموني رَفَضْتُموني؛ فسُمُّوا الرافضة.

ومنهم من كانوا يُسمَّون بالخَشَبِية؛ لأنهم يُقاتلون بالخَشب، فليس عندهم قِتال بالسيف حتى يخرج المهدي المنتظر الذي دخل السِّرداب.

وبعد ذلك لما طال عليهم الأمدُ جعلوا الوصاية فقالوا: فلان وَصِي الله حتى يخرج المهدي المنتظر، وسُمِّيت وِصاية الفقيه.

ويُسمَّوْن أيضًا الإمامية، ويُسمَّون الاثنا عَشرية؛ لأنهم يقولون بإمامة اثني عشر إمامًا، أوَّلهم: عَلِيٌّ وآخرهم محمد بن الحسن الذي دخل سِرداب سامراء سنة ستين ومائتين، وهو من نَسل الحسينِ بن عَلِيٍّ.

ولديهم ثلاثة أنواع من أنواع الكفر:

النوع الأول: أنهم يعبدون آل البيت ويتوسلون بهم؛ فيعبدون عَليًّا وفاطمةَ والحسن والحسين من دون الله، يدعونهم ويقصدونهم بالعبادة.

النوع الثاني: أنَّهم كذَّبوا الله في تَزكِية الصحابة، فالله ـ تعالى ـ زكَّى الصحابة وعدَّلهم ووعدهم بالجنة، وهم يقولون عنهم: إنهم كُفَّار. فمَن كفَّر مَن زكَّى الله ووعده بالجنة فقد كَذَّب الله، ومَن كذَّب الله فقد كَفَر.

والصحابة أيضًا هم الذين حَمَلُوا الشريعةَ؛ فهم الذين نَقَلوا لنا القرآنَ والسُّنةَ، فإذا كانوا كفارًا فكيف ينقلون الدين؟ وهل يُوثَق بالدين الإسلامي إذا كان نَقَلَتُه كفارًا؟ فهم يقولون عن الصحابة: كلُّهم ارتدوا وكفروا بعد وفاة الرسول ﷺ، ولم يبق منهم إلا أربعة، هم الذين وافقوا عَلِيًّا، هم المِقدَاد وأبو ذر وجماعة، والباقون كفروا وارتدوا، وغيَّروا وبدَّلوا وأخْفَوا النصوص التي فيها أن الخليفة عَلِيٌّ، فوَلِي أبو بكر زُورًا وبُهتانًا، ثم وَلِي عُمر زورًا وبُهتانًا، ثم ولي عثمان زورًا وبُهتانًا، ثم وَصلت النَّوْبةُ إلى عَلِيٍّ الذي هو الخليفةُ الأول.

النوع الثالث: أنهم كذَّبوا الله في أن هذا القرآن محفوظ، فالله ـ تعالى ـ يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝﴾ [الحجر: ٩] وهم يقولون: القرآن ليس بمحفوظ؛ فقد ضاع ثُلثَاه، ولم يبق إلا الثلثُ. وهناك مُصحفٌ يُسمَّى مصحف فاطمة، يقولون: إنه يُعادِل المصحفَ الذي بين أيديكم ثلاثَ مرَّات؛ حتَّى كتَبَ بعضُ الشيعة كتابًا سمَّاه (**فَصْل الخِطابِ في إثبات تَحْرِيف كتاب رَبِّ الأرباب**)

فأثبت فيه أن كتاب الله مُحرَّف.

هؤلاء هُم الروافض، وهناك أيضًا فِرَقٌ أخرى مثل الزيدية الذين قدَّموا عَليًّا على عُثمان فهؤلاء مُبتدعة.

ومن هنا يتبين أن الشيعة طبقات وفِرَق، منهم الكافر ومنهم المبتدع على حسب العقيدة. ولكن المؤلف جَعَل الروافض فِرقًا؛ والمعروف أن الروافض فِرقة واحدة يقال لهم: الرافضة، ويقال لهم: الإمامية ويقال لهم: الاثنا عشرية.

○ ويقول المؤلف عن الروافض «وَلَهُمْ مَسَائِلُ فَظِيعَةٌ، مِنْهَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ» أي أنهم يقولون: إن علياً أفضل من جميع الأنبياء، ويقولون: إنه يتصرف في الكون، ويقولون: هو الإله المعبود ـ والعياذ بالله ـ.

ويرد عليهم المؤلف بقوله «وَقَدْ أَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَى تَفْضِيلِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِ وَعَلَى سَائِرِ الصَّحَابَةِ قَبْلَ خَلْقِ الْمُخَالِفِ».

ومن الفظائع عندهم: «أَنَّ عَلِيًّا عِنْدَهُمْ فِي السَّحَابِ يُقَاتِلُ أَعْدَاءَهُ» أي يقاتل أعداءَ الله، فكيف يكون عَلِي في السحاب وقد مات ودُفِن؟ ويجيب المؤلف: «وَأَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ جَسَدَهُ فِي الْقَبْرِ مَدْفُونٌ».

ومِن فَظائِعهم أيضًا: «أَنَّهُ عِنْدَهُمْ يَرْجِعُ آخِرَ الزَّمَانِ» أي إن عليًّا رضي الله عنه يرجع آخر الزمان حيًّا، كما يقولون: «إِنَّ جِبْرِيلَ غَلِطَ بِالْوَحْيِ عَلَى مُحَمَّدٍ» وقد ذَكرنَا ذَلكَ في كلامنا عن المُخطِّئة.

«وَمِنْهُمْ مَنْ يَدَّعِي فِيهِ الْإِلَهِيَّةَ» أي: منهم من يقول صَرَاحة: عَلِيٌّ هو الإله. «وَعِنْدَهُمُ الْقُرْآنُ غُيِّرَ وَبُدِّلَ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْقَبَائِحِ».

ولا شك أن قبائح الرافضة كثيرة فهم أهل نِفاق وكَذِب وزُور، وقد نَشَر أهلُ العلم مخازيَهم في بعض كُتبِهم تَبْيِينًا وتحريرًا. ومن هؤلاء الأئمة والعلماء الخلَّال في (السنة) وكذلك (شرح أصول اعتقاد أهل السُّنة) وغير ذلك من كتب العقائد التي ذَكَرت عقائد الرافضة.





فَصْلٌ
ذِكْرُ عَقِيدَةِ الْمُرْجِئَةِ

٦١ ـ وَأَمَّا الْمُرْجِئَةُ فَقَالَ أَحْمَدُ: هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ: مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله، وَفَعَلَ سَائِرَ الْمَعَاصِي لَنْ يَدْخُلَ النَّارَ أَصْلًا.

الشَّرْحُ

هؤلاء هم المُرجِئة؛ وهم الذين أخرجوا الأعمالَ عن مُسمَّى الإيمان، وذَكَر شيخُ الإسلام رحمه الله في الفتاوى[1] ثلاثةَ أصناف فقال:

الأول: صِنفٌ يقولون: الإيمانُ مُجرَّد ما في القلب، ثُمَّ مِن هؤلاء مَن يُدخل فيه أعمالَ القلوب وهم أكثر فِرَق المرجئة، ومنهم مَن لا يُدخِلها في الإيمان كجَهْم ومن اتَّبعه.

الثاني: صِنفٌ يقولون: هو مُجرَّد قول اللسان. وهذا لا يُعرَف لأحد قبل الكَرَّامِية.

الثالث: صِنفٌ يقولون: هو تصديق القلب وقول اللسان. وهذا هو المشهور عن أهل الفقه والعبادة منهم.

وقد تقدم أن **المُرجئة أربع فرق:**

الفِرقةُ الأولى: الجَهميةُ الذين يقولون: الإيمان مَعرفةُ الرَّب بالقلب فقط، والكفرُ جَهْل الرب بالقلب، وهؤلاء هم الغُلَاة. وهذا أَفْسدُ قولٍ في تعريف الإيمان.

الفِرقة الثانية: الكَرَّامية الذين يقولون: الإيمان هو النطق

---

(١) (٧/ ١٩٥).

باللسان، فإذا نَطقَ الإنسانُ باللسان وشهد أن لا إله إلا الله وأن مُحمدًا رَسولُ الله، فهُو مُؤمن ولو كان مُكذِّبا بقَلبه؛ ولَكنه يُخلَّد في النار فإذا نطق بالشهادة فهو مكتمل الإيمان، وإن كان مكذبا يخلد في النار، فيجب على قولهم التناقض؛ يكون مؤمنا كامل الإيمان ويُخلَّد في النار.

الفرقةُ الثالثة: الأَشْعرية والماتُريدية، ويقولون: الإيمانُ تصديق القَلب فَقط، وجاء في رواية عن الإمام أبي حنيفة وطائفةٌ من أصحابه.

الفرقة الرابعة: مُرجِئة الفقهاء الذين يقولون: الإيمان هو تصديق القلب وقول اللسان، وهذا مذهب الإمام أبي حنيفة، وعليه أكثر أصحابه، وهم طائفة من أهل السُّنة، ويقولون: الأعمال كالصلاة والصيام والزكاة مطلوبة، والواجبات واجبات، والمحرمات محرمات؛ لكنها لا تدخل في مسمى الإيمان. والإنسان عليه واجبان: واجب الإيمان، وواجب العمل، فالعمل شيء والإيمان شيء.

أما أهل السُّنة فيقولون: العمل من الإيمان، فكل الأعمال داخلة في مسمى الإيمان.

ويقول المؤلف: «**وَأَمَّا الْمُرْجِئَةُ فَقَالَ أَحْمَدُ: هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ: مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله، وَفَعَلَ سَائِرَ الْمَعَاصِي لَنْ يَدْخُلَ النَّارَ أَصْلًا**» فالجهمية يقولون: إذا صدَّق بقلبه دخل الجنة، ولا يَضرُّه ولو فعل جميعَ المنكرات والكبائر؛ بل حتى لو فعل جميع أنواع الرِّدَّة فلن تُضرَّه ما دام أنه صدَّق بقلبه، وهو يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله. وهذا من أفسد ما قيل.

إذن هم أربع فِرق؛ والفِرقة الرابعة ـ الذين يقولون: الإيمان هو تصديق القلب ونطق باللسان ـ من أهل السنة.





فَصْلٌ
فِي السَّالِمِيَّةِ

٦٢ ـ وَهِيَ إِلَى أَهْلِ السُّنَّةِ أَقْرَبُ؛ إِلَّا أَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ اللهَ ـ تَعَالَى ـ كَانَ رَائِيًا لِلْخَلْقِ وَهُمْ فِي الْعَدَمِ كَمَا هُوَ رَاءٍ لَهُمْ بَعْدَ الْوُجُودِ.

وَعِنْدَنَا كَانَ عَالِمًا بِهِمْ، وَأَمَّا الرُّؤْيَةُ فَبَعْدَ الْخَلْقِ لَهُمْ كَمَا قَالَ ـ تَعَالَى ـ: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾﴾ [الشعراء: ٢١٨].

وَقَالُوا: أَسَجَدَ إِبْلِيسُ لِآدَمَ فِي الْفَانِي؟ وَقَالُوا: لِلَّهِ سِرٌّ لَوْ أَظْهَرَهُ لَبَطَلَ التَّدْبِيرُ، وَكَذَلِكَ لِلْأَنْبِيَاءِ وَلِلْعُلَمَاءِ وَهَذَا كُفْرٌ، وَقَالُوا: إِبْلِيسُ مَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَقَالُوا: الْكُفَّارُ يَرَوْنَ اللهَ فِي الْآخِرَةِ وَيُحَاسِبُهُمْ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا قَدْ أَفْرَدْتُ مَعَهُمْ.

الشَّرْحُ

هذا مَذْهب السَّالِمية أتباع هِشام بن سَالم الجَوالِيقي، يقول المؤلف: «وَهِيَ إِلَى أَهْلِ السُّنَّةِ أَقْرَبُ» كما ذَكَر شيخُ الإسلام رحمه الله قُرْبَهم من أهل السُّنة، فيقول: «السَّالِمِيَّةُ أَتْبَاعُ الشَّيْخِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ سَالِمٍ هُمْ فِي غَالِبِ أُصُولِهِمْ عَلَى قَوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ لَكِنْ لَمَّا وَقَعَ فِي بَعْضِ أَقْوَالِهِمْ مِنَ الْخَطَأِ زَادَ فِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ مَنْ صَنَّفَ فِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ، حَتَّى رَدَّ عَلَيْهِمْ قِطْعَةً مِمَّا قَالُوهُ مِنَ الْحَقِّ»[1].

○ يقول المؤلفُ: «وَهِيَ إِلَى أَهْلِ السُّنَّةِ أَقْرَبُ»؛ لأنهم يُثبتون

(١) انظر: منهاج السنة النبوية (٢/ ٤٩٩).

الأسماءَ والصفاتِ.

○ ثم يقول: «**إِلَّا أَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الله ـ تَعَالَى ـ كَانَ رَائِيًا لِلْخَلْقِ وَهُمْ فِي الْعَدَمِ**» أي: يقولون: إن الله يَرَى الخَلْق قَبل أن يَخلقهم كما هو راءٍ لهم بعد الوجود.

○ ثم يقول المؤلف: «**وَعِنْدَنَا كَانَ عَالِمًا بِهِمْ**» أي: عالمٌ بهم قبل أن يخلقهم، «**وَأَمَّا الرُّؤْيَةُ فَبَعْدَ الْخَلْقِ لَهُمْ؛ كَمَا قَالَ ـ تَعَالَى ـ:** ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ٢١٨] وَقَالُوا: أَسَجَدَ إِبْلِيسُ لِآدَمَ فِي الْفَانِي؟» أي: كيف سَجَد إبليسُ لآدمَ وهو لم يكن قد خُلِق بَعْدُ؟ قالوا ذلك مع أن إبليسَ امتنع عن السجود كما أخبر الله: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البَقَرَة: ٣٤] فهذا قول مُناقضٌ للنصوص، ولا يَستسيغه عقلٌ.

○ ثم يقول المؤلف: «**وَقَالُوا: للهِ سِرٌّ لَوْ أَظْهَرَهُ لَبَطَلَ التَّدْبِيرُ، وَكَذَلِكَ لِلْأَنْبِيَاءِ وَلِلْعُلَمَاءِ**»، ثم عَلَّق المؤلفُ على قولهم هذا قائلًا: «**وَهَذَا كُفْرٌ**». «**وَقَالُوا: إِبْلِيسُ مَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**»، هذا مع صراحة نص القرآن ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ [البَقَرَة: ٣٦] والحديث في الآية لآدم وإبليس أن اهبطوا من الجنة إلى الأرض بعضكم لبعض عدو.

○ ثم يقول المؤلف: «**وَقَالُوا: الْكُفَّارُ يَرَوْنَ الله فِي الْآخِرَةِ وَيُحَاسِبُهُمْ**» وهم بذلك يُنكِرون قول الله ـ تعالى ـ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥].





فَصْلٌ
ذِكْرُ عَقِيدَةِ الْكَرَّامِيَّةِ

٦٣ ـ وَالْكَرَّامِيَّةُ قَرِيبَةٌ أَيْضًا إِلَى أَهْلِ السُّنَّةِ، وَلَهُمُ التَّشْبِيهُ، وَقَدْ أَفْرَدْتُ الْمَسَائِلَ مَعَهُمْ فِي كِتَابٍ.

الشَّرْحُ

الكَرَّاميةُ هم: أَتباعُ محمد بن كَرَّام؛ وهم ـ كما تقدم ـ يقولون: الإيمانُ النطقُ باللسان ولو كان مُكذِّبًا بقَلْبه، فإذا نطق بلِسانه فهو مؤمن كاملُ الإيمان، وإذا كان مكذبًا بقلبه فهو مُخلَّد في النار.

وعلى قولهم يمكن للمؤمن الكامل الإيمان أن يُخلَّد في النار.

وهُم أيضا من المُشبِّهة.

وقد ذكر شيخ الإسلام ﷺ أن الكَرَّامِية قَريبةٌ من أهل السُّنة فقال: «**الْكُلَّابِيَة وَكَذَلِكَ الكَرَّامِيَة فِيهِمْ قُرْبٌ إِلَى أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ وَإِنْ كَانَ فِي مَقَالَةِ كُلٍّ مِنَ الْأَقْوَالِ مَا يُخَالِفُ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ**»(١)؛ أي إنهم قريبون من أهل السُّنة في إثبات الأسماء والصفات؛ ولهم أقوال أخرى يوافقون فيها أهلَ السُّنة والجماعة، إلا إنهم يقولون: إن الكلامَ والخَلْق كانا ممتنعين على الله، ثم انقلبا فجأةً فصارا ممكنين.

أي: أنهم يُعطِّلون الربَّ ـ تعالى ـ فترةً عن الخَلْق والكلامِ،

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٥٥).

وهذا مخالفٌ لأهل السُّنة، فهم يقولون: للكلامِ بدايةٌ. وأهل السُّنة يقولون: إن الله لم يَزل مُتكلِّمًا ولم يزل خَالقًا؛ وهذه من العقائد التي خالف فيها الكَرَّاميةُ أهلَ السُّنة.





فَصْلٌ
ذِكْر عَقِيدَةِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ

٦٤ ـ وَالْإِسْمَاعِيلِيَّةُ يَعْتَقِدُونَ الْقَوْلَ بِقِدَمِ الْعَالَمِ، وَتَعْطِيلِ الصَّانِعِ، وَإِبْطَالِ النُّبُوَّةِ وَإِنْكَارِ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ، وَإِبْطَالِ الْعِبَادَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

الشَّرْحُ

الإسماعيلية ضَرْب من الباطنية، والبعضُ يقول عنهم: إنَّهم مِن غُلَاة الرَّافِضة؛ وهم يُنكرون أن يكون الإمام إسماعيل بن جعفر بن محمد قد مات في حياة أبيه؛ لأنه في زَعْمهم لا يُمكن أن يموتَ حتى يملك؛ لأن أباه قد كان يُخبر أنه وَصِيُّه وأنه الإمامُ بعده.

وقد كَذَّبهم في هذه المقالة جميعُ أهلِ التواريخ، لِما صحَّ عندهم من موتُ إسماعيل قبل أبيه جعفر.

وللإسماعيلية ألقابٌ كثيرة؛ فهم يُسمَّون: (البَاطِنية)، ويُسمَّون: (القَرامِطة)، ويُسمَّون: (المُلْحِدَة) وغير ذلك من المقالات والألقاب، وهم من غُلَاة الروافض.

ومعروفٌ أن نِسْبة الإسماعيلية إلى: إسماعيل بن جعفر؛ ومن عقيدتهم القولُ بقِدَم العالم، وهم يوافقون في ذلك الفلاسفة.

ومعنى القَول بقِدَم العالم إنكارُ وجود الله، فكَوْن العالم قديمًا يَعني: أنه ليس له أول وليس له بداية، ومعنى ذلك أن العالَمَ غيرُ حادثٍ، وأنه قديم كقِدَم الله، وهذا إنكارٌ لوجود الله ـ تعالى ـ.

والقولُ بقِدَم العالم يقوله الفلاسفة؛ مثل: أَرسطو[١]، وأبو نَصْر الفارابي[٢]، وأبو علي ابن سينا[٣].

وقد كان الفلاسفة القُدَامى يُثبتُون الربَّ ﷻ، والإلهيات، والميعاد، ويقولون: إن العالَم مُحدثٌ، ويُعظِّمون الشرائعَ والإلهيات في الجملة، وآخرُ هؤلاء: أفلاطون، فتتلمذ عليه: أرسطو طاليس، فخالف التلميذُ شيخَه؛ وابتدع القول بقِدَم العالم، فهو أول من قال بأن العالم قديم، على عكس ما كان يرى شَيخُه أفلاطون من أن العالم حادثٌ، وكان مُشركًا يعبدُ الأوثانَ، وهو أول من ابتدع التعاليم المنطقية، ويسمى أرسطو: المُعلِّم الأول.

ثم جاء أبو نصر الفارابي الذي يُسمَّى: المُعلِّم الثاني، فأخرج هذه الفكرة إلى الساحة.

ثم جاء أبو علي بن سينا الذي كتب كتابًا في الطب، وحاول أن يُقدِّم فلسفةً من الإسلام وهي محاولة شديدة وصل فيها إلى ما لم تصل إليه الجهمية الغالية في التجهم، فالجَهميةُ الغاليةُ في التجهم أصحُّ مذهبًا من ابن سينا.

---

(١) هو أرسطو طاليس بن نيقوماخس الفيثاغوري الجهراشني، وتفسير أرسطوطاليس تام الفضيلة وَكَانَ أرسطوطاليس تلميذ أفلاطون المتصدر بعده، ولازم أفلاطون ليتعلم منه مدة عشرين سنة وَكَانَ أفلاطون يؤثره عَلَى سائر تلاميذه ويسميه العقل، وإلى أرسطوطاليس انتهت فلسفة اليونانيي. انظر: أخبار العلماء بأخيار الحكماء، لجمال الدين القفطي (ص٢٨).

(٢) هو شيخ الفلسفة أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي المنطقي، أحد الأذكياء، له تصانيف مشهورة، من ابتغى الهدى منها، ضل وحار منها. انظر: ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤١٦).

(٣) ابن سِينَا: هو الحسين بن عبدالله بن سينا، فيلسوف، له تصانيف في الطِّبِّ وغيره، كان مِن أهل دعوة الحاكم العُبَيْدِي، معروفًا بالإلحاد، وُلد في إحدى قُرَى بُخَارَى (سنة ٣٧٠)، وتوفي في سَفَرِه إلى هَمَذَانَ (سنة ٤٢٨)، وكان يُلَقَّبُ المُعَلِّم الثالث للفلاسفة. انظر: ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٣١).

وكان ابن سينا يقول عن نفسه: أنا وأبي من دعوة الحاكم العُبَيْدي[١]، والحاكم العُبَيْدي رافِضيٌّ خَبِيثٌ لا يُؤمن بالله ولا مَلائكته ولا كُتبه ولا رُسُله ولا اليوم الآخر ولا القَدَر.

ومع كل ذلك بعض الناس وخصوصًا الكُتَّاب والصحفيون يقولون: أبو علي بن سِينا فيلسوف الإسلام، مع أنه ـ والعياذُ بالله ـ فيلسوف مُلحِدٌ كغيره من الفلاسفة الذين يقولون بقِدَم العالم، ويوافقهم في ذلك الإسماعيلية.

فالإسماعيلية باطنية وقَرَامِطة يقولون: العالَم قديمٌ، والذي يقول: العالَم قديمٌ، فمعناه إنكارُ وجود الله، وأن هذا العالم ليس له مُحدِثٌ، ليس له أول؛ وليس له خالقٌ، وهذا الإنكار لوجود الله من عقيدتهم.

وكمال عقيدة الإسماعيلية في القول بقِدَم العالم، قولهم: بتعطيل الصانع؛ فقد عطَّلوا الرب ـ تعالى ـ عن الخَلْق، بل قالوا: ليس بخالق.

كما أبطلوا النبوات؛ فهم ينكرون النبوة، وينكرون البعثَ والنُّشُور، ويبطلون العِباداتِ وغير ذلك. فماذا بَقِي من الشرع؟

فهم يقولون: العالم قديم؛ فبذلك أنكروا وجود الله، وهذا كُفْر بَوَاح، وعطَّلوا الصانعَ مِن صفاته، وهذا كُفْر ثانٍ وأبطلوا النبوة، وهذا كُفْر ثالث، وأنكروا البعث، وهذا كُفْر رابع، وأبطلوا العباداتِ؛ فليس هناك صلاة ولا صيام ولا زكاة ولا حج، فهذه

---

(١) هو الحاكم بأمر الله منصور بن العزيز بن المعز صاحب مصر، العبيدي المصري الرافضي، بل الإسماعيلي الزنديق المدعي الربوبية. انظر: ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٥/ ١٧٣).

خمسة أنواع من الكفر.

وأخبث الطوائف: الباطنية؛ فهو أخبث من الروافض، وأخبث من اليهود والنصارى؛ فنجد شيخ الإسلام ابن تيمية يقول عن الباطنية الملاحدة: «أجمع المسلمون على أنهم أكفر من اليهود والنصارى»[(١)].

ومنهم - وهم الباطنية وهم بعض ملاحدة الإسماعيلية - مَن يُفسِّر العباداتِ بأهوائهم فيقولون: إن للعبادات باطنًا وظاهرًا؛ فللصلاة ظاهر وباطن؛ ظاهرها الصلوات الخمس التي يصليها المسلمون، وباطنها تَعدادُ خمسة أسماء هي: عَلِيٍّ وفَاطِمة وحَسَن وحُسَين ومُحسن.

ويقولون: للصيام ظاهر وباطن؛ ظاهره صيامُ شهر رمضان كما يصومه المسلمون، هذا هو الظاهر، وبَاطنُه كِتمان سِرِّ المشايخ؛ فإذا كتمتَ سِرَّ الشيخ فأنت صائم.

ويقولون: للحج ظاهر وباطن؛ ظاهره الحج إلى بيت الله الحرام كما يَحجُّه المسلمون، وباطنُه السَّفرُ إلى شيوخهم.

هذه عبادة هؤلاء الملاحدة، وهذه عقيدتهم، فأكفر الناس هم الباطنية، فهم أكفر من اليهود والنصارى، وأكفر من الوثنية - نسأل الله السلامة والعافية -.

---

(١) التدمرية (٤٣)، ومجموع الفتاوى: (٢٨/ ٤٠٨) ومنهاج السنة (٣/ ٤٥٢) (٤/ ٥١٩) (٨/ ٤٨٦) وانظر بنحوه: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (٩٥) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية (٤٨٨) ومجموع الفتاوى: (٢/ ١٣٠) (٤/ ٤١٣) (٥/ ١٩٧) (١٢/ ٣٣٧) (١٣/ ٢٠٩) (٣٥/ ١٣٣) (٣٥/ ١٤٣-١٤٤) (٣٥/ ١٤٩-١٥٠) (٣٥/ ١٦٢).

■ **فإن قال قائل**: ما حكم الشُّكوكُ والوساوسُ في الصِّفات والأسماء، هل تدُلُّ على فَساد المعتقد؟

● **فنقول**: لا يدل هذا على فساد العقيدة لمن بلي بها، ولكن عليه أن يُحَارِبَ هذه الوساوس ويُدَافِعَهَا؛ وأن يقطع التفكير، ويسْتَعِذْ بالله من الشيطان، ولن يضره هذه الوساوس إن شاء الله.

وقد شكَا الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ هذا إلى رسول الله ﷺ، وقالوا: «**يا رَسولَ الله إنَّ أحدَنا يَجد في نَفْسِه من الوساوس ما لأن يَخِرَّ من السماء خيرٌ له من أن يَتَكَلَّم بها**»؛ يود أن يسقط من السماء ولا يتكلم بالوساوس؛ لخبثها، وفي لفظ: «**ما لأَنْ يَكونَ حُمَمَةً خيرٌ له أن يَتكَلَّم بها**»؛ يعني: فَحْمَةً. فقال: «**وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ**»[1] يعني: كَتْم الوَسْوسة، ومحاربتها، ودفعها، واستعظام التكلُّم بها صريح الإيمان أي: خالصه.

ولذلك قال النبي ﷺ لمَنْ وجد الوساوس؛ كما في حديث أبي هريرة: «**يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ مَنْ خَلَق كَذَا؟ حتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ الله؟!! فَإِذَا وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَنْتَهِ، وَيَقُولُ: آمَنْتُ بِالله وَرَسُولِهِ**»[2]، يقطع التفكير، ويقول: آمَنْتُ بِالله وَرَسُولِهِ. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

فعلى من بلي بذلك أن يعمل بما أوصى به النَّبي ﷺ، وأن يستَعذْ بالله من الشيطان، وأن يحَاربْ الوساوس، ويدافِعْها، ويقطع التفكير بها ولا يتكلم بها، ولا تضُره إن شاء الله.

۞ ۞ ۞

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، رقم (١٣٢).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، رقم (٣٢٧٦)، ومسلم: كتاب الإيمان، رقم (١٣٤).

فَصْلٌ فِي الِاجْتِهَادِ

أَهْلُ الِانْحِرَافِ وَأَهْلُ الْكُفْرِ لَا يُسَمَّوْنَ مُجْتَهِدِينَ:

٦٥ - الْمُصِيبُ وَاحِدٌ مِنَ الْمُجْتَهِدِينَ فِي أُصُولِ الدِّيَانَاتِ، وَقَدْ نَصَّ عَلَيْهِ أَحْمَدُ عَلَى تَكْفِيرِ جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُتَأَوِّلِينَ؛ كَالْقَائِلِينَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وَنَفْيِ الرُّؤْيَةِ، وَخَلْقِ الْأَفْعَالِ، وَهُمُ الْقَدَرِيَّةُ، وَالْمُعْتَزِلَةُ، والْجَهْمِيَّةُ، وَقَطَعَ أَيْضًا عَلَى كُفْرِ اللَّفْظِيَّةِ، وَأَمَّا الْمُرْجِئَةُ فَعَلَى تَفْصِيلٍ.

وَأَمَّا الْخَوَارِجُ فَمَنْ فَسَّقَ مِنْهُمْ عُثْمَانَ وعَلِيًّا، وَقَالُوا: غَيَّرَا وَبَدَّلَا فَهُمْ كُفَّارٌ، وَقَالَ النَّبِيُّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - فِيهِمْ: «الْخَوَارِجُ كِلَابُ أَهْلِ النَّارِ»[1]، والرَّوَافِضُ مِثْلُهُمْ لِمَا قَالُوهُ وَاعْتَقَدُوهُ.

وَقَدْ أَفْرَدْتُ كِتَابًا بِالاثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَمَذَاهِبِهِمْ، وَبَعْضِ أَدَلَّتِهِمْ، وَأَجَبْتُ عَلَى جَمِيعِ ذَلِكَ بِحَمْدِ الله وَمَنِّهِ إِنْ شَاءَ اللهُ.

الشَّرْحُ

هذا فَصْلٌ في الاجتهاد، والمراد بالاجتهاد: الاجتهادُ في أصول الدين، فهل هناك اجتهاد في أصول الدين؟

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: «**الْمُصِيبُ وَاحِدٌ مِنَ الْمُجْتَهِدِينَ فِي أُصُولِ الدِّيَانَاتِ**»، وهم أهلُ الحقِّ الذين يَعملون بالنصوص من الكتاب والسنة، وهم أَهْلُ السنة والجماعةِ الذين يَعملون بالنصوص،

(١) أخرجه ابن ماجه: المقدمة، بَابُ فِي ذِكْرِ الْخَوَارِجِ، رقم (١٧٦).

ويعتقدون ما جاء في كتاب الله، وسُنَّةِ رسوله ﷺ ويؤمنون بالله، وملائكته، وكُتُبِهِ ورُسُله، واليوم الآخر، والقَدَر خَيرِّه وشَرِّه، ويُؤمنون بأن القرآن كلام الله؛ مُنزَّلٌ وغير مخلوق؛ هؤلاء هم الْمُصِيبون، ولهذا قال المؤلف ﷺ: «الْمُصِيبُ وَاحِدٌ مِنَ الْمُجْتَهِدِينَ فِي أُصُولِ الدِّيَانَاتِ».

أما أهلُ الانحراف، وأهل الكفر فلا يُسَمَّوْن مجتهدين؛ فهم على ضلال، فلا يقال على المعتزلة إذا قالوا بخَلْق القرآن: إنهم مُجتهدون! ولا يُقال عن الحُلُولية الذين يقولون: إن الله حالٌّ في كل مكان مجتهدون؛ لأنهم مُخالفون للنصوص بل هم كفرة، ولا يقال أيضا عن الجهمية الذين أنكروا الأسماء والصفات مجتهدون.

ولهذا قال المؤلف ﷺ: «الْمُصِيبُ وَاحِدٌ مِنَ الْمُجْتَهِدِينَ فِي أُصُولِ الدِّيَانَاتِ»؛ أي إن الاجتهاد إنما يكون في الأمور الفَرعِية، أَمَّا أصول الدين، فأدلتها قطعية واضحة فليست محل الاجتهاد؛ فكون الصلوات خمسًا في اليوم والليلة، هذا ليس محله الاجتهاد؛ لأنه قَطْعِي، وكذلك إيجاب صَوم رمضان، وإيجاب الزكاة، وإيجاب الحجَّ، وإيجاب الإيمانَ بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، كل هذا ليس محلا للاجتهاد، ولهذا كان المصيبُون هم أهل الحق المؤمنون.

○ قال المؤلف ﷺ: «وَقَدْ نَصَّ عَلَيْهِ أَحْمَدُ عَلَى تَكْفِيرِ جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُتَأَوِّلِينَ؛ كَالْقَائِلِينَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ» أي: الذين يقولون: القرآنُ مَخلوقٌ، «ونَفْيِ الرُّؤْيَةِ» أي: الذين يقولون: إن الله لا يُرَى في الآخرة، فهؤلاء كَفَّرَهُمُ الأئمةُ «وَخَلْقِ الْأَفْعَالِ» أي: الذين يقولون: إن العِبادَ خالقون لأفعالهم، «وَهُمُ الْقَدَرِيَّةُ، وَالْمُعْتَزِلَةُ، والْجَهْمِيَّةُ»

فالمعتزلة يقولون: إن العَبدَ يخلق فِعلَ نفسه.

أما القَدَريةُ فقسمان:

القَدَرية الأولى الذين أنكروا عِلْمَ الله السابق، وقالوا: إن الله لا يعلم الأشياء حتى تقع فهؤلاء كَفَرة ولكنهم انقرضوا.

أما عامة القدرية ـ المتوسطون والمتأخرون ـ الذين يقولون: العبد يخلق فعل نفسه، فهؤلاء قالوا هذا من باب الشُّبهة التي حصلت لهم، فلا يكفرون على الصحيح.

والذين خالفوا في «**خَلْقِ الْأَفْعَالِ، وَهُمُ الْقَدَرِيَّةُ، وَالْمُعْتَزِلَةُ، والْجَهْمِيَّةُ**»، هناك فَرْق بينهم؛ فالجهمية كَفَّرَهُمْ خمسُمائة عالم كما سبق، أما القدرية والمعتزلة، فهم قَدَرية في الأفعال، معتزلة في الصفات. فإذا كانوا ينفون الصفات ويُثبتُون الأسماء؛ فالجمهور على أنهم مبتدعة، ومن العلماء من كَفَّرهم.

○ ويقول المؤلف ﷺ أيضا: «**وَقَطَعَ أَيْضًا عَلَى كُفْرِ اللَّفْظِيَّةِ**» قَطَع على كُفْر اللفظية الذين يقول أحدُهم: لفظي بالقرآن مخلوق؛ هؤلاء هم اللفظية.

○ ويقول: «**وَأَمَّا الْمُرْجِئَةُ فَعَلَى تَفْصِيلٍ**» أي: أن المُرجئة الغلاة الذين يقولون: الإيمان هو تصديقٌ بالقلب، أو معرفة بالقلب، والأعمال ليست واجبة وليست مطلوبة؛ فهؤلاء كَفَرة، وهم جهمية المرجئة.

أما مُرجِئة الفقهاء، وهم أبو حنيفة وأصحابه، الذين يقولون: إن الأعمال غير داخلة في مُسَمَّى الإيمان؛ لكنها مطلوبة، فهؤلاء طائفة من أهل السُّنة، ولهذا قال المؤلف: «**وَأَمَّا الْمُرْجِئَةُ فَعَلَى تَفْصِيلٍ**».

○ ويقول المؤلف رحمه الله: «**وَأَمَّا الْخَوَارِجُ فَمَنْ فَسَّقَ مِنْهُمْ عُثْمَانَ وَعَلِيًّا، وَقَالُوا: غَيَّرَا وَبَدَّلَا فَهُمْ كُفَّارٌ**» وذلك لأن الله زَكَّاهم، والنبي وَعَدَهُمْ بالجنة؛ فهما من العشرة المبشرين بالجنة. فَمَنْ فسَّقهم، وقال: لقد غَيَّرا أو بدَّلا فقد كَذَّبَ النبيَّ ومَنْ كَذَّبَ النبيَّ فقد كَفَر.

وقال النَّبيُّ ﷺ: «**الْخَوَارِجُ كِلَابُ أَهْلِ النَّارِ**»[1] هذا الحديث رواه الإمام أحمد، وابن ماجه، وابن أبي عاصم في السنة.

والجمهور على أن الخوارج مُبتدعة، ومن العلماء مَنْ كَفَّرَهُمْ، يعني: حَكَم بكفرهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «**الْخَوَارِجُ كَانُوا مِنْ أَظْهَرِ النَّاسِ بِدْعَةً وَقِتَالًا لِلْأُمَّةِ وَتَكْفِيرًا لَهَا وَلَمْ يَكُنْ فِي الصَّحَابَةِ مَنْ يُكَفِّرُهُمْ لَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَلَا غَيْرُهُ بَلْ حَكَمُوا فِيهِمْ بِحُكْمِهِمْ فِي الْمُسْلِمِينَ الظَّالِمِينَ الْمُعْتَدِينَ**»[2].

○ يقول المؤلف: «**والرَّوَافِضُ مِثْلُهُمْ لِمَا قَالُوهُ وَاعْتَقَدُوهُ**» أي: الرافضةُ مِثلُهم في الكفر إذا اعتقدوا تَكْفِير الصحابة؛ لِأَنَّ الله ـ تعالى ـ زَكَّاهم، وأثنى عليهم ووَعَدهم الجنةَ، فَمَنْ كَفَّرَهم فقد كَذَّبَ الله، ومَنْ كَذَّبَ الله كفر.

وثَبتَ أيضًا أنهم يعتقدون أن القُرآن غيرُ محفوظ؛ وأنه لم يَبْقَ منه إلا الثُّلُثُ، وهذا تكذيب لله في قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩] فهذا نوع آخر من الكفر عند الرافضة.

وهناك نوع ثالث من الكُفر؛ وهو: أنهم يعبدون آل البيت.

○ وقال المؤلف رحمه الله: «**وَقَدْ أَفْرَدْتُ كِتَابًا بِالِاثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَمَذَاهِبِهِمْ، وَبَعْضِ أَدِلَّتِهِمْ، وَأَجَبْتُ عَلَى جَمِيعِ ذَلِكَ بِحَمْدِ اللهِ**

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٢١٧).

وَمَنِّهِ إِنْ شَاءَ اللهُ» يعني: أن له كِتابًا في عَدِّ الفِرَق الاثنتين والسبعين المبتدعة.

○ قوله: «إِنْ شَاءَ اللهُ» المؤلفُ دائمًا يقول: «إِنْ شَاءَ اللهُ» إذا دعَا وسبق أن ذكرنا أن «إِنْ شَاءَ اللهُ» استثناء، والاستثناء لا يكون في الدعاء، قال النبي ﷺ: «**لَا يَقُلْ أَحَدُكُمُ: اللهمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللهمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ...**»[1]، إلا إذا كان من باب الخبر، مثل ما ورد: «**لَا بَأْسَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللهُ**»[2].



(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٦١٦).

فَصْلٌ

بَرَاءَةُ أَهْلِ السُّنةِ وَالجَمَاعةِ مِن أَقوالِ الْمُبتدِعَة وأَفْعَالِهِمْ

٦٦ ـ وَالْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَعَاذَ أَهْلَ السُّنَّةِ وَأَئِمَّتَهُمْ مِنْ هَذِهِ الْمَقَالَاتِ الْفَاسِدَةِ، وَالاعْتِقَادَاتِ الْوَاهِيَةِ، وَوَهَبَ لَهُمُ الِاعْتِصَامَ بِحَبْلِهِ الْمَتِينِ، وَكِتَابِهِ الْمُبِينِ، وَسُنَنِ رَسُولِهِ النَّيِّرَةِ الْوَاضِحَةِ، وَجَنَّبَهُمُ الْأَقْوَالَ الْفَظِيعَةَ الْفَاضِحَةَ، فَأَقْوَالُهُمْ فِي أَهْلِ الْبِدَعِ مَسْمُوعَةٌ، وَأَقْوَالُ غَيْرِهِمْ فِيهِمْ فَبِالْحَقِّ مَدْفُوعَةٌ.

هُمُ الْمُجْمِعُونَ عَلَى أَنَّ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَا يَشَاءُ لَا يَكُونُ، وَعَلَى أَنَّهُ خَلَقَ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، وَعَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَعَلَى أَنَّهُ يُرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ يَرَاهُ الْمُؤْمِنُونَ، وَعَلَى تَقْدِيمِ الشَّيْخَيْنِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَعَلَى الْإِيمَانِ بِعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ؛ لَا يَخْتَلِفُونَ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْأُصُولِ، وَمَنْ فَارَقَهُمْ فِي شَيْءٍ مِنْهَا نَابَذُوهُ وَبَاغَضُوهُ وَبَدَّعُوهُ، وَهَجَرُوهُ.

الشَّرْحُ

يُبيِّن المؤلف رَحِمَهُ اللهُ في هذا الفصل أن الله ـ تعالى ـ برَّأ أهلَ السُّنة والجماعة من أقوال المُبتدعة وأفعالهم؛ وبرَّأهم من البِدَع، ونزَّههم وعَصَمهم رَحِمَهُمُ اللهُ؛ ولهذا نجد المؤلفَ يحمد اللهُ على ذلك، فقال: «والْحَمْدُ للهِ» و(ال) هنا للاستغراق، فهو مُستحقٌ للحَمد بجميع أنواعه.

○ قوله: «وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعَاذَ أَهْلَ السُّنَّةِ وَأَئِمَّتَهُمْ» هذه نِعمةٌ عَظيمة يُحْمَدُ الله عليها، «مِنْ هَذِهِ الْمَقَالَاتِ الْفَاسِدَةِ» أي: مَقالَات أهلِ البِدَع، «وَالاعْتِقَادَاتِ الْوَاهِيَةِ» أي: أن الله ـ تعالى ـ أعاذ أهلَ السُّنة من الأقوال البِدعية، ومن الاعتقادات البِدعية، وعَصَمهم؛ ولهذا قال: «وَوَهَبَ لَهُمُ الِاعْتِصَامَ بِحَبْلِهِ الْمَتِينِ، وَكِتَابِهِ الْمُبِينِ، وَسُنَنِ رَسُولِهِ ﷺ النَّيِّرَةِ الْوَاضِحَةِ» فوهَبَهم الاعتصام بالقرآن، وسُنَّة الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

○ يقول المؤلفُ: «وَجَنَّبَهُمُ الْأَقْوَالَ الْفَظِيعَةَ الْفَاضِحَةَ» وهي أقوال أهل البِدع، «فَأَقْوَالُهُمْ ـ أي أقوال أهل السنة ـ فِي أَهْلِ الْبِدَعِ مَسْمُوعَةٌ، وَأَقْوَالُ غَيْرِهِمْ فِيهِمْ فَبِالْحَقِّ مَدْفُوعَةٌ». ثم ذكر شَيْئًا من عَقيدة أهلِ السُّنة والجماعة، فقال: «هُمُ الْمُجْمِعُونَ عَلَى أَنَّ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَا يَشَاءُ لَا يَكُونُ» فأهل السُّنة مُجمعون على هذا؛ خِلافًا للقَدَرية الذين يقولون: إن الله قد يشاء ما لا يكون!! ويَكونُ ما لا يشاء!! فالله يشاء للعبد أن يفعل الطاعة، ولكنَّ العبدَ ـ عندهم ـ هو الذي يفعل المعصية!! فيقولون: إن الله ما شاء المعصية، بل العبد هو الذي شاءها!! والمعتزلة والقدرية لا يقولون: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لا يكون؛ بل يقولون: قد يشاء اللهُ ما لا يكون، وقد يكون ما لا يشاءُ!! فقد يشاء اللهُ للعبد أن يفعل الطاعة فيفعل المعصية؛ فتغلب مشيئة العبد مشيئة الله!! وقد يكون ما لا يشاء!! أي: يقع في الوجود معصيةٌ من العبد والله لم يُرِدْهَا ولم يَشَأْهَا!!

○ يقول المؤلف: «وَعَلَى أَنَّهُ خَلَقَ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ» أي :إن من عقيدة أهل السُّنة والجماعة أن الله خالق الخير والشر؛ لقوله ـ تعالى ـ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]. أما المعتزلةُ فيقولون: الله لم يخلق

الشر، بل العبد هو الذي يخلق الطاعات والمعاصي؛ حتى إذا خلق الطاعة يكون مُستحقًّا للثواب على الله كما يستحق الأجير أجرته، وإذا فعل المعصية وجب على الله أن يُعَذِّبَهُ، ويُخلِّده في النار، وليس له أن يعفو عنه؛ لأن الله لا يُخلفُ وعيدَه؛ هكذا يقول المعتزلة والقدرية.

○ يقول المؤلف: «**وَعَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ الله غَيْرُ مَخْلُوقٍ**» أي: هذا مُعتقَد أهلِ السُّنة والجماعة خِلافًا للمعتزلة. «**وَعَلَى أَنَّهُ يُرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَرَاهُ الْمُؤْمِنُونَ**» أي: من عقيدة أهل السنة والجماعة أن الله يُرى يوم القيامة يراه المؤمنون خِلافًا للمعتزلة والجهمية الذين أنْكرُوا رؤية الله.

○ قوله: «**وَعَلَى تَقْدِيمِ الشَّيْخَيْنِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ**» خِلافًا للرَّافضة الذين يُقدِّمون عَلِيًّا.

○ قوله: «**وَعَلَى الْإِيمَانِ بِعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ**» خلافًا للمعتزلة الذين قالوا: إن النعيمَ والعذاب يكون للروح، وأما البدن فأنكروا نعيمَه وعذابَه.

ثم خَتَم المؤلف بقوله: «**لَا يَخْتَلِفُونَ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْأُصُولِ. وَمَنْ فَارَقَهُمْ فِي شَيْءٍ مِنْهَا نَابَذُوهُ وَبَاغَضُوهُ وَبَدَّعُوهُ، وَهَجَرُوهُ**».



٦٧ ـ أَخْبَرَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُعَدِّلُ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: أَخْبَرَنَا عَمَّارُ بْنُ أَحْمَدَ السَّمَّاكُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْقَرِيُّ قَالَ: قَدِمَ عَلَيْنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُكَّاشَةَ الْكِرْمَانِيُّ سَنَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ؛ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: هَذَا مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مِمَّنْ رَأَيْتُ وَسَمِعْتُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ؛ مِنْهُمْ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، وَوَكِيعُ بْنُ الْجَرَّاحِ، وَمُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الْفِرْيَابِيُّ، وَسَعِيدُ بْنُ حَرْبٍ، وَعَلِيُّ بْنُ عَاصِمٍ، وَعَبْدُالْوَهَّابِ بْنُ عَطَاءٍ، وَعَبْدُالرَّزَّاقِ بْنُ هَمَّامٍ، وَيَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، وَكَثِيرُ بْنُ هِشَامٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الْوَاقِدِيُّ، وَدَاوُدُ بْنُ الْمُحَبَّرِ، وَشَبَابَةُ بْنُ سَوَّارٍ، وَعَبْدُالْعَزِيزِ بْنُ أَبَانَ، وَأَبُو نُعَيْمٍ الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ، وَيَعْلَى وَمُحَمَّدُ ابْنَا عُبَيْدٍ الطُّنَافِسِيِّ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ دَاوُدَ، وَقَبِيصَةُ، وَسَعِيدُ بْنُ عَمَّارٍ، وَزُهَيْرُ بْنُ نُعَيْمٍ، وَأَزْهَرُ بْنُ سَعِيدٍ السَّمَّانُ، وَأَبُو عَبْدِالرَّحْمَنِ الْمُقْرِئُ، وَالنَّضْرُ ابْنُ شُمَيْلٍ، وَأُمَيَّةُ بْنُ عُثْمَانَ الدِّمَشْقِيُّ، وَأَحْمَدُ بْنُ خَالِدٍ الدِّمَشْقِيُّ، وَالْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِاللهِ بْنِ الْحَارِثِ الدِّمَشْقِيُّ، وَعَامَّةُ أَصْحَابِ ابْنِ الْمُبَارَكِ، وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ، وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَيَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْقَطَّانُ، وَعَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، وَأَبُو عُمَرَ الضَّرِيرُ: الرِّضَا بِقَضَاءِ اللهِ، وَالتَّسْلِيمُ لِأَمْرِهِ، وَالصَّبْرُ عَلَى حُكْمِهِ، وَالْأَخْذُ بِمَا أَمَرَ اللهُ، وَالنَّهْيُ عَمَّا نَهَى اللهُ، وَإِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَتَرْكُ الْمِرَاءِ وَالْخُصُومَاتِ وَالْجِدَالِ فِي الدِّينِ، وَالْمَسْحُ عَلَى الْخُفَّيْنِ، وَالْجِهَادُ مَعَ الْخَلِيفَةِ؛ وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ، وَصَلَاةُ الْجُمُعَةِ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ، وَالصَّلَاةُ عَلَى مَنْ مَاتَ

مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ سُنَّةٌ، وَالْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، وَالْإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَالْقُرْآنُ كَلَامُ الله، وَالصَّبْرُ تَحْتَ لِوَاءِ السُّلْطَانِ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ مِنْ عَدْلٍ أَوْ جَوْرٍ، وَأَلَّا يُخْرَجَ عَلَى الْأُمَرَاءِ بِالسَّيْفِ وَإِنْ جَارُوا، وَلَا يُنْزِلَ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ جَنَّةً وَلَا نَارًا، وَأَلَّا نُكَفِّرَ أَحَدًا، وَإِنْ عَمِلُوا بِالْكَبَائِرِ، وَالْكَفُّ عَنْ مَسَاوِئِ أَصْحَابِ رَسُولِ الله، وَأَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ الله أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ ثُمَّ عَلِيٌّ - رضي الله عَنْهُمْ -.

الشَّرْح

نَقَل المؤلفُ رَحِمَهُ اللهُ بسَنَده عن شَيخه أبي الحسين علي بن محمد المعدِّل، بالسند إلى أبي جعفر المنقري قال: «قَدِمَ عَلَيْنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُكَّاشَةَ الْكِرْمَانِيُّ سَنَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ؛ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: هَذَا مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ».

ثم نَقَل رَحِمَهُ اللهُ عقيدة أهل السُّنة والجماعة بالسَّنَد، وسَرَدَ عددًا مِن العلماء والأئمة كلُّهم يعتقدون هذه العقيدة؛ منهم سُفيان بن عُيَيْنة الإمام المعروف، ووَكِيع بن الجَرَّاح شيخُ الشافعي وأحمد؛ وغيرهم من أئمة أهل السنة والجماعة وبَيَّنَ عقيدتهم فقال: «الرِّضَا بِقَضَاءِ الله» فهم يَرضَوْن بقَضَاء الله وقَدَره، فلا يتسخطون منهما؛ «وَالتَّسْلِيمُ لِأَمْرِهِ» يُسلِّمون الأمرَ لله، «وَالصَّبْرُ لِحُكْمِهِ» يصبرون على حكم الله الكوني القَدَري؛ لعِلْمِهم أن الله عَلِيم حكيم.

○ قوله: «وَالْأَخْذُ بِمَا أَمَرَ اللهُ» أي: يمتثلون أوامر الله كإقامة الصلاة: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البَقَرَة: ٤٣] ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البَقَرَة: ٤٣] ﴿وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟﴾ [البَقَرَة: ٢٧٨] «وَالنَّهْيُ عَمَّا نَهَى اللهُ»: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ [الإسرَاء: ٣٢] ﴿لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟﴾ [آل عِمرَان: ١٣٠] أي: يَمتثلون الأوامر،

ويجتنبون النواهيَ.

○ قوله: «وَإِخْلَاصُ الْعَمَلِ للهِ» أي: يُخلِصون أعمالَهم لله ويريدون بها وجهه ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البَيِّنَة: ٥] هذه عقيدة أهل السُّنة والجماعة.

○ قوله: «وَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» أي يُؤمنون بِأَنَّ الله قَدَّرَ الأشياءَ ـ خيرَها وشرَّها ـ ما يَسُرُّهم وما يَسوؤُهم.

○ قوله: «وَتَرْكُ الْمِرَاءِ وَالْخُصُومَاتِ وَالْجِدَالِ فِي الدِّينِ» كذلك تَرْكُ الجِدال في الدين، والمُمَارَاة حتَّى التي توصل إلى الإغضاب.

○ قوله: «وَالْمَسْحُ عَلَى الْخُفَّيْنِ» يعني: يرون ويعتقدون جَواز المسح على الْخُفَّيْن، والمَسح على الخُفَّين مَسألةٌ فَرعية تُكْتَبُ في مسائل الفروع، ولكنَّ العلماءَ يذكرونها في العقائد قصدًا للردِّ على الرَّافِضة؛ لأن الرافضةَ لا يرون المسح على الخُفَّين، ويقولون: مَنْ كان عليه خُفَّان وجب عليه خلعهما، ومَسَح ظهور قدميه، وإذا كانت الرِّجلان مكشوفتين وجب عليه أن يمسح ظهور القدمين فقط ولا يغسلها بل يمسحها كما يمسح الرأس!

هذه العقيدة الفاسدة جعلت العُلمَاء يذكرون عقيدة المسح على الخُفَّين في كتب العقائد، فَيقولون: ونرى المسح على الخفين.

○ قوله: «وَالْجِهَادُ مَعَ الْخَلِيفَةِ؛ وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ» كذلك فإن من عقيدة أهل السُّنة والجماعة الجهاد مع وليِّ الأمر، وإن عمل ـ وليُّ الأمر ـ أي عمل، يعني: ولو فَسَق، ولو جارَ، ولو ظَلَم.

○ قوله: «وَصَلَاةُ الْجُمُعَةِ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ» أي: إذا كان الذي يصلي صَلاةَ الجُمعة إمامُ المسلمين أو الأميرُ، أو كان في بلد ليس فيها إلا جُمُعة واحدة، وكان الإمام فاسِقًا صَلَّى خَلفه؛ ما دام

أنه مُسلم، وإن تَركَ الصلاةَ خَلْفه، وصلَّى في البَيْت فهو مُبتدِع عند أهل العلم.

○ قوله: «**وَالصَّلَاةُ عَلَى مَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ سُنَّةٌ**» ولو كان عاصيًا وفاسقًا؛ إلا إذا كَفَر؛ لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٨٤] أي: أن من مات على الكفر فلا يُصَلَّى عليه، فمن مات على الإيمان يُصَلَّى عليه، ولو كان عاصيًا؛ لكن أهل العلم والفضل يتركون الصلاةَ على مَن ارتكب بعضَ المعاصي رَدْعًا للأحياء؛ مثل قاتلِ نَفْسِه، ومِثل الْغَالِّ؛ لأن النبي ﷺ تأخَّر عن الصلاة عليهم.

○ قوله: «**وَالْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ**» أي: قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح، كما عليه عقيدة السلف؛ خلافًا للمرجئة الذين يقولون: الإيمان قول القلب فقط. «**وَالْإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ**» أهل السُّنة والجماعة يقولون: الإيمان يزيد وينقص؛ خلافًا للمرجئة الذين يقولون: لا يزيد الإيمان ولا ينقص.

○ قوله: «**وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ**» خلافًا للمعتزلة الذين يقولون: القرآن ليس كلام الله. «**وَالصَّبْرُ تَحْتَ لِوَاءِ السُّلْطَانِ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ مِنْ عَدْلٍ أَوْ جَوْرٍ**» هذه عقيدةُ أهل السُّنة والجماعة؛ يصبرون على السلطان، ولا يخرجون عليه، ولو كان جائرًا، ولو كان ظالمًا؛ جَمْعًا للكلمة، ودفعًا للمَفاسد التي تَتَرَتَّبُ على الخروج عليه، والنصيحة المبذولة تكون من أهل الْحَلِّ والْعَقْدِ، فإن قَبِلُوا فالحمد لله، وإن لم يقبلوا فقد أَدَّى الناس ما عليهم، ولكن لا يجوز الخروج عليهم، والله هو الذي يُحاسِب الجميع.

فالخروج ليس من عَقيدة أهل السُّنة والجماعة، لذلك قال

المؤلف: «**وَأَلَّا يُخْرَجَ عَلَى الْأُمَرَاءِ بِالسَّيْفِ وَإِنْ جَارُوا**» خلافًا لأهل البدع من الخوارج والمعتزلة والرافضة فهم يخرجون على الإمام، ولا يرون أن يكون عاصيًا.

○ قوله: «**وَلَا يُنْزِلَ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ جَنَّةً وَلَا نَارًا**» هذه هي عقيدة أهل السُّنة والجماعة، فأهل القبلة لا يُشهَد لهم بالجنة ولا بالنار، ولكن نرجو للمُحسن، ونخاف على المُسيء، إلا مَنْ شَهِدَ له الرسول ﷺ، ومَنْ شَهِدَتْ له النصوصُ.

○ قوله: «**وَأَلَّا نُكَفِّرَ أَحَدًا، وَإِنْ عَمِلُوا بِالْكَبَائِرِ**» كذلك لا نُكَفِّرُ أحدًا من أهل القِبلَة وإن عَمِل الكبائرَ، ولكنهم يَرجُون للمُحسِن الخيرَ، ويَخافون على المُسيء.

○ قوله: «**وَالْكَفُّ عَنْ مَسَاوِئِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ**» أي: الكفُّ عمَّا صَدَر منهم؛ هذه عقيدة أهل السُّنة والجماعة، الكفُّ والسُّكوت عَمَّا حَصَل بين الصحابة ﷺ، واعتقاد أن لهم من الحسنات ما يُغَطِّي ما صَدَر عنهم من الهفوات. وسيأتي في آخر الرِّسالة فَصْلٌ خاصٌّ بالصحابة.

○ قوله: «**وَأَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ ثُمَّ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ**» فترتيبهم في الفضيلة، كترتيبهم في الخلافة؛ هذه عَقيدةُ أهلِ السُّنة والجماعة؛ خلافًا للخوارج والرافضة.



حَدِيثُ مَنِ اغْتَسَلَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ وَقَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ أَلْفَ مَرَّة

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُكَّاشَةَ[١]: وَقَدْ كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ بْنِ حَمَّادٍ الْكِرْمَانِيُّ حَدَّثَنَا عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: «مَنِ اغْتَسَلَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ يَقْرَأُ فِيهِمَا ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١] أَلْفَ مَرَّةٍ رَأَى النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي مَنَامِهِ»[٢].

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُكَّاشَةَ: فَدُمْتُ عَلَيْهِ نَحْوًا مِنْ سَنَتَيْنِ؛ أَغْتَسِلُ كُلَّ لَيْلَةِ جُمُعَةٍ، وَأُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ أَقْرَأُ فِيهِمَا ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ أَلْفَ مَرَّةٍ طَمَعًا أَنْ أَرَى رَسُولَ اللهِ، فَأَعْرِضَ عَلَيْهِ هَذِهِ الْأُصُولَ، قَالَ: فَأَتَتْ عَلَيَّ لَيْلَةٌ بَارِدَةٌ، اغْتَسَلْتُ طَمَعًا أَنْ أَرَى رَسُولَ اللهِ ﷺ وَصَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ وَقَرَأْتُ فِيهِمَا ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ أَلْفَ مَرَّةٍ، فَلَمَّا أَخَذْتُ مَضْجَعِي أَصَابَنِي حُلْمٌ، فَقُمْتُ فِي الثَّانِيَةِ، فَاغْتَسَلْتُ، ثُمَّ صَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ، وَقَرَأْتُ فِيهِمَا ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ أَلْفَ مَرَّةٍ، فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنْهَا كَانَ قَرِيبًا مِنَ السَّحَرِ؛ فَاسْتَنَدْتُ إِلَى الْحَائِطِ وَوَجْهِي إِلَى الْقِبْلَةِ، فَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى النَّعْتِ وَالصِّفَةِ، وَعَلَيْهِ بُرْدَتَانِ مِنْ هَذِهِ الْبُرُودِ الْيَمَانِيَةِ؛ قَدْ تَأَزَّرَ بِإِزَارٍ، وَارْتَدَى بِأُخْرَى، فَجَثَا مُسْتَوْفِزًا[٣] عَلَى رِجْلِهِ، ضَمَّ الْيُسْرَى وَأَقَامَ الْيُمْنَى.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُكَّاشَةَ: فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ: حَيَّاكَ اللهُ يَا رَسُولَ اللهِ! فَبَدَأَنِي فَقَالَ: حَيَّاكَ اللهُ! قَالَ: وَكُنْتُ أُحِبُّ أَنْ أَرَى رَبَاعِيَّتَهُ

---

(١) قال أبو زرعة: كان كذابا، وقال الدارقطني: يضع الحديث. انظر: الموضوعات (٢/ ١٣٨).

(٢) أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ١٣٨)، والسيوطي في اللآلي المصنوعة (٢/ ٥٥).

(٣) المستوفز: الذي يجلس على رجليه، ويرفع أليتيه.

الْمَكْسُورَةَ، قَالَ: فَتَبَسَّمَ فَرَأَيْتُ رَبَاعِيَّتَهُ الْمَكْسُورَةَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ: الْفُقَهَاءُ قَدْ خَلَّطُوا عَلَيَّ فِي الِاخْتِلَافِ، وَعِنْدِي أُصَيْلَاتٌ مِنَ السُّنَّةِ أُحِبُّ أَنْ أَعْرِضَهَا عَلَيْكَ. قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: الرِّضَا بِقَضَاءِ اللهِ، قَالَ: وَسَاقَ مَا تَقَدَّمَ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُكَّاشَةَ: فَوَقَفْتُ عِنْدَ عَلِيٍّ وَعُثْمَانَ كَأَنِّي هِبْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ أُفَضِّلَ عُثْمَانَ عَلَى عَلِيٍّ، وَقُلْتُ فِي نَفْسِي: عَلِيٌّ ابْنُ عَمِّهِ وَخَتَنُهُ(١).

قَالَ: فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ ﷺ كَأَنَّهُ قَدْ عَلِمَ، فَقَالَ: عُثْمَانُ ثُمَّ عَلِيٌّ، ثُمَّ قَالَ: هَذِهِ السُّنَّةُ فَتَمَسَّكْ بِهَا، وَضَمَّ أَصَابِعَهُ، وَعَقَدَ عَلَى ثَلَاثَةٍ وَتِسْعِينَ، وَحَوَّلَ الْإِبْهَامَ وَعَطَفَهَا عَلَى أَصَابِعِهِ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُكَّاشَةَ: فَعَرَضْتُ هَذِهِ الْأُصُولَ عَلَيْهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ؛ فِي كُلِّ لَيْلَةِ جُمُعَةٍ أَقِفُ عَلَى عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، فَيَتَبَسَّمُ عِنْدَ قَوْلِي، كَأَنَّهُ قَدْ عَلِمَ، ثُمَّ يَقُولُ: «عُثْمَانُ ثُمَّ عَلِيٌّ». وَكُنْتُ أَعْرِضُ عَلَيْهِ هَذِهِ الْأُصُولَ وَعَيْنَاهُ تَهْطِلَانِ، فَلَمَّا قُلْتُ: وَالْكَفُّ عَنْ مَسَاوِئِ أَصْحَابِكَ، انْتَحَبَ حَتَّى عَلَا صَوْتُهُ، وَوَجَدْتُ حَلَاوَةً فِي فَمِي وَقَلْبِي، فَمَكَثْتُ ثَلَاثَةَ أَيَّام لَا آكُلُ طَعَامًا، حَتَّى ضَعُفْتُ عَنْ صَلَاةِ الْفَرِيضَةِ، فَلَمَّا أَكَلْتُ ذَهَبَتْ عَنِّي تِلْكَ الْحَلَاوَةُ.

الشَّرْحُ

هذا حَديثٌ موضوعٌ، ومكذوبٌ على النبي ﷺ، ذكره ابنُ الجوزي في الأحاديث الموضوعة، وذكره العراقي في تنزيه الشريعة،

(١) الختن: الصهر من جهة الرجال. والصهر من جهة النساء، يقال: الأحمى، ويقال: حمو. ويطلق على كل من الجانبين: الصهر.

فَعَلِيٌّ ختن النبي؛ يعني: زوج ابنته، ويقال: حمو المرأة، يعني: قريب زوجها، ويقال: الصهر يشمل الأمرين، نعم.

والسيوطي في (اللآلئ المصنوعة).

وليتَ المؤلِّفُ رحمه الله نزَّه كتابَه عن مِثل هذا، فإن في الأحاديث الصحيحة غُنْيَةً عن مِثله. وكونُه يَقرَأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ [الإخلاص: ١] ألفَ مرة أمرٌ غريب، فكم يستغرق هذا؟ وهذا ليس مشروعًا، فالمشروع قراءتها بعد كل صلاة مَرَّة، وفي المساء ثلاث مرات، وفي الصباح ثلاث مرات، أما ألف مرَّة فليس لهذا أصل.

وهذه القِصة رواها ابنُ عَساكر في تاريخ دمشق من طريقين، وهي كَذِبٌ؛ لأن مُحمد بن عُكَّاشة صاحبَ الرؤيا هذا كذَّابٌ، لا يُوثَق بكلامه كما بَيَّن العلماء، فقد كذبه غير واحد من أهل العلم.

قال عنه أبو زُرعَة الرازي: وكان كذَّابًا، وقال الدارقطني: بَصْرِيٌّ يضع الحديث؛ يعني: على رسول الله؛ ولهذا قال أبو سعيد عمرو البرذعي: قلت لأبي زُرْعَة: محمد بن عكاشة الكرماني؟ فحرَّك رأسَه وقال: قد رأيته، وكتبتُ عنه، وكان كذَّابا. قُلتُ: كَتبتَ عَنْه الرؤيا التي يَحكيها ـ يعني: هذه الرؤيا التي معنا ـ قال: نعم؛ كَتبتُ عنه، يَزعُم أنه عَرَض على رسول الله الإيمان قولٌ وعملٌ؛ يزيد وينقص. فقال: به، وعلى أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، فقال: به، الكذاب لا يُحْسِنُ أن يكذب.

وأشار ابنُ الجوزي في (الموضوعات) إلى قِصَّة ابنِ عُكَّاشة، ورؤياه للرسول في المنام، ثم قال: ومحمد بن عُكَّاشة مِنْ أَكْذَبِ الناس! ثم نَقَلَ كلام أبي زُرْعَةَ، وكلام الدارقطني فيه.

وقال السُّيُوطي في (اللآلئ المصنوعة)[1] لما ذكر هذه القصة: ابنُ عُكَّاشة كَذَّاب. فلا حَاجةَ إلى مثل هذه القِصة التي راويها

(١) انظر: اللآلئ المصنوعة (٢/ ٥٥).

كذَّاب، ثُمَّ إن فيها أنه عرض أصول الاعتقاد على النبي ﷺ في الرؤيا!! فأصول الاعتقاد قد بُيِّنَتْ في كتاب الله، وسُنَّة رسول الله ﷺ أَحْسنَ البيانِ وأكْمَلَه، فلا يحتاج المسلمُ إلى مِثل هذه الرؤيا! فالرَّسولُ ـ عليه الصلاة والسلام ـ لم يَمُتْ حتَّى أكملَ اللهُ الشريعة.

قال اللهُ تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] وبيَّن اللهُ ـ تعالى ـ في كتابه أصولَ الإيمان في قوله ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧] هذه خمسُ صفات، وقال: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩].

وفي الحديث ـ حديث جبرائيل ـ لما سَأل النبيَّ ﷺ عن الإيمان؟ فقال: **«أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»**[1]. فالدينُ كاملٌ، وأُصول الدين وفروعُه كلُّها واضحةٌ في الكتاب والسُّنَّة، فلا حاجةَ إلى مِثل هذه القِصة المكذوبة؛ التي يرويها كذَّابٌ، ويسأل فيها النبيَّ ﷺ عن أصول الدين، ثم يُبيِّنُهَا!.

❀ ❀ ❀

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ، رقم (٥٠)، ومسلم: كتاب الإيمان، رقم (٩).

فَصْلٌ

٦٨ ـ ثُمَّ أَضَافَ الْمُبْتَدِعَةُ إِلَى أَهْلِ السُّنَّةِ وَأَصْحَابِ الْحَدِيثِ الْمُحَالَاتِ فِي أَخْبَارِ الصِّفَاتِ، وَوَضَعُوا أَشْيَاءَ مُخْتَلِفَةً مِنَ الضَّلَالَاتِ، قَدْ أَعَاذَ اللهُ أَهْلَ السُّنَّةِ مِنْهَا.

وَمِنْ تِلْكَ الِاعْتِقَادَاتِ مِثْلُ قَوْلِهِمْ: أَنَّهُمْ رَوَوْا أَنَّ الله خَلَقَ نَفْسَهُ مِنْ عَرَقِ الْخَيْلِ!! وَالْمَلَائِكَةَ مِنْ زَغَبِ الذِّرَاعَيْنِ، وَمِنْ عِيَادَةِ الْمَلَائِكَةِ، وَأَشْيَاءُ أُجِلُّ عَظَمَةَ الله مِنْ ذِكْرِهَا، وَضَعُوهَا، وَالْوَيْلُ لَهُمْ! حَيْثُ يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ».

ثُمَّ أَتَوْا إِلَى الْأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ مِنْ ذَلِكَ، فَرَدُّوهَا وَتَأَوَّلُوهَا، وَأَئِمَّةُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَوْجَبُوا الْأَخْذَ بِهَا، وَالْقَبُولَ بِهَا، وَأَلَّا تُرَدَّ وَلَا تُتَأَوَّلَ.

الشرح

بَيَّنَ المؤلفُ رحمه الله في هذا الفصل أن المبتدعة أضافوا إلى أهل السُّنة، وأصحاب الحديث في أخبار الصفات أحاديثَ مكذوبةً، ليُشوهوا بها مُعتقَد أهلِ السُّنة والجماعة؛ لأجل أن يَنبِزُوهم بالكذب، فيقولون: إنهم مُشَبِّهَة، وأنهم يتكلمون بالمُحالات.

ومن هنا يقول المؤلفُ رحمه الله: «قَدْ أَعَاذَ اللهُ أَهْلَ السُّنَّةِ مِنْهَا» أي أَعاذَ اللهُ أهلَ السُّنة من التَّكلُّم بمثل هذا.

ومن الأقوال والأحاديث التي رواها أهل البدع، ونسبوها إلى أهل السُّنة حديث: «**أَنَّ الله خَلَقَ نَفْسَهُ مِنْ عَرَقِ الْخَيْلِ!!**» قبَّح اللهُ مَن وضع هذا الحديث.

والحديث الثاني: «**أَنَّ الله خَلَقَ الْمَلَائِكَةَ مِنْ زَغَبِ الذِّرَاعَيْنِ**» والزَّغَبُ: صِغارُ الشَّعْر أو الرِّيش، ولَيِّنُهُ، وأولُ ما يبدو منه، ويُطلَق على ما فِي رأس الشيخِ الكبير عند رِقة شَعَره. يقولون: خَلَق اللهُ الملائكةَ من شعر الذراعين اللَّيِّنُ!!

فهَذانِ حديثان مكذوبان، وضعهما الزنادقة قبحهم الله!!

والحديث الثالث: «**وَمِنْ عِيَادَةِ الْمَلَائِكَةِ**»؛ يُشير إلى الحديث المكذوب الذي فيه: «**إِنَّ الله رَمِدَ** ـ أي: أَصَابَهُ الرَّمَدُ فِي عَيْنَيْهِ ـ **حَتَّى عَادَهُ الْمَلَائِكَةُ**»؛ أي صاروا يعودونه ويزورونه!! قبَّح اللهُ مَن وضعه!! مِثلما قالت اليَهودُ: «**إِنَّ الله بَكَى حَتَّى رَمِدَتْ عَيْنَاهُ، ثُمَّ عَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ!!**» قبَّح اللهُ الزنادقةَ الذين وضعوا مثل هذه الأحاديث.

قال ابن المبارك الإمام مشهور ﷺ: هذه الأحاديث من وَضْع الزَّنادِقة، كحديث «**عَرَق الخيل**»، و«**زَغَب الصَّدْر**»، و«**قَفَص الذَّهَب**»، و«**عِيَادَة الملائكة**» قَبَّحَ اللهُ مَنْ وَضَعها!! وقد أعاذ الله ـ تعالى ـ أهلَ السُّنة من مثل هذه الأحاديث المكذوبة.

وهذه الأحاديث رواها ابنُ الجَوزي في الموضوعات، وقال: «**هذا حَديثٌ لا يُشَك في وَضْعِه، وما وَضَع مِثْلَ هذا مُسْلِمٌ، وإنه لمن أَرَكِّ الموضوعات وأَدْبَرها؛ إذ هو مُستحيلٌ أن يُخْلَق، لأن الخالقَ لا يَخْلُقُ نفسَه**»[1].

---

(١) انظر: الموضوعات لابن الجوزي (١/ ١٠٥).

وقد اتَّهم علماءُ الحديث محمدَ بنَ شُجَاع الثَّلْجي الجَهْمي بوضع هذا الحديث، وهو الكافر العنيد الذي رَدَّ عليه عثمانُ بنُ سعيد الدارمي في كتابه المشهور.

ومحمد بن شُجَاع الثلجي هذا مُتعصِّب كان يضع أحاديث التشبيه؛ ثُم يَنسبُها إلى أصحابِ الحديث يَكْذبُهُمْ بها، قبَّحه الله!!

ولما ذَكَر الذَّهَبيُّ تَرْجمةَ محمد بن شجاع في «الميزان»[1] قال: هذا مع كونه من أبين الكذب هو مِن وضع الجهمية ليذكروه في معرض الاحتجاج به على أن نفسه اسم لشيء من مخلوقاته، فكذلك إضافة كلامه إليه من هذا القبيل إضافة مِلك وتشريف، كبَيت الله، وناقة الله، ثم يقولون: إذا كان نفسه ـ تعالى ـ إضافة مِلك فكلامه بالأَوْلى. وبكل حال هذه الأحاديث كلها من وضع الزنادقة.

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**» هذا حديث رواه الشيخان البخاري ومسلم وغيرهما[2]. ويقول المؤلف: «**وَالْوَيْلُ لَهُمْ**» فالويلُ لهؤلاء الزنادقة من هذا الحديث.

ثم إِن هؤلاء الزنادقة أَتَوْا إلى الأحاديث الصحيحة فردُّوها وتأَوَّلوها، وأئمةُ أهلِ العلم أوجبوا الأَخْذ بها، والقبول لها، وألا تُرَدَّ ولا تُتأَوَّل



(١) انظر: ميزان الاعتدال (٣/ ٥٧٧).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ رقم (١١٠)، ومسلم في المقدمة، رقم (٣).

تَكْفِيرُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ لِلْجَهْمِيَّةِ

قَالَ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِاللهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبَلٍ رضي الله عنه فِي رِوَايَةِ عَبْدِالله، وَقَدْ سَأَلَهُ عَمَّنْ يَقُولَ: لَمَّا كَلَّمَ اللهُ مُوسَى لَمْ يَتَكَلَّمْ بِصَوْتٍ، قَالَ أَحْمَدُ: «تَكَلَّمَ بِصَوْتٍ، وَهَذِهِ أَحَادِيثُ نَرْوِيهَا كَمَا جَاءَتْ، وَحَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ: إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ يُسْمَعُ لَهُ صَوْتٌ كَمَرِّ السِّلْسِلَةِ عَلَى الصَّفْوَانِ. قَالَ أَحْمَدُ: وَهَذِهِ الْجَهْمِيَّةُ تُنْكِرُهُ، وَهَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ يُرِيدُونَ أَنْ يُمَوِّهُوا عَلَى النَّاسِ، مَنْ زَعَمَ أَنَّ الله لَمْ يَتَكَلَّمْ فَهُوَ كَافِرٌ؛ إِلَّا أَنَّنَا نَرْوِي هَذِهِ الْأَحَادِيثَ كَمَا جَاءَتْ».

٦٩ ـ أَخْبَرَنَا بِذَلِكَ هِلَالُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا النَّجَّادُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُاللهِ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي.

الشَّرْحُ

رَوَى المؤلفُ عن الإمام أحمد بن حنبل ـ إمام أهل السُّنة ـ في رواية ابنه عبدالله أنه سَأله عَمَّنْ يقول: «**لَمَّا كَلَّمَ اللهُ مُوسَى لَمْ يَتَكَلَّمْ بِصَوْتٍ، قَالَ أَحْمَدُ: «تَكَلَّمَ بِصَوْتٍ؟!**» فاللهُ ـ تعالى ـ تكلَّم كلامًا بحَرْفٍ وصوتٍ يُسْمَع، ثبت في الصحيحين: «**أَنَّ الله ـ تَعَالَى ـ يُنَادِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ آدَمَ**»[1]، فأهلُ السُّنة يُثْبِتُون كلامَ الله، وأنه بِحَرْف وصَوْت يُسمَع؛ خِلافًا لِلْكُلَّابية والأشاعرة الذين يقولون: لا ليس فيه

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج، رقم (٣٣٤٨)، ومسلم: كتاب الإيمان، رقم (٢٢٢).

حَرْف ولا صَوْت. فإن كَلامُ الله لا يُسْمَع، وليس حَرفًا ولا صَوتًا ولا لفظًا! بل هو معنى قائمٌ بنَفْسه لا يُسْمَع، مثل العلم، والله ـ تعالى ـ اضطر جبريلَ ففهم المعنى القائم بنفسه فَعَبَّرَ، وهذا باطل.

والإمام أحمد يقول: بَلى! «تَكَلَّمَ بِصَوْتٍ»، وهذا قولُ أهل السُّنة قاطبةً؛ يقولون: «وَهَذِهِ أَحَادِيثُ نَرْوِيهَا كَمَا جَاءَتْ، وَحَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ: إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ يُسْمَعُ لَهُ صَوْتٌ كَمَرِّ السِّلْسِلَةِ عَلَى الصَّفْوَانِ. قَالَ أَحْمَدُ: وَهَذِهِ الْجَهْمِيَّةُ تُنْكِرُهُ» وفي هذا إثبات الصوت لله تعالى.

وفي هذا تكفير الإمام أحمد للجهمية فهو يقول: «وَهَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ يُرِيدُونَ أَنْ يُمَوِّهُوا عَلَى النَّاسِ» يعني: يُلَبِّسوا عليهم.

إذن فمَنْ زَعَم أن الله لم يتكلَّم فهو كافرٌ، هكذا كلامُ الإمام أحمد، «إِلَّا أَنَّا نَرْوِي هَذِهِ الْأَحَادِيثَ كَمَا جَاءَتْ».

وذكر المؤلفُ رَحِمَهُ اللهُ سَندًا آخر في رواية عبدالله عن أبيه، قال: «أَخْبَرَنَا عَبْدُاللهِ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي».



بَابُ فِي الإِيمَانِ بِصِفَاتِ اللهِ تَعَالَى وَأَسْمَائِهِ

٧٠ ـ وَأَخْبَرَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ الْأَزْهَرِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا الدَّارَقُطْنِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَخْلَدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ الدُّورِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَّامٍ، وَذَكَرَ الْبَابَ الَّذِي يُرْوَى فِي الرُّؤْيَا، وَالْكُرْسِيِّ، وَمَوْضِعِ الْقَدَمَيْنِ، وَضَحِكِ رَبِّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ، وَقُرْبِهِ مِنْ عَبْدِهِ، وَأَيْنَ كَانَ رَبُّنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاءَ؟ وَأَنَّ جَهَنَّمَ لَا تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ رَبُّكَ ﷻ قَدَمَهُ فِيهَا، فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ، وَأَشْبَاهِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ، فَقَالَ: «هَذِهِ الْأَحَادِيثُ صِحَاحٌ حَمَلَهَا أَصْحَابُ الْحَدِيثِ وَالْفُقَهَاءُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ، وَهِيَ عِنْدَنَا حَقٌّ لَا نَشُكُّ فِيهَا، وَلَكِنْ إِذَا قِيلَ: كَيْفَ وَضَعَ قَدَمَهُ؟ وَكَيْفَ ضَحِكَ؟ قُلْنَا: لَا نُفَسِّرُ هَذَا، وَلَا سَمِعْنَا أَحَدًا يُفَسِّرُهُ».

الشَّرْحُ

هذا الأثر رواه الْآجُرِّيّ في (الشريعة)، واللَّالَكَائِيّ في (شرح الاعتقاد) عن أبي عُبَيْدٍ القاسم بن سَلَّام؛ الإمام المعروف صاحب (كتاب الإيمان)، و(كتاب الأموال) أنه لما ذَكَر الباب الذي يُرْوَى في الرؤيا والكُرسي، ومَوْضِع القدمين، وضَحِك الرب من قُنُوط عِبَاده، وقُرْبِه من عَبدِه، وأين كان ربنا قبل أن يخلق السماء؟ وأن جَهنَّم لا تمتلئ حتى يَضع الرب ﷻ قَدَمَه فيها، وهي تقول: قطْ قطْ، وأشباه هذه الأحاديث، قال: «هَذِهِ الْأَحَادِيثُ صِحَاحٌ»؛ وفيها إثباتُ الكُرسي، وهو مَوضِع قَدَمي الله، وإثبات ضحكُ ربِّنا ﷻ وأنه

صِفةٌ من صفاته، يَضحكُ كما يَليق بجَلاله، وأن جَهنَّم لا تمتلئ حتى يَضعَ ربُّك قَدمَه، أي: حتَّى يضع ربُّ العزة قدمَه فتمتلئ وتقول: قَطْ قَطْ، والله أعلم بكيفية الوضع، والله لا يضره أَحدٌ من خَلقِه ﷻ.

○ قوله: «**ضَحِك رَبِّكَ**» وفي لفظ آخر «**عَجَبُ رَبِّكَ**» «وَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ» يقول الإمام أبو عُبَيدٍ القاسمُ بنُ سَلَّام: «صِحَاحٌ حَمَلَهَا أَصْحَابُ الْحَدِيثِ وَالْفُقَهَاءُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ، وَهِيَ عِنْدَنَا حَقٌّ لَا نَشُكُّ فِيهَا، وَلَكِنْ إِذَا قِيلَ: كَيْفَ وَضَعَ قَدَمَهُ؟ وَكَيْفَ ضَحِكَ؟ قُلْنَا: لَا نُفَسِّرُ هَذَا، وَلَا سَمِعْنَا أَحَدًا يُفَسِّرُهُ». ومُرادُ أبي عبيد: لا نُفسِّرُ هذا تفسيرَ الجَهْمية، وإلا: المعنى معلومٌ، كما قال الإمام مالكٌ ؓ لما سُئِلَ عن الاستواء، قال: «الاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ - في اللغة العربية - والْكَيْفُ مَجْهُولٌ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ»[1].

ولهذا قال شيخُ الإسلام ابن تيمية ؒ بعد أن أورد هذا الأثر: «فالاستواء معلوم يعلم معناه وتفسيره ويترجم بلغة أخرى، وأما كيفية ذلك الاستواء، فهو التأويل الذي لا يعلمه إلا الله تعالى» كما ذكر ؒ هذا في الحَمويَّة[2].



(١) تقدم عزوه.

(٢) انظر: الفتوى الحموية الكبرى (ص ٢٩١).

بَابُ
مَا تَرْجَمَهُ أَبُو عَبْدِاللهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ الصَّحِيحِ، فقَالَ: التَّوْحِيدُ وَعَظَمَةُ الرَّبِّ، وَصِفَاتُهُ وَالرَّدُّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ الَّذِينَ أَنْكَرُوا صِفَاتِ الرَّبِّ ـ تَعَالَى ـ، وَجَعَلُوهَا مَخْلُوقَةً، هَذَا تَرْجَمَةُ الْجُزْءِ الَّذِي فِيهِ ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ فِيهِ:

٧١ ـ بَابُ قَوْلِ الله ﷻ: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبإ: ٢٣] وَلَمْ يَقُلْ: مَاذَا خَلَقَ رَبُّكُمْ؟.

وَقَالَ مَسْرُوقٌ: عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ: «إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ بِالْوَحْيِ سَمِعَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ شَيْئًا، فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ، وَسَكَنَ الصَّوْتُ عَرَفُوا أَنَّهُ الْحَقُّ، وَنَادَوْا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: الْحَقَّ»[١].

وقَالَ اللهُ ـ تَعَالَى ـ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥].

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللهِ [عَنْ عَبْدِالله] بْنِ أُنَيْسٍ؛ سَمِعْتُ النَّبِيَّ يَقُولُ: «يَحْشُرُ اللهُ ﷻ الْعِبَادَ فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ»[٢].

---

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢/ ٣٦٩/ ٥٤٩).
(٢) أخرجه البخاري معلقاً في صحيحه (٩/ ١٤١).

الشَّرح

هذا النقلُ نقَلَه المؤلفُ رَحِمَهُ اللهُ من كِتاب التوحيد الذي في كتاب (الجامع الصحيح) للإمام البخاري، وهو يَقرُبُ من خِمسين صَفحَة. وهو آخِرُ كِتابٍ من كُتُبِ (الجامع الصحيح) للإمام البخاري.

فقد افتتح الإمامُ البخاري كِتابَه الصحيحِ بكتاب بَدْءِ الوَحْي، ثم كِتاب الإيمان، وختمه بكتاب التوحيد.

قال المؤلفُ رَحِمَهُ اللهُ: «**بَابُ مَا تَرْجَمَهُ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ الصَّحِيحِ، فقَالَ: التَّوْحِيدُ وَعَظَمَةُ الرَّبِّ، وَصِفَاتُهُ وَالرَّدُّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ الَّذِينَ أَنْكَرُوا صِفَاتِ الرَّبِّ ـ تَعَالَى ـ، وَجَعَلُوهَا مَخْلُوقَةً**»؛ إذن هذه تَرجمةُ الإمامِ البخاري لكتاب التوحيد كما في بعض النسخ.

○ قوله: «**وَعَظَمَةُ الرَّبِّ وَصِفَاتُهُ**»، فاللهُ ـ تعالى ـ عظيم بذاته وأسمائه وصفاته. «**وَصِفَاتُهُ وَالرَّدُّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ الَّذِينَ أَنْكَرُوا صِفَاتِ الرَّبِّ ـ تَعَالَى ـ، وَجَعَلُوهَا مَخْلُوقَةً**»؛ إذن الجهميةُ يُنكِرون الصفاتِ ويجعلونها مخلوقةً، وكذلك المُعتزلةُ.

ثم ذَكَر المُؤلفُ رَحِمَهُ اللهُ تراجِمَ الإمام البخاري في هذا الجزء، «قال» أي: البخاري «**بَابُ قَوْلِ اللهِ** عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ: ٢٣]، **وَلَمْ يَقُلْ: مَاذَا خَلَقَ رَبُّكُمْ؟**» ودل قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ على إثبات الكلام لله، وأن الله يقول، وأن الله يتكلم، وأن كلام الله صِفةٌ من صفاته؛ لأن الملائكة إذا سَمِعُوا كلامَ الله صَعِقُوا، فإذا أفاقوا وزالت الغَشْيةُ والصعقُ قال بعضُهم: ماذا قَال ربُّكم؟ ولم يقولوا على حد

قَول البخاري: «مَاذَا خَلَقَ رَبُّكُمْ؟» فَدلَّ على أن كلامَ الله غيرُ مخلوقٍ، فلو كان مخلوقًا لقالت الملائكةُ: ماذا خَلقَ ربُّكم؟ فدلَّ على أن كلامَ الله صِفةٌ مِن صِفاتِه، وليس مخلوقًا.

ثم ذكر البخاريُّ أثرَ ابْنِ مَسعُود رضي الله عنه، فقال: «وَقَالَ مَسْرُوقٌ: عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ: «إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ بِالْوَحْيِ سَمِعَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ شَيْئًا، فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ، وَسَكَنَ الصَّوْتُ عَرَفُوا أَنَّهُ الْحَقُّ، وَنَادَوْا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: الْحَقَّ»» وقد ذَكَر البخاري هذا الأثرَ في صحيحه مُعَلَّقًا موقوفًا على ابن مسعود. ومِثلُ هذا لا يُقال بالرَأْي «قال: إذا تَكلَّم اللهُ بالوَحْي سَمِعَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ شَيْئًا»، إذن أهلُ السمواتِ يَسمعون كلامَ الله، ففي هذا: إثبات أن كلامَ الله يُسْمَعُ؛ ردًّا على الأشاعرة الذين يقولون: إن كَلامَ الله لا يُسْمَعُ.

وفيه: أن كلامَ الله بِصوتٍ.

وفيه: أنَّ الملائكةَ يقولون: مَاذا قال رَبُّكُم؟ ولم يقولوا: ماذا خَلَق رَبُّكم؟

وفي كل هذا: رَدٌّ على الجهمية والمعتزلة والأشاعرة الذين يُنْكِرُون كلامَ الله، وأنَّ كلام الله ألفاظٌ وحروفٌ ومعانٍ.

○ ثم قال: «وَقَالَ اللهُ ـ تَعَالَى ـ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ [البَقَرة: ٢٥٥]» وهذه فيها تَعظيمُ الربِّ ـ سُبحانَه وتعالى ـ وعَظمتُه، وأنه لا يَشفع أَحدٌ عِندَه إلا بإذنه، حتى ولو كان وَجِيهًا، بل ولو كان أعظم الناس وجاهةً.

حتى إن نبينا ﷺ إذا كان يوم القيامة لا يبدأ بالشفاعة، بل يَسجُد تحتَ العَرْش، حتى يأتي الإذنُ، ويَحمد الله؛ فيَفتَح اللهُ عليه في ذلك الموقفِ بمَحامِدَ لم يفتحها عليه من قَبْل، فيَدَعُه اللهُ ما

شاء، ثم يأتيه الإذنُ من رَبِّه، فيقول الله: «**يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ**»(١)، فهذا هو الإذنُ له ﷺ.

ولا يشفع إلا لمن رَضِي اللهُ قولَه وعَمَلَه، وإذا كان يشفع لأحدٍ من أهل النارِ فإن اللهُ يحد له حَدًّا وَعلامةً، وإذا كانت الشَّفاعةُ العُظْمَى يُشَفِّعُهُ اللهُ.

إذن هذا الأمر من اشتراط إذن الله للشافع، ورضاه عن المشفوع له يدل على عَظمة الله.

أما المخلوقُ فلا يحتاج الشافع عنده إذنًا، فيمكن أن يدخلَ أحدُ الناس على الْمَلِك، أو الرئيس، أو الأمير، أو رئيس الجُمهورية، ويشفع مُباشَرة دون إذن أو مُقدِّمات، ولا استئذان؛ لأنهم يعتريهم النقص والضعف، فقد يُضطر لقبول شفاعة ابنِه أو امرأتِه أو أحد أقربائه وأصدقائه وإن لم تكن الشفاعة في محلها، وقد يُلْجَأُ إلى قَبول الشفاعة لما يُؤَمَّل في المستقبل؛ أو لما يُخشَى في المستقبل، فَيُشَفِّعُهُ وهو غير راضٍ.

أما اللهُ سبحانه فلا يَشفَع عنده أحدٌ إلا بإذنه، ولا يشفعُ أحدٌ إلا لمن رَضِي الله قولَه وعَمَلَه؛ وهذا يدل على عظمة الله.

ثم ذكر البخاري رحمه الله حديثَ جَابِر بنِ عبدالله رضي الله عنهما عن عَبْدالله بْنِ أُنَيْس رضي الله عنه قال: «**سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «يَحْشُرُ اللهُ عز وجل الْعِبَادَ فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ**» وفي هذا الحديث: إثبات الكلام لله تعالى وأنه بصوت، وأن

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١﴾ [نوح: ١]، رقم (٣٣٤٠)، ومسلم: كتاب الإيمان، رقم (١٩٤).

الصوت مسموعٌ؛ يَسمعه مَنْ بَعُدَ كما يسمعه مَنْ قَرُبَ، فيقول الربُّ: «**أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ**» ﷺ، وهذا الذي يكون بصَوْتٍ يَسمعُه القَريبُ مثل البَعِيد لا يَكون إلا كلامَ الله؛ على خِلاف صَوتِ المخلوق الذي يسمعه القريبُ أكثر من البَعِيد، أمَّا الصوتُ المسموع من كلام الله فيسمعه القريبُ والبعيدُ على حد سواء، ولهذا قال: «**يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ**» وفي هذا: رَدٌّ على الجَهمية والمعتزلة والأشاعرة الذين يُنْكِرُون الكلام، ويُنْكِرُون أن يكون بصوت.

وقد رحَلَ جابرُ بْنُ عبدِالله مَسِيرَة شَهرٍ من أجلِ هذا الحديث إلى عبدالله بن أُنَيْس، ولهذا قال البخاريُّ في صحيحه: «**وَرَحَلَ جَابِرٌ بْنُ عَبْدِاللهِ إِلَى عَبْدِاللهِ بْنِ أُنَيْسٍ مَسِيرَةَ شَهْرٍ فِي حَدِيثٍ وَاحِدٍ**». وهذه الرِّحلَة هي أولُ رِحلة في طلب العلم، أي: رحلة جابر بن عبدالله ﷺ من المدينة النبوية إلى الشام مسافةَ شَهْر، حيث اشترى جملًا جَيِّدًا أَعَدَّه وخصَّصه لهذه المهمة؛ ثم سار شهرًا كاملًا - وليس كما هو الحال عندنا الآن بالطائرات - والسيارات والقِطارات، بل الإبل والخيل.

والرِّحلةُ في طلب العلم سُنَّةٌ، ويَحكي جابر بن عبدالله قِصَّة الرحلة فيقول: «بَلَغَنِي حَدِيثٌ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله، سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ الله لَمْ أَسْمَعْهُ مِنْهُ، فَابْتَعْتُ بَعِيرًا، وَشَدَدْتُ عَلَيْهِ رَحْلِي، وَسِرْتُ إِلَيْهِ شَهْرًا، حَتَّى أَتَيْتُ الشَّامَ، فَإِذَا هُوَ عَبْدُاللهِ بْنُ أُنَيْسٍ الْأَنْصَارِيُّ، فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ أَنَّ جَابِرًا عَلَى الْبَابِ، قَالَ: فَمَضَى إِلَيْهِ الرَّسُولُ فَخَرَجَ إِلَيَّ فَاعْتَنَقَنِي وَاعْتَنَقْتُهُ، فَقُلْتُ: حَدِيثٌ بَلَغَنِي أَنَّكَ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ الله، فِي الْمَظَالِم، لَمْ أَسْمَعْهُ مِنْهُ، فَخَشِيتُ أَنْ أَمُوتَ قَبْلَ أَنْ أَسْمَعَهُ. فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله يَقُولُ: «**يَحْشُرُ اللهُ الْعِبَادَ، - أَوْ قَالَ النَّاسَ - وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الشَّامِ، عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا**»، قُلْتُ: مَا بُهْمًا؟ قَالَ: لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ. قَالَ: «**فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ**

يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ، كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ، لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ، وَأَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَطْلُبُهُ بِمَظْلِمَةٍ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، وَأَحَدٌ مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَطْلُبُهُ بِمَظْلِمَةٍ، حَتَّى اللَّطْمَةِ». قُلْنَا: وَكَيْفَ، وَإِنَّمَا يَأْتُونَ عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا؟ قَالَ: «بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ».

وهذا الحديث ذكره البخاري مرة بصيغة التمريض، فقال: «ويُذْكَرُ»، ومرَّةً قال: «وَرَحَلَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِالله ـ بصيغة الجزم ـ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ أُنَيْسٍ مَسِيرَةَ شَهْرٍ فِي حَدِيثٍ وَاحِدٍ».



وَرُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا قَضَى اللهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خَضَعَانًا لِقَوْلِهِ؛ كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ، فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: الَّذِي قَالَ الْحَق، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ»(١).

وَرُوِيَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يَقُولُ اللهُ: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فَيُنَادِي بِصَوْتٍ: إِنَّ الله يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ»(٢).

الشَّرْح

○ قوله: «بِأَجْنِحَتِهَا خَضَعَانًا لِقَوْلِهِ» هكذا بفتحتين، والوجه الثاني فيها «خُضْعَانًا»، بضم الخاء وإسكان الضاد.

وفي الحديث: إثبات الكلام لله، وأن كلامَ الله بصوت يُسْمَعُ «كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ، فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا: الَّذِي قَالَ الْحَقُّ، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ».

وفيه: أن الملائكةَ تقول بعد زَوَال الْغَشْيِ: «مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» ولم يقولوا: ماذا خَلَق ربُّكم ـ كما تقول المعتزلة ـ أن القرآن مَخلُوقٌ.

○ ثم ذكر حديث أبي سعيدٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «يَقُولُ اللهُ: يَا

---

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، بَابُ قَوْلِهِ: ﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحجر: ١٨]، رقم (٤٧٠١).

(٢) أخرجه البخاري: كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، بَابُ ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا﴾ [الحج: ٢]، رقم (٤٧٤١)، ومسلم: كتاب الإيمان، رقم (٢٢٢).

آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فَيُنَادِي بِصَوْتٍ: إِنَّ الله يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ» رواه الشيخان البخاري ومسلم. وفيه إثباتُ الكلام لله، وأن الله يُنادِي، والنداءُ إنما يكون مِن بُعْدٍ.

وفي قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠﴾ [الشعراء: ١٠] إثباتُ النداء أيضًا.

○ وفي قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ۝٥٢﴾ [مريم: ٥٢] المُناجَاة: الكلامُ من قُرب، والنداء: الكلام من بُعد، والكلام يشمل الأمرين.

وفي كُلِّ هذا: إثبات الصوتِ لله، وفيه: الردُّ على هذه الطوائف التي تنكر الكلام والصوت.



بَابُ كَلَامِ الرَّبِّ - تعَالَى - مَعَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

٧٢ - وَقَالَ: بَابُ كَلَامِ الرَّبِّ - تَعَالَى - مَعَ جِبْرِيلَ عليه السلام.

وَرَوَى حَدِيثَ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله «إِنَّ الله إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ الله قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي جِبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ: إِنَّ الله قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، وَيُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ»[1].

الشرح

○ قوله: «بَابُ كَلَامِ الرَّبِّ - تَعَالَى - مَعَ جِبْرِيلَ عليه السلام» هذه ترجمة البخاري، والمعنى: إثبات كلامَ الربِّ مع جبريل.

وذكر حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «إِنَّ الله إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ» والنداءُ يكون من بُعْدٍ، وفيه: إثباتُ النداء لله، وإثبات الكلام له - تعالى -.

وفي قوله: «إِنَّ الله قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ» إثباتُ المحبة لله، والرَّدُّ على من أنكر المحبة من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، «فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي جِبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ: إِنَّ الله قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، وَيُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ».

وتَكْمِلةُ الحديثِ وهي عند مسلم: «وَإِنَّ الله إِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا

---

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ الأدب، بَابُ المِقَةِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، رقم (٦٠٤٠)، ومسلم: كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، رقم (٢٦٣٧).

نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ الله يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ، فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّماءِ: إِنَّ الله يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، قال: فَيُبْغِضُونَه ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ» وفيه أيضًا إثباتُ البُغض لله.



كَلامُ الرَّبِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ

٧٣ ـ وَقَالَ: بَابُ كَلَامِ الرَّبِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ.

رَوَى حَدِيثَ حُمَيْدٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ شَفَعْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ خَرْدَلَةٌ، فَيُدْخَلُونَ، ثُمَّ أَقُولُ: أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى شَيْءٍ، فَقَالَ أَنَسٌ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَصَابِعِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَفِي لَفْظٍ آخَرَ: فَأَخِرُّ سَاجِدًا، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ تُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي»[(١)]، وَسَاقَ الْحَدِيثَ الطَّوِيلَ.

وَحَدِيثُ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ...»[(٢)] الْخَبَرَ.

وَحَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِي النَّجْوَى قَالَ: «يَدْنُو أَحَدُكُمْ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ كَنَفَهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولُ: أَعَمِلْتَ بِكَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، وَيَقُولُ: عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيُقَرِّرُهُ، ثُمَّ يَقُولُ: إِنِّي سَتَرْتُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ»[(٣)].

الشَّرْحُ

○ قوله: «بَابُ كَلَامِ الرَّبِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ»، وفي هذه الترجمة: إثباتُ أن الله يَتكلَّم، فيَتكلَّم مع الملائكة؛

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري: كِتَابُ التَّوْحِيدِ، بَابُ كَلَامِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ مَعَ الأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ، رقم (٧٥١٤).

ويتكلم مع الأنبياء، ويَتكلَّم مع الناس يَوم القيامة.

○ ثم ذَكَر حديث أَنسٍ ﷺ: «**إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ شَفَعْتُ**» أي: يكون للنبي ﷺ شَفَاعَةٌ، فيقول: «**يَا رَبِّ أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ خَرْدَلَةٌ، فَيُدْخَلُونَ، ثُمَّ أَقُولُ: أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى شَيْءٍ، فَقَالَ أَنَسٌ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَصَابِعِ رَسُولِ اللهِ ﷺ. وَفِي لَفْظٍ آخَرَ: فَأَخِرُّ سَاجِدًا، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ تُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ**» والشاهد فيه قوله: «**فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ**» ففيه: إثباتُ الكلامِ لله، وأنَّ الله يتكلَّم يومَ القيامة مع الأنبياء؛ ومع نَبِيِّنَا ﷺ.

○ قوله في حديث عَدِي بن حَاتِم: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ**» التَّرْجُمان: المُترجم الذي يَنقلُ الكلامَ من لُغَة إلى لُغَة، واخْتُلِفَ في ضبطها: تَرْجَمان بفَتْح التاء والجيم، وتَرْجُمان بفتح التاء وضم الجيم، وقال بعضهم: فيها لغة ثالثة: تُرْجَمان بضم التاء وفتح الجيم، وتُرْجُمَان بضم التاء والجيم. وعلى ذلك فما يَغلط فيها أحد، فإذا قُلتَ تَرْجُمَان، تَرْجَمان، تُرْجَمان، تُرْجُمَان... فبأي وَجْه قرأتها صحَّت قِراءتُك. والمعنى المراد: أن الله سيُكلِّم كلَّ واحدٍ يومَ القيامة بدون واسطة. وهذا فيه: إثبات الكلام لله ﷻ.

○ قوله في حديث ابن عمر يقول في النَّجْوَى ـ يعني: السر: «**يَدْنُو أَحَدُكُمْ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ كَنَفَهُ عَلَيْهِ**» وفيه إثباتُ الكَنَف لله ـ تعالى ـ على الوصف الذي يَليق بجلاله، والله ـ تعالى ـ يُقرِّر العبدَ بذُنوبه «**فَيَقُولُ: أَعَمِلْتَ بِكَذَا وَكَذَا؟ عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيُقَرِّرُهُ**» أي إن الله يجعله يُقِرُّ بذنوبه، «**ثُمَّ يقولُ اللهُ ـ تَعَالَى ـ: «إِنِّي**

سَتَرْتُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا» أي: سَترت عليك ذُنُوبَك في الدنيا «**وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ**»، هذا كلام الله مع كل أحد. وفي هذا رَدٌّ على الجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة الذين يُنكرون الكلام.

ولفظ الحديث: «**أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ ابْنَ عُمَرَ: كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ فِي النَّجْوَى؟ قَالَ: «يَدْنُو أَحَدُكُمْ مِنْ رَبِّهِ...**» إلى آخر الحديث.



بَابُ:
قَوْلِ اللهِ ـ تعالى ـ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾

٧٤ ـ وَقَالَ: بَابُ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء: ١٦٤]

رَوَى حَدِيثَ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ الله قَالَ: «احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ مُوسَى: أَنْتَ الَّذِي أَخْرَجْتَ ذُرِّيَّتَكَ مِنَ الْجَنَّةِ. قَالَ: أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللهُ بِرِسَالَاتِهِ وَكَلَامِهِ، ثُمَّ تَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قُدِّرَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ؟! فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى»[(١)].

وَسَاقَ فِي هَذَا الْبَابِ حَدِيثَ الْمِعْرَاجِ الَّذِي رَوَاهُ أَنَسٌ بِطُولِهِ، وَذَكَرَ فِيهِ «أَنَّهُ رَأَى مُوسَى فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ـ بِتَفْضِيلِ كَلَامِ اللهِ ـ تَعَالَى ـ فَقَالَ مُوسَى: رَبِّ: لَمْ أَظُنَّ أَنْ تَرْفَعَ عَلَيَّ أَحَدًا، ثُمَّ عَلَا بِهِ فَوْقَ ذَلِكَ بِمَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ، حَتَّى جَاءَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى، وَدَنَا الْجَبَّارُ رَبُّ الْعِزَّةِ؛ فَتَدَلَّى حَتَّى كَانَ مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى، فَأَوْحَى فِيمَا أَوْحَى إِلَيْهِ خَمْسِينَ صَلَاةً عَلَى أُمَّتِكَ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ. ثُمَّ هَبَطَ حَتَّى بَلَغَ مُوسَى، فَاحْتَبَسَهُ مُوسَى، فَقَالَ: «يَا مُحَمَّدُ: مَاذَا عَهِدَ إِلَيْكَ رَبُّكَ؟ قَالَ: عَهِدَ إِلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ، فَارْجِعْ فَلْيُخَفِّفْ عَنْكَ رَبُّكَ وَعَنْهُمْ، فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ إِلَى جِبْرِيلَ؛ كَأَنَّهُ يَسْتَشِيرُهُ فِي ذَلِكَ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ جِبْرِيلُ: أَنْ نَعَمْ، فَعَلَا بِهِ إِلَى الْجَبَّارِ، فَقَالَ وَهُوَ مَكَانَهُ: يَا رَبِّ: خَفِّفْ عَنَّا، فَإِنَّ أُمَّتِي لَا تَسْتَطِيعُ

---

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ التَّوْحِيدِ، بَابُ كَلَامِ الرَّبِّ ﷻ يَوْمَ القِيَامَةِ مَعَ الأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ، رقم (٧٥١٥).

هَذَا؛ فَوَضَعَ عَنْهُ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مُوسَى، فَاحْتَبَسَهُ، فَلَمْ يَزَلْ يُرَدِّدُهُ مُوسَى إِلَى رَبِّهِ، حَتَّى صَارَتْ إِلَى خَمْسِ صَلَوَاتٍ. ثُمَّ قَالَ الْجَبَّارُ: يَا مُحَمَّدُ: «قَالَ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: إِنَّهُ لَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ؛ كَمَا فَرَضْتُ عَلَيْكَ فِي أُمِّ الْكِتَابِ، فَكُلُّ حَسَنَةٍ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، فَهِيَ خَمْسُونَ فِي أُمِّ الْكِتَابِ، وَهِيَ خَمْسٌ عَلَيْكَ»[1]... الْحَدِيثَ.

الشَّرْح

○ يقول البخاري في هذه الترجمة: «بَابٌ ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النساء: ١٦٤]» وفيه إثباتُ الكلام لله ﷻ، فالآيةُ صريحة في أن الله كَلَّمَ مُوسَى، وقوله: ﴿تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ تأكيدُ مَصدرٍ، قال العلماء: إذا جاء المصدرُ فلا يمكن أن يُأَوَّل إلى المجاز. وأهل البدع يتأَوَّلون؛ ويُنكرون الكلامَ، فيقولون معنى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ﴾ أي: جَرَحَه، يعني: جَرَحَه بأظافِر الحِكمة!! كما تقول العربُ: فُلانٌ كَلْمُهُ يُدمِي، فالكَلْمُ: الجُرْح!!

○ وذَكَر البخاري حديثَ أبي هُريرة ﷺ في احتجاج آدم وموسى ﷩، وأنَّه لمَّا التَقيا، قال مُوسَى ﷺ: «أَنْتَ الَّذِي أَخْرَجْتَ ذُرِّيَّتَكَ مِنَ الْجَنَّةِ». قَالَ: «أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللهُ بِرِسَالَاتِهِ وَكَلَامِهِ، ثُمَّ تَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قُدِّرَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ؟!» قال ﷺ: «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى» يعني: غَلَبه بالحُجَّة؛ لأنَّ مُوسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ لَامَهُ على المُصِيبة التي لَحِقَتْهُ وذُرِّيَّته بالخروج مِن الجَنة، فاحتج آدمُ بأن المصيبةَ مُقدَّرَة.

وموسى لم يَلُم آدمَ على الذنب؛ لأنه تاب منه، وإنما لَامَه على

---

(١) أخرجه ابن منده في الإيمان (٢/ ٧١٥/ ٧١٢).

المُصيبة التي لَحِقتُه وذُرِّيَّته بالخروج من الجَنة؛ فاحتج آدمُ بأن المصيبةَ مكتوبةٌ عليه؛ ولذلك غَلَبه بالحُجَّة.

والاحتجاج بالقدر عَلى المصائب لا مانع منه، بخلاف الاحتجاج بالقدر على الذنوب والمعاصي فإنه مرفوض ممنوع.

○ ثم ساق حَديثَ المعراج، وفيه أنه ﷺ: «**رَأَى مُوسَى فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ**» والمعروف في الأحاديث الصحيحة: أنه رأى موسى في السماء السادسة، فموسى في السماء السادسة، وإبراهيم في السماء السابعة، كما هو معروف في الأحاديث.

وفي الحديث: أن موسى قال: «**رَبِّ: لَمْ أَظُنَّ أَنْ تَرْفَعَ عَلَيَّ أَحَدًا**»، وأنَّه علا بِه إلى الجَبَّار ـ جل جلاله ـ، وفي هذا: إثبات العلو لله ﷻ.

○ قولُه: «**وَدَنَا الْجَبَّارُ رَبُّ الْعِزَّةِ؛ فَتَدَلَّى**» وفي أحاديث المعراج أن الذي دَنَا وتَدلَّى هو جبريل عليه السلام؛ لكن جاء أيضًا في أحاديث المعراج دُنو الرب وتَدَلِّيه، فيكون فيه إثباتُ دُنو الربِّ، وإثبات التدلي، ودُنُوه وتَدلِّيه ـ سُبحانه ـ على ما يَلِيق بجلاله وعظمته.

وفيه: أن الله ـ تعالى ـ فَرض الصلاة خمسين صلاة، ثم خفَّفها إلى خَمْسِ صلواتٍ قبل العمل، ففيه دليلٌ على جواز النَّسْخِ قبل الفِعل، وقبل العمل؛ فقد فرض اللهُ خمسين صلاة، ثم جعل نبيُّنا يتردد بين ربه وموسى.

وقَدَّرَ اللهُ ـ تعالى ـ في قَلبِ موسى أن يقول لنبيِّنا ﷺ: بأن يرجع إلى ربه، ويسأل التخفيف، وهو سبحانه الذي حرَّكَ قلب نبيِّنا ﷺ للقبول؛ فالفضل كُلُّهُ يرجع إلى الله ﷻ.

وفيه: الاستشارة، فإن نبيَّنا ﷺ استشار جبريل؛ فأشار إليه،

فَعَلَا به إلى الجَبَّار ـ جل جَلالُه ـ حتى صارت إلى خمس صلوات.

○ ثم قول الربُّ الجبَّارُ: «**إِنَّهُ لَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ؛ كَمَا فَرَضْتُ عَلَيْكَ فِي أُمِّ الْكِتَابِ، فَكُلُّ حَسَنَةٍ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، فَهِيَ خَمْسُونَ فِي أُمِّ الْكِتَابِ، وَهِيَ خَمْسٌ عَلَيْكَ**» هذا مِن فَضْل الله ـ تعالى ـ وإحسانِه، أنها خمسُ صلوات في العدد خمسون في الميزان والأجر.

وفيه: إثباتُ الكلامِ لله ﷻ ودَليلٌ على أن الله ـ تعالى ـ يتكلَّم، وفيه: ردٌّ على الجَهْمية والمعتزلة والأشاعرة الذين يُنكرون كلامَ الله ﷻ.



كَلَامُ الرَّبِّ تَعَالَى مَعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ

٧٥ ـ وَقَالَ: بَابُ كَلَامِ الرَّبِّ مَعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

وَذَكَرَ حَدِيثَ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ الله يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ. فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبِّ؟!! وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ قَالَ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»(١).

الشَّرْحُ

هذا الباب في كلام الربِّ مع أهل الجنة، والبخاري رَحِمَهُ اللَّهُ يُنَوِّعُ التَّراجِمَ في إثباتِ كلامِ الرَّب؛ لِيَرُدَّ على الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، فقال: «بَابُ كَلَامِ الرَّبِ مَعَ جِبْرِيلَ»، «بَابُ كَلَامِ الرَّبِّ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ»، «بَابُ كَلَامِ الرَّبِّ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ وَالنَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، «بَابُ ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء: ١٦٤]»، «بَابُ كَلَامِ الرَّبِّ مَعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ».

فهذه النصوص، وهذه التراجم المنوّعة يُدْخِلُ تحتها البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ عَددًا من النُّصوص، لِيُبَيِّنَ أن الكلام لله ﷻ ثابتٌ في النصوص،

---

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ التَّوْحِيدِ، بَابُ كَلَامِ الرَّبِّ مَعَ أَهْلِ الجَنَّةِ، رقم (٧٥١٨)، ومسلم: كتاب الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، رقم (٢٨٢٩).

من الكتاب، والسنة وأنه أنواع:

فالله ـ تعالى ـ يُكَلِّمُ الملائكةَ في الدنيا، ويوم القيامة.

ويُكلِّم الأنبياءَ يَومَ القيامةِ كما كلم قبل: آدم، وموسى، ومحمد عليهم الصلاة والسلام.

ويُكَلِّمُ الناسَ يَوم القيامة.

ويكلِّم أهلَ الجنة.

○ قوله: «**وَذَكَرَ حَدِيثَ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ**» ففي «**يَقُولُ**» إثباتُ القَوْل لله «**يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ! فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ. فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبِّ؟!! وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ! وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ قَالَ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا**» يعني أنه ـ تعالى ـ تكلَّم مرَّات مع أهل الجنة.

وفي الحديث: فَضلُ أهلِ الجنة، وأن الله ﷻ تَفَضَّل عليهم بنِعَم عظيمةٍ، وأن الله ـ تعالى ـ يكلمهم، وأنهم يقولون: يا ربنا أعطيتنا شيئًا عظيمًا! فيقول: «**أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا**» وهذا فضل عظيم ـ نسأل الله أن يجعلنا من أهل الجنة ـ.

وفيه: إثبات الرِّضا لله ﷻ، وإثبات السخطُ لله سبحانه على ما يَلِيق بجلال الله وعظمته، خلافًا لأهل البدع؛ كالجهمية والمعتزلة والأشاعرة الذين يُنكرون صفة الرضا! وينكرون صفة السخط، وبعضهم كالأشاعرة يُأَوِّلونها؛ لأنهم لا يُثبتونها، فالأشاعرةُ لا يُثبتون

من الصفاتِ إلا : الحياة، والكلام، والبصر، والسمع، والعلم، والقُدرة، والإرادة.

فلا يُثبتون المحبَّة، ولا السخط، ولا الاستواء، ولا العلو.

والمعتزلة يُنكرون الصفات كلَّها، ولا يثبتون إلا الأسماء.

والجهميةُ يُنكرونَ الأسماءَ والصفات.

نسأل الله السلامة والعافية، ونسأله ﷻ أن يرزقنا وإياكم العمل بكتابه وسُنَّة نبيه، وأن يثبتنا على دينه، وألا يزيغ قُلوبنا، وأن يهب لنا من رحمته، إنه هو الوهاب.



بَابُ
ذِكْرِ اللَّه بِالْأَمْرِ وَذِكْرِ الْعِبَادِ بِالدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ وَالرِّسَالَةِ وَالْبَلَاغِ

٧٦ - بَابُ ذِكْرِ الله بِالْأَمْرِ، وَذِكْرِ الْعِبَادِ بِالدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ وَالرِّسَالَةِ والْبَلَاغِ؛ لِقَوْلِهِ - تَعَالَى -: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البَقَرة: ١٥٢] ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ﴾ [يُونس: ٧١] الْآيَةَ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ﴾ [التوبَة: ٦] إِنْسَانٌ يَأْتِيهِ فَيَسْتَمِعُ مَا يَقُولُ، وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ، فَهُوَ آمِنٌ حَتَّى يَأْتِيَهُ فَيَسْمَعَ كَلَامَ الله، وَحَتَّى يَبْلُغَ مَأْمَنَهُ، حَيْثُ جَاءَ، وَالنَّبَأُ الْعَظِيمُ الْقُرْآنُ، فَعَمِلَ بِهِ[1].

وَقَالَ عِكْرِمَةُ: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ١٠٦﴾ [يُوسُف: ١٠٦] قَالَ: تَسْأَلُهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ ومَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ؟ فَيَقُولُونَ: اللهُ؛ فَذَلِكَ إِيمَانُهُمْ، وَهُمْ يَعْبُدُونَ غَيْرَهُ، وَمَا ذُكِرَ فِي خَلْقِ أَفْعَالِ الْعِبَادِ وَاكْتِسَابِهِمْ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ٢﴾ [الفُرقان: ٢].

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ [الحِجر: ٨] بِالرِّسَالَةِ وَالْعَذَابِ. ﴿لِّيَسۡـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدۡقِهِمۡۚ﴾ [الأحزَاب: ٨] فَهُمْ: الْمُبَلِّغِينَ الْمُؤَدِّينَ مِنَ الرُّسُلِ ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾ [الحِجر: ٩] عِنْدَنَا...[2].

الشَّرْحُ

يقول المؤلفُ قال البخاري: «بَابُ ذِكْرِ الله بِالْأَمْرِ، وَذِكْرِ الْعِبَادِ

(١) أخرجه البخاري معلقا (٩/ ١٥١).

(٢) أخرجه البخاري معلقا (٩/ ١٥٢).

بِالدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ وَالرِّسَالَةِ وَالْبَلَاغِ»، ومقصودُ البخاري رَحِمَهُ اللهُ من هذه الترجمة: إثباتُ الكلام لله ﷻ وأنَّه صِفةٌ من صِفاته وأنه ليس بمخلوق كما تقوله المعتزلة وغيرهم.

○ ثم قال البخاري رَحِمَهُ اللهُ عن الترجمة: «**لِقَوْلِهِ ـ تَعَالَى ـ:** ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]». فـ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ أمرٌ والأمرُ نوعٌ من الكَلام، فالكلام يكون أمرًا ويكون خبرًا، والكلام صِفةٌ لله، وكلامُ الله صِفتُه، ليس بمَخلُوق، ومن قال: مَخلوقٌ فقد كَفَر.

وَقَالَ: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ﴾ [المائدة: ٢٧] ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ [يونس: ٧١]» ﴿وَاتْلُ﴾ هذا أمرٌ والأمرُ كَلامٌ، والكَلامُ صِفَةٌ من صفاتِ الله.

○ قوله: «**وَقَالَ مُجَاهِدٌ فِي قَوْلِهِ:** ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾ [التوبة: ٦]» ﴿فَأَجِرْهُ﴾ أمرٌ من الله وهُو كَلامُه، وهُو مُنزَّل غيرُ مخلوق، وفسَّرَه فقال: «**إِنْسَانٌ يَأْتِيهِ فَيَسْتَمِعُ مَا يَقُولُ، وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ، فَهُوَ آمِنٌ حَتَّى يَأْتِيَهُ فَيَسْمَعَ كَلَامَ الله، وَحَتَّى يَبْلُغَ مَأْمَنَهُ، حَيْثُ جَاءَ**»، أيْ: أنَّ الكافرَ إذا طلب الاستجارةَ يُجارُ، ويُؤمَّن حتى يسمعَ كلامَ الله ويَبْلُغ مَأمَنه، ولا يُؤذَى؛ ولهذا قال: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾ أي: أمِّنه فالشرط هو: ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ وهذا أمرٌ، والأمرُ كلامُ الله.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ ولم يقل: حتَّى يسمع ما خلَق اللهُ، وهذا يدل على أن كلام الله صِفةٌ من صِفاتِه.

○ قوله: «**وَالنَّبَأُ الْعَظِيمُ الْقُرْآنُ، فَعَمِلَ بِهِ**»، وفي البخاري: «وَالنَّبَأُ الْعَظِيمُ الْقُرْآنُ، وَصَوَابًا حَقًّا فِي الدُّنْيَا وَعَمِلَ بِهِ» وهذا يَدلُّ على أن القرآنَ هو كلام الله مُنزَّلٌ غيرُ مخلوق. وقَصَد المؤلف رَحِمَهُ اللهُ

من نَصِّ البخاري إثباتَ الكلام لله ﷻ، وأنَّ الأمرَ نوعٌ من الكلام، وإثباتَ أن القرآنَ كلامُ الله، وأنه صفةٌ من صِفاته ليس بمخلوق كما يقول أهل البدع من المعتزلة وغيرهم.

○ قوله: «**وَقَالَ عِكْرِمَةُ**: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦]»، هَذا من الدُّعاء والبلاغِ فالله - تعالى - يدعو عِبادَه إلى أن يُؤمنوا بالله ﷻ.

وفسَّر عِكرمةُ الإيمانَ بإثباتِ توحيدِ الرُّبوبية والشِّرك بشِركَ العِبادَة فقال: «**تَسْأَلُهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ ومَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ؟ فَيَقُولُونَ: اللهُ؛ فَذَلِكَ إِيمَانُهُمْ**» **إيمان بتوحيد الربوبية والشرك** «**وَهُمْ يَعْبُدُونَ غَيْرَهُ**»، فلا ينفع الإيمانُ بتوحيد الربوبية مع الشرك في العبادة.

وسمَّاه إيمانًا؛ لأنه نَوعٌ من التوحيد لكنه لا يكفي الإنسان حتى يُوحِّد الله في العِبادة.

○ قوله: : «**وَمَا ذُكِرَ فِي خَلْقِ أَفْعَالِ الْعِبَادِ وَاكْتِسَابِهِمْ**» وفي بعض نُسَخِ الصحيح «**وإكْسَابِهِمْ**» **لَقَوْلِهِ**: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الفرقان: ٢]» فالله الخالقُ لكل شيء، وكُلُّ: من صِيَغ العُمُوم فتَشمل الذواتِ والصفاتِ،

ويَشمل ذلك أفعالَ العِباد، ففيه: الردُّ على القَدَرية الذين يقولون: العِبادُ خالقون لأفعالِهم.

○ قوله: «﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٨]» هَذا هُو البَلاغ، فإن الله أوجبه، والعِباد يبلِّغون كلامَ الله، والرسلُ يبلِّغون كلامَ الله فمعنى الآية: ليسأل المُبلِّغين المؤدِّين، والمبلِّغُ إنما يؤدي كلامَ غيرِه، فهُم يبلِّغون كلامَ الله، والكلامُ كلامُ الله، والمبلِّغُ إنَّما

يبلِّغه بصَوْت نفسِه.

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩] الذِّكْرُ: كلام الله، ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ أي: عِندَنا.





بَابُ:
قَوْلِهِ: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾

٧٧ ـ وَقَالَ: بَابُ قَوْلِهِ: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ [فصلت: ٢٢] الآيَةَ.

وَرَوَى عَنْ عَبْدِاللهِ قَالَ: اجْتَمَعَ عِنْدَ الْبَيْتِ ثَقَفِيَّانِ وَقُرَشِيٌّ أَوْ قُرَشِيَّانِ وَثَقَفِيٌّ كَثِيرَةٌ شَحْمُ بُطُونِهِمْ قَلِيلَةٌ فِقْهُ قُلُوبِهِمْ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَتَرَوْنَ أَنَّ اللهَ يَسْمَعُ مَا نَقُولُ؟ وَقَالَ الآخَرُ: يَسْمَعُ إِنْ جَهَرْنَا وَلَا يَسْمَعُ إِنْ أَخْفَيْنَا، وَقَالَ الآخَرُ: إِنْ كَانَ يَسْمَعُ إِذَا جَهَرْنَا فَإِنَّهُ يَسْمَعُ إِذَا أَخْفَيْنَا؛ فَأَنْزَلَ اللهُ ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ الآيَةَ[1].

الشَّرح

المقصودُ من هذه التَّرجَمة إثباتُ أفعالِ العِبادِ، وأنَّ أفعالَ العبادِ تُنسَب إليهم؛ لأنَّهم هُم الذين اكتسبوها وباشروها وإن كان الله ـ تعالى ـ خَلَقهم وخلَق أعمالَهم كما قال الله ـ تعالى ـ في الآية الأخرى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾ [الصافات: ٩٦].

○ قوله: «﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝٢٢﴾ [فصلت: ٢٢]»، فأضاف العملَ إليهم؛ فدلَّ على أن الأعمال تُضافُ إلى العِباد؛ لأنَّهم كَسبُوها وباشروها؛ فهي من الله خَلقًا وإيجادًا وتقديرًا، ومِن العِباد فِعْلًا وكَسْبًا ومُباشَرة، وهذا فيه: الردُّ على الجَبْرية الذين

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، بَابُ ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٢٣﴾ [فصلت: ٢٣]، رقم (٤٨١٧)، ومسلم: كِتَابُ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ وَأَحْكَامِهِمْ، رقم (٢٧٧٥).

يقولون: العِباد غيرُ فاعلين، والأفعال أفعالُ الله، فالله هُو المصلي وهو الصَائم، وليس للعباد فِعلٌ، ولَيس لهم مُباشَرة وليس لهم اختيار بل أفعالهم اضطرارية؛ كحَركة المُرتَعِش وحركة الريشة في الهواء، وهذا مذهب باطل؛ لأن الله ـ تعالى ـ أضاف الأفعالَ إليهم: ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝٢٢﴾ [فُصِّلَت: ٢٢].

○ ثم ذكر البخاري حديثَ عبدِالله بن مسعود قال: «اجْتَمَعَ عِنْدَ الْبَيْتِ ثَقَفِيَّانِ وَقُرَشِيٌّ أَوْ قُرَشِيَّانِ وَثَقَفِيٌّ كَثِيرَةٌ شَحْمُ بُطُونِهِمْ قَلِيلَةٌ فِقْهُ قُلُوبِهِمْ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ» أي أحد الثلاثة: «أَتَرَوْنَ أَنَّ الله يَسْمَعُ مَا نَقُولُ؟» الشاهد فيه قوله: «يَسْمَعُ مَا نَقُولُ»، فأضافَ القولَ إليهم، وهذا فيه: ردٌّ على الجبرية الذين يقولون: إن الأفعال أفعال الله.

○ قوله: «وَقَالَ الْآخَرُ: يَسْمَعُ إِنْ جَهَرْنَا وَلَا يَسْمَعُ إِنْ أَخْفَيْنَا»، الشَّاهدُ: «يَسْمَعُ إِنْ جَهَرْنَا» أضاف الجهرَ والإخفاءَ إليهم.

○ قوله: «وَقَالَ الْآخَرُ: إِنْ كَانَ يَسْمَعُ إِذَا جَهَرْنَا فَإِنَّهُ يَسْمَعُ إِذَا أَخْفَيْنَا»؛ فأنزل اللهُ هذه الآية: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝٢٢﴾ [فُصِّلَت: ٢٢].

الشاهدُ: إضافةُ الأفعال إلى العباد، وأن للعبادِ أفعالًا؛ فلهم أفعال اختيارية يُثابُون عليها ويُعاقَبُون عليها، وإن كان اللهُ خلقها وأوجدها خلافًا للقَدَرية القائلين بأن أفعالَ العبادِ مَخلوقةٌ لهم، وخلافًا للجبرية الذين يقولون: إن العباد لا أفعال لهم وأنهم مجبورون.

❁ ❁ ❁

بَابُ:
قَوْلِ اللهِ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ۝٢٩﴾ [الرحمن: ٢٩]

٧٨ ـ وَقَالَ: بَابُ قَوْلِ الله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ۝٢٩﴾ [الرَّحمٰن: ٢٩] ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢] وَقَوْلِهِ: ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ۝١﴾ [الطلاق: ١].

وَأَنَّ حَدَثَهُ لَا يُشْبِهُ حَدَثَ الْمَخْلُوقِينَ لِقَوْلِهِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى: ١١].

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ الله يُحْدِثُ مِنْ أَمْرِهِ مَا يَشَاءُ، وَإِنَّ مِمَّا أَحْدَثَ أَنْ لَا تَكَلَّمُوا فِي الصَّلَاةِ»[(١)].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ كُتُبِهِمْ وَعِنْدَكُمْ كِتَابُ الله أَقْرَبُ الْكُتُبِ عَهْدًا بِالله تَقْرَءُونَهُ مَحْضًا لَمْ يُشَبْ؟!»[(٢)].

الشَّرْحُ

هذه ترجمةٌ للبخاري يُبيِّن فيها إثباتَ الكلام لله ﷻ وأنَّ الله يتكلَّم وأن أفرادَ الكلام حادثةٌ وإن كان نوع الكلام قديمًا، أي صفة الكلام قديمة، ولَكنَّ أفرادَه حادثةٌ، ولهذا يقول أهلُ السُّنة والجماعةِ: إن كلامَ الله وهُو صفةٌ مِن صفاته قَديمُ النوعِ حادِثُ الآحادِ.

---

(١) أخرجه البخاري معلقا (٩/ ١٥٢).

(٢) أخرجه البخاري: كِتَابُ التَّوْحِيدِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ۝٢٩﴾ [الرَّحمٰن: ٢٩]، رقم (٧٥٢٢).

فنوعُ الكلام قديمٌ، فالله تعالى لم يَزل متكلمًا في الأَزَل، ويَتكلَّمُ متى شاء، إذا شاء، كيف شاء.

○ قوله: «﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرحمن: ٢٩]» فيُعِزُّ ويُذِلُّ، ويُشقِي ويُسعِد، ويَأمُر ويَنْهَى، ويُغني ويُفقِر.

○ قوله: «﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢]» هذا هو كلامُ الله وَصَفه بأنه مُحدَث؛ لأن الله تكلَّم به، كذا في قوله: ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾﴾ [الطلاق: ١].

قال المؤلفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال البخاري: «وَأَنَّ حَدَثَهُ لَا يُشْبِهُ حَدَثَ الْمَخْلُوقِينَ» أي: كلام الله أفرادُه حادِثةٌ، ولكن لا يُشبِه حدثَ المخلوقين، فكلام المخلوقين مُحدَث مخلوقٌ.

وأمَّا كَوْنُ كلام الله محدثًا فيعني أنه تكلَّم بِه، وإن كان نوعُه قديمًا، لكن الله يتكلَّم متَّى شاء يُكلِّم جبريلَ متى شَاء، ويُكلِّم المؤمنين يومَ القيامة، ويُكلِّم الأنبياءَ، ويُكلِّم موسى، ويَتكلَّم متى شاء إذا شاء كيف يشاء، وهذا الكلام الذي يتكلَّم به حادثٌ، لكن حدَثَه لا يُشبِه حَدثَ المخلوقين.

واستدل البخاري بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]، فيُوصف سبحانه بالسمع والبصر والكلام والقُدرَة والعِلم والعُلو والاستواء والغَضَب والرِّضا والسُّخط والعَظَمة والكِبريَاء، لكن صِفاته لا تُشبِه صِفات المخلوقين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

كذلك كلامُ الله مُحدثٌ لكنه لا يُشبه حدَث المخلوقين لقول الله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

واستدل أيضا بحديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الله يُحْدِثُ مِنْ أَمْرِهِ مَا يَشَاءُ، وَإِنَّ مِمَّا أَحْدَثَ أَنْ لَا تَكَلَّمُوا فِي

الصَّلَاةِ» وهذا ذَكَره البخاري مُعلَّقًا ووَصَلَه أحمدُ وأبو داود والنَّسَائي. والحديثُ يُثبِت أن حدَثَ الله وهو لا يُشبِه حدَث المخلوقين.

وذكر أيضا قول ابنِ عَبَّاس ﵄: «**كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ كُتُبِهِمْ وَعِنْدَكُمْ كِتَابُ الله أَقْرَبُ الْكُتُبِ عَهْدًا بِالله تَقْرَءُونَهُ مَحْضًا لَمْ يُشَبْ؟!**» محضًا: خالصًا، فالمَحضُ هو الخالِصُ.

الشاهدُ قوله: «**وَعِنْدَكُمْ كِتَابُ الله أَقْرَبُ الْكُتُبِ عَهْدًا بِالله**» لأنه آخرُ الكُتب تكلَّم اللهُ بِه وسمعه منه جِبرائيل فهو أقرب الكتب عهدًا بالله.

وهذا حَدَث ولكنَّه حَدثٌ لا يُشبِه حدَث المخلوقين، فالله ﷻ يتكلَّم في الأَزَل متَّى يَشاءُ وكيفَ يشاء، فَأفرادُ الكلام حَادِثة ونوعُ الكلام قديمٌ، وحَدَثُ الله لا يُشبه حدثَ المخلوقين ولهذا قال: «**أَقْرَبُ الْكُتُبِ عَهْدًا بِالله**»؛ لأنه آخر الكتب نزولاً.

○ قوله: «**تَقْرَءُونَهُ مَحْضًا لَمْ يُشَبْ؟!**» يعني: خالصًا صافيًا لم يُشَب، بتحريفٌ ولا تبديلٌ.



بَابُ:
قَوْلِ الله ـ تَعَالَى ـ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ وَفِعْلِ النَّبِيِّ ﷺ حَيْثُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ

٧٩ ـ وَقَالَ: بَابُ قَوْلِ الله ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ [القيامة: ١٦] وَفِعْلِ النَّبِيِّ حَيْثُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ.

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ أَنَّهُ قَالَ: «قَالَ اللهُ: أَنَا مَعَ عَبْدِي مَا ذَكَرَنِي، وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ»(١).

قَالَ: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ مُوسَى بْنِ أَبِي عَائِشَةَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً كَانَ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ، فَقَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ فَأَنَا أُحَرِّكُهُمَا لَكَ كَمَا كَانَ رَسُولُ الله يُحَرِّكُهُمَا، فَقَالَ سَعِيدٌ: أَنَا أُحَرِّكُهُمَا كَمَا كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يُحَرِّكُهُمَا، فَحَرَّكَ شَفَتَيْهِ، فَأَنْزَلَ اللهُ ـ تَعَالَى ـ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ [القيامة: ١٦-١٧].

قَالَ: جَمْعَهُ فِي صَدْرِكَ ثُمَّ تَقْرَأُهُ ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ [القيامة: ١٨] قَالَ: فَاسْتَمِعْ لَهُ وَأَنْصِتْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ تَقْرَأَهُ، قَالَ فَكَانَ رَسُولُ الله إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ اسْتَمَعَ، فَإِذَا انْطَلَقَ جِبْرِيلُ قَرَأَهُ النَّبِيُّ كَمَا أَقْرَأَهُ»(٢).

الشَّرْح

هذه ترجمةُ البخاري قال: «بَابُ قَوْلِهِ ـ تَعَالَى ـ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ

(١) أخرجه البخاري معلقا (٩/ ١٥٣).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾، رقم (٧٥٢٤).

﴿لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦﴾ [القيامة: ١٦]» يُبيِّن أن للعبدِ أفعالًا، وأنَّ العَبدَ حينما يَقرأ القرآنَ يقرأه بِفِعْله؛ بصوته وحَركةِ لِسانه، وهذا فِعلُ العبد، والمقروءُ هو كلام الله، وكما قال بعضُ السَّلَف: «القَولُ قَولُ البَاري، والقراءةُ قراءةُ القارئ».

ولهذا أراد المؤلفُ رَحِمَهُ اللهُ أن يُثبت وأن يضيف أفعالَ العباد إليهم، فأورد قولَه ـ تعالى ـ «﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦﴾ [القيامة: ١٦]» هذا فِعلُ العَبدِ.

○ ثم قال: «**وَفِعْلِ النَّبِيِّ ﷺ حَيْثُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ**» ففِعلُه ﷺ أنه يُعالِج شِدَّة، فيُحرِّك شفتيه، لأنه يخاف أن يَنساهُ في الأول.

○ وقال أبو هريرة عن النبي ﷺ: «**قَالَ اللهُ: أَنَا مَعَ عَبْدِي مَا ذَكَرَنِي، وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ**» هذا حديثٌ قُدْسي. وقوله: «**أَنَا مَعَ عَبْدِي**» هذه مَعِيةٌ خاصةٌ مع عَبدي بالعَوْن والنَّصر والتأييد. «**مَا ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ**» والشاهدُ قولُه: «**تَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ**» فأضاف الفعل إلى العبد.

۞ **والمَعيَّةُ مَعيَّتان:**

الأولى: مَعِيَّةٌ عَامَّة؛ مع الخَلْق كُلِّهم باطلاعه وإحاطته وعِلمه ونُفوذِ قُدرَتِه ومَشيئتِه.

الثانية: معية خاصة؛ مع المؤمنين بعَونِه ونَصرِه وتأييدِه.

○ قوله: «**أَنَا مَعَ عَبْدِي مَا ذَكَرَنِي**» أضاف الذِّكرَ إلى العبد، فدلَّ على أن العبادَ يفعلون أفعالهم باختيارهم.

○ ثُمَّ ذَكَر حديثَ مُوسى بن أبي عائشة عن سعيد بن جُبَير عنِ ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في قول الله ـ تعالى ـ: «﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ قَالَ:

كَانَ النَّبِيُّ يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً وَكَانَ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ» خوفًا مِن النسيان، أي إذا قَرأ جبريلُ كان النبي ﷺ يُعالِج شدةً، يُحرِّك شفتيه خَشْيَة أن يَنْساه، فالله ـ تعالى ـ حَفِظه له.

فالشاهدُ تحريكُ النَّبي ﷺ وتَحريكُ ابن عباسٍ رضي الله عنهما فهذه أفعالهم، والمقروءُ كلامُ الله، فأَفعالُهم مُضافةٌ إليهم فأَنزلَ اللهُ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ [القيامة: ١٦-١٧].

○ قوله: «**قَالَ: جَمْعَهُ فِي صَدْرِكَ ثُمَّ تَقْرَأُهُ**، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَهُ﴾» يعني: قَرأه جِبريلُ «﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ [القيامة: ١٨] **قَالَ: فَاسْتَمِعْ لَهُ وَأَنْصِتْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ تَقْرَأَهُ»** فالله ـ تعالى ـ ضَمِن له ألَّا ينساه، فكان النبيُّ ﷺ إذا أَتاه جبريلُ بعد ذلك لا يُحرِّك لسانَه، فإذا انطلق جبريلُ قَرأه النبيُّ ﷺ كما أقرأه؛ لأن الله ضَمِن له أن يَجمَعه في صدره.



بَابُ:
قَوْلِ اللهِ ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾

٨٠ ـ وَقَالَ بَابُ قَوْلِهِ: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ﴾ [المُلك: ١٣] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [المُلك: ١٤].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ﴾ [الإسراء: ١١٠] قَالَ: نَزَلَتْ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ مُخْتَفٍ بِمَكَّةَ، فَكَانَ إِذَا صَلَّى بِأَصْحَابِهِ رَفَعَ صَوْتَهُ بِالْقُرْآنِ، فَإِذَا سَمِعَهُ الْمُشْرِكُونَ سَبُّوا الْقُرْآنَ وَمَنْ أَنْزَلَهُ وَمَنْ جَاءَ بِهِ، فَقَالَ اللهُ لِنَبِيِّهِ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ أَيْ بِقَرَاءَتِكَ، فَيَسْمَعُ الْمُشْرِكُونَ فَيَسُبُّوا الْقُرْآنَ ﴿وَلَا تُخَافِتْ﴾ عَنْ أَصْحَابِكَ فَلَا تُسْمِعُهُمْ ﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾ [الإسراء: ١١٠][(١)].

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ﴾ فِي الدُّعَاءِ[(٢)].

وَرَوَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ رَسُولُ اللهِ «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ» قَالَ: وَزَادَ غَيْرُهُ: «يَجْهَرُ بِهِ»[(٣)].

الشَّرْحُ

قَصد البخاري رَحِمَهُ اللهُ بهذه الترجمة إضافة أفعالِ العباد إليهم في

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾، رقم (٧٥٢٥).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾، رقم (٧٥٢٦).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾، رقم (٧٥٢٧).

الإسرار والجَهْر، فهذه أفعال العبد؛ من إسرار بالقراءة وجهر بها، وعليه ففيه رَدٌّ على الجَبْرية القائلين بأن الأفعالَ أفعالُ الله وأن العبد لا فِعل له، فرد الله ـ تعالى ـ عليهم بأن أضاف الأفعال إليهم، فقال: ﴿وَأَسِرُّواْ﴾ [المُلك: ١٣] ثم ذَكَر حديثَ ابنِ عباسٍ في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾ [الإسراء: ١١٠] وهذه الآيةُ نزلت في الصلاة، وقيل: نزلت في الدعاء.

قال ابنُ عباسٍ: «**نَزَلَتْ وَرَسُولُ الله ﷺ مُخْتَفٍ بِمَكَّةَ، فَكَانَ إِذَا صَلَّى بِأَصْحَابِهِ**» هذا قَبل الهجرةِ وهو مختف «**رَفَعَ صَوْتَهُ بِالْقُرْآنِ، فَإِذَا سَمِعَهُ الْمُشْرِكُونَ سَبُّوا الْقُرْآنَ وَمَنْ أَنْزَلَهُ وَمَنْ جَاءَ بِهِ، فَقَالَ اللهُ لِنَبِيِّهِ**: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ أَيْ بِقَرَاءَتِكَ، فَيَسْمَعُ الْمُشْرِكُونَ فَيَسُبُّوا الْقُرْآنَ ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ عَنْ أَصْحَابِكَ فَلَا تُسْمِعُهُمْ ﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾» أي أمرًا وسطًا.

والشَّاهدُ هو في إضافَة الأفعال إلى العِباد في قوله: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ يعني: بقِراءتِك، فأضافَ الصلاةَ إلى العبد فالجَهرُ والإخفاتُ من فِعلِ العبد.

○ قوله: «**وعن عَائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت**: نزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ **في الدعاء**» والدعاءُ فِعلُ العَبد، فَدلَّ على أن الأفعالَ مُضافةٌ إلى العِباد، ودَلَّ على بُطلان قول الجَبْرية الذين يقولون: إن الأفعال أفعال الله، وأن العبد لا فعل له.

ورُوِي عن أبي هُرَيْرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ**» يَتغنَّى أي يُحسِّن صَوتَه به. ثُم قَال: «**وَزَادَ غَيْرُهُ**: «**يَجْهَرُ بِهِ**»».

والشاهدُ: أنه أضاف أفعالَ العباد إليهم: فقال: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ**

لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ» وهذا فِعْل العبد، وقال: «يَجْهَرُ بِهِ» فأضاف الجهر إلى العَبد، فَدلَّ على أن الأفعالَ أفعال العِباد؛ وذلك لأن الجَبْرية يَرون أن العبادَ لا فِعلَ لهم؛ كما أن القَدَرية يرون أن العباد خالقون لأفعالهم استقلالًا من دون الله وكلا المذهبين باطل.

والصوابُ ما عليه أهلُ السُّنة والجماعة وهو العمل بالنصوص من الجانبين؛ وهو أن العِباد لهم أفعال يُباشرونها ويَكسبُونها، وإن كان الله خَلَقَهم وخَلَق أفعالهم، كما قال اللهُ ـ تعالى ـ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾ [الصَّافات: ٩٦] فهي من الله خَلقًا وإيجادًا وتقديرًا، ومِن العَبد فِعْلًا وكَسْبًا وتَسَبُّبًا ومُباشَرةً.





بَابُ:
قَوْلِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «رَجُلٌ آتَاهُ اللَّه الْقُرْآنَ»

٨١ ـ وَقَالَ: بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ».

رَوَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قال قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَا تَحَاسُدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ مِنْ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أُوتِيتُ مِثْلَمَا أُوتِيَ هَذَا لَفَعَلْتُ كَمَا يَفْعَلُ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ فِي حَقِّهِ؛ فَيَقُولُ لَوْ أُوتِيتُ مِثْلَمَا أُوتِيَ عَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَمَا يَعْمَلُ»(١).

قَالَ: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ قَالَ حَدَّثَنَا جَرِيرُ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَذَكَرَهُ، وَقَالَ فِي هَذَا الْبَابِ الْبُخَارِيُّ: فَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ قِيَامَهُ بِالْكِتَابِ هُوَ فِعْلُهُ.

وَقَالَ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ [الروم: ٢٢] وَقَالَ: ﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج: ٧٧].

وَرُوِيَ أَيْضًا قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِاللهِ قَالَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ الزُّهْرِيُّ عَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ قَالَ:

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ يَقُولُ: لَوْ أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ هَذَا فَعَلْتُ كَمَا يَفْعَلُ»، رقم (٧٥٢٨)، وزيادة «من» في قوله: «يتلوه من آناء» غير موجودة في روايات الحديث. ذكر القسطلاني أنها في نسخة أبي ذر عن الحموي والمستملي (١٥/ ١٩٣).

«لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ». سَمِعْتُ سُفْيَانَ مِرَارًا لَمْ أَسْمَعْهُ يَذْكُرُ الْخَبَرَ وَهُوَ مِنْ صَحِيحِ حَدِيثِهِ؟[1]

الشَّرح

○ قوله: «بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ»»، ثُم ذكر البخاري رحمه الله حديثَ أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَحَاسُدَ» سبق بيان أن معنى التحاسد هنا الغِبْطَة، إذ الحَسَد نوعان:

الأول: حَسدٌ مَذمومٌ، وهو أن يَتمنَّى الشخصُ أن تزولَ النِّعمة عن أخيه المسلم، وهذا حرامٌ، وهذا يَأكلُ الحسناتِ كما تأكلُ النَّارُ الحَطَبَ.

الثاني: حسد جائز، وهو حَسدُ الغِبطةِ وهو أن تتمنى أن يكون لكَ من النِّعمَة مِثلما لأخيك من غَير أن تنتقل عنه هذه النِّعمة، وهو المقصود هنا.

○ قوله: «إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ» يعني: إلا في خَصلتَين.

○ قوله: «رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ مِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أُوتِيتُ مِثْلَمَا أُوتِيَ هَذَا لَفَعَلْتُ كَمَا يَفْعَلُ... إلخ» الشاهدُ من الحديث: أنه أضاف الأفعال إلى العبد: «فَهُوَ يَتْلُوهُ»

○ قوله: «فَهُوَ يُنْفِقُهُ فِي حَقِّهِ؛ فَيَقُولُ لَوْ أُوتِيتُ مِثْلَمَا أُوتِيَ

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ القُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ يَقُولُ: لَوْ أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ هَذَا فَعَلْتُ كَمَا يَفْعَلُ»، رقم (٧٥٢٩)، ومسلم (٨١٥).

عَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَمَا يَعْمَلُ» فأضافَ الأعمالَ إلى العبد، فَدلَّ على أن العِبادَ لهم أفعال اختيارية يُثابُون عليها ويُعاقَبون.

فأراد البخاريُّ رحمه الله من هذه الترجمة أن يُبيِّن الأدلةَ التي تدلُّ على إضافة الأفعالِ إلى العِباد، وأن العبادَ لهم أفعال اختيارية يفعلونها تُضاف إليهم باختيارهم ويَكسبونها فيُثابُون على الطاعات ويُعاقَبون على المعاصي.

وقد بين البخاري رحمه الله وجه الشاهد من الحديث، فقال: **«فَبَيَّنَ النَّبِيُّ عليه السلام أَنَّ قِيَامَهُ بِالْكِتَابِ هُوَ فِعْلُهُ»**.

ووَجْهُ الدلالة: أن البخاري قال إن النبي ﷺ بيَّن أن قيامَه بالكتاب هو فِعله، وفِعلُه يُضافُ إليه، ويُثابُ عليه، فهو يَقوم بالكتاب أي يتلوه آناءَ الليل والنهار ويعمل به، هذا فِعلُه.

ثم استدل البخاري رحمه الله بالآيات:

١- «﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ [الرُّوم: ٢٢]» فاختلاف الألسنةِ هو الكلام، فلما أضاف الألسنةَ إليهم، دلَّ على أنَّ لهم أفعالًا مختلفة.

٢- «﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٧٧﴾ [الحج: ٧٧]» فأضاف الفعلَ إليهم، ثم قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٧٧﴾ وهذا هو الثواب الذي يُثابُون به على أفعالهم. وفي هذا: الردُّ على الجبرية الذين يقولون: العبد لا فعلَ له، وأنه مَجبورٌ.



فَصْلٌ

مَسْأَلَةُ اللَّفْظِ وَيُقَرِّرُهُ الْقَائِلُ بِهَا بِأَنَّهَا إِذَا كَانَتْ فِعْلًا لَنَا وَكَسْبًا فَلَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ مَوْجُودَةً بَعْدَ مُوجِدِهَا

٨٢ ـ وَهَذَا الْقَوْلُ رَاجِعٌ إِلَى الْمَسْأَلَةِ الْكَدِرَةِ، وَهِيَ مَسْأَلَةُ اللَّفْظِ وَيُقَرِّرُهُ الْقَائِلُ بِهَا بِأَنَّهَا إِذَا كَانَتْ فِعْلًا لَنَا وَكَسْبًا فَلَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ مَوْجُودَةً بَعْدَ مُوجِدِهَا؛ لِأَنَّ كَسْبَ الْإِنْسَانِ لَا يَتَقَدَّمُهُ.

وَنَحْنُ نُجِيبُ عَلَى هَذَا بِأَنَّ كَسْبَنَا فِي ذَلِكَ قَصْدُنَا إِلَى تِلَاوَتِهِ، وَذَلِكَ لَا يَتَقَدَّمُنَا كَمَا أَنَّ الْإِنْسَانَ يُثَابُ بِقَصْدِهِ صَلَاةَ النَّافِلَةِ بِالطَّهَارَةِ وَيَأْثَمُ بِاعْتِقَادِهِ أَدَاءَهَا بِالْحَدَثِ مِنْ غَيْرِ طَهَارَةٍ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَذَلِكَ الْمُرَادُ بِالْحَدِيثِ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ» فِيمَنْ نَوَى وَقَصَدَ أَنْ يَفْعَلَ مَا فَعَلَ غَيْرُهُ فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْقِيَامِ بِهِ فِي آنَاءِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ.

وَأَمَّا الْآيَةُ: فَيُقَدِّرُهَا الْقَائِلُ بِمَسْأَلَةِ اللَّفْظِ الْمُرَادِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ﴾ [الرُّوم: ٢٢] أَيْ: أَصْوَاتُكُمْ فَهِيَ مُخْتَلِفَةٌ.

وَنُجِيبُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ اللُّغَاتُ، وَالْقُرْآنُ لَيْسَ بِلُغَاتٍ بَلْ يَقْرَأُهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ بِلُغَةٍ وَاحِدَةٍ، يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ [الرُّوم: ٢٢] فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ اللُّغَاتُ.

الشَّرْحُ

يبين المؤلفُ رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا الفصل أن الكلامَ الذي سبق «رَاجِعٌ إِلَى الْمَسْأَلَةِ الْكَدِرَةِ»، ثُمَّ فَسَّرها فقال: «وَهِيَ مَسْأَلَةُ اللَّفْظِ» أي:

اللفظ بالقُرآن، هل لَفظُ قارئ القُرْآن مخلوقٌ أو غيرُ مخلوق؟

ثم يَقولُ: «**وَيُقَرِّرُهُ الْقَائِلُ بِهَا**» يعني بأن اللفظَ مخلوقٌ «**بِأَنَّهَا إِذَا كَانَتْ فِعْلًا لَنَا وَكَسْبًا، فَلَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ مَوْجُودَةً بَعْدَ مُوجِدِهَا، لِأَنَّ كَسْبَ الْإِنْسَانِ لَا يَتَقَدَّمُهُ**».

وسبقت تراجمُ البخاري رَحِمَهُ اللهُ في تراجم مُتعدِّدة واضحة الدلالة على أن الفعلَ فِعلُ العبد، وأن القراءة حين يقرأ الإنسان القرآن، فإنما يقرأه بصوت نفسه وهذا فِعلُه وكَسْبه يُثابُ عليه، وأن المقروء هو كلام الله لا إشكال فيه. فقد مَيَّز البخاري وفَصَّل بين ما يقوم به العبدُ، وما يقوم به اللهُ، فالكلامُ كلام الله والقارئ قرأه بصوته بألفاظه.

وسمَّاها المسألةَ الكدرةَ للكلام الطويل فيها، «**وَهِيَ مَسْأَلَةُ اللَّفْظِ، وَيُقَرِّرُهُ الْقَائِلُ بِهَا**» أن أفعال العباد وقراءتهم تُنسب إليهم.

ثم يقول: «**بِأَنَّهَا إِذَا كَانَتْ فِعْلًا لَنَا وَكَسْبًا فَلَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ مَوْجُودَةً بَعْدَ مُوجِدِهَا**» وهو الله ـ تعالى ـ؛ «**لِأَنَّ كَسْبَ الْإِنْسَانِ لَا يَتَقَدَّمُهُ**» يعني إذا قرأ الإنسانُ كلامَ الله فيكون حِينئذ أوجدَ الفِعلَ والكَسْبَ، لأنها لا بد أن تكون موجودةً بعد مُوجِدِها، فاللهُ ـ تعالى ـ أوجدها بعد أن قَرَأها فتكون كَسْبًا للإنسان، فقراءتُك: كَسْبٌ لك، وعَملٌ لك، وفِعلٌ لك.

■ **مسألة: متى يُوجد كسبُ الإنسان، وكسب الإنسان لا يتقدمه؟**

أجاب ابن البنا بجواب غريب فقال: «**وَنَحْنُ نُجِيبُ عَلَى هَذَا بِأَنَّ كَسْبَنَا فِي ذَلِكَ قَصْدُنَا إِلَى تِلَاوَتِهِ، وَذَلِكَ لَا يَتَقَدَّمُنَا كَمَا أَنَّ الْإِنْسَانَ يُثَابُ بِقَصْدِهِ صَلَاةَ النَّافِلَةِ بِالطَّهَارَةِ وَيَأْثَمُ بِاعْتِقَادِهِ أَدَاءَهَا بِالْحَدَثِ مِنْ غَيْرِ طَهَارَةٍ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَذَلِكَ الْمُرَادُ بِالْحَدِيثِ:**

«**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ» فِيمَنْ نَوَى وَقَصَدَ أَنْ يَفْعَلَ مَا فَعَلَ غَيْرُهُ فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْقِيَامِ بِهِ فِي آنَاءِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**».

ومعنى يَقومُ به آناءَ الليل أي: يَقرأُ ويَعملُ به، فإذا قَرأه وعَمِل به صار كَسْبَه، **فمتى يكون كسبًا له وعملًا؟**

ابنُ البنا رحمه الله يقول: المعنى المراد من أنه يَتلُوه آناءَ الليل والنهار: قصد إلى تلاوته ـ يعني: النِّيَّة ـ؛ كما أن الإنسان يُثابُ بِقَصْده صلاةَ النافلةِ بالطهارة ويأثم باعتقادِه أداءَها بالحَدَث مِن غير طهارة.

فالإنسانُ يُثاب إذا قَصَد أن يُصلي النافلةَ بالطَّهارة، أي: يُثابُ بِهذا القصدِ، ويأثم إذا اعتقد أنه يُؤدِّي الصلاةَ من غير حَدَثٍ وإن لم يفعل ذلك؛ فكذلك المرادُ بالحديث: «**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ**» يقول: المرادُ فيمن نوى وقَصَد أن يفعل ما فعلَه غيرُه في القرآن من القيام به في آناء الليل وآناء النهار ولم يفعل، وهذا الجواب بعيدٌ.

والأمر كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث قال: «وَمَا يَخْفَى عَلَى لَبِيبٍ الْفَرْقُ بَيْنَ التِّلَاوَةِ فِي نَفْسِهَا؛ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهَا الْخَلْقُ وَبَعْدَ أَنْ يَتَكَلَّمُوا بِهَا وَبَيْنَ مَا لِلْعَبْدِ فِي تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ مِنْ عَمَلٍ وَكَسْبٍ، وَإِنَّمَا غَلِطَ بَعْضُ الْمُوَافِقِينَ وَالْمُخَالِفِينَ فَجَعَلُوا الْبَابَيْنِ بَابًا وَاحِدًا وَأَرَادُوا أَنْ يَسْتَدِلُّوا عَلَى نَفْسِ حُدُوثِ حُرُوفِ الْقُرْآنِ بِمَا دَلَّ عَلَى حُدُوثِ أَفْعَالِ الْعِبَادِ وَمَا تَوَلَّدَ عَنْهَا وَهَذَا مِنْ أَقْبَحِ الْغَلَطِ وَلَيْسَ فِي الْحُجَجِ الْعَقْلِيَّةِ وَلَا السَّمْعِيَّةِ مَا يَدُلُّ عَلَى حُدُوثِ نَفْسِ حُرُوفِ الْقُرْآنِ إلَّا مِنْ جِنْسِ مَا يُحْتَجُّ بِهِ عَلَى حُدُوثِ مَعَانِيهِ»[١].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٢/ ٥٧٤).

إذن المَقصودُ أنَّ الله ـ تعالى ـ حينما تَكلَّم بالقُرآن، فهذا كلامه، لفظه ومعناه؛ فإذا قرأه القارئُ، فَيكون القَارئُ قَرأَ كلامَ الله؛ فقِراءتُه لكلام الله والعمل به هو فِعلُه.

فجواب ابن البنا المتقدم بعيد، والله أعلم.

* * *

ويُجيبُ ابنُ البنا عمن فسر قَولِه تعالى: «﴿وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ﴾ أَيْ: **أَصْوَاتُكُمْ فَهِيَ مُخْتَلِفَةٌ**» بأن هذا ليس بصحيح، بل الجوابُ أن المرادَ بِه اللغات، والقرآن ليس بلغات بل يَقرأُه الناس كلُّهم بلُغةٍ واحدةٍ، ويدل عليه قولُه ـ تعالى ـ: «﴿وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ **فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ اللُّغَاتُ**»، وهذا قولٌ غريبٌ.

فمعروفٌ أن الألسنة تَختلف بصَوتِ القارئ، فأنت تقرأُ بصَوتٍ يختلف عن صوت غَيرِك، وهذا صوت رخيمٌ، وهذا صوت غليظٌ، وهذا الصوت حَسنٌ، وهذا الصوت أقل منه، الأصوات تضاف إليهم.

فالقول بأن المرادَ باختلاف ألسنتكم اللغات، قَصَد منه ابنُ البنا ألَّا يُقال: إن أفعالَ العِباد مُضافةٌ إليهم، وسينقل قولَ أبي يعلى في ذلك.



وَلِشَيْخِنَا الْإِمَامِ أَبِي يَعْلَى ﷺ جَوَابٌ آخَرُ قَالَ: لَوْ حَمَلْنَاهُ عَلَى الْأَصْوَاتِ لَمْ يَضُرَّ؛ لِأَنَّنَا نَحْمِلُ الِاخْتِلَافَ عَلَى الْمَعْنَى الَّذِي يُوجَدُ مِنَّا مَعَ الْقِرَاءَةِ، وَهُوَ الْمَعْنَى الَّذِي يَقَعُ بِهِ التَّمْيِيزُ بَيْنَ قِرَاءَةِ الْقُرَّاءِ بَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مِنْ صَفَاءِ الْحَنْجَرَةِ وَدِقَّةِ الصَّوْتِ وَغِلَظِهِ، وَهَذَا مَعْنًى زَائِدٌ عَنِ الْمَفْهُومِ مِنَ الْحُرُوفِ وَالْأَصْوَاتِ، وَلَيْسَ يَمْتَنِعُ وُجُودُ ذَلِكَ عِنْدَ قِرَاءَتِنَا، وَإِنْ كَانَ لَا يَقُومُ بِنَفْسِهِ كَالْكَسْبِ، يُوجَدُ عِنْدَ خَلْقِ اللهِ - تَعَالَى - لِأَفْعَالِنَا وَإِنْ كَانَ الْكَسْبُ لَا يَقُومُ بِنَفْسِهِ.

وَلَا يَمْتَنِعُ أَيْضًا وُجُودُ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ لَا يَتَمَيَّزُ مِنَ الْقَدِيمِ كَمَا أَنَّ الْمَتْلُوَّ لَا يَتَمَيَّزُ مِنَ التِّلَاوَةِ، وَإِنْ كَانَ الْمَتْلُوُّ قَدِيمًا وَالتِّلَاوَةُ عِنْدَهُمْ مُحْدَثَةً، وَكَذَلِكَ يَحْصُلُ سَمَاعُ الْقَدِيمِ عِنْدَ وُجُودِ التِّلَاوَةِ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ لَا يَتَمَيَّزُ.

قَالَ: وَقَدْ رُوِيَ عَنْ أَحْمَدَ مَا يَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ هَذَا؛ فَقَالَ فِي رِوَايَةِ الْجَمَاعَةِ، مِنْهُمْ عَبْدُاللهِ وَيُوسُفُ بْنُ مُوسَى: «أَكْرَهُ قِرَاءَةَ الْأَلْحَانِ، وَلَا يُعْجِبُنِي قِرَاءَةُ الْأَلْحَانِ».

وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَمْ يَكْرَهْ نَفْسَ الْقِرَاءَةِ وَإِنَّمَا كَرِهَ مَا يَحْصُلُ مِنَ الْقَارِئِ مِنَ الْأَصْوَاتِ الَّتِي هِيَ الْأَلْحَانُ، وَكَذَلِكَ كَرِهَ قِرَاءَةَ حَمْزَةَ[1]،

---

(١) هو حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل، الإمام، القدوة شَيْخُ القِرَاءةِ، أَبُو عُمَارَةَ التَّيْمِيُّ مَوْلَاهُم، الكُوفِيُّ، الزَّيَّاتُ، كَرِهَ طَائِفَةٌ مِنَ العُلَمَاءِ قِرَاءةَ حَمْزَةَ لِمَا فِيهَا مِنَ السَّكْتِ، وَفَرطِ المَدِّ، وَاتِّبَاعِ الرَّسمِ، وَأَشْيَاءَ ثُمَّ اسْتَقَرَّ اليَوْمَ الاتِّفَاقُ عَلَى قَبُولِهَا.
انظر: سير أعلام النبلاء (٧/ ٩٠).

وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَمْ يَكْرَهِ الْقُرْآنَ، وَإِنَّمَا كَرِهَ مَا يَحْصُلُ مِنْهُ مِنَ الْإِمَالَاتِ وَغَيْرِهَا.

وَقَالَ فِي رِوَايَةِ أَبِي الْحَارِثِ: أَكْرَهُ مِنْهَا الْإِدْغَامَ وَالْإِرْجَاعَ، مِثْلَ، خَابَ وَطَابَ وَحَاقَ.

ثُمَّ قَالَ شَيْخُنَا ﷺ وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا تَأْبَى هَذِهِ الطَّرِيقَةَ وَتَقُولُ: جَمِيعُ الْأَصْوَاتِ مَعَ اخْتِلَافِهَا قَدِيمَةٌ، وَتُجِيبُ عَنِ السُّؤَالِ بِأَنَّهُ لَا تَمْتَنِعُ أَوْ تَخْتَلِفُ الْأَصْوَاتُ وَاللُّغَاتُ وَيَكُونُ قَدِيمًا؛ كَمَا أَنَّ الْمَعْنَى الْقَائِمَ بِذَاتِ الْقَدِيمِ هُوَ أَمْرٌ وَنَهْيٌ وَخَبَرٌ وَمَعَانِي ذَلِكَ مُخْتَلِفَةٌ، وَلَمْ يَمْنَعْ ذَلِكَ مِنْ كَوْنِهِ قَدِيمًا.

الشَّرح

نقل المؤلفُ رحمه الله عن شيخه الإمام أبي يَعْلى في كتابه (إبْطَال التأويلات)، وهو القاضي، وهو من عُلماء الحنابلة، وله كلام جَيد في مُوافَقَة أهلِ السُّنَّة، وله كلامٌ يُوافِق الأشاعرةَ، وهذا الذي أقرَّه ابنُ البَنَّا يُوافق مذهب الأشاعرة قال: «وَلِشَيْخِنَا الْإِمَام أَبِي يَعْلَى ﷺ جَوَابٌ آخَرُ» يعني: في قوله: ﴿وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ [الروم: ٢٢] وهل الأصواتُ تضاف إلى العبد وهل هي فِعْلُه؟

فابنُ البنا قَرَّر غيرَ هذا، إذ قرر أن المرادَ باختلاف ألسنَتِكم أي: لغاتكم، فهي مختلفة، قال: «وَلِشَيْخِنَا الْإِمَام أَبِي يَعْلَى ﷺ جَوَابٌ آخَرُ قَالَ: لَوْ حَمَلْنَاهُ عَلَى الْأَصْوَاتِ لَمْ يَضُرَّ؛ لِأَنَّنا نَحْمِلُ الِاخْتِلَافَ عَلَى الْمَعْنَى الَّذِي يُوجَدُ مِنَّا مَعَ الْقِرَاءَةِ، وَهُوَ الْمَعْنَى الَّذِي يَقَعُ بِهِ التَّمْيِيزُ بَيْنَ قِرَاءَةِ الْقُرَّاءِ بَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مِنْ صَفَاءِ الْحَنْجَرَةِ وَدِقَّةِ الصَّوْتِ وَغِلَظِهِ، وَهَذَا مَعْنًى زَائِدٌ عَنِ الْمَفْهُومِ مِنَ الْحُرُوفِ

وَالْأَصْوَاتِ، وَلَيْسَ يَمْتَنِعُ وُجُودُ ذَلِكَ عِنْدَ قِرَاءَتِنَا، وَإِنْ كَانَ لَا يَقُومُ بِنَفْسِهِ كَالْكَسْبِ، يُوجَدُ عِنْدَ خَلْقِ الله - تَعَالَى - لِأَفْعَالِنَا، وَإِنْ كَانَ الْكَسْبُ لَا يَقُومُ بِنَفْسِهِ».

هنا قرَّر المؤلفُ مَذهبَ الأشاعرة، فهذا كَسْبُ الأشاعرة الذي لا يُعقَل. ومن هنا يَقول العُلماءُ: المحالاتِ الثلاثِ: طفرة النّظام[1]، وأحوال أبي هاشم، وكَسْبُ الأشعري.

والأشاعرة جَبْرية فهم يَقولون: العبد لا فِعل له، والأفعالُ هي أفعالُ الله، ومع ذلك يكون للعبد كَسْبٌ، فكيف يقولون: لا فِعلَ له، وفي نَفس الوقت له كَسْب؟

قالوا: كَسْبٌ يُوجَد بين قُدْرَتَين، والكسبُ يُوجَد عِند خَلْق الله - تعالى - الفِعلَ، وإن كان الكَسبُ لا يقوم بنفسه.

وهذا من أغلاطِ القاضي أبي يعلى، وتَبِعه ابنُ البنا ﷺ، فظَنَّ أن هذا هو الحق.

يقول: «لَوْ حَمَلْنَاهُ عَلَى الْأَصْوَاتِ لَمْ يَضُرَّ؛ لِأَنَّنَا نَحْمِلُ الِاخْتِلَافَ عَلَى الْمَعْنَى»؛ وذلك لأن الأشاعرةَ تقول: الكلامُ معنى قائم بالنفس، والمعاني هي التي تختلف، والمعاني أنواع: أَمْرٌ، ونَهْي، وخَبَر واستفهامٌ.

○ قوله: «وَلَا يَمْتَنِعُ أَيْضًا وُجُودُ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ لَا يَتَمَيَّزُ مِنَ الْقَدِيمِ»، القديمُ كلامُ الله. «كَمَا أَنَّ الْمَتْلُوَّ لَا يَتَمَيَّزُ مِنَ التِّلَاوَةِ»، فالمتلوُّ كلامُ الله والتِّلاوةُ فِعلُ العَبْد. فهو يقول: لا يَتميزُ المتلوُّ مِن التِّلاوَة وإن كان المتلوُّ كلام الله، والتلاوةُ عِندَهم محدثةٌ، وكذلك

(١) طَفرةُ النَّظَّام: كأن يقال إن النَّمْلة انتقلت من مَكانٍ إلى مكان من غير أن تتحرك.

يَحصلُ سَمَاعُ القَديم عِندَ وُجود التِّلاوة؛ أي: سماع كلامُ الله عند وجود التلاوة من القارئ، وإن كان لا يتميز ذلك.

وهذا قولُ الأشاعرة، ثم ذَكَر المؤلفُ أن الإمام أحمد قال: «**أَكْرَهُ قِرَاءَةَ الْأَلْحَانِ، وَلَا يُعْجِبُنِي قِرَاءَةُ الْأَلْحَانِ**».

قال ابنُ قُدامَة في المُغني بعد أن ذَكَر كَرَاهَة الإمام أحمد القِراءَةَ بالألحان وأنها بِدعَة، قال: «وكلامُ أحمد في هذا مَحمُولٌ على الإفراطِ في ذَلِك بحَيْث يَجعلُ الحركات حُرُوفًا ويَمُدُّ في غَيْر مَوْضِعه»[1]. وذلك مثل: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧] يَمُدُّ الميمَ حتى تَصيرَ واوًا فهذا يكرهُه الإمامُ أحمد، وأمَّا تحسينُ القراءةِ والترجيعِ فغَير مَكروهٍ.

○ قوله: «**وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَمْ يَكْرَهْ نَفْسَ الْقِرَاءَةِ وَإِنَّمَا كَرِهَ مَا يَحْصُلُ مِنَ الْقَارِئِ مِنَ الْأَصْوَاتِ الَّتِي هِيَ الْأَلْحَانُ، وَكَذَلِكَ كَرِهَ قِرَاءَةَ حَمْزَةَ. وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَمْ يَكْرَهِ الْقُرْآنَ، وَإِنَّمَا كَرِهَ مَا يَحْصُلُ مِنْهُ مِنَ الْإِمَالَاتِ وَغَيْرِهَا**» حمزة معروف بين القُرَّاء، وكان الإمام أحمد يكره قراءة حمزة والإدغامَ الكبير لأبي عمر، ومعلوم أنه لا يَكرهُ القرآنَ، وإنما كَرِه ما يَحصلُ من الإمالاتِ.

○ قوله: «**وَقَالَ فِي رِوَايَةِ أَبِي الْحَارِثِ: أَكْرَهُ مِنْهَا الْإِدْغَامَ وَالْإِرْجَاعَ، مِثْلَ، خَابَ وَطَابَ وَحَاقَ، ثُمَّ قَالَ شَيْخُنَا ﷺ وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا تَأْبَى هَذِهِ الطَّرِيقَةَ وَتَقُولُ: جَمِيعُ الْأَصْوَاتِ مَعَ اخْتِلَافِهَا قَدِيمَةٌ**» هذا أيضًا من مذهب الأشاعرة، يقولون: الأصوات بعضُها قديمة.

---

(١) انظر: المغني لابن قدامة (٢/ ١٢٨).

فحينما تقرأ كلام الله فصوتك هذا قديم، لم يُميِّزوا بين كلام الله المتلوِّ، وبين صَوتِ العبد، فيقولون: الأصواتُ قديمةٌ ـ أي: جميع الأصوات مع اختلافها قديمة ـ.

○ قوله: «**وَتُجِيبُ عَنِ السُّؤَالِ بِأَنَّهُ لَا تَمْتَنِعُ أَوْ تَخْتَلِفُ الْأَصْوَاتُ وَاللُّغَاتُ وَيَكُونُ قَدِيمًا؛ كَمَا أَنَّ الْمَعْنَى الْقَائِمَ بِذَاتِ الْقَدِيمِ هُوَ أَمْرٌ وَنَهْيٌ وَخَبَرٌ وَمَعَانِي ذَلِكَ مُخْتَلِفَةٌ، وَلَمْ يَمْنَعْ ذَلِكَ مِنْ كَوْنِهِ قَدِيمًا**».

وهذا تقريرٌ لمذهب الأشاعرة، فالأشاعرة يقولون: ما هو حرفٌ ولا صوتٌ، ولكنَّه معنًى قديمٌ بنَفْس الربِّ، وهو أنواع: أمرٌ ونَهيٌ وخَبرٌ واستفهامٌ، والمعاني مختلفةٌ ولم يمنع ذلك من كونه قديمًا.

والصوابُ: أن المتلوَّ هو كلام الله، والتلاوةَ هي فِعلُ العَبد وصوتُه، فالمتلو هو كلام الباري، والتلاوة فعل العبد.



بَابُ:
قَوْلِ اللهِ ـ تَعَالَى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾

٨٣ ـ ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ: بَابُ قَوْلِ اللهِ ـ تَعَالَى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المَائدة: ٦٧] الآيَةَ. قَالَ الزُّهْرِيُّ: مِنَ اللهِ الرِّسَالَةُ، وَعَلَى رَسُولِهِ الْبَلَاغُ، وَعَلَيْنَا التَّسْلِيمُ.

وَقَالَ: ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ [الجن: ٢٨] ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى﴾ [الأعراف: ٩٣]

وَقَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ حِينَ تَخَلَّفَ عَنِ النَّبِيِّ ﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ٩٤].

وَقَالَتْ عَائِشَةُ: «إِذَا أَعْجَبَكَ حُسْنُ عَمَلِ امْرِئٍ فَقُلْ: ﴿ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥] وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ أَحَدٌ».

قَالَ مَعْمَرٌ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [البقرة: ٢] هَذَا الْقُرْآنُ ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة: ٢] بَيَانٌ وَدَلَالَةٌ، كَقَوْلِهِ: ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ﴾ [المُمتحنة: ١٠] هَذَا حُكْمُ اللهِ، ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢]: لَا شَكَّ فِيهِ.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ﴾ [البقرة: ٢٥٢] يَعْنِي: هَذِهِ أَعْلَامُ الْقُرْآنِ، وَمِثْلُهُ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ [يونس: ٢٢] يَعْنِي: بِكُمْ[1].

وَرَوَى عَنْ جُبَيْرِ بْنِ حَيَّةَ قَالَ الْمُغِيرَةُ: «أَخْبَرَنَا نَبِيُّنَا ﷺ عَنْ رِسَالَةِ رَبِّنَا أَنَّهُ مَنْ قُتِلَ مِنَّا صَارَ إِلَى الْجَنَّةِ»[2].

---

(١) أخرجه البخاري معلقاً (٩/ ١٥٤).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾، رقم (٧٥٣٠).

وَرَوَى عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ النَّبِيَّ كَتَمَ شَيْئًا مِنَ الْوَحْيِ فَلَا تُصَدِّقْهُ، إِنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧] الْآيَةَ»[1].

الشَّرْحُ

يُبيِّن البخاريُّ في هذه الترجمة الفرقَ بين كلامِ الله ـ وأنَّه كلامُ الله المتلوُّ ـ، والفرقَ بَين أفعالِ العبادِ وكَلامِهم، قال: «ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ: بَابُ قَوْلِهِ ـ تَعَالَى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]» الشَّاهدُ قوله: «﴿بَلِّغْ﴾» والتبليغُ هو تبليغُه بِفِعل نَفْسِه وبقوله، فهو يُبلِّغ كلامَ الله، فكلامُ الله هو المقروء يقرأُه الرسولُ ﷺ ويُبلِّغه بكلام نَفْسِه.

فالمُبلِّغُ غيرُ المُبلَّغ، فالمُبلَّغ كلامُ الله والمُبلِّغ هو الرسولُ ﷺ بَلَّغه بِفِعْل نَفْسه؛ فدَلَّ عَلَى أن الأَفْعالَ تُضافُ إلى العِباد، فالْعِبادُ حِينما يَقرءُون القُرآنَ، فهذه أصواتُهم، وهذه قَراءتُهم، وهذه أفعالُهم وأكسابُهم، والمقصودُ كلامُ الله.

ولذا قال الزُّهري: «مِنَ اللهِ الرِّسَالَةِ، وَعَلَى رَسُولِهِ الْبَلَاغُ، وَعَلَيْنَا التَّسْلِيمُ» الشاهدُ: «وَعَلَى الرَّسُولِ الْبَلَاغُ» بأَيِّ شَيءٍ يُبلِّغ الرسولُ؟

• الجواب: يُبلِّغ بصَوتِ نَفْسِه بكلام نَفْسِه، يُبلِّغ بكلام الله.

○ قوله: «﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ [الجن: ٢٨]» الرُّسلُ أبلغوا رسالاتِ ربِّهم بكلام أنفسهم وقال: «﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾، رقم (٧٥٣١).

رَبِّي﴾ [الأعراف: ٩٣]».

○ قوله: «وقال: كَعبُ بْنُ مالكٍ حِينَ تَخلَّف عَن النبيِّ ﷺ ﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ [التوبة: ٩٤]» الشاهدُ: أنه أضاف العملَ إليهم، ومِن العملِ القِراءةُ والتعبُّدُ.

○ قوله: «﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [البقرة: ٢] هَذَا الْقُرْآنُ ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة: ٢]» حينما يقرؤونه ويعملون به، ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ﴾ [الممتحنة: ١٠] ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢] ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٢] ﴿لِيَعْلَمُوٓاْ﴾ [الكهف: ٢١] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ [يونس: ٢٢] يعني بكم ﴿وَإِن كُنتُمْ﴾ [البقرة: ٢٣] ففي كلٍّ هذا أضاف الأفعال إليهم.

○ قوله: «ورُوِيَ عَن عَائشةَ قالت: مَن حدَّثك أن النبيَّ ﷺ كَتَمَ مِنَ الوَحْيِ شيئًا فَلَا تُصَدِّقْهُ إنَّ الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾» الشاهدُ: «﴿بَلِّغْ﴾»، والبَلاغُ فِعلُ النَّبيِّ ﷺ.



بَابُ:
قَوْلِ اللهِ ـ تَعَالَى ـ: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَىٰةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾

٨٤ ـ وَقَالَ: بَابُ: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَىٰةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [آل عِمرَان: ٩٣] وَقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «أُعْطِيَ أَهْلُ التَّوْرَاةِ التَّوْرَاةَ فَعَمِلُوا بِهَا، وَأُعْطِيَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ الْإِنْجِيلَ فَعَمِلُوا بِهَا، وَأُعْطِيتُمُ الْقُرْآنَ فَعَمِلْتُمْ بِهِ».

وَقَالَ أَبُو رَزِينٍ: ﴿يَتْلُونَهُ﴾ [البَقَرَة: ١٢١]: يَتَّبِعُونَهُ وَيَعْمَلُونَ بِهِ حَقَّ عَمَلِهِ. يُقَالَ: يُتْلَى: يُقْرَأُ، حُسْنُ التِّلَاوَةِ: حُسْنُ الْقِرَاءَةِ لِلْقُرْآنِ، ﴿لَّا يَمَسُّهُ﴾ [الواقِعَة: ٧٩] لَا يَجِدُ طَعْمَهُ وَنَفْعَهُ إِلَّا مَنْ آمَنَ بِالْقُرْآنِ، وَلَا يَحْمِلُهُ بِحَقِّهِ إِلَّا الْمُؤْمِنُ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجُمُعَة: ٥] الْآيَةَ.

وَسَمَّى النَّبِيُّ ﷺ الْإِسْلَامَ وَالْإِيمَانَ عَمَلًا، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِبِلَالٍ: «أَخْبِرْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الْإِسْلَامِ»، قَالَ: «مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَى عِنْدِي أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ إِلَّا صَلَّيْتُ».

وَسُئِلَ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «إِيمَانٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ الْجِهَادُ ثُمَّ حَجٌّ مَبْرُورٌ»[1].

وَرَوَى حَدِيثَ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيمَنْ سَلَفَ مِنَ الْأُمَمِ كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ،

---

(١) أخرجه البخاري معلقاً (٩/ ١٥٥).

أُوتِيَ أَهْلُ الْكِتَابِ التَّوْرَاةَ فَعَمِلُوا بِهَا...» إِلَى آخِرِهِ[(١)].

الشَّرْح

يريدُ المؤلفُ رحمه الله في هذا الباب أيضًا أن يُبيِّن أن أفعالَ العِباد مضافةٌ إليهم، قِراءتُهم وتِلاوتُهم وأعمالُهم وصلاتُهم وصيامُهم مضافة إليهم؛ فأفعالهم فعلوها مختارين وكَسَبوها مختارين؛ فيُثابون عليها ويعاقَبون عليها ومن ذلك: قراءة القرآن والعمل به.

○ قال البخاري: «بَابُ: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [آل عمران: ٩٣]» الشاهدُ: قولُه: «﴿فَاتْلُوهَا﴾» التِّلاوةُ مضافةٌ إليهم.

○ قوله: «**وقول النبيِّ ﷺ: «أُعْطِيَ أَهْلُ التَّوْرَاةِ التَّوْرَاةَ فَعَمِلُوا بِهَا، وَأُعْطِيَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ الْإِنْجِيلَ فَعَمِلُوا بِهَا، وَأُعْطِيتُمُ الْقُرْآنَ فَعَمِلْتُمْ بِهِ**» والشاهدُ: أنه أضافَ العَملَ إليهم.

○ قوله: «**وَقَالَ أَبُو رَزِينٍ**: ﴿يَتْلُونَهُ﴾: يَتَّبِعُونَهُ وَيَعْمَلُونَ بِهِ حَقَّ عَمَلِهِ»، والشاهد: أنه أضافَ العَمَل إليهم «**يتلونَه، يَتَّبعونَه، ويَعملون به**»؛ فهذه أعمالهم مضافةٌ إليهم، يُثابُون عليها ويعاقبون عليها.

وقد استوحش ابن البنا رحمه الله كما تقدم من إضافة العمل إلى العبد، فهو يَميل إلى مذهب الأشاعرة.

○ ثم قال البخاري: «**يُقَالُ: يُتْلَى يُقْرَأُ، حُسْنُ التِّلَاوَةِ: حُسْنُ الْقِرَاءَةِ لِلْقُرْآنِ**، ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ﴾ لَا يَجِدُ طَعْمَهُ وَنَفْعَهُ إِلَّا مَنْ آمَنَ بِالْقُرْآنِ، وَلَا يَحْمِلُهُ بِحَقِّهِ إِلَّا الْمُؤْمِنُ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا﴾، رقم (٧٥٣٣).

ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ﴾ [الجمعة: ٥] الآيَةَ».
فعمل هؤلاء أنه لم يحملوها.

○ قوله: «**وَسَمَّى النَّبِيُّ ﷺ الْإِسْلَامَ وَالْإِيمَانَ عَمَلًا، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِبِلَالٍ: «أَخْبِرْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الْإِسْلَامِ»** أضاف العمل إلى بلال، قَالَ: «**مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَى عِنْدِي أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ إِلَّا صَلَّيْتُ**»، فقوله: «**عِنْدِي**» فيه: أنه أضاف العمل إلى نفسه.

○ قوله: «**سُئِلَ أيُّ العمل أفضل؟ فقال: «الإيمانُ بالله إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيمَنْ سَلَفَ مِنَ الْأُمَمِ كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، أُوتِيَ أَهْلُ الْكِتَابِ التَّوْرَاةَ فَعَمِلُوا بِهَا...**» الشاهد: أنه أضافَ العملَ إليهم.

فكلُّ هذه الأدلة يُبين فيها أن العبادَ لهم أفعالٌ، كقراءتهم وتلاوتهم وصلاتهم وصيامهم، فكلُّ هذه أفعالهم، يعاقبون عليها، ويثابون عليها، خلافًا للجبرية ـ كالأشاعرة وغيرهم ـ الذين يقولون: الأفعالُ أفعالُ الله، والعبد لا فعل له. وهذا باطل.

والجَهمِية والأشاعرة كلُّهم جبرية، لكنَّ الجبريةَ الجهميةَ أشدُّ فجَبْريتهم خالصة بَحتة، أما الأشاعرةُ فهم يُثبتون كَسْبًا، فصاروا أخف، والكسبُ غيرُ معقولٍ ـ كما تقدم ـ.



بَابٌ وَسَمَّى النَّبِيُّ ﷺ الصَّلَاةَ عَمَلًا

٨٥ ـ وَقَالَ: بَابٌ وَسَمَّى النَّبِيُّ ﷺ الصَّلَاةَ عَمَلًا، وَقَالَ: «لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ».

وَرَوَى حَدِيثَ ابْنِ مَسْعُودٍ: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ لِوَقْتِهَا وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله»[1].

الشَّرْح

○ قوله: «بَابٌ وَسَمَّى النَّبِيُّ ﷺ الصَّلَاةَ عَمَلًا»، هذه الترجمة من البخاري، والمراد بها: أن الصلاة من العمل المضافٌ إلى العبد.

○ قوله: «لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ» قراءتُه عَمَلُه.

○ قوله: «أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ لِوَقْتِهَا وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله» ففي كلِّ ذلك أضاف الأفعالَ إليه، فدَلَّ على أنَّ للعبدِ فعلًا، خِلافًا للجَبْرية من الأشاعرة والجهمية الذين يقولون: العبدُ لا فعل له.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ وَسَمَّى النَّبِيُّ ﷺ الصَّلَاةَ عَمَلًا، وَقَالَ: «لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ»، رقم (٧٥٣٤).

بَابُ:
﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩﴾ الْآيَةَ

٨٦ ـ وَقَالَ: بَابُ ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩﴾ [المعارج: ١٩] الْآيَةَ.

وَرَوَى عَنْ عَمْرِو بْنِ تَغْلِبَ، قَالَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ مَالٌ فَأَعْطَى قَوْمًا وَمَنَعَ آخَرِينَ، فَبَلَغَنِي أَنَّهُمْ عَتَبُوا، فَقَالَ: «إِنِّي أُعْطِي الرَّجُلَ وَأَدَعُ الرَّجُلَ، وَالَّذِي أَدَعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي، أُعْطِي أَقْوَامًا لِمَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْجَزَعِ وَالْهَلَعِ، وَأَكِلُ أَقْوَامًا إِلَى مَا جَعَلَ اللهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْغِنَى وَالْخَيْرِ مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ»، فَقَالَ عَمْرٌو: مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِكَلِمَةِ رَسُولِ اللهِ حُمُرَ النَّعَمِ»[1].

الشَّرْحُ

○ قول البخاري: «بَابُ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١﴾ [المعارج: ١٩-٢١]» فـ«هَلُوعًا» و«جَزُوعًا» و«مَنُوعًا» كلُّها أفعاله.

○ قوله في حديثُ عَمْرِو بْنِ تَغْلِب «أَتَى النَّبِيَّ ﷺ مَالٌ فَأَعْطَى قَوْمًا وَمَنَعَ آخَرِينَ» هذا فِعلُ النبيِّ ﷺ أنه أَعطى ومَنَع «فَبَلَغَنِي أَنَّهُمْ عَتَبُوا» هذا فِعلُهم، فَقَالَ «إِنِّي أُعْطِي الرَّجُلَ وَأَدَعُ الرَّجُلَ، وَالَّذِي أَدَعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي، أُعْطِي أَقْوَامًا لِمَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْجَزَعِ

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١﴾، رقم (٧٥٣٥).

وَالْهَلَعِ، وَأَكِلُ أَقْوَامًا إِلَى مَا جَعَلَ اللهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْغِنَى وَالْخَيْرِ مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ» هذه أفعال النبي ﷺ.

○ قوله: «فَقَالَ عَمْرٌو: مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِكَلِمَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حُمْرَ النَّعَمِ» أي بَدَلًا من كَلمةِ الرسولِ ﷺ حُمَر النَّعَم، يعني الإبل الحُمْر، وهي من أَنْفس أموالِ العَرَب، والمعنى: ما أُحبُّ أن لي بَدَلها الدُّنْيا كلها، لكن هذا مثال.



بَابُ ذِكْرِ النَّبِيِّ ﷺ وَرِوَايَتِهِ عَنْ رَبِّهِ

٨٧ ـ وَقَالَ: بَابُ ذِكْرِ النَّبِيِّ ﷺ وَرِوَايَتِهِ عَنْ رَبِّهِ.

رَوَى عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ قَالَ: «إِذَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِذَا أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»[1].

الشَّرْحُ

هذا البابُ في ذكر النبيِّ ﷺ وروَايتِه عن ربِّه ـ أي: حينما يروي عن ربِّه ـ، وهو يُسمَّى: الحديث القُدْسِي، والحديثُ عن ربِّه يكون من كلام الله لفظًا ومَعنًى، مثل القرآن إلا أن له أحكامًا مختلفةً:

١- فالحديثُ القُدسِي لا يُتعبَد بتِلاوَته، أما القرآنُ فيُتعبَّد بتِلاوته.

٢- الحَديثُ القُدْسِي ليس بمُعجزٍ في لفظه، والقرآنُ مُعجزٌ.

ولكنَّه مِثلُ القرآنِ لفظًا ومعنًى؛ لأن النبيَّ ﷺ أضافَه إلى الله، قال: **«إِذَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِذَا أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»** وهذه الأفعالُ والصفات تَليقُ بالله، فمِن ثَمراتِ هذه الصفاتِ: أن الله أسرعُ بالخَيْر من العَبد، وأن الله لا يَقطع الثَّوابَ من العَبْد حتى يقطع العَبدُ

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ ذِكْرِ النَّبِيِّ ﷺ وَرِوَايَتِهِ عَنْ رَبِّهِ، رقم (٧٥٣٦).

العَملَ.

وقد فَسَّر النووي والجماعة هذا بأن قالوا: معنى الصفة في: «إِذَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي» أن اللهُ أسرعُ بالخَير من العَبْد.

وهذا خطا، إنما هذه من ثَمراتِ الصِّفاتِ.

والشَّاهدُ قولُه: «تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي» أضافَ الفِعل إلى العبد، وكذا «تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا»، «أَتَانِي يَمْشِي»؛ فهذه أفعالُ العبد مضافةٌ إليه.



بَابُ:
مَا يَجُوزُ مِنْ تَفْسِيرِ التَّوْرَاةِ وَكُتُبِ الله بِالْعَرَبِيَّةِ وَغَيْرِهَا(١)

٨٨ ـ وَقَالَ: بَابُ مَا يَجُوزُ مِنْ تَفْسِيرِ التَّوْرَاةِ وَكُتُبِ الله بِالْعَرَبِيَّةِ وَغَيْرِهَا؛ لِقَوْلِ الله ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [آل عمران: ٩٣].

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَخْبَرَنِي أَبُو سُفْيَانَ أَنَّ هِرَقْلَ دَعَا تَرْجُمَانَهُ ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ النَّبِيِّ فَقَرَأَهُ: «بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٤](٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَقْرَءُونَ التَّوْرَاةَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ وَيُفَسِّرُونَهَا بِالْعَرَبِيَّةِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ الله «لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ، ﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦] الْآيَةَ(٣).

الشَّرْحُ

هذه الترجمة أيضا للبُخاري قال: «بَابُ مَا يَجُوزُ مِنْ تَفْسِيرِ

---

(١) كذا التَّرجَمة في النُّسختين، وأما في صحيح البخاري: بَابُ مَا يَجُوزُ مِنْ تَفْسِيرِ التَّوْرَاةِ وَغَيْرِهَا مِنْ كُتُبِ اللهِ، بِالعَرَبِيَّةِ وَغَيْرِهَا.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ مَا يَجُوزُ مِنْ تَفْسِيرِ التَّوْرَاةِ وَغَيْرِهَا مِنْ كُتُبِ اللهِ، بِالعَرَبِيَّةِ وَغَيْرِهَا، رقم (٧٥٤١).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ مَا يَجُوزُ مِنْ تَفْسِيرِ التَّوْرَاةِ وَغَيْرِهَا مِنْ كُتُبِ اللهِ، بِالعَرَبِيَّةِ وَغَيْرِهَا، رقم (٧٥٤٢).

التَّوْرَاةِ وَكُتُبِ الله بِالْعَرَبِيَّةِ وَغَيْرِهَا» هذه الأفعال من التلاوة والتفسير والكتابة يفعلها الناس فهي مُضافَة إليهم.

وحديثُ ابنِ عباس في قِصَّة هِرَقل أنه دَعَا بكِتَابِ رسول الله وأضاف الكتابَ إلى النبي ﷺ، فقرأ: «**بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِاللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ**» فكلُّ هذهِ الأولى من كلام الرَّسولِ ﷺ وهي من أفعاله.

○ ثم ذَكَر حديثَ أبي هريرة: «**كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَقْرَءُونَ التَّوْرَاةَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ وَيُفَسِّرُونَهَا بِالْعَرَبِيَّةِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ**» هذا عملهم، «**فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ»**».

والشَّاهدُ: أنَّه أضافَ الأفعالَ إليهُم، فدلَّ على أن للعِباد أفعالًا، وليسوا مجبورين كما تقول الجبرية من الأشاعرة والجهمية.





بَابُ
قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ»

٨٩ ـ وَقَالَ: بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ»، «وَزَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ».

وَرَوَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَا أَذِنَ اللهُ بِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ»[١].

وَرَوَى حَدِيثَ عَبْدِاللهِ بْنِ مُغَفَّلٍ الْمُزَنِيِّ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْمَ الْفَتْحِ عَلَى نَاقَةٍ لَهُ، يَقْرَأُ سُورَةَ الْفَتْحِ أَوْ مِنْ سُورَةِ الْفَتْحِ قَالَ: فَرَجَّعَ فِيهَا قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ مُعَاوِيَةُ بْنُ قُرَّةَ يَحْكِي قِرَاءَةَ ابْنِ الْمُغَفَّلِ، وَقَالَ: لَوْلَا أَنْ يَجْتَمِعَ النَّاسُ عَلَيْكُمْ لَرَجَّعْتُ كَمَا رَجَّعَ ابْنُ مُغَفَّلٍ يَحْكِي النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ لِمُعَاوِيَةَ: كَيْفَ كَانَ تَرْجِيعُهُ؟ قَالَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ آآآ»[٢].

الشَّرْحُ

هذا الباب كالأبواب السابقة في إضافة أفعالِ العبادِ إليهم، وأورد فيه:

١- قول النبي ﷺ: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ»، الماهرُ بالقُرآن: الذي يَقرأُه ويُحسِن قراءَته، فهذا عَملُه. وقد قال ﷺ:

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ»، رقم (٧٥٤٤).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ ذِكْرِ النَّبِيِّ ﷺ وَرِوَايَتِهِ عَنْ رَبِّهِ، رقم (٧٥٤٠).

«وَزَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ» فأضاف الأصوات إليهم وهو عَملُهم؛ فدلَّ على أن العبادَ لهم أفعالٌ.

٢- حديث أبي هريرة ﷺ: «مَا أَذِنَ اللهُ بِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ» هذه من الصفات التي تَليق بالله، «مَا أَذِنَ اللهُ بِشَيْءٍ» أي: مَا استمعَ لنَبيٍّ حَسَن الصوتِ بالقُرآن يَجهَر به، فدلَّ على أن للعبدِ فِعلًا.

٣- حديث عبدالله بن المُغفَّل ﷺ في تَرجيع النبيِّ ﷺ قال: «قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْمَ الْفَتْحِ عَلَى نَاقَةٍ لَهُ، يَقْرَأُ سُورَةَ الْفَتْحِ أَوْ مِنْ سُورَةِ الْفَتْحِ قَالَ: فَرَجَّعَ فِيهَا قال: ثُمَّ قَرَأَ مُعَاوِيَةُ بْنُ قُرَّةَ يَحْكِي قِرَاءَةَ ابْنِ الْمُغَفَّلِ، وَقَالَ: لَوْلَا أَنْ يَجْتَمِعَ النَّاسُ عَلَيْكُمْ لَرَجَّعْتُ كَمَا رَجَّعَ ابْنُ مُغَفَّلٍ يَحْكِي النَّبِيَّ ﷺ»، هذا في تَرجيع النبي، وترجيع ابن المُغفَّل، وترجيع مُعاوية، وهذه أفعالهم مضافة إليهم.

ومعنى الترجيع: تَرْدادُ الحَرف للتَّخشُّع، فيقول مثلا: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١٧﴾ [النساء: ١٧] ويمد الألف.





بَابُ:
قَوْلِهِ: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾

٩٠ ـ وَقَالَ: بَابُ قَوْلِهِ: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المُزمل: ٢٠] وَرَوَى حَدِيثَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ... الْخَبَرَ[١].

الشَّرْح

○ قوله ـ تعالى ـ: «﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المُزمل: ٢٠]» هذا عملٌ مضاف إلى العِباد

○ قوله: «رَوَى حَديثَ عمر بنِ الخَطَّاب أنه سَمِع هشامَ بنَ حكيم يقرأُ سُورة الفُرقانِ»، فقراءة سورة الفرقان عَملُه، فدلَّ على أن العِبادَ لهم أفعالٌ.

❀ ❀ ❀

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾، رقم (٧٥٥٠).

بَابُ:
قَوْلِ الله - تعَالَى -: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾

٩١ - وَقَالَ: بَابُ قَوْلِ الله -تَعَالَى-: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ [القَمَر: ١٧] **وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ» يقال: مُيَسَّرٌ: مُهَيَّأٌ**[١].

وَرَوَى حَدِيثَ عِمْرَانَ ﷺ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ الله: فَفِيمَ يَعْمَلُ الْعَامِلُونَ؟ قَالَ: «كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ»[٢].

وَحَدِيثَ عَلِيٍّ ﷺ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ فِي جَنَازَةٍ... الْخَبَرَ[٣].

الشَّرح

○ قوله تعالى «﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ [القمر: ١٧]» يعني: للقِراءة، وهي أفعال العباد وقال النبي ﷺ: «كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ» يعني: من العَمَل «مُيسَّرٌ» أي: مُهَيَّأٌ، فالعَملُ مضاف إلى العَبد ويعمل باختياره.

○ قوله في حديث عِمران ﷺ: «فَفِيمَ يَعْمَلُ الْعَامِلُونَ؟ قَالَ: «كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ» فأضاف العمل إليهم في قوله: «فَفِيمَ يَعْمَلُ

---

(١) أخرجه البخاري معلقاً (٩/ ١٥٩).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القَمَر: ١٧]، رقم (٧٥٥١).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القَمَر: ١٧]، رقم (٧٥٥٢).

الْعَامِلُونَ».

○ قوله في حَديثُ عَلِيٍّ في بَقِيع الغَرْقَد في الجَنَازة، جاء فيه أنه كان في جنازة فأخذ عودا فجعل ينكت في الأرض، فقال: «**ما منكم من أحد إلا كتب مقعده من النار أو من الجنة**»، قالوا: ألا نتكل؟ قال: «**اعملوا فكل ميسر**»، ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥﴾ [الليل: ٥] الآية.



بَابُ:
قَوْلِ اللهِ ﷻ ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝٢٢﴾

٩٢ ـ وَقَالَ: بَابُ قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝٢٢﴾ [البروج: ٢١-٢٢] ﴿وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢﴾ [الطور: ١-٢] قَالَ قَتَادَةُ: مَكْتُوبٌ، ﴿يَسْطُرُونَ ۝١﴾ [القلم: ١] يَخُطُّونَ ﴿فِيٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الزخرف: ٤] جُمْلَةُ الْكِتَابِ وَأَصْلُهُ، ﴿مَّا يَلْفِظُ﴾ [ق: ١٨] مَا يَتَكَلَّمُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا كُتِبَ عَلَيْهِ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَكْتُبُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ.

﴿يُحَرِّفُونَ﴾ [النساء: ٤٦] يُزِيلُونَ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُزِيلُ لَفْظَ كِتَابٍ مِنْ كُتُبِ اللهِ، وَلَكِنَّهُمْ يُحَرِّفُونَهُ يَتَأَوَّلُونَهُ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ ﴿دِرَاسَتِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٥٦]، تِلَاوَتُهُمْ ﴿وَٰعِيَةٌ ۝١٢﴾ [الحاقة: ١٢] حَافِظَةٌ، ﴿وَتَعِيَهَآ﴾ [الحاقة: ١٢] تَحْفَظُهَا ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٩] يَعْنِي: أَهْلَ مَكَّةَ، ﴿وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩] هَذَا الْقُرْآنُ فَهُوَ لَهُ نَذِيرٌ[1].

وَرَوَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَمَّا قَضَى اللهُ الْخَلْقَ كَتَبَ كِتَابًا عِنْدَهُ: غَلَبَتْ أَوْ قَالَ: سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ»[2].

الشَّرْحُ

يُبيِّن المؤلفُ رحمه الله الفرقَ بين كلام الله الذي هو صِفةٌ من صِفاتِه وبين فِعْل العبد وتِلاوتِه وقِراءته، فهو عَمله مضافٌ إليه.

---

(١) أخرجه البخاري معلقاً (٩/ ١٦٠).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝٢٢﴾، رقم (٧٥٥٣).

○ قوله: «بَابُ قَوْلِ الله ﷻ ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝٢٢﴾ [البُرُوج: ٢١-٢٢]، قال: ﴿وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢﴾ [الطُّور: ١-٢] يعني: مَكتوبٌ قال قَتَادَةُ: مَكْتُوبٌ، والكِتابةُ فِعل العَبد قال: ﴿يَسْطُرُونَ ۝١﴾ [القَلَم: ١] يَخطُّون» هذا فِعلُ العَبد، ﴿فِيٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الزّخرُف: ٤] ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ﴾ [ق: ١٨] «ما يَتَكَلَّمُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا كُتِبَ عَلَيْهِ»، هذا فِعل العبد.

○ قول ابْنُ عَبَّاس: «يَكْتُبُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ» فيُكتب على العبد فعله.

○ قوله تعالى: «﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النّساء: ٤٦] يُزِيلُون» فالتَّحرِيفُ هُو: الإِزالةُ، وهو عَملُهم، أما كِتاب الله فلا يستطيعُ أحدٌ أن يُحرِّفه. فهم بأعمالهم السيئةِ يُزيلُون ويَلبِسون الحقَّ بالباطل؛ «وَلَيْسَ أَحَدٌ يُزِيلُ لَفْظَ كِتَابٍ مِنْ كُتُبِ الله، وَلَكِنَّهُمْ يُحَرِّفُونَهُ يَتَأَوَّلُونَهُ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ»؛ فأضافَ الأفعالَ إليهم.

○ قوله تعالى: «﴿دِرَاسَتِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٥٦] تِلاوتهم»، هذا عملهم.

○ قوله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٩]» الإنذارُ: فِعلُ النبيِّ ﷺ يَعْنِي أَهْلَ مَكَّةَ .﴿وَمَنۢ بَلَغَ﴾ التبليغُ كذلك فِعلُ النبي ﷺ.

○ قوله في حديث أَبي هُريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «لَمَّا قَضَى اللهُ الْخَلْقَ كَتَبَ كِتَابًا عِنْدَهُ: غَلَبَتْ أَوْ قَالَ: سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ» هذا كتابُ الله، ولكنَّ العبادَ لهم العَملُ.

وفي هذا الحديث إثبات أربع صفات؛ ففيه: إثباتُ الكِتابَة، وإثباتُ الرَّحمة، وإثباتُ الغَضَب، وإثباتُ الفَوْقِية.



بَابُ:
قَوْلِ اللهِ ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾ ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾

٩٣ ـ وَقَالَ: بَابُ قَوْلِ اللهِ ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾ [الصافات: ٩٦] ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾ [القمر: ٤٩] **وَيُقَالُ لِلْمُصَوِّرِينَ: «أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ» [وَجَعَلَهُ غُفْلًا]**(١).

٩٤ ـ وَقَالَ بَعْدَهُ بَابُ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٥٤] **إِلَى قَوْلِهِ:** ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] **قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: بَيَّنَ اللهُ الْخَلْقَ مِنَ الْأَمْرِ بِقَوْلِهِ ذَلِكَ.**

وَسَمَّى النَّبِيُّ ﷺ الْإِيمَانَ عَمَلًا فَقَالَ لِوَفْدِ عَبْدِ الْقَيْسِ حِينَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ: مُرْنَا بِجُمَلٍ مِنَ الْأَمْرِ إِنْ عَمِلْنَاهَا دَخَلْنَا الْجَنَّةَ، فَأَمَرَهُمْ بِالْإِيمَانِ وَالشَّهَادَةِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، فَجَعَلَ ذَلِكَ كُلَّه عَمَلًا(٢).

ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ»(٣).

وَحَدِيثَ ابْنِ عُمَرَ أَيْضًا فِي ذَلِكَ.

---

(١) ما بين المعقوفتين زيادة ليست في صحيح البخاري.

(٢) أخرجه البخاري معلقاً (٩/ ١٦٠).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾، رقم (٧٥٥٧).

٩٥ ـ وَقَالَ: بَابُ قِرَاءَةُ الْفَاجِرِ وَالْمُنَافِقِ وَأَصْوَاتُهُمْ وَتِلَاوَتُهُمْ لَا تُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ.

وَرَوَى حَدِيثَ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالأُتْرُجَّةِ...» الْحَدِيثَ(١).

وَحَدِيثَ أَبِي سَعِيدٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «يَخْرُجُ أُنَاسٌ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ...» الْخَبَرَ(٢).

٩٦ ـ وَقَالَ بَابُ قَوْلِ الله: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧] وَأَنَّ أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ وَقَوْلَهُمْ يُوزَنُ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: الْقِسْطَاسُ: الْعَدْلُ بِالرُّومِيَّةِ، وَيُقَالَ: الْقِسْطُ مَصْدَرُ الْمُقْسِطِ، وَهُوَ الْعَادِلُ، وَأَمَّا الْقَاسِطُ فَهُوَ: الْجَائِرُ(٣).

وَرَوَى حَدِيثَ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ: «كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ الله الْعَظِيمِ»(٤).

هَذا آخِرُ الصَّحِيحِ.

الشَّرْحُ

○ قوله: «وَقَالَ: بَابُ قَوْلِ الله ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قِرَاءَةِ الفَاجِرِ وَالمُنَافِقِ، وَأَصْوَاتُهُمْ وَتِلَاوَتُهُمْ لَا تُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، رقم (٧٥٦٠).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قِرَاءَةِ الفَاجِرِ وَالمُنَافِقِ، وَأَصْوَاتُهُمْ وَتِلَاوَتُهُمْ لَا تُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، رقم (٧٥٦٢).

(٣) أخرجه البخاري معلقاً (٩/ ١٦٢).

(٤) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾، رقم (٧٥٦٣).

تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ [الصافات: ٩٦]» فالله خلَق العِبادَ وخلَق أعمالَهم؛ ففي الآيةِ: إثباتُ أن أفعالَ العِباد مَخلوقةٌ، وفيها إثباتُ إضافةِ الأعمال إلى العباد، وأنَّ لهم قُدرةً واختيارًا: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ يعني: خَلَقكم وخَلَق أعمالَكم. وقَال: ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: ٩٦] أي: أضافَ العملَ إليهم، فدلَّ على أنه اختيارهم.

○ قوله: «﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩]. **وَيُقَالُ لِلْمُصَوِّرِينَ: «أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ» وَجَعَلَهُ غُفْلًا»**، أي: أَحيُوا ما خَلَقتُم أي: ما صَوَّرتم، فأضافَ الفِعلَ إليهم؛ فدلَّ على أنَّ لهم فِعلًا، واختيارًا، يُعاقَبون عليه، ولذلك لو لم يكن لهم أفعال ما عُوقبوا عليها، فقوله: «**أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ**» تَعجيزٌ لهم.

○ قوله: «**وَقَالَ بَعْدَهُ بَابُ**: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٥٤] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: بَيَّنَ اللهُ الْخَلْقَ مِنَ الْأَمْرِ بِقَوْلِهِ ذَلِكَ» ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾» أي: فَصَل بين الخَلْق والأَمرِ، فالخلقُ شَيءٌ، والأمرُ شيءٌ، فالأمرُ كلام الله والخلقُ المخلوقات؛ فدَلَّ على أن كلامَ الله غيرُ مخلوقٍ.

○ قوله: «**وَسَمَّى النَّبِيُّ ﷺ الْإِيمَانَ عَمَلًا فَقَالَ لِوَفْدِ عَبْدِالْقَيْسِ حِينَ قَالُوا يَا رَسُولَ الله: مُرْنَا بِجُمَلٍ**[1] **مِنَ الْأَمْرِ إِنْ عَمِلْنَاهَا دَخَلْنَا الْجَنَّةَ، فَأَمَرَهُمْ بِالْإِيمَانِ وَالشَّهَادَةِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، فَجَعَلَ ذَلِكَ كُلَّه عَمَلًا**». أي: هذه أعمالهم تُضافُ إليهم.

○ قوله حَدِيثَ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ**». والشاهد:

---

(١) أي: عدة أوامر، يعني: أعطنا عددًا من الأوامر نعمل بها وندخل الجنة.

أنه أضاف التصويرَ إليهم في قول: «أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ» فهذا عَملُهم يُعاقَبون عليه. وحديث ابن عمر أيضًا في ذلك.

○ قوله: «وَقَالَ: بَابٌ قِرَاءَةُ الْفَاجِرِ وَالْمُنَافِقِ وَأَصْوَاتُهُمْ وَتِلَاوَتُهُمْ لَا تُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ»، أي: أنها غيرُ مقبولة. وأصواتهم وقراءتهم عَملٌ لهم فهم يقرءون كلام الله، ولكنَّ عملَهم لا يُرفَع ولا يُقبَل، وأصواتُهم وقراءتهم وتلاوتهم لا تُجاوز حناجرهم.

○ قوله: «وفي حديث أبي مُوسى: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالْأُتْرُجَّةِ...»» فعمل المؤمن أنه يقرأ القرآن، وقد مَثَّلَ له النبي ﷺ بالأُتْرُجَّة وله ثوابٌ على ذلك.

○ قوله: «وحديث أبي سعيد عن النبي ﷺ: «يَخْرُجُ أُنَاسٌ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ»» عَملُهم أنَّهم يقرءون القرآن، فأضاف القِراءةَ إليهم.

○ قوله: «وَقَالَ بَابُ قَوْلِ الله: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧] وَأَنَّ أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ وَقَوْلَهُمْ يُوزَنُ» فأضاف أعمالَهم وأقوالَهم إليهم، ومن ذلك: تلاوةُ القرآنِ والعملِ به توزن أيضًا.

○ قوله: «وَقَالَ مُجَاهِدٌ: الْقِسْطَاسُ: الْعَدْلُ بِالرُّومِيَّةِ، وَيُقَالُ: الْقِسْطُ مَصْدَرُ الْمُقْسِطِ، وَهُوَ الْعَادِلُ، وَأَمَّا الْقَاسِطُ فَهُوَ: الْجَائِرُ»، المُقسطُ العَادلُ ـ مِن أَقْسَط الرُّبَاعي ـ، وأما القَاسِطُ بمعنى: الجائر ـ من: قَسَطَ الثلاثي.

والفَرْق بينهما: أنك إذا جِئتَ بالهمزة (أقسط) فهو بمعنى عَدَل، وإذا حَذفتَ الهمزةَ (قَسَط) فهو بمعنى جَار وظلم.

ومن الأول: «**إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ**»[(١)]، أي: العادلون.

ومن الثاني: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۝١٥﴾ [الجن: ١٥] يَعنِي: الجائرون الظالمون.

○ قوله: «**وحديث أبي هريرة عن النَّبِيِّ ﷺ** قال: «**كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ**»» هذا آخر حديث في صحيح البخاري، وفيه: صِفةُ المَحَّبة لله، فمعنى «حَبِيبَتَانِ» أي: يُحبُّهما اللهُ، وتأتي المحبَّة لهما لما فيهما من تعظيم الله ﷻ وتنزيهه، ومعنى: «**خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ**» لأنهما لا يُكلِّفان الإنسانَ شيئًا، ومعنى: «**ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ**» أي: في الثواب والأجر.

والشاهد: «**ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ**» أي: أنَّ عَملَ العبدِ يُوزن؛ فَدلَّ على أن كلامَ الإنسانِ وأقواله تُوزَن.

وهذه التراجِم كلُّها تُقرِّر مَذهب أهل السُّنة والجماعة الذي دلَّت عليه نصوصُ الكِتاب والسُّنَّة من أن أفعال العباد وأقوالهم تُنسَب إليهم، وأنهم قد فَعلوها مختارين، وليسوا مجبورين، فعليها يثابون ويعاقبون، وهذه الأفعال ليست مخلوقةً كما يقول الجبرية، وليست مخلوقةً لهم؛ ـ أي: ليسوا خالقين لها ـ كما يقول القَدَرية، ومن هذه الأفعال قراءةُ القرآن وتلاوته والعمل به.



(١) أخرجه مسلم: كتاب الإمارة، رقم (١٨٢٧).

٩٧ ـ وَقَالَ: بَابُ مَا يُذْكَرُ فِي الذَّاتِ وَالنُّعُوتِ وَأَسَامِي الله ﷻ.

وَقَالَ خُبَيْبٌ: وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ، فذَكَرَ الذَّاتَ بِاسْمِهِ[١].

ورَوَى حَدِيثَ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ عَشَرةً مِنْهُمْ: خُبَيْبٌ الْأَنْصَارِيُّ، وَأَنْشَدَ حِينَ أَرَادُوا قَتْلَهُ:

وَلَسْتُ أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا ... عَلَى أَيِّ شِقٍّ كَانَ لِلَّهِ مَصْرَعِي

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ ... يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

فَقَتَلَهُ ابْنُ الْحَارِثِ، وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ خَبَرَهُمْ يَوْمَ أُصِيبُوا»[٢].

الشَّرح

هَذَا الْبَابُ الَّذِي ذَكَرَهُ الإمامُ البُخَارِيُّ في الذَّاتِ وَالنُّعُوتِ وأَسَامِي الله.

○ قوله: «وَقَالَ: بَابُ» يَعْنِي: وقَالَ الإمامُ البُخَارِيُّ في صَحِيحِهِ، في كِتَابِ التَّوْحِيدِ فقال: «بَابُ مَا يُذْكَرُ فِي الذَّاتِ وَالنُّعُوتِ وَأَسَامِي الله ﷻ».

فهَذَا البابُ عَقَدَهُ لِثَلَاثَةِ أُمُورٍ:

الأَمْرُ الأَوَّلُ: مَا يُذْكَرُ في ذَاتِهِ ﷻ.

الأَمْرُ الثَّانِي: نُعُوتُ الرَّبِّ، يعني: صِفَاتِهِ.

---

(١) أخرجه البخاري معلقا (٩/ ١٢٠).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ مَا يُذْكَرُ فِي الذَّاتِ وَالنُّعُوتِ وَأَسَامِي اللهِ، رقم (٧٤٠٢).

الأَمْرُ الثَّالِثُ: أَسَامِي الرَّبِّ، يعني: أسماءَ الرَّبِّ.

○ ثم ذَكَرَ البخاريُّ حَدِيثَ خُبَيْبٍ، «وَقَالَ خُبَيْبٌ: وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ». فذكرَ الذَّاتَ باسْمِهِ، فَأَخْبَرَ عن الله بأن لَهُ ذَاتًا، وهَذَا من بابِ الخبر.

فالأسماءُ الَّتِي سَمَّىَ الله بِهَا نفسه نَوْعَانِ:

النَّوْعُ الأَوَّلُ: ما كان من بَابِ الخَبَرِ؛ كأنْ يُخْبِرَ عَن الله بأَنَّهُ إله، وأَنَّهُ مَوْجُودٌ، وأَنَّهُ شَيْءٌ، وأنه شَخْصٌ، وأَنَّهُ الصَّانِعُ.

وبابُ الخَبَرِ أوسعُ من بابِ الاسمِ.

النَّوعُ الثَّانِي: الأسماءُ الَّتِي سَمَّى بِهَا نَفْسَهُ، كالسَّمِيعِ، والعَلِيمِ، والبَصِيرِ، والحَكِيمِ.

فالذاتُ جاءت في حَدِيثِ قِصَّةِ خُبَيْبٍ[1] لمَّا أَرَادَ المشركُونَ قَتْلَهُ، قال: «**دَعُونِي أُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ فَتَرَكُوهُ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ**»[2] ثم أَنْشَدَ هَذَيْنِ البيتَيْنِ، ولهذا ذَكَرَ المؤلفُ حَدِيثَهُ قال: «وَرَوَى حَدِيثَ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ عَشَرةً مِنْهُمْ: خُبَيْبٌ الْأَنْصَارِيُّ، وَأَنْشَدَ حِينَ أَرَادُوا قَتْلَهُ:

وَلَسْتُ أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا ... عَلَى أَيِّ شِقٍّ كَانَ لِلَّهِ مَصْرَعِي
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ ... يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ»

الشاهد قوله: «وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الإِلَهِ» فَأَثْبَتَ للهِ ذَاتًا، والحُجَّةُ لَيْسَتْ في قَوْلِ خُبَيْبٍ، ولكنَّ الحُجَّةَ في إِقْرَارِ النَّبِيِّ ﷺ لَهُ، فالنَّبِيُّ

---

(١) هو خبيب بن عدي بن مالك بن عامر الأنصاريّ الأوسيّ، شهد بدرا واستشهد في عهد النبيّ ﷺ. انظر: ترجمته في الإصابة (٢/ ٢٢٥).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب هل يستأسر الرجل ومن لم يستأسر، ومن ركع ركعتين عند القتل، رقم (٣٠٤٥).

ﷺ بَلَغَهُ ذَلِكَ ولم يُنْكِرْ عَلَيْه.

ومن الْأَدِلَّةِ على إِثْبَاتِ الذَّاتِ للهِ ﷻ، ولم يَذْكُرْهُ المُؤَلِّفُ أنه ﷺ لما ذَكَرَ قِصَّةَ إبْرَاهِيم عليه السلام وقال: «**لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ: ثِنْتَيْنِ مِنْهُنَّ فِي ذَاتِ اللهِ**»[1]. فأثبت الذَّاتَ لله في هَذَا الحَدِيثِ وهي ذاتٌ لا تُشْبِهُ الذَّوَاتِ، فيُخْبِرُ عن الله أَنَّهُ مَوْجُودٌ، وأَنَّهُ شيء، وأَنَّهُ شَخْصٌ، كما في الحديث: «**لا شَخْصَ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ**»[2]. ولا يقال أن مِنْ أَسمَائِهِ سبحانه الذَّاتُ، ولا أن من أَسْمَائِهِ سبحانه المَوْجُودُ، ولا أن من أسْمَائِهِ سبحانه الشَّيءُ.



(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾، رقم (٣٣٥٨)، ومسلم: كتاب الفضائل، رقم (٢٣٧١).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الطلاق، رقم (١٤٩٩).

٩٨ ـ وَقَالَ: بَابُ قَوْلِ اللهِ: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عِمرَان: ٢٨].

وَقَوْلِهِ: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المَائدة: ١١٦] وَرَوَى حَدِيثَ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ، كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، هُوَ يَكْتُبُ عَلَى نَفْسِهِ، وَهُوَ وَضَعَ عِنْدَهُ عَلَى الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي»(١). قَالَ اللهُ ـ تَعَالَى ـ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤] وَرَوَى حَدِيثَ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ». الخَبَرَ(٢).

الشَّرح

○ قولَ الإمامِ البُخَارِي: «بَابُ قَوْلِ اللهِ: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾». هذا البَابُ عَقَدَهُ لإِثْبَاتِ النَّفْسِ للهِ ﷻ. قال بعضُ العُلَمَاءِ: إنَّ النَّفْسَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ الله. وليس بظاهرٍ، فالنَّفْسُ والذَّاتُ بِمَعْنًى واحِدٍ، ونَفْسُ اللهِ مَوْصُوفَةٌ بصِفَاتِ الكَمَالِ.

فالله له نَفْسٌ، وذَاتٌ مَوْصُوفَةٌ بالصِّفَاتِ، ولهَذَا بَوَّبَ البُخَارِيُّ قَالَ: «بَابُ قَوْلِ اللهِ: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾». وقوله: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾» فهَذِهِ الآيةُ فِيهَا: إِثْبَاتُ النَّفْسِ للهِ ﷻ.

وأَثْبَتَ النَّبِيُّ ﷺ للهِ نَفْسًا في حَدِيثِ أبي هُرَيْرَةَ ﷺ: «لَمَّا خَلَقَ

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾، رقم (٧٤٠٥).

اللهُ الْخَلْقَ، كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، هُوَ يَكْتُبُ عَلَى نَفْسِهِ». فأَثْبَتَ للهِ نَفْسًا و«وَهُوَ وَضَعَ عِنْدَهُ عَلَى الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي».

وهذَا الحَدِيثُ فِيهِ: إِثْبَاتُ عِدَّةِ صِفَاتٍ عَدا النَّفْسِ:

ففي قوله: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ»: إِثْبَاتُ صفةِ الخَلْقِ للهِ، وإِثْبَاتُ صِفَةِ الكِتَابَةِ، وإِثْبَاتُ العُلُوِّ.

وفي قوله: «وَضَعَهُ عِنْدَهُ عَلَى الْعَرْشِ»: إِثْبَاتُ صفة الرَّحْمَةِ، وإِثْبَاتُ صفة الغَضَبِ.

وقال ـ تعالى ـ: «﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]»، فيه إِثْبَاتُ النَّفْسِ للهِ ﷻ وفي حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ قال الله ﷻ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ». الخَبَرَ إلى آخر الحديث.

هذا الحديث قدسي من كلام الله لفظا ومعنى، والشَّاهِدُ قَوْلُهُ: «فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي» فَأَثْبَتَ الرَّبُّ ﷻ لَهُ نَفْسًا.



٩٩ ـ قَالَ: بَابُ قَوْلِ الله ـ تَعَالَى ـ: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القَصَص: ٨٨].

وَرَوَى عَنْ جَابِرٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥]، **قَالَ النَّبِيُّ** ﷺ: **«أَعُوذُ بِوَجْهِكَ». فَقَالَ: ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾** [الأنعام: ٦٥] **فَقَالَ النَّبِيُّ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ». قَالَ: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾** [الأنعام: ٦٥]. **فَقَالَ النَّبِيُّ: «أَيْسَرُ»**[1].

الشَّرْح

○ قول البخاري في هذا الباب: «بَابُ قَوْلِ الله ـ تَعَالَى ـ: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾» المَقْصُودُ مِنْهُ: إِثْبَاتُ الوَجْهِ للهِ ﷻ.

وقَدْ ذَكَرَ حَدِيثَ جَابِرٍ ﷺ قَالَ: «**لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾، قَالَ النَّبِيُّ** ﷺ: **«أَعُوذُ بِوَجْهِكَ»**. فأَثْبَتَ للهِ وَجْهًا. «﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾. **قالَ النَّبِيُّ** ﷺ: **«أَعُوذُ بِوَجْهِكَ». قَالَ: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾. قَالَ النَّبِيُّ** ﷺ: **«أَيْسَرُ»**».

فهَذَا فِيهِ دَلِيلٌ على إثبات الوجه، وجاءَ فِي الحَدِيثِ الآخَرِ، أن النَّبِيَّ ﷺ قالَ: «**سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا، فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً، سَأَلْتُ رَبِّي: أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَمَنَعَنِيهَا**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾، رقم (٧٤٠٦).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم (٢٨٩٠).

﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾»، هذا العَذَابُ مِنْ فَوْق، بالنَّارِ أو بالصَّوَاعِقِ، أو عَذَاب عام، ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾، بِالخَسْفِ، ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾، هَذِهِ مُنِعَهَا.

وهذا دَلِيلٌ على أَنَّهُ لابُدَّ أن يحصلَ بَيْنَ الأُمَّةِ قِتَالٌ، فتَكُونُ شِيَعًا وأَحْزَابًا.

وأَدِلَّةُ إثبات الوَجْهِ كَثِيرَةٌ، من ذَلِكَ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: **«أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَكَ أَوْ تُحِلَّ عَلَيَّ سَخَطَكَ»**[1].



(١) أخرجه الطبراني (١٣/ ٧٣/ ١٨١).

١٠٠ ـ وَقَالَ: بَابُ قَوْلِ الله: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ٣٩﴾ [طه: ٣٩].
وَقَوْلِهِ: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤].

وَرَوَى حَدِيثَ نَافِعٍ عَنْ عَبْدِاللهِ قَالَ: ذُكِرَ الدَّجَّالُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّ الله لَا يَخْفَىٰ عَلَيْكُمْ، إِنَّ الله لَيْسَ بِأَعْوَرَ - وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى عَيْنِهِ - وَإِنَّ المَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ العَيْنِ اليُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ»(١). وَحَدِيثَ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَ قَوْمَهُ الأَعْوَرَ الكَذَّابَ، إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ»(٢).

الشَّرْحُ

هَذَا البابُ عَقَدَهُ الإمامُ البُخارِيُّ لإِثْبَاتِ العَيْنَيْنِ للهِ ﷻ، وقال: «بابُ قَوْلِ الله ـ تعالى ـ: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ٣٩﴾ [طه: ٣٩] وَقَالَ: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]».

فالآيَةُ الأُولَى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ٣٩﴾ فِيهَا: إِفْرَادُ العَيْنِ، وإضافتها إلى نَفْسِهِ، والمرَادُ: جِنْسُ العَيْنِ.

والآية الثانية: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾، يَعْنِي: بِمَرْأَى مِنَّا، وفي حِفْظِنَا، وكَلئنَا، وفيهَا: إِثْبَاتُ جِنْسِ العَيْنِ.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعالَى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ٣٩﴾، «تُغَذَّى»، وَقَوْلِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾، رقم (٧٤٠٧).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعالَى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ٣٩﴾، «تُغَذَّى»، وَقَوْلِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾، رقم (٧٤٠٨).

أما إثباتُ العَيْنَيْنِ للهِ فيؤخذُ من حديثِ الدَّجَّالِ، فقد ذُكِرَ الدَّجَّالُ عِنْدَ النَّبيِّ ﷺ؛ فقال: «**إِنَّ اللهَ لَا يَخْفَى عَلَيْكُمْ، إِنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ - وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى عَيْنِهِ -**».

فالمراد في الحديث: تَحْقِيقُ الصِّفَةِ وليسَ المرادُ التشبيه؛ يعني: عَيْنًا حَقِيقِيَّة. «**وَإِنَّ المَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ العَيْنِ اليُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ**».

فحَدِيثُ الدَّجَّالِ اسْتَدَلَّ بِهِ أَهْلُ العِلْمِ على إِثْبَاتِ العَيْنِ للهِ، هو الدَّلِيلُ الوَحِيدُ على إِثْبَاتِ العَيْنِ لله، وكذلك أن الدَّجَّالَ أَعْوَرُ، والأعور هو: الذي ليس له إلا عَيْنٌ واحِدَةٌ، واللهُ ليسَ بأعورَ؛ بل له عينَانِ سَلِيمَتَانِ.

أما قوله: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ٣٩﴾ [طه: ٣٩]، أو ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]، فَفِيهِ إثباتُ جِنْسِ العَيْنِ، وليس فيه إثبات للعَيْنَيْنِ، فإثبات العَيْنَيْنِ يؤخذ من هذا الحديث وحديث أنس: «**مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَ قَوْمَهُ الأَعْوَرَ الكَذَّابَ، إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ**». وفي لفظ: «**مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ**»[1] ك ف ر مُهَجَّاةٌ «**يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ كَاتِبٌ، وَغَيْرُ كَاتِبٍ**»[2] وهذا من فَضْلِ اللهِ - تعالى - وَإِحْسَانِهِ، حيث جَعَلَ عَلَامَةً وَاضِحَةً عَلَى الدَّجَّالِ.

والدَّجَّالُ رَجُلٌ من بَنِي آدَمَ، يَخْرُجُ في آخِرِ الزَّمَانِ، في زَمَنِ المَهْدِيِّ، يَدَّعِي الصَّلَاحَ أولًا، ثُمَّ يَدَّعِي النُّبُوَّةَ، ثم يَدَّعِي الرُّبُوبِيَّةَ - والعياذُ بالله -، وعَلَامَاتُ النَّقْصِ عَلَيْهِ ظَاهِرَةٌ، فلو كان يَسْتَطِيعُ أن

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الحج، باب التلبية إذا انحدر في الوادي، رقم (١٥٥٥)، مسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٦٦).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، رقم (٢٩٣٤).

يفعلَ شَيْئًا لأَزَالَ العَيْبَ عن نَفْسِهِ، إذ كيف يَدَّعِي الرُّبُوبِيَّةَ وهوَ أَعْوَرُ؟

والرَّبُّ ﷻ كَامِلٌ في ذَاتِهِ، وأَسْمَائِهِ وصِفَاتِهِ، لَهُ الكَمَالُ، ولَهُ الإِنْعَامُ، والإِفْضالُ على عباده.

لهذا جاء في الحديث: «**مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ، فَوَاللهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ، مِمَّا يُبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ**»[١]. أي: يَسْمَعُهُ نَاسٌ ويعلمُونَ أنَّهُ كَذَّابٌ؛ لكن يقولون: حَتَّى نَعِيشَ عِيشَةً رَغِيدَةً؛ لأَنَّهُ يبْتَلِي الإنسان، من لا يَتَّبِعُهُ يُبْتَلَى بالفقر، نسألُ اللهَ السَّلَامَةَ والعافية.

■ **قد يقول قائل:** في حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ «**وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى عَيْنِهِ**». أَلَا يُوهِم تشبيهًا؟ وهل لِكُلِّ أَحَدٍ أَنْ يَضَعَ يَدَيْهِ على عَيْنَيْهِ؟

● **فنقول:** مِنْ بابِ أَنَّهَا صِفَةٌ حَقِيقَةٌ، كَمَا جَاءَ في الحَدِيثِ الآخَرِ: «**أن النبي ﷺ لمَّا قَرَأ:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٥٨﴾ [النّساء: ٥٨]، **وَضَعَ إِصْبَعَهُ الدُّعَاءَ وَإِبْهَامٌ عَلَى عَيْنِهِ وَأُذُنِهِ يَعْنِي أَنَّهُ سَمِيعٌ بِسَمْعٍ بَصِيرٌ بِبَصَرٍ**»[٢]. وهذا فيه: إِثْبَاتُ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ. قالَ العُلَمَاءُ: هَذَا مِنْ بَابِ تَحْقِيقِ الصِّفَةِ؛ وليسَ مِنْ بابِ التَّشْبِيهِ.



(١) أخرجه أبو داود: كتاب الملاحم، باب خروج الدجال، رقم (٤٣١٩).

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٤٥١).

١٠١ ـ وَقَالَ: بَابُ ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ﴾ [الحشر: ٢٤].

وَرَوَى حَدِيثَ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ فِي غَزْوَةِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ أَنَّهُمْ أَصَابُوا سَبَايَا، فَأَرَادُوا أَنْ يَسْتَمْتِعُوا بِهِنَّ، وَلا يَحْمِلْنَ، فَسَأَلُوا رَسُولَ عَنِ العَزْلِ، فَقَالَ: «مَا عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَفْعَلُوا، فَإِنَّ الله قَدْ كَتَبَ مَنْ هُوَ خَالِقٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ»، وَقَالَ مُجَاهِدٌ، عَنْ قَزَعَةَ، سَأَلْتُ أَبَا سَعِيدٍ فَقَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَيْسَتْ نَفْسٌ مَخْلُوقَةٌ إِلَّا اللهُ خَالِقُهَا»[1].

الشَّرْح

○ قَولَ البُخَارِي رَحِمَهُ اللهُ: «بَابُ قَوْلِ الله: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ﴾ [الحشر: ٢٤]» فِيهِ: إِثْبَاتُ أَسْمَاءِ الله ﷻ:

الاسمُ الأَوَّلُ: ﴿ٱللَّهُ﴾ لَفْظُ الجَلَالَةِ، وهو أَعْرَفُ المَعَارِفِ، ولا يُسَمَّى بِهِ غَيْرُهُ، فالله هو الإله المعبودُ، الذِي تَأْلَهُهُ القُلُوبُ، مَحَبَّةً وإِجْلَالًا، وتَقْدِيرًا.

الاسم الثاني: ﴿ٱلْخَٰلِقُ﴾: اسْمٌ من أَسْمَاء الله سبحانه.

الاسم الثالث: ﴿ٱلْبَارِئُ﴾: اسمٌ من أَسْمَائِهِ تبارك وتعالى.

والاسمُ مُشْتَمِلٌ على صِفَةٍ، فأَسْمَاءُ الله ليستْ جَامِدَةً؛ بل هِيَ مُشْتَقَّةٌ مُشْتَمِلَةٌ على صِّفَاتٍ:

فاللهُ مُشْتَمِلٌ على صِفَةِ الأُلُوهِيَّةِ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللهِ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾، رقم (٧٤٠٩).

والخَالِقُ مُشْتَمِلٌ على صِفَةِ الخَلْقِ.

والبَارِئُ مشتمل على صِفَةِ البَرْءِ، يعني: برأ البَرِيَّةِ.

○ ثم ذَكَرَ رَحِمَهُ اللهُ حَدِيثَ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في العَزْلِ؛ لمَّا سَأَلُوه ﷺ عَنِ العَزْلِ، «**فَقَالَ: «مَا عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَفْعَلُوا، فَإِنَّ اللهَ قَدْ كَتَبَ مَنْ هُوَ خَالِقٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ**» والعَزْلُ: هو إذَا جَامَعَ الإنسانُ زَوْجَتَهُ؛ وأَرَادَ أَنْ يُنْزِلَ، يُخْرِجُ ذَكَرَهُ ويُنْزِلُ خَارِجًا؛ حتَّى لا تَحْمِلَ، فإذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يَخْلُقَ نَفْسًا لَا بُدَّ أَنْ يَسْبِقَهُ الماءُ؛ فيَخْلُقَهُ اللهُ.

الشاهدُ قوله: «**فَإِنَّ اللهَ قَدْ كَتَبَ مَنْ هُوَ خَالِقٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ**» ففيه: إِثْبَاتُ الخَلْقِ للهِ ﷻ، وكَذَلِكَ الحديثُ الَّذِي بَعْدَهُ: «**لَيْسَتْ نَفْسٌ مَخْلُوقَةٌ إِلَّا اللهُ خَالِقُهَا**» ففيه: إِثْبَاتُ صِفَةِ الخَلْقِ للهِ ﷻ، وأَنَّهُ سبحانه الخَالِقُ لِكُلِّ شَيءٍ.



١٠٢ ـ وَقَالَ: بَابُ قَوْلِ الله ـ تَعَالَى ـ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥].

قَالَ: حَدَّثَنِي مُعَاذُ بْنُ فَضَالَةَ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَجْمَعُ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ، فَيَقُولُونَ: لَوِ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ، أَمَا تَرَى النَّاسَ خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلائِكَتَهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّنَا». وَذَكَرَ الْخَبَرَ بِطُولِهِ إِلَى قَوْلِهِ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً». ثُمَّ «مَا يَزِنُ مِنَ الخَيْرِ ذَرَّةً»(١).

قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ، قَالَ: «يَدُ الله مَلْأَى لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ». وَقَالَ: «أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَبِيَدِهِ الأُخْرَى المِيزَانُ، يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ»(٢).

قَالَ: حَدَّثَنَا مُقَدَّمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي القَاسِمُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ عُبَيْدِ الله، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ الله يَقْبِضُ يَوْمَ القِيَامَةِ الأَرْضَ، وَتَكُونُ السَّمَوَاتُ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، رقم (٧٤١٠).
(٢) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، رقم (٧٤١١).
(٣) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، رقم (٧٤١٢).

قَالَ: وَحَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، سَمِعَ يَحْيَى بْنَ سَعِيدٍ، عَنْ سُفْيَانَ، حَدَّثَنِي مَنْصُورٌ، وَسُلَيْمَانُ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَبِيدَةَ، عَنْ عَبْدِاللهِ: «أَنَّ يَهُودِيًّا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالجِبَالَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالخَلائِقَ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ. فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ »، وَفِي لَفْظٍ آخَرَ: «فَضَحِكَ تَعَجُّبًا وَتَصْدِيقًا لَهُ»[1].

الشَّرْحُ

هَذَا البَابُ عَقَدَهُ الإمامُ البخاريُّ رَحِمَهُ اللهُ في إِثْبَاتِ اليَدَيْنِ والأَصَابِعِ للهِ ﷻ فَقَالَ: «بَابُ قَوْلِ الله ـ تَعَالَى ـ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾»، هَذِهِ الآيَةُ فِيهَا إِثْبَاتُ اليَدَيْنِ للهِ؛ لأنَّ اللهَ ـ تعالى ـ أضافَ الْيَدَيْنِ إلى نَفْسِهِ الكَرِيمَةِ بِصِيغَةِ الإفْرَادِ، وثَنَّى اليَدَيْنِ، فقال سبحانه: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾.

أَمَّا قَوْلُهُ ـ تَعَالَى ـ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ [يس: ٧١]. لَيْسَ فِيهِ إِثْبَاتُ صِفَةِ الْيَدِ؛ لأَنَّهُ جَمْعُ الأيْدِي، وأضافَ إلى ضَمِيرِ الجَمْعِ، فليست من آيات الصفات.

ومذهب أهل السنة والجماعة إِثْبَاتُ اليَدَيْنِ للهِ ﷻ، وَقَدْ أَنْكَرَهَا أهلُ البِدَعِ من الجَهْمِيَّةِ والمُعْتَزِلَةِ والأَشَاعِرَةِ، وقالوا: المراد باليَدَيْنِ: القُدْرَةُ أو النِّعْمَةُ.

○ قوله في حَدِيثَ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «يَجْمَعُ اللهُ المُؤْمِنِينَ يَوْمَ القِيَامَةِ كَذَلِكَ، فَيَقُولُونَ: لَوِ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا،

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، رقم (٧٤١٤).

فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ، أَمَا تَرَى النَّاسَ خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلائِكَتَهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّنَا».

في هذا الحديث من الفوائد:

١- إثبات اليد لله، والشاهد قوله: «**خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ**» فأَثْبَتَ اليَدَ للهِ ﷻ، والمُرَادُ: جِنْسُ اليَدِ.

٢- أَنَّهُ يَخْرُجُ من النَّارِ من قَالَ: لا إله إلا الله، وكانَ فِي قَلْبِهِ من الخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً.

٣- إِثْبَاتُ دُخُولِ العُصَاةُ النَّارَ، وأنهم مُوَحِّدُونَ مع جرائمهم ومعاصِيهِمْ.

٤ ـ أَنَّ أَصْحَابَ الكَبَائِرِ والمعاصي يَخْرُجُونَ منَ النَّارِ، ولا يُخَلَّدُونَ فيها.

○ قوله في حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: «**يَدُ الله مَلْأَى لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ**» فيه: إِثْبَاتُ اليَدِ للهِ، ومعنى: «**لا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ**» أي: لا يَنْقُصُهَا.

○ قوله: «**سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**» سَحَّاءُ: صِفَةُ الصَّبِّ، أي: تَصُبُّ الخَيْرَ لَيْلَ نَهارَ.

○ قوله: «**أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ؟ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ**» أي: يَنْقُصْ، «**وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ وَبِيَدِهِ الأُخْرَى المِيزَانُ، يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ**».

في هذا الحديث من الفوائد:

١- إِثْبَاتُ اليَدِ الأُخْرَى، وأَنَّ للهِ يَدَيْنِ.

٢- أَنَّ الله يَخْفِضُ ويَرْفَعُ ويَخْلُقُ، وكل هذه من صِفَاتِهِ ﷻ.

ـ وفي حديث ابن عمر ﵄: «إِنَّ اللهَ يَقْبِضُ يَوْمَ القِيَامَةِ الأَرْضَ، وَتَكُونُ السَّمَوَاتُ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ». فوائد منها:

١- إثباتُ صِفَةِ القَبْضِ للهِ.

٢- إِثْبَاتُ اليَمِينِ للهِ.

٣- إثبات صِفَةِ المُلْكِ، وأنَّ «الملك» من أَسْمَائِهِ الحُسْنَى.

○ في حديث عبدالله بن مسعود ﵁: «أَنَّ يَهُودِيًّا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالجِبَالَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالخَلائِقَ عَلَى إِصْبَعٍ» أي: خمسة أصابع، ففيه: إثبات خمسة أصابع لله ﷻ.

○ قوله: «ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ» فيه: إثبات اسم المَلِكِ لله.

○ قوله: «فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾». وَفِي لَفْظٍ آخَرَ: «فَضَحِكَ تَعَجُّبًا وَتَصْدِيقًا لَهُ».

وفي هذا الحديث: قَبولُ الحَقِّ مِمَّنْ جَاءَ بِهِ؛ ولو كانَ كَافِرًا؛ فالنَّبِيُّ ﷺ قَبِلَ الحَقَّ مِنَ الكَافِرِ؛ حتَّى مِنَ الشَّيْطَانِ حين عَلَّمَ أبَا هُرَيْرَةَ قال: «إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ». قال النبي ﷺ: «صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ»[1].

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري: كتاب الوكالة، باب إذا وكل رجلا فترك الوكيل شيئا، رقم (٢٣١١).

١٠٣ ـ وَقَالَ: بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لا شَخْصَ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ».

وَقَالَ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو، عَنْ عَبْدِالمَلِكِ: «لا شَخْصَ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ». الحديث[1].



هذا الحديث ذَكَرَهُ البخَارِيُّ تَعْلِيقًا، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في صَحِيحِهِ.

وفِيهِ: إِثْبَاتُ أَنَّ الله شَخْصٌ، وهذا ـ كما تقدم ـ لا يُسَمَّى بِهِ الله، بل من باب الخَبَرِ.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري معلقاً (٩/ ١٢٣)، وقد أخرجه مسلم (١٤٩٩).

١٠٤ ـ وَقَالَ: بَابُ: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً﴾ [الأنعام: ١٩].

فَسَمَّى اللهُ ـ تَعَالَى ـ نَفْسَهُ شَيْئًا ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾، وَسَمَّى النَّبِيُّ ﷺ الْقُرْآنَ شَيْئًا، وهو مِنْ صِفَاتِ الله ﷻ وَقَالَ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨].

قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُاللهِ بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِرَجُلٍ: «أَمَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْءٌ؟». قَالَ: نَعَمْ، سُورَةُ كَذَا وَسُورَةُ كَذَا، لِسُوَرٍ سَمَّاهَا[(١)].

الشَّرْح

○ قوله: «وقال» أي: البخاري: «بَابُ ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً﴾، فَسَمَّى اللهُ تَعَالَى نَفْسَهُ شَيْئًا». فِيهِ: إثْبَاتُ أنه يُخْبِرُ عَنِ الله، أَنَّهُ شَيءٌ.

○ قوله: «وَسَمَّى النَّبِيُّ ﷺ الْقُرْآنَ شَيْئًا»، وذكر حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال للرجل: «أَمَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْءٌ؟» فَسَمَّى الْقُرْآنَ شَيْئًا، وهُوَ صِفَةٌ من صِفَاتِهِ ﷻ، وهذا مِنْ بَابِ الخَبَرِ.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٩]، رقم (٧٤١٧).

١٠٥ ـ وَقَالَ: بَابُ ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧]، ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة: ١٢٩].

وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: ﴿ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾: ارْتَفَعَ، ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٩]: خَلَقَهُنَّ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾: عَلَا عَلَى الْعَرْشِ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْمَجِيدُ: الْكَرِيمُ، وَالْوَدُودُ: الْحَبِيبُ، يُقَالُ: ﴿حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾ [هود: ٧٣]، كَأَنَّهُ فَعِيلٌ مِنْ مَاجِدٍ، مَحْمُودٌ مِنْ حَمِيدٍ[١].

وَرَوَى حَدِيثَ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ «كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ». الْخَبَرَ[٢].

قَالَ: وَحَدَّثَنَا عَيَّاشُ بْنُ الوَلِيدِ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ [يس: ٣٨]. قَالَ: «مُسْتَقَرُّهَا تَحْتَ العَرْشِ»[٣].

الشَّرْحُ

هَذَا البَابُ فِيهِ: إِثْبَاتُ العَرْشِ، وهُوَ سَقْفُ المخْلُوقَاتِ.

---

(١) أخرجه البخاري معلقاً (٩/ ١٢٤).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾، ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾، رقم (٧٤١٨).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، رقم (٧٤٣٣).

قَالَ: «بَابُ ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧]»، العَرْشُ في اللغة هو: سَرِيرُ المُلْكِ، واللهُ - تَعَالَى - قَالَ عَنْ بِلْقِيس: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [النمل: ٢٣] يَعْنِي: سَرِيرٌ، والمُرَادُ بالعَرْشِ هُنَا: عَرْشُ الرَّحْمَنِ الذِي خَلَقَهُ، وهُوَ مَخْلُوقٌ عَظِيمٌ، جَعَلَهُ اللهُ كَالْقُبَّةِ على العَالَمِ، وهو سَقْفُ هَذِه المَخْلُوقَاتِ، اسْتَوَى عَلَيْهِ الرَّبُّ اسْتِوَاءً يَلِيقُ بجَلَالِهِ وعَظَمَتِهِ، والعَرْشُ على الماءِ يَعْنِي: تَحْتَهُ المَاءُ قال الله: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾، والجَنَّةُ سَقْفُهَا عَرْشُ الرَّحْمَنِ.

■ **مسألة: كَيْفَ نجْمعُ بَيْنَ الآية والحديث، إذ في الحديثِ أنَّ الجَنَّةَ سَقْفُهَا العَرْشُ، وفي الآيةُ دَلَّتْ على أنَّ العَرْشَ على الماءِ؟**

● **الجواب**: أن العرش واسعٌ، طَرَفٌ مِنْهُ على الماءِ، وطَرَفٌ مِنْهُ سَقْفٌ للجَنَّةِ، فالعَرْشُ مُقَبَّبٌ على العالمِ، فهو سَقْفِ العَالمِ كُلِّهِ.

○ قوله: «﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾»، فِيهِ: إِثْبَاتُ عَرْشِ الرَّحْمَنِ ﷻ وأَنَّهُ على الماءِ، وأنه سبحانه رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ.

○ قوله: «﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾» فيه: إِثْبَاتُ الرُّبُوبِيَّةِ لله.

○ قوله: «**قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ**: ﴿ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾: ارْتَفَعَ» واستوى لها أربعة معان في اللغة: عَلَا، واسْتَقَرَّ، وصَعِدَ، وارْتَفَعَ.

أَمَّا كَيْفِيَّةُ الاسْتِوَاءِ، فكما يَلِيقُ بالله، فهو سبحانه اسْتَوَى على العرش اسْتِوَاءً يليقُ بِجَلَالِهِ وعَظَمَتِهِ.

○ قوله: «**وَقَالَ مُجَاهِدٌ**: ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾: عَلَا عَلَى الْعَرْشِ»، ففسر أبو العالية الاستواء بالارتفاع، وفسره مجاهد بالعلو، وكل هذه من معانيه.

○ قوله: «**وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْمَجِيدُ**» - أي: العرش المجيد -: **الْكَرِيمُ**» وذلك في قوله: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ

وَبُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [البروج: ١٢-١٥]، «**وَالْوَدُودُ**» مِنْ أسماءِ الله أي: «**الْحَبِيبُ**». «**يُقَالُ**: ﴿حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾ [هود: ٧٣]» فمنْ أسماءِ الله: الحَمِيدُ والمَجِيدُ، «**كَأَنَّهُ فَعِيلٌ مِنْ مَاجِدٍ، مَحْمُودٌ مِنْ حَمِيدٍ**».

○ ثم ذكر رَحِمَهُ الله حديثَ عِمْرانَ بن الحصين: «**كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**» وهذا هو الشاهد، «**ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ**» والذِّكْرُ: اللَّوْحُ المحْفُوظُ، كَتَبَ فِيهِ كُلَّ شَيْءٍ، والعَرْشُ على الماءِ، ثم خلقَ السَّمَواتِ والأرْضَ بعد كِتَابَةِ المَقَادِيرِ بِخَمْسِمِائَةِ عام.

○ ثُمَّ ذَكَرَ رَحِمَهُ الله حديث أبي ذر رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: «**سَأَلْتُ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَام عَنْ قَوْلِهِ - تَعَالَى -: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾** [يس: ٣٨]، **قَالَ**: «**مُسْتَقَرُّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ**» والشَّاهِدُ: إِثْبَاتُ العَرْشِ.

وفيه: الرَّدُّ على من أَنْكَرَ العَرْشَ من أَهْلِ البِدَعِ فإنَّهُمْ قالوا: إِنَّمَا المُرَادُ بالعَرْشِ: المُلْكِ، فقالوا: اسْتَوَى على المُلْكِ، يعني: أنه هو المالك.



١٠٦ ـ وَقَالَ: «بَابُ قَوْلِ الله ـ تَعَالَى ـ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَوْنٍ، حَدَّثَنَا خَالِدٌ، وَهُشَيْمٌ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ قَيْسٍ، عَنْ جَرِيرٍ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ نَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ قَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَصَلاةٍ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، فَافْعَلُوا»[(١)].

وَسَاقَ لَهُ ثَلاثَ طُرُقٍ.

وَرَوَى حَدِيثَ أَبِي هُرَيْرَةَ: «أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟». وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِطُولِهِ، وَفِيهِ: «فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ». ثُمَّ ذَكَرَ الْحَدِيثَ إِلَى قَوْلِهِ: «فَيَضْحَكُ اللهُ مِنْهُ، فَإِذَا ضَحِكَ مِنْهُ، قَالَ لَهُ: ادْخُلِ الجَنَّةَ».

قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُالعَزِيزِ بْنُ عَبْدِالله، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ اللَّيْثِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: «أَنَّ النَّاسَ قَالُوا»[(٢)].

قَالَ: وحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلالٍ، عَنْ زَيْدٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ،

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾، رقم (٧٤٣٤).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾، رقم (٧٤٣٧).

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا؟»، قُلْنَا: لا، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ».

وَسَاقَ الْحَدِيثَ؛ «فَيَأْتِيهِمُ الجَبَّارُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَلا يُكَلِّمُهُ إِلَّا الأَنْبِيَاءُ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ؟ فَيَقُولُونَ: السَّاقُ، فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ». وَذَكَرَهُ بِطُولِهِ[1].

وَقَالَ حَجَّاجُ بْنُ مِنْهَالٍ، حَدَّثَنَا هَمَّامُ بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - قَالَ: «يُحْبَسُ المُؤْمِنُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ». وَذَكَرَ الْحَدِيثَ. قال: «فَيَأْتُونِي، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا». إِلَى أَنْ قَالَ: «فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، وَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ، فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا». وَذَكَرَ كَالأَوَّلِ قَالَ: «ثُمَّ أَعُودُ الثَّالِثَةَ: فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ، فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا». الْحَدِيثَ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الآيَةَ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۝٧٩﴾ [الإسراء: ٧٩] قَالَ: «وَهَذَا المَقَامُ المَحْمُودُ الَّذِي وُعِدَهُ نَبِيُّكُمْ ﷺ»[2].

قَالَ: وَحَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنِي عَمِّي، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾، رقم (٧٤٣٩).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾، رقم (٧٤٤٠).

أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ أَرْسَلَ إِلَى الأَنْصَارِ، فَجَمَعَهُمْ فِي قُبَّةٍ وَقَالَ لَهُمُ: «اصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوُا اللهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنِّي عَلَى الحَوْضِ»(١).

وَرَوَى حَدِيثَ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا تَهَجَّدَ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ: «اللهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ». الْحَدِيثَ إِلَى قَوْلِهِ: «أَنْتَ الحَقُّ، وَقَوْلُكَ الحَقُّ، وَوَعْدُكَ الحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ الحَقُّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ»(٢).

قَالَ: وَحَدَّثَنَا يُوسُفُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، حَدَّثَنِي الأَعْمَشُ، عَنْ خَيْثَمَةَ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، وَلا حِجَابٌ يَحْجُبُهُ»(٣).

قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِاللهِ، حَدَّثَنَا عَبْدُالعَزِيزِ بْنُ عَبْدِالصَّمَدِ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ، عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِاللهِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ القَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الكِبْرِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ»(٤).

وَرَوَى حَدِيثَ عَبْدِاللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنِ اقْتَطَعَ مَالَ

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾، رقم (٧٤٤١).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾، رقم (٧٤٤٢).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾، رقم (٧٤٤٣).

(٤) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾، رقم (٧٤٤٤).

امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينٍ كَاذِبَةٍ، لَقِيَ الله وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ». الْحَدِيثَ[١].

وَحَدِيثَ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «ثَلاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ: رَجُلٌ حَلَفَ عَلَى سِلْعَةٍ لَقَدْ أَعْطَى بِهَا أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَى». الْحَدِيثَ[٢].

وَرَوَى حَدِيثَ أَبِي بَكْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الزَّمَانُ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ». الْحَدِيثَ[٣].

الشَّرْحُ

هَذَا البَابُ عَقَدَهُ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ لإثباتِ رُؤْيَةِ الله ﷻ في الآخِرَةِ.

والرُؤْيَةُ مِنَ الصِّفَاتِ التي اشْتَدَّ النِّزَاعُ فِيهَا بينَ أهلِ السُّنَّةِ، وبينَ أهلِ البِدَعِ، فإنه قد اشْتَدَّ النِّزَاعُ بيَنهم في الرُّؤْيَةُ والكَلَامُ والعُلُوُّ؛ فَمَنْ أَثْبَتَهَا فَهُو مِنْ أهْلِ السُّنَّةِ، ومَنْ نَفَاهَا فَهُو مِنْ أَهْلِ البِدْعِ.

فأَهْلُ البِدَعِ من الخَوَارِجِ والمعْتَزِلَةِ والأشاعرةِ كُلُّهُمْ يَنْفُونَ الرُّؤْيَةَ.

لكنَّ الأَشَاعِرَةَ يُثْبِتُونَهَا من غَيْرِ مُقَابَلَةٍ؛ فتقُولُ لَهُمْ: كيفَ يُرَى الرَّبُّ؟

مِنْ فَوْق؟ يقولون: لَا.

مِنْ تَحت؟ لا.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾، رقم (٧٤٤٥).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾، رقم (٧٤٤٦).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾، رقم (٧٤٤٧).

مِنْ يَمِين؟ لا.

مِنْ شِمَال؟ لا.

مِنْ أمَام؟ لا.

مِنْ خَلْف؟ لا.

أين يُرَى إذن؟ فيقولون: يُرى الله لا في جِهَةٍ.

وهَذَا غَيْرُ مَعْقُولٍ! لأن المَرْئِيَّ لابُدَّ أن يكونَ في جِهَةٍ من الرَّائِي.

وأَمَّا المُعْتَزِلَةُ والجَهْمِيَّةُ فقد أَنْكَرُوهَا.

وكَذَلَكَ العُلُوُّ أَنْكَرَهُ الأشاعرةُ والمعْتَزِلَةُ والجَهْمِيَّةُ.

وكذلك أنكر المعتزلة والجهمية الكَلَامَ، والأشاعرة أثبتوها على غَيْرِ وَجْهِهَا، فقالوا: الكَلَامُ مَعْنًى قَائِمٌ بالنَّفْسِ.

○ قوله: «بَابُ قَوْلِ الله ـ تعَالَى ـ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]»، الأُولَى: بالضَّادِ أُخْتِ الصَّادِ من النَضْرَةِ، وهي: البَهَاءُ والحُسْنُ، والثانية: بالظَّاءِ، أُخْتِ الطاء، والمُرَادُ بِهَا: النَّظَرُ بالعَيْنِ المُجَرَّدَةِ.

فمعنى الآية: وُجُوهُهُمْ فيها بَهَاءٌ وحُسْنٌ، وهِيَ تَنْظُرُ إلى رَبِّهَا.

○ ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَ جَرِيرٍ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ» وهذا فِيهِ: إِثْبَاتٌ لِرُؤْيَةِ المُؤْمِنِينَ لِرَبِّهِمْ يومَ القِيامَةِ، كَمَا يُرَى القَمَرُ.

○ قوله: «فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ» يَعْنِي بِهَا صَلَاةَ الفَجْرِ، «وَصَلاةٍ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، فَافْعَلُوا» يعني بها صلاة العصر، فالمعنى: أنَّ المُحَافِظَة على هَاتَيْنِ

الصَّلَاتَيْنِ - الفجْرِ والعَصْرِ - مِنْ أَسْبَابِ رُؤْيَةِ الله ﷻ.

أَمَّا المُعْتَزِلَةُ فَفَسَّرُوا الرُؤْيَةَ بالْعِلْم، فقالوا: معنى قوله: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ» أَنَّكُمْ سَتَعْلَمُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّ القَمَرَ قَمَرٌ. وهذا معنى فاسد.

○ ثم ذَكَرَ حَدِيثَ أبي هُرَيْرَةَ أَنَّهُمْ سَأَلُوا: «هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟» وَسَاقَ الحَدِيثَ. قَالَ: «فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ» فِيهِ: إِثْبَاتُ الصُّورَةِ للهِ ﷻ، إذ كُلُّ مَوْجُودٍ لَهُ صُورَةٌ.

○ ثُمَّ ذَكَرَ الحَدِيثَ إِلَى قَوْلِهِ: «فَيَضْحَكُ اللهُ مِنْهُ» فِيهِ: إِثْبَاتُ الضَّحِكِ للهِ ﷻ. «فَإِذَا ضَحِكَ مِنْهُ، قَالَ لَهُ: ادْخُلِ الجَنَّةَ».

○ ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ: «قُلْنَا يَا رَسُولَ الله هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا؟»، قُلْنَا: لا، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ» فيه: إِثْبَاتُ الرُّؤْيَةِ. والمعنى: لا يَحْصُلُ لَكُمْ ضَرَرٌ ولَا رَيْبَ.

قوله: «فَيَأْتِيهِمُ الجَبَّارُ» فِيهِ من الفوائد:

١- إِثْبَاتُ صِفَةِ الإِتْيَانِ للهِ ﷻ.

٢- إِثْبَاتُ اسْمِ الجَبَّارِ للهِ ﷻ

وفيه قال: «فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ؟ فَيَقُولُونَ: السَّاقُ، فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ» فِيهِ: إِثْبَاتُ السَّاقِ لِلَّهِ ﷻ، وهُي العَلَامَةُ التي بَيْنَ المُؤْمِنِينَ، وبينَ رَبِّهِمْ.

○ ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَ أَنَسٍ قالَ: «يُحْبَسُ المُؤْمِنُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ». إِلَى أَنْ قَالَ: «فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا» هَذَا الشَّاهِدُ في إِثْبَاتِ الرُّؤْيَةِ، وأنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَيَرَى رَبَّهُ.

ثُمَّ قَالَ فِي المَرَّةِ الثَّالِثَةِ: «فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا» فيَشْفَعُ ﷺ فِي الخَلَائِقِ يومَ القِيَامَةِ الشَّفَاعَةَ العُظْمَى، ويَشْفَعُ فِي عُصَاةِ أهْلِ النَّارِ.

○ ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَ أَنَسٍ رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ لِلأَنْصَارِ: «**اصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوُا الله وَرَسُولَهُ، فَإِنِّي عَلَى الحَوْضِ**». فيه: إثْباتُ اللقاءِ بالله، وقيل: به تَثْبُتُ الرُّؤْيَةُ.

○ ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَ ابنِ عَبَّاسٍ في التَّهَجُّدِ، إِذَا تَهَجَّدَ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ: «**اللهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الحَمْد، أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، قَوْلُكَ الحَقُّ، وَوَعْدُكَ الحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ**».

وفيه: إِثْبَاتُ اسمِ الله الحق.

○ ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَ عَدِيٍّ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، وَلا حِجَابٌ يَحْجُبُهُ**».

وفيه من الفَوَائِدِ:

١- إِثْبَاتُ الرُّؤْيَةِ.

٢- إِثْبَاتُ الكَلَامِ للهِ ﷻ.

٣- إِثْبَاتُ الحِسَابِ.

○ ثم ذكر حديث أبي موسى الأشعري قال: «**جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ القَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الكِبْرِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ**».

وفيه من الفَوَائِدِ:

١- إِثْبَاتُ الكِبْرِ والرِّدَاءِ للهِ ﷻ، فهما من صِفَاتِ الله كما يليقُ بجلالِهِ وعظَمَتِه، لقوله ﷺ: «**الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا، قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ**»[١]. والعَظَمَةُ صِفَةٌ للَّهِ، كما بين شيخ الإسلام ابن تيمية[٢] في هذا الحديث أن الإزار والرداء وصفان يليقان بالله.

٢- إِثْبَاتُ الرُّؤْيَةِ، وأنَّ المُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ، وهَذَا فِي قَوْلِهِ: «**وَمَا بَيْنَ القَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ**».

○ ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَ عَبْدِالله: «**مَنِ اقْتَطَعَ مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينٍ كَاذِبَةٍ، لَقِيَ الله وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ**» وفيه: إِثْبَاتُ اللِّقَاءِ، ويَلْزَمُ مِنَ اللِّقَاءِ الرُّؤْيَةُ كما قيل.

لكنْ هَلْ يَلْزَمُ منه الرُّؤْيَةُ؟

◉ **الجواب**: قال بعضُ العُلَماءِ: يَلْزَمُ منه الرُّؤْيَةُ، ونَقول ـ والله أَعْلَمُ ـ: أنَّ اللِّقَاءَ قد يكونُ مَعَهُ رُؤْيَةٌ، وقدْ لا يَكُونُ معه رُؤْيَةٌ. وهذا اللِّقَاءُ في الحَدِيثِ لا يكونُ مَعَهُ رؤيةٌ.

ورُؤْيَةُ الله في مَوْقِفِ القِيَامَةِ فيها ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ لِأَهْلِ العِلْمِ:

القول الأول: أَنَّهُ يَرَاهُ أَهْلُ المَوْقِفِ مُؤْمِنُهُمْ وكَافِرُهُمْ، ثم يَحْتَجِبُ عن الكَفَرَةِ.

القول الثاني: لا يَرَاهُ إلَّا المُؤْمِنُونَ والمُنَافِقُونَ على ما جاءَ في الحَدِيثِ: «**حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الله مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ... فَيَسْجُدُ لَهُ**

---

(١) أخرجه أبو داود: كتاب اللباس، باب ما جاء في الكبر، رقم (٤٠٩٠)، وابن ماجه: كتاب الزهد، باب البراءة من الكبر والتواضع، رقم (٤١٧٤).

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/١٩٦).

كُلُّ مُؤْمِنٍ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ للهِ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ كَيْمَا يَسْجُدَ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا»[١].

القول الثالث: لَا يَرَاهُ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ فَقَط.

○ قوله: «**ثَلاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ: رَجُلٌ حَلَفَ عَلَى سِلْعَةٍ لَقَدْ أَعْطَى بِهَا أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَى**» ومَعْنَى: «**حَلَفَ عَلَى سِلْعَةٍ لَقَدْ أَعْطَى بِهَا**» أي: اشْتَرَاهَا بِأَكْثَرَ مِنْ نَصِيبِهِ، وهُو كَاذِبٌ.

○ وَقَوْلُهُ: «**ثَلاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ**» فيه: إِثْبَاتُ الكَلَامِ للهِ، فهؤلاء الثلاثَةُ لا يَكَلِّمُهُمْ كَلَامَ تَكْرِيمٍ؛ لكن يُكَلِّمُ غَيْرَهُمْ.



---

(١) سبق تخريجه.

١٠٧ ـ وَقَالَ: بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ الله: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٦﴾ [الأعراف: ٥٦].

وروَى حَدِيثَ أُسَامَةَ قَالَ: «كَانَ ابْنٌ لِبَعْضِ بَنَاتِ النَّبِيِّ ﷺ يَقْضِي، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ». الحَدِيثَ إِلَى قَوْلِهِ: «إِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ»(١).

وَرَوَى حَدِيثَ أَبِي هُرَيْرَةَ: «اخْتَصَمَتِ الجَنَّةُ وَالنَّارُ إِلَى رَبِّهِمَا». الحَدِيثَ إِلَى قَوْلِهِ: «فَقَالَ لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: أَنْتِ عَذَابِي». إِلَى قَوْلِهِ: «وتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، ثَلاثًا، حَتَّى يَضَعَ فِيهَا قَدَمَهُ فَتَمْتَلِئَ، وَيُرَدَّ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَتَقُولُ: قَطْ قَطْ قَطْ»(٢).

الشَّرْحُ

○ قول البُخَارِي رَحِمَهُ اللهُ: «بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ الله: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٦﴾ [الأعراف: ٥٦]» فِيهِ إِثْبَاتُ الرَّحْمَةِ للهِ عَزَّ وَجَلَّ.

○ ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَ أُسَامَةَ عن النَّبِيِّ ﷺ قالَ: «إِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ» فيه: إِثْبَاتُ الرَّحْمَةِ.

○ وفي حديث أبي هريرة: «اخْتَصَمَتِ الجَنَّةُ وَالنَّارُ... فَقَالَ لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي» هَذِهِ هي: الرَّحْمَةُ المَخْلُوقَةُ، فالرَّحْمَةُ رَحْمَتَانِ،

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٦﴾، رقم (٧٤٤٨).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٦﴾، رقم (٧٤٤٩).

رَحْمَةٌ مَخْلُوقَةٌ، ورَحْمَةٌ هِيَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ الله. فَالجَنَّةُ رَحْمَةٌ مَخْلُوقَةٌ، وهِيَ أَثَرٌ من رَحْمَةِ الله التِي هِي صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ.

○ قوله: «**وَقَالَ لِلنَّارِ: أَنْتِ عَذَابِي**» يقول: «**حَتَّى يَضَعَ فِيهَا قَدَمَهُ**» وهذا فِيهِ: إِثْبَاتُ القَدَمِ للهِ ﷻ، كَمَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وعَظَمَتِهِ.



١٠٨ ـ قَالَ: بَابُ قَوْلِ اللهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ﴾ [فاطر: ٤١].

وَذَكَرَ حَدِيثَ عَبْدِاللهِ، قَالَ: «جَاءَ حَبْرٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللهَ يَضَعُ السَّمَاءَ عَلَى إِصْبَعٍ». الحَدِيثَ[1].

الشَّرْح

هَذَا البَابُ فِيهِ: إِثْبَاتُ الأَصَابِعِ للهِ ﷻ، وإِثْبَاتُ اليَدِ للهِ.

○ قوله: «بَابُ قَوْلِ اللهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ﴾ [فاطر: ٤١]»، فِيهِ: إِثْبَاتُ أن الله يُمْسِكُ السَّمواتِ والأَرْضَ.

○ وذكر حديثَ عبدِالله بنِ مسعودٍ، قال: «جَاءَ حَبْرٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ» يَعْنِي: عَالِمٌ، ويُقَالُ: حَبْرٌ وحِبْرٌ.

○ قوله: «فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللهَ يَضَعُ السَّمَاءَ عَلَى إِصْبَعٍ» فِيهِ: إِثْبَاتُ الأَصَابِعِ للهِ ﷻ كَمَا جَاءَ في بَعْضِ الرِّوَايَاتِ.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ﴾، رقم (٧٤٥١).

١٠٩ ـ وَقَالَ: بَابُ مَا جَاءَ فِي تَخْلِيقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَغَيْرِهَا مِنَ الخَلائِقِ، وَهُوَ فِعْلُ الرَّبِّ وَأَمْرُهُ، فَالرَّبُّ بِصِفَاتِهِ وَفِعْلِهِ وَأَمْرِهِ، وَهُوَ الخَالِقُ المُكَوِّنُ، غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَمَا كَانَ بِفِعْلِهِ وَأَمْرِهِ وَتَخْلِيقِهِ وتَكْوِينِهِ، فَهُوَ مَفْعُولٌ مَخْلُوقٌ مُكَوَّنٌ.

وَذَكَرَ حَدِيثَ ابْنِ عَبَّاسٍ: «بِتُّ فِي بَيْتِ مَيْمُونَةَ لَيْلَةً، وَالنَّبِيُّ عِنْدَهَا». إِلَى قَوْلِهِ: «فَقَرَأَ ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]»، الآيَةَ وَالْحَدِيثَ(١).

الشرح

○ قَول الإمامُ البُخَارِي: «بَابُ مَا جَاءَ فِي تَخْلِيقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَغَيْرِهَا مِنَ الخَلائِقِ، وَهُوَ فِعْلُ الرَّبِّ» يَعْنِي: التَّخْلِيقَ فِعْلُ الرَّبِّ.

○ قوله: «فَالرَّبُّ بِصِفَاتِهِ وَفِعْلِهِ وَأَمْرِهِ، وَهُوَ الخَالِقُ المُكَوِّنُ، غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَمَا كَانَ بِفِعْلِهِ وَأَمْرِهِ وَتَخْلِيقِهِ وَتَكْوِينِهِ، فَهُوَ مَفْعُولٌ مَخْلُوقٌ مُكَوَّنٌ» فَاللهُ ـ تَعَالَى ـ خَلَقَ السمواتِ والأَرْضَ، والسمواتُ مَخْلُوقَةٌ، وهُمَا أَثَرٌ من تَخْلِيقِهِ وفِعْلِهِ وهو الخَلْقُ، والله ـ تَعالى ـ: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢﴾ [يس: ٨٢]، والأَمْرُ كَلَامُهُ، وما كان بأَمْرِهِ فَهُوَ مَخْلُوقٌ، فإذا أراد شيئا، قَالَ: كُنْ

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ مَا جَاءَ فِي تَخْلِيقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَغَيْرِهَا مِنَ الخَلَائِقِ، رقم (٧٤٥٢).

فَكَان تَخْلِيقُهُ وتَكْوِينُهُ، فالسَّمَواتُ مَفْعُولٌ مَخْلُوقٌ مُكَوَّنٌ، ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢]

○ ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَ ابنِ عَبَّاسٍ ﷺ: «**بِتُّ فِي بَيْتِ مَيْمُونَةَ لَيْلَةً، وَالنَّبِيُّ عِنْدَهَا**» فَقَامَ فِي آخِرِ اللَّيْلِ، وقَرَأَ الآياتِ العَشْرَ من آخِرِ سُورَةِ آلِ عِمْرَان «﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]».

والشَّاهِدُ: قَوْلُهُ ـ تَعَالَى ـ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ﴾. فالخَلْقُ وَصْفُهُ ـ سبحانه ـ، والسَّمَوَاتُ والأَرْضُ مَخْلُوقَاتُهُ، وهُمَا أَثَرٌ من صِفَاتِهِ.



١١٠ ـ **وَقَالَ: بَابُ** ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾﴾ [الصَّافات: ١٧١].

قَالَ: «حَدَّثَنَا آدَمُ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، سَمِعْتُ زَيْدَ بْنَ وَهْبٍ، سَمِعْتُ عَبْدَالله بْنَ مَسْعُودٍ، حَدَّثَنَا رَسُولُ الله ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ». وَسَاقَ الْحَدِيثَ(١).

الشَّرْح

○ قول البُخَارِيُّ: «**بَابُ**: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾﴾ [الصَّافات: ١٧١]».

الشاهد: قوله ـ تعالى ـ: «﴿سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا﴾»، وهذا فِيهِ: إِثْبَاتُ الكَلَامِ للهِ، وأَنَّهُ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ.

○ ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَ ابْنِ مَسْعُودٍ: «**أَنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَوْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَهُ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَهُ، ثُمَّ يُبْعَثُ إِلَيْهِ المَلَكُ فَيُؤْذَنُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيَكْتُبُ: رِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ**». فهُوَ يُؤْمَرُ، والآمِرُ هُوَ اللهُ، والأَمْرُ كَلَامُهُ ﷻ، فَهَذَا الحَدِيثُ فِيهِ: إِثْبَاتُ الأَمْرِ والكَلَامِ للهِ ﷻ، وأن كَلَامَ الله صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾﴾ [الصَّافات: ١٧١]، رقم (٧٤٥٤).

١١١ ـ وَقَالَ: بَابُ قَوْلِ الله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ﴾ [النحل: ٤٠].

قَالَ: حَدَّثَنَا شِهَابُ بْنُ عَبَّادٍ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ حُمَيْدٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ قَيْسٍ، عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي قَوْمٌ ظَاهِرِينَ عَلَى النَّاسِ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ الله»(١).

وَرَوَى حَدِيثَ مُعَاوِيَةَ فِي ذَلِكَ أَيْضًا(٢).

الشَّرح

○ قول البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «بَابُ قَوْلِ الله ـ تَعَالَى ـ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ﴾ [النحل: ٤٠]» هَذِهِ الآية فيها إِثْبَاتُ القَوْلِ في قوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا﴾، وإثباتُ الإِرَادَةِ للهِ ﷻ في قوله: ﴿إِذَآ أَرَدْنَٰهُ﴾، وأَنَّهُمَا صِفَتَانِ.

○ ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَ الْمُغِيرَةِ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي قَوْمٌ ظَاهِرِينَ عَلَى النَّاسِ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ الله» الشاهد فيه: «يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ الله» ففيه: إِثْبَاتُ الأَمْرِ، وهُوَ صِفَةٌ من صِفَاتِهِ، وهو نَوْعٌ مِنَ الكَلَامِ.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٤٠﴾، رقم (٧٤٥٩).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٤٠﴾، رقم (٧٤٦٠).

١١٢ ـ وَقَالَ: بَابُ قَوْلِ الله ـ تَعَالَى ـ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا﴾ [الكهف: ١٠٩] الْآيَةَ، وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾ [لقمان: ٢٧] الْآيَةَ.

وَرَوَى حَدِيثَ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «تَكَفَّلَ اللهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ...» الْحَدِيثَ»[1].

الشَّرْحُ

هَذَا البَابُ أَيْضًا لإِثْبَاتِ صِفَةِ الكَلَامِ للهِ ﷻ، وأَنَّ كَلَامَ الله لا يَنْتَهِي.

○ قوله: «بَابُ قَوْلِ الله ـ تَعَالَى ـ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف: ١٠٩]»، هَذِهِ آيَةُ سُورَةِ الكَهْفِ، وفي آيَةِ لُقْمَانَ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ﴾ [لقمان: ٢٧]، وفي الآيَتَيْنِ إِثْبَاتُ الكَلَامِ للهِ، وأَنَّ كَلَامَ الله لا يَنْتَهِي، وأَنَّهُ لَوْ كَانَتِ الْأَشْجَارُ الَّتِي في الأَرْضِ أَقْلَامًا يُكْتَبُ بِهَا، والبِحَارُ حِبْرًا يُكْتَبُ بِهِ؛ لَتَكَسَّرَتِ الْأَقْلَامُ، ونَفِدَتْ مِيَاهُ البِحَارِ، ومَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ الله.

وَذَكَرَ حَدِيثَ أَبِي هُرَيْرَةَ: «تَكَفَّلَ اللهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ، لَا

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾، رقم (٧٤٦٣).

يُخْرِجُهُ مِنْ بَيْتِهِ إِلَّا الجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ وَتَصْدِيقُ كَلِمَتِهِ» هَذَا هو الشَّاهِدُ: «وَتَصْدِيقُ كَلِمَتِهِ» فهذا فِيهِ: إِثْبَاتُ الكَلَامِ للهِ ﷻ.



١١٣ ـ وَقَالَ: بَابُ قَوْلِهِ: ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عِمرَان: ٢٦]

قَالَ: حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الوَارِثِ، عَنْ عَبْدِ العَزِيزِ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِذَا دَعَوْتُمُ الله فَاعْزِمُوا فِي الدُّعَاءِ، وَلا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ إِنْ شِئْتَ فَأَعْطِنِي، فَإِنَّ الله لَا مُسْتَكْرِهَ لَهُ»[1].

وَرَوَى حَدِيثَ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ المُؤْمِنِ كَمَثَلِ الْخَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ». الْحَدِيثَ[2].

وَرَوَى حَدِيثَ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيمَا سَلَفَ قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ، كَمَا بَيْنَ صَلاةِ العَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ». وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِطُولِهِ[3].

وَرَوَى حَدِيثَ أَبِي هُرَيْرَةَ: «أَنَّ نَبِيَّ الله سُلَيْمَانَ كَانَ لَهُ سِتُّونَ امْرَأَةً»[4]. الْحَدِيثَ.

وَرَوَى حَدِيثَ أَبِي هُرَيْرَةَ: «اسْتَبَّ رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ وَرَجُلٌ مِنَ اليَهُودِ». إِلَى قَوْلِهِ: «فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ بِجَانِبِ العَرْشِ، فَلا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ فِي المَشِيئَةِ وَالإِرَادَةِ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾، رقم (٧٤٦٤).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ فِي المَشِيئَةِ وَالإِرَادَةِ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾، رقم (٧٤٦٦).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ فِي المَشِيئَةِ وَالإِرَادَةِ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾، رقم (٧٤٦٧).

(٤) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ فِي المَشِيئَةِ وَالإِرَادَةِ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾، رقم (٧٤٦٩).

صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي، أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللهُ ـ تَعَالَى ـ»[١].

وَسَاقَ فِيهِ أَحَادِيثَ فِي المَشِيئَةِ والاسْتِثْنَاءِ.

الشَّرْح

○ قول البخاري: «بَابُ قَوْلِهِ: ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦]» فِيهِ: إِثْبَاتُ المَشِيئَةِ لِلَّهِ ﷻ.

○ ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَ أَنَسٍ بَعْدَهُ: «إِذَا دَعَوْتُمُ اللهَ فَاعْزِمُوا فِي الدُّعَاءِ، وَلا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ إِنْ شِئْتَ فَأَعْطِنِي، فَإِنَّ اللهَ لَا مُسْتَكْرِهَ لَهُ» وهذا فِيهِ: إِثْبَاتُ المَشِيئَةِ في قوله: «إِنْ شِئْتَ»[٢].

○ ثم ذكر حديث أبي هريرة: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الْخَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ» الحَدِيثَ. وبقيته: «يَفِيءُ وَرَقُهُ مِنْ حَيْثُ أَتَتْهَا الرِّيحُ تُكَفِّئُهَا، فَإِذَا سَكَنَتِ اعْتَدَلَتْ، وَكَذَلِكَ المُؤْمِنُ يُكَفَّأُ بِالْبَلاءِ، وَمَثَلُ الكَافِرِ كَمَثَلِ الأَرْزَةِ صَمَّاءَ مُعْتَدِلَةً حَتَّى يَقْصِمَهَا اللهُ إِذَا شَاءَ».

الشاهد في قوله: «إِذَا شَاءَ» حيث أثبت المَشِيئَةِ للهِ ﷻ.

○ ثم ذكر حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيمَا سَلَفَ قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ، كَمَا بَيْنَ صَلاةِ العَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ». وبَقِيَّتُهُ أَنَّهُ: «كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ أُجَرَاءَ، فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ غُدْوَةَ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتِ اليَهُودُ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلاةِ العَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتِ النَّصَارَى، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنَ العَصْرِ إِلَى أَنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ عَلَى قِيرَاطَيْنِ؟ «فَأَنْتُمْ هُمْ».

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ فِي المَشِيئَةِ وَالإِرَادَةِ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾، رقم (٧٤٧٢).

(٢) تقدم تخريجه.

فَغَضِبَتِ اليَهُودُ، وَالنَّصَارَى، فَقَالُوا: مَا لَنَا أَكْثَرَ عَمَلًا، وَأَقَلَّ عَطَاءً؟ قَالَ: «هَلْ نَقَصْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ؟» قَالُوا: لا، قَالَ: «فَذَلِكَ، فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ».

فالشَّاهِدُ قَوْلُهُ: «أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ»، حيث أثبت فيه المَشِيئَةِ لله.

○ ثم ذكر حديث أبي هريرة ﷺ: «أَنَّ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ لَهُ سِتُّونَ امْرَأَةً، فَقَالَ: لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى سِتِّينَ امْرَأَةٍ» وفي لفظ: «لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى تِسْعِينَ امْرَأَةٍ تَحْمِلُ كُلٌّ مِنْهُنَّ غُلَامًا يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ الله». والمعنى: أن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ كان مقصوده الجهاد، وكان له تسعون امرأة طاف عَلَيْهِنَّ في لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ، وفي هذا دليل على أَنَّهُمْ أُوتُوا قُوَّةً شَدِيدَةً، فبَنِي إسرائيلَ أُعْطُوا من الزوجات الكثير.

«فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: قُلْ: إِنْ شَاءَ اللهُ، فَلَمْ يَقُلْ إِنْ شَاءَ اللهُ». وفي لفظ: «فَلَمْ يَقُلْ وَنَسِيَ فَطَافَ عَلَيْهِنَّ جَمِيعًا فَلَمْ يَحْمِلْ مِنْهُنَّ إِلَّا امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ، جَاءَتْ بِشِقِّ رَجُلٍ». قال النبي ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللهُ، لَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ الله، فُرْسَانًا أَجْمَعُونَ» والشاهد قوله: «قُلْ: إِنْ شَاءَ اللهُ» حيث أثبت المشيئة لله.

○ ثم ذكر حديث أبي هريرة: «فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ بِجَانِبِ العَرْشِ، فَلا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي، أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللهُ - تَعَالَى -؟» فِي قَوْلِهِ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزُّمَر: ٦٨].



١١٤ ـ وَقَالَ: بَابٌ: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٦].

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢]: بَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْأَرْضِ السَّابِعَةِ.

وَرَوَى حَدِيثَ ابْنِ أَبِي أَوْفَى، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَ الأَحْزَابِ: «اللهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ، سَرِيعَ الحِسَابِ، اهْزِمِ الأَحْزَابَ، وَزَلْزِلْهُمْ»(١).

الشَّرْح

هذا الباب فِيهِ: إِثْبَاتُ العِلْمِ للهِ ﷻ قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢]، ففي الآية إثباتُ العِلْمِ؛ وحَدِيثِ ابْنِ أَبِي أَوْفَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَدْعُو يَوْمَ الأَحْزَابِ، وَقَالَ: «**اللهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ، سَرِيعَ الحِسَابِ، اهْزِمِ الأَحْزَابَ، وَزَلْزِلْهُمْ**».

والشَّاهِدُ فِيه قَوْلِهِ: «**مُنْزِلَ الكِتَابِ**» والكتاب كَلَامُ الله ﷻ ففيه إِثْبَاتِ الْكَلَامِ للهِ ﷻ.

وفيه: إِثْبَاتُ العِلْمِ للهِ ﷻ، وأَنَّ الله ﷻ عَالِمٌ بأَحْوَالِهِمْ.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ [النساء: ١٦٦]، رقم (٧٤٨٩).

١١٥ ـ وَقَالَ: بَابُ قَوْلِهِ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥].

قَالَ: حَدَّثَنَا الحُمَيْدِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا الزُّهْرِيُّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ المُسَيِّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قَالَ اللهُ ـ تَعَالَى ـ: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»[(١)].

قَالَ: وَحَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِاللهِ الأَغَرِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «يَتَنَزَّلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»[(٢)].

وَسَاقَ فِيهِ حَدِيثَ الإِفْكِ[(٣)]، وَحَدِيثَ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي الرَّجُلِ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَقَالَ: «حَرِّقُونِي». بِطُولِهِ[(٤)].

الشَّرْحُ

هَذَا البَابُ أَيْضًا عَقَدَهُ المُؤَلِّفُ في إِثْبَاتِ الْكَلَامِ، وغَيْرِهِ مِنَ

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا﴾، رقم (٧٤٩١).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا﴾، رقم (٧٤٩٤).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا﴾، رقم (٧٥٠٠).

(٤) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا﴾، رقم (٧٥٠٦).

الصِّفَاتِ لله تعالى، فقال: «**بَابُ قَوْلِهِ**: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا﴾»، وهذا فِيهِ: إِثْبَاتُ الكَلَامِ للهِ ﷻ.

○ ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَ أَبِي هُرَيْرَةَ: «**قَالَ اللهُ ـ تَعَالَى ـ: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ**» يقول: «**قَالَ اللهُ ـ تَعَالَى ـ**» وهَذَا فيه إِثْبَاتُ القَوْلِ للهِ، فالقَوْلُ كَلَامٌ، وهَذَا حَدِيثٌ قُدْسِيٌّ وهو من كَلَامِ الله لَفْظًا ومَعْنًى.

أما قوله: «**أَنَا الدَّهْرُ**» يعني: مُصَرِّفَ الدَّهْرِ، وخَالِقَ الدَّهْرِ، وقَدْ غَلِط ابنُ حَزْمٍ؛ حِينَما أَثْبَتَ الدَّهْرَ من أسماءِ الله، فقد غَلَّطَهُ أهل العلم، وقَالُوا: الأحَادِيثُ يُفَسِّرُ بَعْضُهَا بَعْضًا. فإنه في اللَّفْظُ الآخَرُ قال: «**مُصَرِّفُ الدَّهْرِ**» وفسره بقية الحديث: «**بِيَدِي الأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**».

● **قد يقول قائل**: هَلْ قَوْلُنَا: يَوْمٌ شَدِيدُ الحَرِّ، أو يومُ نَحْسٍ، من سَبِّ الدَّهْرِ؟

■ **فنقول**: لا، ليسَ مِنْ سَبِّ الدَّهْرِ؛ لأنَّ هَذَا وَصْفٌ لليوم، كما أخبر الله بِهِ عَنْ قَوْمِ لُوطٍ فقال ـ سبحانه ـ: ﴿هَـٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ۝٧٧﴾ [هُود: ٧٧].

فسبُّ الدهر يدخل فيه، من يَسُبُّ اللَّيْلَ والنَّهَارَ، ويَلْعَنُ الزَّمَانَ، فيقول: آذَانَا الدَّهْرُ، لعنَ اللهُ الدَّهْرَ.

○ ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَ أَبِي هُرَيْرَةَ: «**يَتَنَزَّلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**».

○ قوله: «**يَتَنَزَّلُ رَبُّنَا**» فيه: إِثْبَاتُ النُّزُولِ للهِ ﷻ.

وَسَاقَ فِيهِ حَدِيثَ الإِفْكِ أن عائشة قالت: «**مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ اللهَ يُنْزِلُ فِي بَرَاءَتِي وَحْيًا يُتْلَى، وَلَشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحْقَرَ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللهُ فِيَّ بِأَمْرٍ يُتْلَى، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللهُ بِهَا**». فقولها: «**أَنْ يَتَكَلَّمَ اللهُ فِيَّ**»، فيه: إِثْبَاتُ الكَلَامِ للهِ ﷻ.

وكذلك حديث الذي لم يعمل خيرا قط: «**قَالَ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ: فَإِذَا مَاتَ فَحَرِّقُوهُ وَاذْرُوا نِصْفَهُ فِي البَرِّ، وَنِصْفَهُ فِي البَحْرِ، فَوَاللهِ لَئِنْ قَدَرَ اللهُ عَلَيْهِ لَيُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا لَا يُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ العَالَمِينَ، فَأَمَرَ اللهُ البَحْرَ فَجَمَعَ مَا فِيهِ، وَأَمَرَ البَرَّ فَجَمَعَ مَا فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: لِمَ فَعَلْتَ؟ قَالَ: مِنْ خَشْيَتِكَ وَأَنْتَ أَعْلَمُ، فَغَفَرَ لَهُ**». فيه إثبات الكلامِ للهِ ﷻ.



١١٦ ـ وَقَالَ: بَابُ مَا جَاءَ فِي دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ أُمَّتَهُ إِلَى تَوْحِيدِ الله. وَذَكَرَ حَدِيثَ مُعَاذٍ وَغَيْرِهِ[(١)].

الشَّرْحُ

هَذَا البَابُ في دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ أُمَّتَهُ إِلَى تَوْحِيدِ الله ﷻ. وَذَكَرَ فيه حَدِيثَ مُعَاذٍ حِينَ كَانَ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى حِمَارٍ؛ **فَقَالَ ﷺ: «يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ الله عَلَى العِبَادِ؟». قَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، أَتَدْرِي مَا حَقُّهُمْ عَلَيْهِ؟». قَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ»[(٢)].**

فهَذَا الحديث فيه بيانُ حَقِّ الله، وحق الله حقٌّ وَاجِبٌ لَازِمٌ، وهُوَ تَوْحِيدُهُ وإِخْلَاصُ الدِّينِ لَهُ.

وأمَّا حَقُّ العِبَادِ على الله فحَقُّ تَفَضُّلٍ وإِكْرَام، حقٌّ أَوْجَبَهُ عَلَى نَفْسِهِ وهو أَنَّهُ لا يُعَذِّبُ مَنْ مَاتَ على التَّوْحِيدِ، ولَم يُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا.

فهذا الحديث فيه دُعَاءُ النَّبِيِّ ﷺ لِأُمَّتِهِ إلى التَّوْحِيدِ، والمُؤَلِّفُ اخْتَصَرَهُ، وحَذَفَ نُصُوصًا كَثِيرَةً، فقد كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَسْتَعْرِض الأَبْوَابَ التي ذَكَرَهَا الإمامُ البُخَارِيُّ.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ مَا جَاءَ فِي دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ أُمَّتَهُ إِلَى تَوْحِيدِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، رقم (٧٣٧١).

(٢) أخرجه البخاري: كِتَابُ التَّوْحِيدِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ أُمَّتَهُ إِلَى تَوْحِيدِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، رقم (٧٣٧٣)، ومسلم: كتاب الأيمان، رقم (٣٠).

١١٧ ـ وَقَالَ: بَابُ قَوْلِ الله: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ﴾ [الإسراء: ١١٠].

ورَوَى حَدِيثَ جَرِيرٍ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَا يَرْحَمِ اللهُ مَنْ لَا يَرْحَمِ النَّاسَ»(١)

الشَّرْحُ

هـذا الـبـاب، وهـو بَـابُ: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ﴾ [الإسراء: ١١٠]. **فيه من الفوائد:**

١- إِثْبَاتُ اسم الرَّحْمَنِ.

٢- فَضْلُ صِلَةِ الرَّحِم؛ لأنَّ أسماءَ الله مُشْتَقَّةٌ، فكُلُّ اسم مُشْتَمِلٌ عَلَى صِفَةٍ، فالرَّحْمَنُ مُشْتَمِلٌ على صِفَةِ الرَّحْمَةِ، والعليمُ مُشْتَمِلٌ على صِفَةِ العِلْم، والقَدِيرُ مُشْتَمِلٌ على صِفَةِ القُدْرَةِ، واللهُ مُشْتَمِلٌ على صِفَةِ الأُلُوهِيَّةِ، وهكذا.

○ ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَ: «لَا يَرْحَمُ اللهُ مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ» وفِي هذا الحديث: إِثْبَاتُ الرَّحْمَةِ.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بابُ قَوْلِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]، رقم (٧٣٧٦).

١١٨ ـ وَقَالَ: بَابُ قَوْلِ الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٨].

قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدَانُ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِالرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ، عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا أَحَدٌ أَصْبَرُ عَلَى أَذًى سَمِعَهُ مِنَ الله، يَدَّعُونَ لَهُ الوَلَدَ، ثُمَّ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ»(١).

الشَّرْح

هذا الباب وهو: «﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٨]» **فِيهِ من الفوائد:**

١- إِثْبَاتُ اسمِ الرَّزَّاقِ، وأَنَّهُ من أسْمَائِهِ.

٢- إِثْبَاتُ صِفَةِ القُوَّةِ في قوله: ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ﴾.

○ ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ قال: قال النبي ﷺ: **«مَا أَحَدٌ أَصْبَرُ عَلَى أَذًى سَمِعَهُ مِنَ الله، يَدَّعُونَ لَهُ الوَلَدَ، ثُمَّ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ».**

وفيه: وَصْفُ الله بالصَّبْرِ على الأَذَى، وهذا فِيهِ قُوَّةٌ، فأثبت صِفَةَ القُوَّةِ للهِ ﷻ كما يَلِيقُ بجَلَالِه وعَظَمَتِهِ.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٨]، رقم (٧٣٧٨).

١١٩ - وَقَالَ: بَابُ قَوْلِ الله: ﴿عَـٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦﴾ [الجن: ٢٦]، **وَ**﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤]، **الآيَاتِ.**

وَرَوَى حَدِيثَ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَفَاتِيحُ الغَيْبِ خَمْسٌ، لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ»[(١)].

وَقَالَ: نا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، نا سُفْيَانُ عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: «مَنْ حَدَّثَكُم أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ، فَقَدْ كَذَبَ، وَهُوَ يَقُولُ: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَـٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] **وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ الغَيْبَ، فَقَدْ كَذَبَ، وَهُوَ يَقُولُ: لَا يَعْلَمُ الغَيْبَ إِلَّا اللهُ»[(٢)].**

الشَّرْحُ

هَذَا البَابُ عَقَدَهُ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ في إِثْبَاتِ صِفَةِ العِلْمِ، وأَنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَعْلَمُ الغَيْبَ والشَّهَادَةَ، وأن الله يَعْلَمُ مَا كَانَ في المَاضِي والأَزَلِ، وما يكونُ في الحَاضِرِ، ومَا يَكُونُ في المُسْتَقْبَلِ، ويعلمُ مَا لَمْ يَكُنْ لو كَانَ كَيْفَ يَكُونُ.

○ قوله: «**بَابُ قَوْلِ الله - تَعَالَى -:** ﴿عَـٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ [الجن: ٢٦-٢٧]، وَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤]».

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿عَـٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦﴾، رقم (٧٣٧٩).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿عَـٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦﴾، رقم (٧٣٨٠).

○ ثُمَّ رَوَى حَدِيثَ ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: «**مَفَاتِيحُ الغَيْبِ خَمْسٌ، لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ** ثُمَّ قَرَأَ الآيَةَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: ٣٤]» هَذِهِ مَفَاتِيحُ الغَيْبِ:

الأول: لَا يَعْلَمُ عِلْمَ السَّاعَةِ إِلَّا اللهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤].

الثاني: لَا يَعْلَمُ مَتَى يَنْزِلُ المَطَرُ إِلَّا اللهُ ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾.

الثالث: لا يَدْرِي مَا فِي الأَرْحَامِ إِلَّا اللهُ، وهَذَا قَبْلَ أن يُخْلَقَ الجَنِينُ، فلا أحد يَدْرِي ما تَكُونُ هذه النُّطْفَةُ، أذَكَرٌ أم أُنْثَى؟ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يُعْلِمُ اللهُ المَلَكَ، يقولُ: ذَكَرٌ أو أُنْثَى ثُمَّ بَعْدَ ذَلكَ يَعْلَمُ الأَطِبَّاء ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾.

الرابع: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾، مَا تُدْرِكُ نَفْسٌ مَاذَا يَحْصُلُ مِنَ الغَدِ.

الخَامِسُ: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾، مَا تُدْرِكُ نَفْسٌ أين يفجؤها الموت.

○ ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: «**مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ، فَقَدْ كَذَبَ، وَهُوَ يَقُولُ**: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾، وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ الغَيْبَ، فَقَدْ كَذَبَ، وَهُوَ يَقُولُ: ﴿لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾».

○ قوله تعالى: «﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾»: يعني: لَا تَرَاهُ العُيُونُ في الدُّنْيَا، ولا تُحِيطُ بِه رُؤْيَة، وهَذَا هُوَ الصَّوَابُ: فإنَّ مُحَمَّدًا ﷺ لَمْ يَرَ رَبَّهُ بِعَيْنِ بَصَرِهِ في لَيْلَةِ المِعْرَاجِ، وقد قالَ بَعْضُ العُلَمَاءِ: إنَّهُ رَآهُ بِعَيْنِ رَأْسِهِ. لكن الصَّوَابُ أنَّهُ رَآهُ بِعَيْنِ قَلْبِهِ؛ ومَا

جَاءَ عَنِ الصَّحَابَةِ من الآثَارِ في إِثْبَاتِ رُؤْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ لِرَبِّهِ فَهُو مَحْمُولٌ عَلَى رُؤْيَةِ الفُؤَادِ، ومَا جَاءَ مِنَ الآثَارِ في المَنْعِ من الرُّؤْيَةِ فَهُو مَحْمُولٌ على رُؤْيَةِ البَصَرِ، وبِهَذَا تَجْتَمِعُ الأَدِلَّةُ[١].

فيَكُونُ النَّبِيُّ لم يَرَ رَبَّهُ بِعَيْنِ رَأْسِهِ؛ ولَكِنَّهُ رَآهُ بِعَيْنِ قَلْبِه.

فإن قال قائل: مَا مَعْنَى رُؤْيَةِ القَلْبِ؟

فنقول: مَا رَأى بَعَيْنِ رَأْسِه؛ لَكِنْ جَعَلَ اللهُ زِيَادَةَ العِلْمِ في قَلْبِهِ.

والشَّاهِدُ فِي: وَصْفِ الله بأَنَّهُ يعْلَمُ الغَيْبَ، وفِيهِ وصْفُ الله بالعَظَمَةِ، وأنَّهُ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ.

❁ ❁ ❁

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٦/٥٠٩)، واجتماع الجيوش الإسلامية ص (١٢).

١٢٠ - قَالَ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى -: وَقَالَ: بَابُ قَوْلِ اللهِ: ﴿ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ﴾ [الحشر: ٢٣].

وَرَوَى حَدِيثَ عَبْدِاللهِ فِي التَّشَهُّدِ(١).

الشَّرْحُ

هذا الباب الذي نقله ابن البنا عن البخاري وهو: «بَابُ قَوْلِ اللهِ: ﴿ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ﴾ [الحشر: ٢٣]»، يُشِيرُ فيه إلى قَوْلِ الله - تَعَالَى - في آيَةِ الحَشْرِ: ﴿ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٢٣﴾ [الحشر: ٢٣]، فترجم بها لإثْبَاتِ اسْمِ السَّلَامِ، واسم المُؤْمِنِ، فهما اسمان من أسماء الله.

فالسلام: دُعَاءٌ بالسَّلَامِ، فالمُسْلِمُ يَدْعُو بالسَّلَامَةِ لمَنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ.

والمؤمن: المُصَدِّقُ لِرُسُلِهِ بالمُعْجِزَاتِ.

وفي الآية: إثباتُ عَدَدٍ من الأَسْمَاءِ لله - تعالى -: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ﴾، فاسمُ المَلِكِ القُدُّوسِ مُتنَزِّهٌ مُتَطَهِّرٌ عن كل نَقْصٍ وعَيْبٍ ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٢٣﴾ [الحشر: ٢٣]، فَهَذِهِ ثَمَانِيَةُ أَسْمَاء، والمُؤَلِّفُ ذَكَر اسْمَيْنِ في التَّرْجمةِ.

○ ثم قال: «وَرَوَى حَدِيثَ عَبْدِاللهِ فِي التَّشَهُّدِ» هو: ابنُ مَسْعُودٍ

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ﴾، رقم (٧٣٨١).

ﷺ، وحديثُ ابْنُ مَسْعُودٍ أخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ البخارِيُّ ومُسْلِمٌ فِي تَعْلِيمِ النَّبِيِّ ﷺ لَهُ التَّشَهُّدَ، والتشهد أنْوَاعٌ وصِيَغٌ، فهناك تَشَهُّدُ ابْنِ مَسْعُودٍ، وتَشَهُّدُ ابنِ عبَّاسٍ، وتشهُّدُ ابنِ عُمَر، وأَصَحُّهَا تَشَهُّدُ ابنِ مَسْعُودٍ قال: عَلَّمَنِي رَسُولُ الله ﷺ، وَكَفِّي بَيْنَ كَفَّيْهِ، التَّشَهُّدَ، كَمَا يُعَلِّمُنِي السُّورَةَ مِنَ القُرْآنِ: **«التَّحِيَّاتُ للهِ، وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ، السَّلامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ الله الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ»**[١].

أما تشهد ابن عباس فإنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا التَّشَهُّدَ كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ فَكَانَ يَقُولُ: **«التَّحِيَّاتُ الْمُبَارَكَاتُ، الصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ لِلَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ»**[٢].

فإِذَا أَتَى المُسْلِمُ بِأَيِّ نَوْعٍ من الأَنْواعِ التَّشَهُّدِ الثابتة، فإِنَّهُ مَشْرُوعٌ.

«**التَّحِيَّاتُ لله**»: يَعْنِي: التَّعْظِيمَاتِ كُلَّهَا للهِ.

«**وَالصَّلَوَاتُ**»: الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ وغَيْرُهَا.

«**وَالطَّيِّبَاتُ**»: الأَعْمَالُ الطَّيِّبَةُ، والأَقْوَالُ الطَّيِّبَةُ.

«**السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ، السَّلامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ الله الصَّالِحِينَ**»: هذا هُوَ الشَّاهِدُ في التَّرْجَمَةِ، فَفِيهِ إِثْبَاتُ اسْمِ السَّلَامِ للهِ في التَّشَهُّدِ.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ الِاسْتِئْذَانِ، بَابُ الأَخْذِ بِاليَدَيْنِ، رقم (٦٢٦٥).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الصلاة، رقم (٤٠٣).

١٢١ ـ وَقَالَ: بَابُ قَوْلِ الله ـ تَعَالَى ـ: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢﴾ [النَّاس: ٢].

قال: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَعِيدٍ ـ هُوَ ابْنُ الْمُسَيَّبِ ـ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَقْبِضُ اللهُ الأَرْضَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ»[1].

الشَّرْحُ

○ قول الإمام البُخاري: «بَابُ قَوْلِ الله ـ تَعَالَى ـ: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢﴾ [النَّاس: ٢]» المَقْصُودُ مِنْ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ إِثْبَاتُ اسمِ المَلِكِ، وأَنَّه مِنْ أَسْمَاءِ الله.

○ ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**يَقْبِضُ اللهُ الأَرْضَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ**».

فالشاهد في الحديث قوله: «**أَنَا المَلِكُ**».

وفيه من الفوائد:

١- إِثْبَاتُ اسمِ المَلِكِ.

٢- إِثْبَاتُ القَبْضِ للهِ ﷻ، فإن الله يَقْبِضُ الأَرْضَ يومَ القِيَامَةِ،

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢﴾، رقم (٧٣٨٢).

ويَطْوِي السموات بيمينه، كما يليق بجلاله وعظمته، وهما من الصِّفَاتِ الفِعْلِيَّةِ.



١٢٢ ـ وَقَالَ: بَابُ قَوْلِ الله ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٤﴾ [إبراهيم: ٤].

قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي الأَسْوَدِ، حَدَّثَنَا حَرَمِيٌّ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لا يَزَالُ يُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ فِيهَا رَبُّ العَالَمِينَ قَدَمَهُ، فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، ثُمَّ تَقُولُ: قَدْ، قَدْ، بِعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ، وَلا تَزَالُ الجَنَّةُ تَفْضُلُ، حَتَّى يُنْشِئَ اللهُ لَهَا خَلْقًا، فَيُسْكِنَهُمْ فَضْلَ الجَنَّةِ»[1].

الشَّرْحُ

○ قَولَ الإمَام البُخَارِي: «بَابُ قَوْلِ الله ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٤﴾ [إبراهيم: ٤]» المقْصُودُ مِنْ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ إِثْبَاتُ اسم العَزِيزِ، واسم الحَكِيمِ للهِ ﷻ، وَسَبَقَ أَنَّ أَسْمَاءَ الله ـ تَعَالَى ـ مُشْتَقَّةٌ لَيْسَت جَامِدَةً.

فكُلُّ اسم مُتَضَمِّنٌ لِصِفَةٍ، فالعَزِيزُ مُتَضَمِّنٌ لإِثْبَاتِ صِفَةِ العِزَّةِ، والحَكِيمُ مُتَضَمِّنٌ لإثباتِ صِفَةِ الحِكْمَةِ.

○ ثم ذكر حديثَ أنسٍ ﷺ قال: «لا يَزَالُ يُلْقَى فِيهَا ـ يعني النار ـ وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ فِيهَا رَبُّ العَالَمِينَ قَدَمَهُ، فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، ثُمَّ تَقُولُ: قَدْ، قَدْ، بِعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ».

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٤﴾، رقم (٧٣٨٤).

الشَّاهِدُ فيه قَوْلُهُ: «بِعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ».

وفيه من الفوائد:

١- أنَّ العِزَّةَ للهِ.

٢- الحَلِفُ بِعِزَّةِ الله، فالنَّارُ أَقْسَمَتْ بِعِزَّةِ الله، والقَسَمُ صِفَةٌ من صِفَاتِ الله، والقسم بالله وأسمائه وصفاته مَشْرُوعٌ، وفي قَولِ الله - تَعَالَى - عن إبْلِيس أنَّهُ أَقْسَمَ بِعِزَّةِ الله: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢)﴾ [ص: ٨٢].

ومنه: مَا جَاءَ في الحَدِيثِ الصَّحِيحِ في قصة آخر أهل النار خروجا: «**ثُمَّ يَفْرُغُ اللهُ مِنَ القَضَاءِ بَيْنَ العِبَادِ، وَيَبْقَى رَجُلٌ مِنْهُمْ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ، هُوَ آخِرُ أَهْلِ النَّارِ دُخُولًا الجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ، فَإِنَّهُ قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا، وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا، فَيَدْعُو الله بِمَا شَاءَ أَنْ يَدْعُوَهُ، ثُمَّ يَقُولُ اللهُ: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ؟ فَيَقُولُ: لا، وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ**»[(١)]. فأَقْسَمَ بِعِزَّةِ الله، فالواوُ واو القَسَمِ.

٣- إِثْبَاتُ القَدَمِ للهِ ﷻ، كَمَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وعَظَمَتِهِ.

٤- أنَّ النَّار لَا تَزَالُ تَقُولُ: «**هَلْ مِنْ مَزِيدٍ**». حَتَّى يلقي ربُّ العِزَّةِ قدمه فيها.

٥- أنَّ الجَنَّةَ يَبْقَى فِيهَا فَضْلٌ حَتَّى يُنْشِئَ اللهُ لَهَا خَلْقًا؛ فَيُدْخِلَهُمْ الجَنَّةَ بِفَضْلِهِ وإِحْسَانِهِ.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ التَّوْحِيدِ، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، رقم (٧٤٣٧)، ومسلم: كتاب الإيمان، رقم (١٨٢).

١٢٣ ـ وَقَالَ: بَابُ قَوْلِ الله ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٧٣].

وَذَكَرَ حَدِيثَ ابْنِ عَبَّاسٍ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو مِنَ اللَّيْلِ»[(١)].

الشَّرْحُ

○ قَولَ البُخَارِي: «بَابُ قَوْلِ الله ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٧٣]» هذه الآية من سُورَةِ الأَنْعَامِ يقول الله ـ تعالى ـ فيها: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنعام: ٧٣]

هذه الآيةُ فيها إثباتُ عَدَدٍ من الصِّفَاتِ:

١- صِفَةُ الخَلْقِ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾.

٢- صِفَةُ القَوْلِ وَالكَلَامِ: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾.

٣- صِفَةُ العِلْمِ: ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾.

٤- صِفَةُ الحِكْمَةِ، والخِبْرَةِ، وإِثْبَاتُ اسمِ الحَكِيمِ والخَبِيرِ: ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾﴾.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾، رقم (٧٣٨٥).

○ ثم ذكر حديثَ ابنِ عبَّاسٍ: «**كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو مِنَ اللَّيْلِ**» والحديثُ طويل رواه الإمام البخاري في قيام الليل وهو حديث طويل في حديث الاستفتاح أوله: «**اللهمَّ لَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، قَوْلُكَ الحَقُّ، وَوَعْدُكَ الحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ...**»(١) إلى آخر الحديث.

والحديث فيه: إثباتُ المُلْكِ، والعِلْم، والخِبْرَةِ، والعِزَّةِ، والرُّبُوبِيَّةِ، والقَيُّومِيَّةِ؛ فَهُو قيوم السموات والأرض؛ فيكونُ شَاهِدًا مُنَاسِبًا للتَّرْجَمَةِ.



---

(١) الحديث السابق.

١٢٤ ـ وَقَالَ: بَابُ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾﴾ [النّساء: ١٣٤].

وَقَالَ الأَعْمَشُ، عَنْ تَمِيمٍ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الأَصْوَاتَ، فَأَنْزَلَ اللهُ ـ تَعَالَى ـ عَلَى النَّبِيِّ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١]»[(١)].

وَذَكَرَ حَدِيثَ أَبِي مُوسَى: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَكُنَّا إِذَا عَلَوْنَا كَبَّرْنَا، فَقَالَ: «ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا قَرِيبًا». الْحَدِيثَ[(٢)].

وَحَدِيثَ عَائِشَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ جِبْرِيلَ نَادَانِي قَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ»[(٣)].

الشَّرْح

○ قَولَ الإمامِ البُخَارِي رَحِمَهُ اللهُ: «بَابُ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾﴾ [النّساء: ١٣٤]» المَقْصُودُ من هَذِهِ التَّرْجَمَةِ إِثْبَاتُ اسمَي السَّمِيعِ، والبَصِيرِ، وصِفَتَي السَّمْعِ، والبَصَرِ، والسَّمِيعُ، والبَصِيرُ من الأسماءِ المُشْتَرَكَةِ بينَ الخَالِقِ والمَخْلُوقِ؛ لأنَّ **أسماء الله نوعان:**

الأول: نَوْعٌ خَاصٌّ بِهِ لا يُسَمَّى بِهِ إِلَّا هُوَ ـ سبحانه ـ، مثل: اللهُ، الرَّحْمَنُ، خَالِقُ الخَلْقِ، مَالِكُ المُلْكِ، الضَّارُّ، النَّافِعُ،

---

(١) أخرجه البخاري معلقاً (٩/ ١١٧).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾﴾، رقم (٧٣٨٦).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾﴾، رقم (٧٣٨٩).

المُعْطِي، المَانِعُ، رَبُّ العَالمِينَ.

الثاني: أسماءٌ مُشْتَرَكَةٌ، فالخالِقُ لَهُ مَا يَخُصُّهُ والمخْلُوقُ لَهُ ما يَخُصُّهُ مثل: السَّمِيعُ، والبَصِيرُ، والعَلِيمُ، والحَكِيمُ والحَيُّ، وما أشْبَهَ ذَلِكَ من الصِّفَاتِ.

○ ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَ عَائِشَةَ ﵂ في قِصَّةِ المُجَادِلَةِ وهِيَ: خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيم، لمَّا ظَاهَرَ مِنْهَا زَوْجُهَا أوسُ بنُ الصَّامِتِ فقال لَهَا: أَنْتِ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّي، تأتِي **وَهِيَ تَشْتَكِي إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ زَوْجَهَا وَهِيَ تَقُولُ**: «**يَا رَسُولَ اللهِ أَكَلَ شَبَابِي وَنَثَرْتُ لَهُ بَطْنِي حَتَّى إِذَا كَبِرَتْ سِنِّي وَانْقَطَعَ لَهُ وَلَدِي ظَاهَرَ مِنِّي، اللهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ**». فَأَنْزَلَ اللهُ أَوَّلَ سُورَةِ المُجَادَلَةِ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١ ٱلَّذِينَ يُظَـٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم﴾ [المجادلة: ١-٢] فأنزل الله كفارة الظهار؛ فقالت عائشة ﵂: «**الْحَمْدُ للهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ، لَقَدْ جَاءَتِ الْمُجَادِلَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَأَنَا فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ، تَشْكُو زَوْجَهَا، وَمَا أَسْمَعُ مَا تَقُولُ فَأَنْزَلَ اللهُ**: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١]» فهذا فيه: إِثْبَاتُ السَّمْعِ للهِ ﷻ.

○ ذكر حديث أبي موسى ﵁ قال: «**كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَكُنَّا إِذَا عَلَوْنَا كَبَّرْنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ**» أَي: ارْفُقُوا على أَنْفُسِكُمْ مِنْ رَفْعِ الصَّوْتِ، «**فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا قَرِيبًا**» أقْرَبَ إلى أَحَدِكُمْ من عُنُقِ رَاحِلَتِهِ، ففي هَذَا الحَدِيثِ إِثْبَاتُ صِفَةِ السَّمْعِ والبَصَرِ للهِ.

وَحَدِيثَ عَائِشَةَ: «**إِنَّ جِبْرِيلَ نَادَانِي قَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ**» فيه: إِثْبَاتُ صِفَةِ السَّمْعِ، وهو الشاهد في الترجمة.

❁ ❁ ❁

١٢٥ ـ وَقَالَ: بَابُ ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ﴾ [الأنعام: ٦٥].

وَذَكَرَ فِيهِ حَدِيثَ جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللهِ السُّلَمِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الاسْتِخَارَةِ(١).

الشَّرْحُ

المَقْصُودُ مِن هَذِهِ التَّرْجَمِةِ هُوَ إِثْبَاتُ اسمِ القَادِرِ، وهُوَ يَتَضَمَّنُ إِثْبَاتَ صِفَةِ القُدْرَةِ.

○ ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَ جَابِرٍ في الاسْتِخَارَةِ قال: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُعَلِّمُ أَصْحَابَهُ الِاسْتِخَارَةَ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، كَمَا يُعَلِّمُهُمُ السُّورَةَ مِنَ القُرْآنِ يَقُولُ: «إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلِ: اللهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ، اللهُمَّ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ هَذَا الأَمْرَ ـ ثُمَّ تُسَمِّيهِ بِعَيْنِهِ ـ خَيْرًا لِي فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ ـ قَالَ: أَوْ فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي ـ فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، اللهُمَّ وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي ـ أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ ـ فَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِيَ الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ﴾، رقم (٧٣٩٠).

(٢) الحديث السابق.

والشَّاهِدُ من الحَدِيثِ: إِثْبَاتُ صِفَةِ العِلْم والقُدْرَةِ في قوله: «اللهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ».



١٢٦ ـ وَقَالَ: بَابُ مُقَلِّبِ القُلُوبِ.

وَذَكَرَ حَدِيثَ عَبْدِ الله: أَكْثَرُ مَا كَانَ النَّبِيُّ يَحْلِفُ: «لا وَمُقَلِّبِ القُلُوبِ»(١).

الشَّرْحُ

○ قول البُخَارِي: «**بَابُ مُقَلِّبِ القُلُوبِ**» أي: أن اللهُ ـ تَعَالى ـ هُوَ مُقَلِّبُ القُلُوبِ ومُصَرِّفُهَا، فهُوَ يَتَصَرَّفُ في خَلْقِهِ، وَيُدَبِّرُهُمْ.

○ ثم ذكر حديث عبدالله رضي الله عنه: أَكْثَرُ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَحْلِفُ: «**لا وَمُقَلِّبِ القُلُوبِ**».

ومناسبة الترجمة ظاهرة، وفي الحديث الآخر قالت عائشة رضي الله عنها: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّكَ تُكْثِرُ أَنْ تَدْعُوَ بِهَذَا الدُّعَاءِ، هَلْ تَخْشَى؟ قَالَ: «**وَمَا يُؤْمِنِّي وَإِنَّمَا قُلُوبُ الْعِبَادِ بَيْنَ أُصْبُعَيْ الرَّحْمَنِ، إِنَّهُ إِذَا ارَادَ أَنْ يَقْلِبَ قَلْبَ عَبْدٍ قَلَبَهُ**»(٢). نَسْأَلُ الله أَنْ يُثَبِّتَ قُلُوبَنَا على طَاعَتِهِ، وعَلَى دِينِهِ.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ مُقَلِّبِ القُلُوبِ، رقم (٧٣٩١).

(٢) أخرجه أحمد في المسند: رقم (٢٦١٣٣).

١٢٧ ـ بَابٌ: إِنَّ للهِ مِائَةَ اسْمٍ إِلَّا وَاحِدًا.

وَذَكَرَ حَدِيثَ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ «إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ»[١].

الشَّرْحُ

المَقْصُودُ بِهَذِهِ التَّرْجَمَةِ إثباتُ الأَسْمَاءِ للهِ، وأنَّ لَهُ أسماء كَثِيرَةً فِي غَيْرِ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، ولكنَّ حَدِيثَ أَبِي هُرَيْرَةَ: «**إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ**». فيه: إِثْباتُ الأَسْمَاءِ للهِ ﷻ، وأَسْمَاءُ اللهِ لَيْسَتْ مَحْصُورةً بالمِئَةِ، وإنما هذه الأسماء موصوفة بأن: «**مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ**».

وله ـ سبحانه ـ أَسْمَاءُ أُخْرَى غَيْرُ مَوْصُوفَةٍ بِهَذَا الوَصْفِ؛ فليس المرادُ الحَصْرَ؛ فأسماءُ الله أكثرُ مِنْ تِسْعَةٍ وتِسْعِينَ، حتى قيل: إنَّ للهِ ألفَ اسمٍ.

يدلُّ على ذلك حَدِيثُ ابنِ مَسْعُودٍ: «**مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ، فَقَالَ: اللهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ**»[٢]. معناه: أنَّه اسْتَأْثَرَ بأسْمَاءٍ في عِلْمِ الغَيْبِ عِنْدَهُ لا يعْلَمُهَا غَيْرُهُ.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابٌ: إِنَّ للهِ مِائَةَ اسْمٍ إِلَّا وَاحِدًا، رقم (٧٣٩٢).

(٢) أخرجه أحمد في المسند: رقم (٤٣١٨).

● **قد يقول قائل: هل الحق اسم من أسماء الله؟**

■ **فنقول**: نعم، الحق اسمٌ من أسماءِ الله، ودليله قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾ [النور: ٢٥] وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٦٢]. وقول النبي ﷺ: «**أَنْتَ الحَقُّ، وَوَعْدُكَ الحَقُّ**»[1]. فالآيات والأحاديث واضحة.



(١) أخرجه البخاري: كتاب التهجد، باب التهجد بالليل وقوله ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾ [الإسراء: ٧٩]، رقم (١١٢٠)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم (٧٦٩).

١٢٨ ـ وَقَالَ: بَابُ السُّؤَالِ بِأَسْمَاءِ الله وَالْاسْتِعَاذَةِ بِهَا.

وَذَكَرَ الْحَدِيثَ: «اللهُمَّ بِاسْمِكَ أَحْيَا وَأَمُوتُ»[١]. وَذَكَرَ أَحَادِيثَ الصَّيْدِ وَالتَّسْمِيَةِ[٢]».

الشَّرْحُ

○ قَولَ البُخَارِي ﷺ: «بَابُ السُّؤَالِ بِأَسْمَاءِ الله، وَالْاسْتِعَاذَةِ بِهَا» هَذِهِ التَّرْجَمَةُ مَعْقُودَةٌ لِلْسُّؤَالِ بأسماءِ الله، والاسْتِعَاذَةِ بِهَا.

○ وذَكَرَ الحَدِيثَ: «اللهُمَّ بِاسْمِكَ أَحْيَا وَأَمُوتُ» فَيُشْرَعُ لِلْمُسْلِم أن يقوله عندَ النَّوْم وإذا اسْتَيْقَظَ قَال: «الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ»[٣].

فالشاهد قوله: «اللهُمَّ بِاسْمِكَ أَحْيَا وَأَمُوتُ» فقد سَأَلَ وتوسل بِاسْمِ الله؛ فَمَشْرُوعٌ للمُسْلِم أَنْ يَسْتَعِينَ باسْمِ الله، وأن يَسْتَعِيذَ بأسماءِ الله، وأن يَتَوَسَّلَ بأسماءِ الله.

○ قوله: «وذكرَ أحادِيثَ الصَّيْدِ والتَّسْمِيَةِ» فيه: السُّؤَالُ باسْم الله، وفي حَدِيثِ الاستِخَارَةِ الَّذِي سَبَقَ: «اللهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ السُّؤَالِ بِأَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى وَالِاسْتِعَاذَةِ بِهَا، رقم (٧٣٩٤).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ السُّؤَالِ بِأَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى وَالِاسْتِعَاذَةِ بِهَا، رقم (٧٣٩٧).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

وَفِي الآيَةِ اللهُ ـ تَعَالَى ـ يقُولُ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وفِي حَدِيثِ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيم الذي رواه الإمام مسلم: «**مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ**»[1]. وهذه الاستعاذة بكلمات الله.

وكَذَلِكَ يُسْتَعَانُ بِالله عِنْدَ الأَكْلِ، والشُّرْبِ، وعِنْدَ دُخُولِ المَسْجِدِ، وعِنْدَ الجِمَاعِ، وإذا أَرَادَ أن يَصِيدَ طَيْرًا فهو يَقُولُ: بِسْمِ الله. وإذا أرسلَ كَلْبَهُ المُعَلَّمَ، يُسَمِّي لَهُ يَقُولُ: بِسْمِ الله.



(١) أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم (٢٧٠٨).

فَصْلٌ

«اعْلَمْ - رَحِمَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ -: أَنَّ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ الَّتِي قَدْ ذَكَرْنَا فِي صِفَاتِ اللهِ - تَعَالَى - قَدْ ذَكَرَهَا الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِاللهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبَلٍ، وَأَشْبَاهَهَا، وَرَوَاهَا شُيُوخُنَا، وَجَمَعَهَا شَيْخُنَا الْإِمَامُ أَبُو يَعْلَى - نَضَّرَ اللهُ وَجْهَهُ - عَلَى مَا سَاقَهَا الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِاللهِ بْنُ بَطَّةَ، وَأَوْجَبُوا كُلُّهُمُ الْإِيمَانَ بِهَا وَالتَّسْلِيمَ، وَلَا تُرَدُّ، وَلَا تُتَأَوَّلُ، وَكَذَلِكَ سَاقَهَا مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، وَأَبُو عَبْدِالرَّحْمَنِ النَّسَائِيُّ، وَجَمِيعُ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ».

الشَّرْح

انْتَهَى الآنَ نَقْلُ المُؤَلِّفِ من كِتَابِ التَّوْحِيدِ في (الجَامِعِ الصَّحِيحِ) للإمام البُخَارِيِّ، وكَذَلِكَ سَبَقَ أَنَّهُ نَقَلَ من كِتَابِ (الشَّرِيعَةِ) لِلآجُرِّيِّ، وسَيَنْقُلُ بَعْدَ قَلِيلٍ عن ابنِ قُتَيْبَةَ مِنْ كِتَابِ (تَأْوِيل مختلف الحديث).

○ يقول المؤلف: «**اعْلَمْ - رَحِمَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ -**» أي: تَيَقَّنْ، والعِلْمُ هُوَ: حُكْمٌ ذِهْنِيٌّ جَازِمٌ، وهو غَيْرُ الشَّكِّ، والوَهْمِ، والظَّنِّ. وقد دَعَا لِنَفْسِهِ ولِلْقَارِئِ.

فالأَشْيَاءُ التي تُتَصَوَّرُ أربعةُ أَشْيَاءَ:

العِلْمُ وهُوَ: الْيَقِينُ الَّذِي يَتَيَقَّنُهُ الإنْسَانُ.

والشَّكُّ وهو: التَّرَدُّدُ بَيْنَ أَمْرَيْنِ من غَيْرِ مُرَجِّحٍ.

والظن وهو: التَّرَدُّدُ بَيْنَ أَمْرَيْنِ أَحَدُهُمَا أَرجح من الآخرِ، فالرَّاجِحُ يُسَمَّى ظَنًّا.

والوهم وهو: المَرْجُوحُ من أمرين أحدهما أرجح من الآخر.

○ قوله: «**أَنَّ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ الَّتِي قَدْ ذَكَرْنَا فِي صِفَاتِ اللهِ ـ تَعَالَى ـ قَدْ ذَكَرَهَا الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِاللهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبَلٍ... وَجَمَعَهَا شَيْخُنَا الْإِمَامُ أَبُو يَعْلَى**» وهُوَ القَاضِي أَبُو يَعْلَى[١] في كِتَابِهِ (إبطال التأويلات)[٢] الَّذِي أَلَّفَهُ في الرَّدِّ على ابْنِ فُورَكَ[٣]، ولَكِنْ عَلَيْهِ بَعْضُ المَلْحُوظَاتِ؛ والقَاضِي أَبُو يَعْلَى من عُلَمَاءِ الحَنَابِلَةِ لَهُ بعضُ الأَغْلَاطِ؛ قَدْ يُوَافِقُ أَهْلَ السُّنَّةِ، وقَدْ يُخَالِفُهُمْ، ويَنْقُلُ من كِتَابِهِ (إبطال التأويلات) عن شَيْخِ الإسلامِ، وقَدْ يَذْكُرُ فيه بعض الأحاديث الموضوعة.

○ قوله: «**عَلَى مَا سَاقَهَا الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِاللهِ بْنُ بَطَّةَ**» مِنْ عُلماءِ الحَنَابِلَةِ المَشْهُورِينَ؛ يعني: سَاقَ هَذِهِ الأَحَادِيثَ نقلا عن القَاضِي أَبِي يَعْلَى.

○ قوله: «**وَأَوْجَبُوا كُلُّهُمُ الْإِيمَانَ بِهَا وَالتَّسْلِيمَ**» أي: الإِيمَانَ بِالأَسْمَاءِ والصِّفَاتِ التي جَاءَتْ في الكِتَابِ والسُّنَّةِ.

○ قوله: «**وَلَا تُرَدُّ، وَلَا تُتَأَوَّلُ**» أي: لَا تُتَأَوَّلُ تَأْوِيلًا بَاطِلًا.

○ قوله: «**وَكَذَلِكَ سَاقَهَا مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، وَأَبُو عَبْدِالرَّحْمَنِ النَّسَائِيُّ، وَجَمِيعُ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ**» يَعْنِي: مَا رَوَاهُ الإمامُ مُسْلِمٌ وأَصْحَابُ السُّنَنِ؛ مِنَ الأَحَادِيثِ الوَارِدَةِ في الأَسْمَاءِ والصِّفَاتِ.

❁ ❁ ❁

---

(١) هو القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن الفراء، شيخ الحنابلة، وممهد مذهبهم في الفروع، المتوفى (٤٥٨هـ). انظر: ترجمته في البداية والنهاية (١٢/ ١١٦).

(٢) طُبع في دار إيلاف الدولية الكويت، بتحقيق محمد بن حمد الحمود النجدي.

(٣) هو شيخ المتكلمين، أبو بكرن محمد بن الحسنِ بنِ فُورَكَ الأصبهاني. انظر: ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٤).

«وَإِنَّمَا زَادَ عَلَيْهِمْ شَيْخُنَا ﵀: أَنَّهُ ذَكَرَ أَسْئِلَةً اعْتَرَضَ بِهَا الْمُتَكَلِّمُونَ عَلَيْهَا إِمَّا لِيُبْطِلُوهَا، أَوْ يَتَأَوَّلُوهَا، فَرَدَّ عَلَيهِمْ ذَلِكَ عَلَى مَا قَالَهُ السَّلَفُ الْمَهْدِيُّونَ، وَالْخَلَفُ الْمَرْضِيُّونَ، وَكَانَ مُوَفَّقًا بِحَمْدِ اللهِ فِي ذَلِكَ وَغَيْرِهِ؛ لِأَنَّ الْمَلَاحِدَةَ قَدِ اعْتَرَضَتْ عَلَى آيِ الْكِتَابِ بِمَا أَوْقَعَتْ بِهِ الشُّبَهُ وَالشُّكُوكُ.

فَلَوْلَا مَا تَفَضَّلَ اللهُ بِهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ أَزَالُوهُ وَمَيَّزُوهُ؛ وَإِلَّا كَانَ النَّاسُ فِي حَيْرَةٍ، وَكَذَلِكَ اعْتَرَضُوا عَلَى الْأَخْبَارِ، وَرَدَّ عَلَيْهِمُ السَّلَفُ الْأَخْيَارُ، وَكَذَلِكَ فَعَلُوا فِي أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ.

وَمَنْ كَانَ قَبْلُ فَكَانَ لَهُمْ مِنْ قُوَّةِ الْإِيمَانِ، وَصِحَّةِ الْإِتْقَانِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالْبَيَانِ مَا لَا يَحْتَاجُونَ مَعَهُ إِلَى مَنْ يَتَجَرَّدُ لِذَلِكَ، فَأَمَّا فِي زَمَانِنَا هَذَا فَالنَّاسُ بِهِمْ حَاجَةٌ إِلَى ذَلِكَ، فَلَوْ لَمْ يُفْعَلْ لَكَانُوا فِي حَيْرَةٍ، وَاللهُ يُحْسِنُ عَلَى ذَلِكَ جَزَاءَهُ، وَيَجْمَعُ لَهُ خَيْرَ آخِرَتِهِ وَدُنْيَاهُ، وَلَقَدْ كَانَ مِنْ أَحْبَارِ الْمُؤْمِنِينَ، وَخِيَارِ الْمُسْلِمِينَ، وَمِنَ الْأَئِمَّةِ الصَّالِحِينَ. نَفَعَنَا اللهُ بِمَحَبَّتِهِ، وَتَغَمَّدَنَا وَإِيَّاهُ بِرَحْمَتِهِ، إِنَّهُ بِمَا يُسْأَلُ جَدِيرٌ، وَعَلَى مَا يَشَاءُ قَدِيرٌ إِنْ شَاءَ اللهُ».

الشَّرْحُ

○ قوله: «زَادَ عَلَيْهِمْ شَيْخُنَا» والمراد بقوله: «شَيْخُنَا» هُوَ: القَاضِي أَبُو يَعْلَى.

قال: «ذَكَرَ أَسْئِلَةً اعْتَرَضَ بِهَا الْمُتَكَلِّمُونَ»، اعْتَرَض المُتَكَلِّمُونَ

بالأسئلة عَلَى النُّصُوصِ، كما سَيَأْتِي في نَقْلُ المؤلِّف ﷺ شُبَهًا مُتَعَدِّدَةً مَا يَقْرُبُ مِنْ أَرْبَعَ عَشْرَةَ شُبْهَةً.

○ قوله: «**إِمَّا لِيُبْطِلُوهَا، أَوْ يَتَأَوَّلُوهَا، فَرَدَّ عَلَيهِمْ ذَلِكَ عَلَى مَا قَالَهُ السَّلَفُ الْمَهْدِيُّونَ، وَالْخَلَفُ الْمَرْضِيُّونَ، وَكَانَ مُوَفَّقًا بِحَمْدِ الله فِي ذَلِكَ**» يَعْنِي فِي رَدِّهِ، لأَنَّ المَلَاحِدَةَ اعْتَرَضُوا على نُصُوصِ الكِتَابِ، ونُصُوصِ السُّنَّةِ، باعْتِرَاضَاتٍ تُوقِعُ الشُّبَهَ والشُّكُوكَ، ولكنَّ الله ﷻ قَيَّضَ لهُم العُلَماءَ الذين أجابُوا عَنِ هَذِهِ الشُّبَهِ، وَلَوْلَا أَنَّ الله قَيَّضَهُمْ لكَانَ النَّاسُ في حَيْرَةٍ.

○ قوله: «**وَمَنْ كَانَ قَبْلُ**» أي: في الأَزْمِنَةِ السَّابِقَةِ فإن العُلَمَاءُ المُتَقَدِّمُونَ قَبْلَ أَنْ تُوجَدَ الشُّبَهُ لما عندهم «**مِنْ قُوَّةِ الإِيمَانِ وَصِحَّةِ الإِتْقَانِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالْبَيَانِ**»، مَا لَا يَحْتَاجُونَ مَعَهُ إلى مَنْ يَرُدُّ عَلَى أَهْلِ البَاطِلِ.

أَمَّا في زَمَانِنَا فالنَّاسُ مُحْتَاجُونَ؛ إلى منْ يَرُدُّ شُبَهَ أهلِ البَاطِلِ، بِسَبَبِ كَثْرَةِ الشُّبَهِ، وضَعْفِ الإيمانِ؛ فالناسُ مُحْتَاجُونَ، فلو لم يَفْعَلْ أهلُ الحَقِّ لكَانَ النَّاسُ في حَيْرَةٍ.

○ قوله: «**وَاللهُ يُحْسِنُ عَلَى ذَلِكَ جَزَاءَهُ، وَيَجْمَعُ لَهُ خَيْرَ آخِرَتِهِ وَدُنْيَاهُ، وَلَقَدْ كَانَ مِنْ أَحْبَارِ الْمُؤْمِنِينَ، وَخِيَارِ المُسْلِمِينَ، وَمِنَ الْأَئِمَّةِ الصَّالِحِينَ**»، أي: القَاضِي أَبُو يَعْلَى.

○ قوله: «**نَفَعَنَا اللهُ بِمَحَبَّتِهِ، وَتَغَمَّدَنَا وَإِيَّاهُ بِرَحْمَتِهِ**»، الدَعَاءُ للصَّالِحِينَ ومحبتهم دِينٌ يَدِينُ بِهِ الإنسانُ رَبَّهُ.

○ قوله: «**إِنَّهُ بِمَا يُسْأَلُ جَدِيرٌ**»، فاللهُ ﷻ جَدِيرٌ بالإجابة.

○ وقوله: «**وَعَلَى مَا يَشَاءُ قَدِيرٌ**» هَذَا الدُّعَاءُ يوافقُ مَنْهَجَ المُعْتَزِلَةُ الذِينَ يقولون: إنَّه عَلَى مَا يَشَاءُ قَدِيرٌ. وقَصْدُهُمْ بذَلِكَ: أَنَّ

أَفْعَالَ العِبَادِ لا يَشَاؤهَا، ولا يَقْدِرُ عَلَيْهَا، وكان الوَاجِبُ على المؤلف رَحِمَهُ اللهُ أنْ يَدْعُو بِمَا دَعَا بِهِ أَهْلُ السُّنَّةِ: واللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

○ قوله: «**إِنْ شَاءَ اللهُ**» لَا حَاجَةَ إِلى هذا الاسْتِثْنَاءِ في الدعاء؛ فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمْ فِي الدُّعَاءِ، فَإِنَّ اللهَ صَانِعٌ مَا شَاءَ، لَا مُكْرِهَ لَهُ**»، إلا إن كان من باب الخبر ـ كما تقدم ـ.



فَصْلٌ

١٣٠ ـ أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الْمُقْرِئُ الحِمَامِيُّ رضي الله عنه قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ كَامِلٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو قِلَابَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ حَفْصٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَكُونَ خُصُومَتُهُمْ فِي رَبِّهِمْ»[1].

قَالَ الْإِمَامُ أَبُو الْفَتْحِ الحَافِظُ رحمه الله: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ؛ مِنْ حَدِيثِ سُفْيَانَ عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، تَفَرَّدَ بِهِ حُسَيْنُ بْنُ حَفْصٍ عَنْهُ، وَتَفَرَّدَ بِهِ أَبُو قِلَابَةَ عَنْ حُسَيْنٍ.

وَهَذِهِ الْخُصُومَةُ هِيَ اعْتِرَاضَاتُ الْمُلْحِدَةِ عَلَى الآثَارِ الَّتِي صَحَّتْ رُوَاتُهَا، وَشُهِرَ نَقْلُهَا، وَأَخَذَتِ الْأَئِمَّةُ بِهَا فَاحْتَاجَ الْعُلَمَاءُ الرَّدَّ لِتِلْكَ الشُّبَهِ، وَنَصِيحَةَ الْأُمَّةِ فِي ذَلِكَ.

الشَّرْحُ

○ قوله: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَكُونَ خُصُومَتُهُمْ فِي رَبِّهِمْ» هذا الحديث رَوَاهُ ابْنُ عَبْدَالبَرِّ في (جامع بيان العلم وفضله) مِنْ طَرِيقِ حُسَيْنِ بْنِ حَفْصٍ، وهَذَا الحديثُ ـ كَمَا قَالَ الإمامُ أبُو الفَتْحِ الحَافِظُ ـ: غَرِيبٌ تَفَرَّدَ بِهِ حُسَيْنُ بْنُ صَالِحٍ، وعَنْهُ تَفَرَّدَ به أبو قِلَابَةَ عن حُسَيْنٍ؛ فيكونُ فِيهِ ضَعْفٌ، ولكنْ لَعَلَّ لَهُ شَواهِدَ.

---

(١) أخرجه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٣٥/ ١٧٨٣).

○ ثُمَّ عَلَّقَ المُؤَلِّفُ عَلَيْهِ فقال: «**وَهَذِهِ الْخُصُومَةُ هِي اعْتِرَاضَاتُ المُلْحِدَةُ عَلَى الآثَارِ الَّتِي صَحَّتْ رُوَاتُهَا، وَشُهِرَ نَقْلُهَا**» أي: يَعْتَرِضُونَ عليها بِشُبَهٍ يُشَكِّكُونَ بها الناسَ، مع أنَّ هَذِهِ الأحاديثَ صَحَّتْ رَوَاتُهَا، واشْتُهِرَ نَقَلَتُهَا، وأَخَذَ الأَئِمَّةُ بها؛ من أجلِ ذَلِكَ احْتَاجَ العُلَمَاءُ لِرَدِّ تِلْكَ الشُّبَهِ نَصِيحَةً لِلْأُمَّةِ.



بَابُ مَا اعْتَرَضُوا بِهِ عَلَى أَخْبَارِ الصِّفَاتِ

١٣١ ـ قَالُوا: رَوَيْتُمْ أَنَّ الله يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، وَهَذَا خِلَافٌ لِقَوْلِ الله ـ تَعَالَى ـ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] الآيَةَ، وَقَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤]، وَقَدْ أَجْمَعَ النَّاسُ عَلَى أَنَّهُ بِكُلِّ مَكَانٍ، لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ.

فَأَجَابَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُاللهِ بْنُ مُسْلِمِ بْنِ قُتَيْبَةَ عَنْ ذَلِكَ قَالَ: قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] بِالْعِلْمِ بِمَا هُمْ عَلَيْهِ.

وَكَذَا نَقُولُ: عِلْمُهُ بِكُلِّ مَكَانٍ، وإِلَّا كَانَ مَذْهَبَ الْحُلُولِيَةِ. قَالَ اللهُ ـ تَعَالَى ـ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] أَيِ: اسْتَقَرَّ. كَمَا قَالَ: ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ﴾ [المؤمنون: ٢٨] أَيِ: اسْتَقْرَرْتَ.

وَسَاقَ الْآيَاتِ وَالشَّوَاهِدَ عَلَى ذَلِكَ.

وَقَالَ فِي الآيَةِ الْأُخْرَى: أَرَادَ إِلَهَ السَّمَاءِ وَمَنْ فِيهَا وَكَذَلِكَ الْأَرْضُ، كَمَا تَقُولُ: هُوَ بِخُرَاسَانَ أَمِيرٌ، وَبِمِصْرَ أَمِيرٌ. فَالْإِمَارَةُ تُجْمَعُ لَهُ بِهِمَا، وَإِنْ كَانَ حَالًا فِي أَحَدِهِمَا أَوْ فِي غَيْرِهِمَا.

ثُمَّ قَالَ: [وَلَا نُحَتِّمُ عَلَى النُّزُولِ مِنْهُ بِشَيْءٍ نُؤْمِنُ بِهِ، وَنُسَلِّمُهُ، ثُمَّ سَاقَ حَدَّ النُّزُولِ بَيْنَنَا فِي اللُّغَةِ، والله يَجِلُّ عَنْ ذَلِكَ، وَيَعْظُمُ]»[1].

الشَّرح

أرادَ المصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ في هذا الباب تَلْخِيصَ بعضِ أَجْوِبَةِ ابنِ قُتَيْبَةَ

(١) انظر: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (١/٣٩٧)، وعبارة ابن قتيبة: (فإن قيل لنا كيف النزول منه جل وعز، قلنا لا نحتم على النزول منه بشيء ولكنا نبين كيف النزول منا وما تحتمله اللغة من هذه الألفاظ والله تعالى أعلم بما أراد) أ.هـ.

رَحِمَهُ اللَّهُ في كِتَابِه (تَأْوِيلِ مُخْتَلَفِ الحَدِيثِ) في الرَّدِّ على أعداءِ أهلِ الحَدِيثِ، والجمعِ بينَ الأخبارِ التِي ادَّعَوْا عليها التَّنَاقُضَ والاخْتِلَافَ، والجوابِ عَمَّا أَوْرَدُوهُ مِنَ الشُّبَهِ على بعضِ الأَخْبَارِ المتَشَابِهَةِ والمُشْكِلَةِ.

فابنُ قُتَيْبَةَ في كِتَابِهِ (تأويل مختلف الحديث) يَأْتِي بِالحَدِيثِ، ثم يَأْتِي بِالشُّبْهَةِ، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيْهَا.

وقد نَقَلَ المُؤَلِّفُ هُنَا أَرْبَعَ عَشْرَةَ شُبْهَةٍ عَلَى أَرْبَعَةَ عَشَرَ حَدِيثًا.

الشبهة الأولى الاعتراض على حديث النزول.

○ قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: «**قَالُوا: رَوَيْتُمْ أَنَّ اللهَ يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا**» وهَذَا اعْتِرَاضٌ على حَدِيثِ النُّزُولِ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا ـ تبارَكَ وَتَعَالَى ـ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ**» وهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ رواهُ الشَّيْخَانِ وأصحابُ السُّنَنِ، بل قِيلَ: إِنَّهُ يبلغُ حَدَّ التَّوَاتُرِ، وأَلَّفَ فِيهِ أبو العَبَّاسِ الإمامُ شَيْخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِيَةَ كتَابًا سَمَّاهُ (شَرْحَ حَدِيثِ النُّزُولِ).

○ قوله: «**وَهَذَا خِلَافٌ لِقَوْلِ اللهِ ـ تَعَالَى ـ:** ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] **الآيَةَ، وَقَوْلِهِ:** ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤] **وَقَدْ أَجْمَعَ النَّاسُ عَلَى أَنَّهُ بِكُلِّ مَكَانٍ، لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ**» هذه هي الشبهة.

فهو يُرِيدُ أَنْ يُبْطِلَ الحَدِيثَ لأنه ـ بزَعْمِهِ ـ يخالفُ قوله ـ تعالى ـ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾، ومعناها عندهم: معهم؛ أي: مُخْتَلِطٌ بالمَخْلُوقَاتِ، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾، فهُو في الأَرْضِ، وفي السَّمَاءِ، وفي كُلِّ مَكَانٍ، فَكَيْفَ يَنْزِلُ وهو في كُلِّ مَكَانٍ؟!

○ **وخُلَاصَةُ الجَوابِ**: أنَّ النُّصوصَ لا تَتَناقضُ؛ فأحَادِيثُ النَّبِيِّ ﷺ تُوافِقُ كَلامَ الله ﷻ؛ وكَلَامُ اللهِ يُوَافِقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، ويوافق كَلَامَ رَسُولِهِ؛ فالآيات التي فيها المَعِيَّةِ كقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] لا تَقْتَضِي الاخْتِلَاطَ والامْتِزَاجَ.

فإن المَعِيَّةُ في لُغَةِ العَرَبِ: مُطْلَقُ المُصَاحَبَةِ؛ تقولُ العَرَبُ: مَا زِلْنَا نَسِيرُ والنَّجْمُ معنَا والقَمَرُ مَعَنَا. وتقول: المتاعُ مَعِي. وهُوَ فَوْقَ رَأْسِي، وتَقُولُ: الشَّخْصُ يَنَامُ وَزَوْجَتُهُ مَعَهُ. وإن كانَتْ في المَشْرِقِ وهو في المَغْرِبِ؛ والمرادُ: في عِصْمَتِهِ.

أما قوله ـ تعالى ـ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]، فمعناها: مَعَهُمْ بِعِلْمِهِ بِدَلِيلِ أنَّ الله ـ تَعَالَى ـ افْتَتَحَ الآيَةَ بالعِلْم، وخَتَمَها بالعِلْمِ فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]، ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٧﴾ [المجادلة: ٧] أَيْ: مَعَهُمْ بِعِلْمِهِ، واطِّلَاعِهِ وإِحَاطَتِهِ، ونُفُوذِ قُدْرَتِهِ ومَشِيئَتِهِ، وهُوَ يَسْمَعُ أَقْوَالَهُمْ، ويرَى أَفْعَالَهُمْ، ويُبْصِرُهُمْ من فوقِ عَرْشِهِ، وذَاتُهُ فَوْقَ العرشِ.

وكَذَلِكَ الآياتُ الأُخرَى، كقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤]، ﴿إِلَٰهٌ﴾ يعني: مَعْبُودٌ؛ أي: مَعْبُودٌ في الأَرْضِ، ومَعْبُودٌ في السَّمَاءِ، وليس المرادُ أنَّ ذَاتَهُ في الأَرْضِ.

ومَثَّلَ لَهُ المُؤَلِّفُ بـ«**كَمَا تَقُولُ: هُوَ بِخُرَاسَانَ أَمِيرٌ، وَبِمِصْرَ أَمِيرٌ**». يعني: هُوَ أَمِيرٌ لِأَهْلِ مِصْرَ، وأَمِيرٌ لخُرَاسَانَ، وإِنْ كَانَ سَاكِنًا فِي إحداهما.

○ قوله: «**فَأَجَابَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُاللهِ بْنُ مُسْلِمِ بْنِ قُتَيْبَةَ**» يَعْنِي: في كِتَابِهِ (تأويل مُخْتَلَفِ الحديث).

قال: «**قَالَ: قَوْلُهُ**: ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾. **بِالْعِلْمِ بِمَا هُمْ عَلَيْهِ**».

○ قوله: «**وَكَذَا نَقُولُ: عِلْمُهُ بِكُلِّ مَكَانٍ، وإِلَّا كَانَ مَذْهَبَ الْحُلُولِيَّةِ**» يعني: لَوْ لم نَقُلْ بِذَلِكَ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ النُّصُوصُ لوافَقْنَا الحُلُولِيَّةَ الذِينَ يَقُولُونَ: إنَّ الله حَالٌّ في كُلِّ مَكَانٍ حَتَّى قالُوا: إنَّهُ مَوْجُودٌ في بُطُونِ السِّبَاعِ، وفِي أَجْوَافِ الطيورِ ـ نسأَلُ الله العَافِيَةَ ـ، وهم الجهمية الأولى؛ تعالى الله عما يقولون، وهَذَا كُفْرٌ وضَلَالٌ.

وأما الجَهْمِيَّةُ المتَأَخِّرُونَ فإنهم ناقَضوا فقالوا: لَا دَاخِلَ العَالَمِ، ولا خَارِجَهُ، ولا فَوْقَهُ، ولا تَحْتَهُ؛ فأَنْكَرُوا وُجُودَهُ.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**قَالَ اللهُ ـ تَعَالَى ـ**: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] **أَيِ: اسْتَقَرَّ. كَمَا قَالَ**: ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ﴾ [المؤمنون: ٢٨] **أَيِ: اسْتَقْرَرْتَ. وَسَاقَ الْآيَاتِ وَالشَّوَاهِدَ عَلَى ذَلِكَ**» أي: سَاقَ نُصُوصَ الاسْتِوَاءِ والعُلُوِّ والفَوْقِيَّةِ التي أَفْرَدَهَا وهي تَزِيدُ على ثلاثة آلاف دَلِيلٍ كُلُّهَا تَدُلُّ على أن الله فوقَ العَرْشِ بِذَاتِهِ، وهو مع الخَلْقِ بِعِلْمِهِ واطِّلَاعِهِ وإِحَاطَتِهِ، ونُفُوذِ قُدْرَتِهِ ومَشِيئَتِهِ، وهُوَ معَ المؤمنين بِعَوْنِهِ ونَصْرِهِ وتَأْيِيدِهِ.

○ قوله: «**وَقَالَ فِي الآيَةِ الْأُخْرَى: أَرَادَ إِلَهَ السَّمَاءِ وَمَنْ فِيهَا وَكَذَلِكَ الْأَرْضُ، كَمَا تَقُولُ: هُوَ بِخُرَاسَانَ أَمِيرٌ، وَبِمِصْرَ أَمِيرٌ. فَالْإِمَارَةُ تُجْمَعُ لَهُ بِهِمَا، وَإِنْ كَانَ حَالِدًا فِي أَحَدِهِمَا أَوْ فِي غَيْرِهِمَا**».

○ قوله: «**ثُمَّ قَالَ: وَلَا نُحَتِّمُ عَلَى النُّزُولِ مِنْهُ بِشَيْءٍ نُؤْمِنُ بِهِ، وَنُسَلِّمُهُ، ثُمَّ سَاقَ حَدَّ النُّزُولِ بَيْنَنَا فِي اللُّغَةِ، واللهُ يَجِلُّ عَنْ ذَلِكَ وَيَعْظُمُ**» ذَكَر ابنُ قُتَيْبَةَ هَذَا في جَوَابِ لِسُؤَالٍ نَصُّهُ: فإنْ قِيلَ لَنَا: كَيْفَ النُّزُولُ مِنْهُ ـ جَلَّ وَعَزَّ ـ؟ قُلْنَا: لَا نَحْكُمُ على النُّزُولِ مِنْهُ بَشَيءٍ.

يقول الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في معنى هذه الآية ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤]: «**أَيْ هُوَ إِلَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ، وإِلَهُ مَنْ فِي الأرضِ؛ يَعْبُدُهُ مِنْ أَهْلِهِمَا، وكُلُّهُمْ خَاضِعُونَ لَهُ أَذِلَّاءُ بينَ يَدَيْهِ**»[(١)].

والمَعِيَّةُ نوعان:

الأول: مَعِيَّةٌ عَامَّةٌ للمُؤْمِنِ والكَافِرِ، وتكون في سياق المُحَاسَبَةِ والمُجَازَاةِ.

الثاني: مَعِيَّةٌ خَاصَّةٌ بالمُؤْمِنِينَ والأنبياء، ومنها قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، وقوله: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه: ٤٦]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٨]، وتأتي في سِيَاقِ المَدْحِ والثَّنَاءِ، وتَقْتَضِي النَّصْرَ والتَّأْيِيدَ والحِفْظَ.



(١) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٢٤٣).

١٣٢ ـ حَدِيثٌ آخَرُ: قَالُوا: «رَوَيْتُمْ أَنَّ كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، وَهَذَا مُسْتَحِيلٌ إِنْ كُنْتُمْ أَرَدْتُمْ بِالْيَدَيْنِ الْعُضْوَيْنِ، وَكَيْفَ يُعْقَلُ؟ يَدَانِ كِلْتَاهُمَا يَمِينٌ».

فَأَجَابَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: إِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ صَحِيحٌ(١)، وَمَعْنَاهُ: التَّمَامُ وَالْكَمَالُ؛ لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنَّا مَيَاسِرُهُ تَنْقُصُ عَنْ مَيَامِنِهِ فِي الْقُوَّةِ وَالْبَطْشِ، وَكَانَتِ الْعَرَبُ تُحِبُّ التَّيَامُنَ، وَتَكْرَهُ التَّيَاسُرَ؛ لِمَا فِي الْيَمِينِ مِنَ التَّمَامِ وَفِي الْيَسَارِ مِنَ النُّقْصِ، [ـ أَيْ: صِفَةُ الله بِخِلَافِ ذَلِكَ ـ](٢)، وَفِي الْحَدِيثِ نَصًّا: «يَمِينُ الله سَحَّاءُ، لَا يَغِيضُهَا شَيْءٌ، اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»(٣). أَيْ: تَصُبُّ الْعَطَاءَ وَلَا يَنْقُصُهَا»(٤).

الشَّرْح

هَذِهِ الشُّبْهَةُ الثَّانِيَةُ عَلَى الحَدِيثِ؛ وَهُوَ: «كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ» وهُوَ حَدِيثٌ ثَابِتٌ في الصَّحِيحَيْنِ وغَيْرِهِمَا.

فصَاحِبُ الشُّبْهَةِ يقولُ: «وَهَذَا مُسْتَحِيلٌ إِنْ كُنْتُمْ أَرَدْتُمْ بِالْيَدَيْنِ الْعُضْوَيْنِ، وَكَيْفَ يُعْقَلُ؟ يَدَانِ كِلْتَاهُمَا يَمِينٌ».

○ فأَجَابَ ابنُ قُتَيْبَةَ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ لا مَانِعَ. فالمُرَادُ أَنَّ مَعْنَى حَدِيثِ:

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإمارة، رقم (١٨٢٧).

(٢) ما بين المعقوفتين ليس من كلام ابن قتيبة.

(٣) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، بَابُ قَوْلِهِ: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧]، رقم (٤٦٨٤)، ومسلم: كتاب الزكاة، رقم (٩٩٣).

(٤) انظر: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (١/ ٣٠٤).

«كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ» يعني: فِي الفَضْلِ، والشَّرَفِ، والكَمَالِ، وعَدَمِ النَّقْصِ؛ لأنَّ المخلوقَ عَادَةً تَكُونُ اليَسَارُ أضعفَ منَ اليَمِينِ.

أما اللهُ فَلَا يَلْحَقُهُ النَّقْصُ، بل كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ في الشَّرَفِ والفَضْلِ والقُوَّةِ وعَدَمِ الضَّعْفِ، وإن كَانَتْ لَهُ يَمِينٌ وشِمَالٌ في أَصَحِّ قَوْلِ العُلَمَاءِ. **ولهَذَا اخْتَلَفَ العُلَمَاءُ هَلْ له يَمِينٌ وشِمَالٌ؟**

القول الأول: أن له سبحانه يمين وشمال فتسمى هذه يمينًا، وتسمى هذه شمالًا؛ للحديث الذي رواه الإمام مُسْلِم: «**يَطْوِي اللهُ ﷻ السَّمَوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ. ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟**»[(١)]. **ومَعْنَى:** «كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ» كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ في الشَّرَفِ، والفَضْلِ وعَدَمِ النَّقْصِ والضَّعْفِ، وإن كانت إحْدَاهما يمينٌ والأُخْرَى شِمَالٌ.

القول الثاني: أنه لَا تُسَمَّى الثَّانِيَةُ شِمَالا، بَلْ كُلٌّ مِنْهُمَا يَمِينٌ، وطعنوا في الحديث الذي رواه مسلم، بِتَفَرُّدِ بَعْضِ الرُّوَاةِ، وقالُوا: العُمْدَةُ عَلَى حَدِيثِ: «**كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ**».

○ **قال ابن قتيبة في الجواب: «أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ صَحِيحٌ، وَمَعْنَاهُ: التَّمَامُ وَالْكَمَالُ لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنَّا»** أي: مِنَ المَخْلُوقِين، «**مَيَاسِرُهُ تَنْقُصُ عَنْ مَيَامِنِهِ فِي الْقُوَّةِ وَالْبَطْشِ وَكَانَتِ الْعَرَبُ تُحِبُّ التَّيَامُنَ، وَتَكْرَهُ التَّيَاسُرَ؛ لِمَا فِي الْيَمِينِ مِنَ التَّمَامِ وَفِي الْيَسَارِ مِنَ النُّقْصَانِ، أَيْ: صِفَةُ الله بِخِلافِ ذَلِكَ**».

○ قوله: «**وَفِي الْحَدِيثِ نَصًّا: «يَمِينُ الله سَحَّاءُ، لَا يَغِيضُهَا**

(١) أخرجه مسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم (٢٧٨٨).

شَيْءٌ، اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ». أَيْ: **تَصُبُّ الْعَطَاءَ وَلَا يَنْقُصُهَا»** وهَذَا الحَدِيثُ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي ﷺ: «**إِنَّ يَمِينَ الله مَلْأَى لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ**» يعني: لا تُنْقِصُهَا نَفَقَةٌ. «سَحَّاءُ» يعني: كَثِيرَةَ الصَّبِّ اللَّيْلَ والنَّهَارَ، وفي الحديث الآخر: «**أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَمِينِهِ**» يعني: لم يَنْقُصْ.

فاللهُ تبارك وتعالى لَهُ الكَمَالُ، ويمينُ الله سَحَّاءُ في العَطَاءِ، لا يُنْقِصُهَا شَيْءٌ.

○ قوله: «**سَحَّاءُ... اللَّيْلَ والنَّهَارَ**» يَعْنِي: يُنْفِقُ تبارك وتعالى اللَّيْلَ والنَّهَارَ، ولا يَنْقُصُ ما عِنْدَهُ تبارك وتعالى.



١٣٣ ـ حَدِيثٌ آخَرُ، قَالُوا: رَوَيْتُمْ «عَجِبَ رَبُّكُمْ مِنْ إِلِّكُمْ وَقُنُوطِكُمْ»(١). و«ضَحِكَ مِنْ كَذَا». إِنَّمَا يَعْجَبُ وَيَضْحَكُ مَنْ لَا يَعْلَمُ فَيَعْلَمُ.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: وَنَحْنُ نَقُولُ: إِنَّ الْعَجَبَ وَالضَّحِكَ لَيْسَ كَمَا ظَنُّوا، وَإِنَّمَا هُوَ حَلَّ كَذَا عِنْدَهُ مَحِلَّ مَا يُعْجَبُ مِنْهُ، وَمَحِلَّ مَا يُضْحَكُ مِنْهُ؛ لِأَنَّ الضَّاحِكَ إِنَّمَا يَضْحَكُ مِنْ مُعْجِبٍ لَهُ(٢).

وَقَالَ اللهُ لِنَبِيِّهِ: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ [الرّعد: ٥]، لَمْ يُرِدْ: أَنَّهُ عِنْدِي عَجَبٌ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنَّهُ عَجَبٌ عِنْدَ مَنْ سَمِعَهُ.

[وَهَذَا مَنْزَعٌ وَإِلَّا فَعَلَيْنَا الْإِيمَانُ بِهِ وَالتَّسْلِيمُ](٣).

الشَّرْحُ

الشُّبْهَةُ الثَّالِثَةُ عَلى الحَدِيثِ الَّذِي وَرَدَ فِي العَجَبِ والضَّحِكِ.

الأَحَادِيثُ التِي وردت في العَجَب عِدَّةُ أَحَادِيثَ مِنْهَا: هذا الحديث الذي ذكره المؤلف؛ «عَجِبَ رَبُّكُمْ مِنْ إِلِّكُمْ وَقُنُوطِكُمْ» وهَذَا الحَدِيثُ ذَكَرَهُ ابنُ الأَثِيرِ في النِّهَايَةِ، ثم قال: الإِلُّ شِدَّةُ القُنوط، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ رَفْعِ الصَّوْتِ بِالْبُكَاءِ، يُقَالُ أَلَّ يَئِلُّ أَلًّا. قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ الْمُحَدِّثُونَ يَرْوُونَهُ بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ، وَالْمَحْفُوظُ عِنْدَ أَهْلِ اللُّغَةِ الْفَتْحُ، وَهُوَ أَشْبَهُ بِالْمَصَادِرِ.

---

(١) أخرجه ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث (١/ ٦١).
(٢) انظر: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (١/ ٣٠٥).
(٣) ليس من كلام ابن قتيبة.

وفي حديث العجب: «**عَجِبَ اللهُ مِنْ شَابٍّ لَيْسَ لَهُ صَبْوَةٌ**». وَفِي الآيَةِ الكَرِيمَةِ في سورة الصافات: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الصافات: ١٢]، هذه قراءة حفص على أن العجب وقع من الرَّسُولِ ﷺ، وفي قراءة أخرى: ﴿بل عجبتُ ويسخرون﴾، فَيَكُونُ فِيهِ: إِثْبَاتُ صِفَةِ العَجَبِ للهِ.

وحديث الضحك: «**يَضْحَكُ اللهُ إِلَى رَجُلَيْنِ، يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ كِلَاهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ**»(١). هَذَا الحَدِيثُ ثَابِتٌ في الصَّحِيحَيْنِ، والمعْنَى: أنه يَقْتَتِلُ مُسْلِمٌ وكَافِرٌ، فيَقْتُلُ الكَافِرُ المسلمَ، ثُمَّ بَعْدَ ذلك يَمُنُّ اللهُ على الكُافِرِ بالإِسْلَامِ فيُسْلِمُ؛ فَكِلَاهُمَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ؛ الأَوَّلُ دَخَلَ الجَنَّةَ لِأَنَّهُ شَهِيدٌ، والثَّانِي لأنهُ أَسْلَمَ.

والحديث الآخر: «**ضَحِكَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عَبْادِهِ، وَقُرْبِ غِيَرِهِ**»(٢).

فالمُعْتَرِضُ يقولُ: كَيْفَ تُثْبِتُونَ العَجَبَ والضَّحِكَ لله؟ والعَجَبُ والضَّحِكُ إِنَّمَا يَصْدُرُ من الجَاهِلِ؛ واللهُ عَالِمٌ، فَكَيْفَ تَصِفُون الله بالعَجَبِ والضَّحِكِ مع أنه لا يُوصَفُ بهما إِلَّا الجاهل؟

○ **قال ابن قتيبة في الجواب**: «**وَنَحْنُ نَقُولُ: إِنَّ الْعَجَبَ وَالضَّحِكَ لَيْسَ كَمَا ظَنُّوا، وَإِنَّمَا هُوَ حَلَّ كَذَا عِنْدَهُ مَحِلَّ مَا يُعْجَبُ مِنْهُ، وَمَحِلَّ مَا يُضْحَكُ مِنْهُ**» يَعْنِي: إِنَّهُ عَجِبَ لِأَنَّهُ حَلَّ العَجَبُ مِنْهُ مَحِلَّ مَا يَعْجَب منه، وحَلَّ الضَّحِكَ عِنْدَه محل ما يُضْحَكُ مِنْهُ.

○ قوله: «**لِأَنَّ الضَّاحِكَ إِنَّمَا يَضْحَكُ مِنْ مُعْجِبٍ لَهُ. وَقَالَ اللهُ لِنَبِيِّهِ: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾. لَمْ يُرِدْ: أَنَّهُ عِنْدِي عَجَبٌ، وَإِنَّمَا**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الكافر يقتل المسلم ثم يسلم، برقم (٢٨٢٦)، وأخرجه مسلم، كتاب الإمارة، برقم (١٨٩٠).

(٢) أخرجه ابن ماجه: كتاب الإيمان وفضائل الصحابة، باب فيما أنكرت الجهمية، برقم (١٨١).

أَرَادَ أَنَّهُ عَجَبٌ عِنْدَ مَنْ سَمِعَهُ».

لَكِنَّ شَيْخَ الإِسْلَام ابنَ تَيْمِيَةَ رَحِمَهُ اللهُ بَيَّنَ أَنَّ مَعْنَى العَجَبِ: أنه يَعجَبُ منه لخُرُوجِهِ عَنْ نَظَائِرِهِ، فقال: «**وَقَدْ يَكُونُ مَقْرُونًا بِجَهْلٍ بِسَبَبِ التَّعَجُّبِ، وَقَدْ يَكُونُ لِمَا خَرَجَ عَنْ نَظَائِرِهِ وَاللهُ ـ تَعَالَى ـ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ فَلَا يَجُوزُ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَعْلَمَ سَبَبَ مَا تَعَجَّبَ مِنْهُ؛ بَلْ يَتَعَجَّبُ لِخُرُوجِهِ عَنْ نَظَائِرِهِ تَعْظِيمًا لَهُ، وَاللهُ ـ تَعَالَى ـ يُعَظِّمُ مَا هُوَ عَظِيمٌ؛ إِمَّا لِعَظَمَةِ سَبَبِهِ أَوْ لِعَظَمَتِهِ، فَإِنَّهُ وَصَفَ بَعْضَ الْخَيْرِ بِأَنَّهُ عَظِيمٌ، وَوَصَفَ بَعْضَ الشَّرِّ بِأَنَّهُ عَظِيمٌ فَقَالَ ـ تَعَالَى ـ:** ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ١٢٩﴾ [التوبة: ١٢٩]، **وَقَالَ:** ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ٨٧﴾ [الحجر: ٨٧]، **وَقَالَ:** ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ٦٦﴾ [النساء: ٦٦]، ﴿وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ٦٧﴾ [النساء: ٦٧]، **وَقَالَ:** ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ١٦﴾ [النور: ١٦] **وَقَالَ:** ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ١٣﴾ [لقمان: ١٣]، **وَلِهَذَا قَالَ ـ تَعَالَى ـ:** ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ١٢﴾ [الصافات: ١٢] **عَلَى قِرَاءَةِ الضَّمِّ فَهُنَا هُوَ عَجَبٌ مِنْ كُفْرِهِمْ مَعَ وُضُوحِ الأَدِلَّةِ**»[١].

فابن قُتَيْبَةَ فَسَّرَ العَجَبَ: بِعَجَبٍ حَلَّ عِنْدَهُ مَحِلَّ مَا يُعْجَبُ مِنْهُ. والصَّوَابُ كَمَا قَالَهُ شيخُ الإسلام: أَنَّهُ يَتَعَجَّبُ بِخُرُوجِهِ عن نَظَائِرِه تَعْظِيمًا لَهُ، واللهُ يُعَظِّمُ مَا هُوَ عَظِيمٌ؛ إِمَّا لِعَظَمَةِ سَبِبِه، وإِمَّا لَعَظَمَتِه.

○ قوله: «هَذَا مُنزَّعٌ» يعني: هَذَا تَأْوِيلٌ، وإِلَّا عَلَيْنَا الإيمانُ والتَّسْلِيمُ فإذا وَرَدَتِ النُّصُوصُ في إثباتِ الضَّحِكِ والعَجَبِ للهِ، فَنُسَلِّمُ ونَقُولُ: آمَنَّا باللهِ ورُسُلِهِ.

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ١٢٣).

١٣٤ ـ حَدِيثٌ آخَرُ، قَالُوا: رَوَيْتُمْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِنَّهَا مِنْ نَفَسِ الرَّحْمَنِ»[1].

وَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ عِنْدَكُمْ غَيْرَ مَخْلُوقَةٍ؛ لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ مِنَ الرَّحْمَنِ شَيْءٌ مَخْلُوقٌ.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: «وَنَحْنُ نَقُولُ: إِنَّهُ لَمْ يُرِدْ بِالنَّفَسِ مَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنَّ الرِّيحَ مِنْ فَرَجِ الرَّحْمَنِ ﷻ وَرُوحِهِ وَقَدْ فَرَّجَ اللهُ عَنْ نَبِيِّهِ بِالرِّيحِ يَوْمَ الْأَحْزَابِ، وَقَالَ: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: ٩].

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: «إِنِّي لَأَجِدُ نَفَسَ رَبِّكُمْ مِنْ قِبَلِ الْيَمَنِ»[2]. يَعْنِي: أَنَّهُ يَجِدُ الْفَرَجَ مِنْ قِبَلِ الْأَنْصَارِ، وَهُمْ مِنَ الْيَمَنِ»[3].

الشَّرْحُ

هَذِهِ الشُّبْهَةُ الرَّابِعَةُ على حَدِيثِ «لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِنَّهَا مِنْ نَفَسِ الرَّحْمَنِ» وَهَذَا الحَدِيثُ رَوَاهُ بِهَذَا اللَّفْظِ النَّسَائِيُّ والحَاكِمُ مَوْقُوفًا على أُبِيِّ بْنِ كَعْبٍ، وقَدْ وَرَدَ من طرق أخرى مَرْفُوعَةً بلفظ: «لَا تُسُبُّوا الرِّيحَ فَإِنَّهَا مِنْ رَوْحِ اللهِ». رَوَاهُ الإمامُ أَحْمَدُ وجاء عند

(١) أخرجه النسائي في الكبرى: كِتَابُ عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، رقم (١٠٧٠٦)، والحاكم في المستدرك رقم (٣٠٧٥)، وقال هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١٠٩٧٨)، وقال الهيشمي في مجمع الزوائد وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ غَيْرَ شَبِيبٍ، وَهُوَ ثِقَةٌ (١٠/ ٥٦).

(٣) انظر: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (١/ ٣٠٧).

والتِّرْمِذِي وغيره النهي عن سب الريح وصَحَّحَهُ الألبَانِي رَحِمَهُ اللهُ.

قَالَ المُعْتَرِضُ المُشَبِّهُ: «**وَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ عِنْدَكُمْ** ـ أي: الريح ـ **غَيْرَ مَخْلُوقَةٍ؛ لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ مِنَ الرَّحْمَنِ شَيْءٌ مَخْلُوقٌ**».

أي: ظَنَّ المُعْتَرِضُ أَنَّ قَوْلَهُ ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِنَّهَا مِنْ نَفَسِ الرَّحْمَنِ**» أنها «**نفْس**» بسكون الفاء، وقال: إِذَا كَانَتْ الرُّوحُ مِنَ الرَّحْمَنِ فَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ غَيْرَ مَخْلُوقَةٍ، والريحُ مَخْلُوقَةٌ، فَكَيْفَ تكونُ الرِّيحُ من نَفْسِ الرَّحْمَنِ؟! فَجَعَلَهَا جُزْءا من الله، والعياذُ بِالله. فينبغي ألا تَكُونَ عِنْدَكُمْ مَخْلُوقَةً.

* **والجواب**: كما قال ابنُ قُتَيْبَةَ أن المعترض ما فهم مَعْنَى الحَدِيثِ، فليس هو «من نَفْسِ الرحمن». وإِنَّمَا «من نَفَسِ الرَّحْمَنِ»، والمرَادُ: أَنَّ الريحَ مِنْ نَفَسِ الرحمن؛ يعني: مِنْ فَرَجِ الله وروحه؛ فإنَّ الله ـ تَعَالى ـ نَفَّس بها وفرَّج بها؛ ولهذا قال: «**وَقَدْ فَرَّجَ اللهُ عَنْ نَبِيِّهِ بِالرِّيحِ يَوْمَ الْأَحْزَابِ، وَقَالَ**: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: ٩]».

ومِثَالُ ذَلِكَ الحَدِيثُ الآخَرُ: «**إِنِّي لَأَجِدُ نَفَسَ رَبِّكُمْ مِنْ قِبَلِ الْيَمَنِ**» يَعْنِي: تَفْرِيجَ رَبِّكُمْ أي: أَنَّهُ يَجِدُ الفَرَجَ مِنْ قِبَلِ الأَنْصَارِ؛ الأَوْسِ والخَزْرَجِ لأنهم نزحوا من اليمن، وقَدْ فَرَّجَ اللهُ بِهِمْ عن المُؤْمِنِينَ حين قَاتَلُوا الكُفَّارَ.

وبهذا يَتَبَيَّنُ أن إِضَافَةَ النَّفَسِ في الحديث إلى الرَّبِّ ـ سُبْحَانَهُ ـ ليس من بَابِ إِضَافَةِ الصِّفَةِ إلى الموصوفِ كما يَظُنُّهُ هذا المُعْتَرِضُ، إِنَّمَا هِيَ مِنْ إِضَافَةِ المخلوقِ إلى خَالِقِهِ مثل إِضَافَةِ عبدِالله، ونَاقَةِ الله، ورَسُولِ الله، وبيتِ الله؛ وكَذَلِكَ «**الريحُ مِنْ نَفَسِ الرَّحْمَنِ**»؛ يَعْنِي: أن إِضَافَةَ الرِّيحِ إلى الله إضافةَ مَخْلُوقٍ إلى خَالِقِهِ.

لِهَذَا قَالَ ابنُ فارس في مَقَايَسِ اللُّغَةِ: «والنَّفَسُ عن كُلِّ شيءٍ يُفَرَّجُ بِهُ عن مَكْرُوبٍ». وذَكَرَ حَدِيثَ أبي هُرَيْرَةَ ﷺ هذا، ثم قال: «يُرَادُ أَنَّ بِالأَنْصَارِ نُفِّسَ عَنِ الَّذِينَ كَانُوا يُؤْذَوْنَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَكَّةَ»[(١)].

وقد سُئِلَ شيخُ الإسلام ابنُ تَيْمِيَةَ ﷺ عن هذا الحديث: «إِنِّي لَأَجِدُ نَفَسَ رَبِّكُمْ مِنَ الْيَمَنِ». فقال: «مِنَ الْيَمَنِ» يُبَيِّنُ مَقْصُودَ الْحَدِيثِ فَإِنَّهُ لَيْسَ لِلْيَمَنِ اخْتِصَاصٌ بِصِفَاتِ الله ـ تَعَالَى ـ حَتَّى يُظَنَّ ذَلِكَ، وَلَكِنْ مِنْهَا جَاءَ الَّذِينَ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ الَّذِينَ قَالَ فِيهِمْ: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ﴾، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: سُئِلَ عَنْ هَؤُلَاءِ؛ فَذَكَرَ أَنَّهُمْ قَوْمُ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ؛ وَجَاءَتْ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ مِثْلُ قَوْلِهِ: «**أَتَاكُمْ أَهْلُ اليَمَنِ، هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً وَأَلْيَنُ قُلُوبًا، الإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ**»[(٢)]. وَهَؤُلَاءِ هُمْ الَّذِينَ قَاتَلُوا أَهْلَ الرِّدَّةِ وَفَتَحُوا الْأَمْصَارَ فَبِهِمْ نَفَّسَ الرَّحْمَنُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ الْكُرُبَاتِ[(٣)].

وبهذا يَتَبَيَّنُ أَنَّ مَعْنَى قوله في الحديث: «**نفَس الرحمن**». تَنْفِيسِه وتَفْرِيجِهِ؛ يُفَرِّجَ بِهَا عَنِ الْمُؤْمِنِينَ، كما فَرَّج بالرِّيحِ يومَ الأَحْزَابِ عنهم ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: ٩].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: مقاييس اللغة (٥/ ٤٦٠).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن، رقم (٤٣٨٨)، ومسلم: كتاب الإيمان، رقم (٥٢).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٣٩٨).

١٣٥ ـ حَدِيثٌ آخَرُ: قَالُوا: رُوِّيتُمْ «أَنَّ قَلْبَ الْمُؤْمِنِ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ»(١).

فَإِنْ كُنْتُمْ أَرَدْتُمْ بِالأَصَابِعِ هَا هُنَا النِّعَمَ، وَكَانَ الْحَدِيثُ صَحِيحًا فَهُوَ مَذْهَبٌ.

وَإِنْ كُنْتُمْ أَرَدْتُمُ الْأَصَابِعَ بِعَيْنِهَا، فَإِنَّ ذَلِكَ يَسْتَحِيلُ لِأَنَّ الله ـ تَعَالَى ـ لَا يُوَصَفُ بِالْأَعْضَاءِ، وَلَا يُشَبَّهُ بِالْمَخْلُوقِينَ.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: وَنَحْنُ نَقُولُ: إِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ صَحِيحٌ، وَإِنَّ الَّذِي ذَهَبُوا إِلَيْهِ فِي تَأْوِيلِ الْإِصْبَعِ لَا يُشْبِهُ الْحَدِيثَ، لِأَنَّهُ قَالَ فِي دُعَائِهِ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ». فَقَالَتْ لَهُ إِحْدَى أَزْوَاجِهِ: أَوَتَخَافُ يَا رَسُولَ الله عَلَى نَفْسِكَ؟ فَقَالَ: «إِنَّ قَلْبَ الْمُؤْمِنِ، بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الله ـ تَعَالَى ـ».

فَإِنْ كَانَ الْقَلْبُ عِنْدَهُمْ بَيْنَ نِعْمَتَيْنِ مِنْ نِعَمِ الله -تَعَالَى ـ ، فَهُوَ مَحْفُوظٌ فَمَا كَانَ يَحْتَاجُ إِلَى الدُّعَاءِ، وَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَنَا مِثْلُ الْحَدِيثِ الآخَرِ: «يَحْمِلُ الْأَرْضَ عَلَى أُصْبُعٍ، وَكَذَا عَلَى أُصْبُعٍ...»(٢).

وَلَا يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الأُصْبُعُ هَا هُنَا نِعْمَةً، وَلَا نَقُولُ أُصْبُعٌ كَأَصَابِعِنَا، وَلَا يَدٌ كَأَيْدِينَا، وَلَا قَبْضَةٌ كَقَبَضَاتِنَا، لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْهُ ﷻ لَا يُشْبِهُ شَيْئًا مِنَّا.

الشَّرْحُ

هَذِهِ الشُّبْهَةُ الخَامِسَةُ على حديث: «قُلُوبُ الْعِبَادِ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ

(١) أخرجه مسلم: كتاب القدر، رقم (٢٦٥٤).

(٢) سبق تخريجه.

مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ». والحَدِيثُ رَوَاهُ الإمامُ مسلمٌ من حَدِيثِ عبدِالله بن عمرو بنِ العَاصِ بلفظ: «**إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ**». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ**».

وفي حديث آخر: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**» رَوَاهُ ابنُ أبي عَاصِم في (السُّنَّةِ) والآجُرِيُّ في (الشَّرِيعَةِ)، وإن كان في سَنَدِهِ ضَعْفٌ؛ لَكِن يَشْهَدُ لَهُ الحَدِيثُ السَّابِقُ.

يقول المعترض على هذا الحديث: «**فَإِنْ كُنْتُمْ أَرَدْتُمْ بِالأَصَابِعِ هَا هُنَا النِّعَمَ، وَكَانَ الْحَدِيثُ صَحِيحًا فَهُوَ مَذْهَبٌ، وَإِنْ كُنْتُمْ أَرَدْتُمُ الْأَصَابِعَ بِعَيْنِهَا، فَإِنَّ ذَلِكَ يَسْتَحِيلُ لِأَنَّ الله ـ تَعَالَى ـ لَا يُوصَفُ بِالْأَعْضَاءِ، وَلَا يُشَبَّهُ بِالْمَخْلُوقِينَ**».

• **والجواب**: أنَّ الأَصَابعَ ثَابِتَةٌ للهِ ـ تعالى ـ، كما أنَّ اليَدَ ثَابِتَةٌ للهِ ـ تعالى ـ؛ فما أَثْبَتَهُ اللهُ لنَفْسِهِ، أو أَثْبَتَهُ له رَسُولُهُ ﷺ يَجِبُ عَلَيْنَا أنْ نُثْبِتَهُ ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البَقَرَة: ١٤٠].

فإن اللهُ ﷻ أَثْبَتَ لِنَفْسِهِ الأصابعَ، واليَدَ، والسَّمْعَ، والبَصَرَ، والعِلمَ، والقُدْرَةَ، والاسْتِوَاءَ، والعُلُوَّ، فلا نُؤَوِّلُ اليدَ والأَصَابعَ بالنِّعْمَةِ كما يقول هذا المعترض، ولا نقول: إنَّهَا تُشْبِهُ أصابعَ المخلوقِينَ، وقد جاء في حديث الآخر: أن لله خَمْسَةَ أَصَابعَ، كَمَا يَلِيقُ بجَلَالِهِ وعَظَمَتِهِ: «**إِنَّ اللهَ يَضَعُ السَّمَاءَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالأَرْضَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالجِبَالَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ وَالأَنْهَارَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَقُولُ بِيَدِهِ: أَنَا المَلِكُ؟...**»(١).

---

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ التَّوْحِيدِ، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ [فَاطِر: ٤١]، رقم (٧٤٥١)، ومسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم (٢٧٨٦).

وبعضهم تأول قوله ﷺ: «**قُلُوبُ الْعِبَادِ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ**»[١]. وقال: **كَيْفَ تكونُ قُلُوبُ العِبَادِ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ؟! ونَحَنُ لا نَحُسُّ بِأَنَّ أَصَابِعَ الرحمنِ في صُدُورِنَا وقُلُوبِنَا**».

وهَذَا مِنَ الجَهْلِ؛ فالْبَيْنِيَّةُ مَعْنَاهَا وَاسِعٌ في اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤]، هل يَدُلُّ أنَّ السحاب مُمَاسُّها؟ لا يَدُلُّ أنه مُمَاسُّهُ؛ فالسحاب لا يَمَسُّ الأَرْضَ، ولا يَمَسُّ السماءَ؛ بل هو بين السماء والأرض.

وكذلك كون القلوب بين أصابع الرحمن لا يلزم منها المماسة، ولا المحاذاة كما في الآية.

○ وأجابَ ابْنُ قُتَيْبَةَ عن هذه الشبهة بقوله: «**وَنَحْنُ نَقُولُ: إِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ صَحِيحٌ، وَإِنَّ الَّذِي ذَهَبُوا إِلَيْهِ فِي تَأْوِيلِ الْإِصْبَعِ لَا يُشْبِهُ الْحَدِيثَ، لِأَنَّهُ قَالَ فِي دُعَائِهِ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ». فَقَالَتْ لَهُ إِحْدَى أَزْوَاجِهِ: أَوَتَخَافُ يَا رَسُولَ الله عَلَى نَفْسِكَ؟ فَقَالَ: «إِنَّ قَلْبَ الْمُؤْمِنِ، بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الله ـ تَعَالَى ـ»**».

○ قوله: «**فَإِنْ كَانَ الْقَلْبُ عِنْدَهُمْ بَيْنَ نِعْمَتَيْنِ مِنْ نِعَمِ الله ـ تَعَالَى ـ، فَهُوَ مَحْفُوظٌ فَمَا كَانَ يَحْتَاجُ إِلَى الدُّعَاءِ**» أي: إِذَا كَانَ قَلْبُ العِبَادِ بَيْنَ نِعْمَتَيْنِ؛ ليس له حاجة إلى الدعاء.

ثم قال: «**وَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَنَا مِثْلُ الْحَدِيثِ الآخَرِ: «يَحْمِلُ الْأَرْضَ عَلَى أُصْبُعٍ، وَكَذَا عَلَى أُصْبُعٍ...»**» أي: عِنْدَنَا مِثْلُ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ الله، يشير المؤلف رحمه الله إلى الحديث: «**إِنَّ الله يَضَعُ السَّمَاءَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالأَرْضَ عَلَى إِصْبَعٍ**».

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب القدر، رقم (٢٦٥٤).

ثم قال: «وَلَا يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْإِصْبُعُ ـ هَهُنَا ـ نِعْمَةً، وَلَا نَقُولُ أُصْبُعٌ كَأَصَابِعِنَا، وَلَا يَدٌ كَأَيْدِينَا، وَلَا قَبْضَةٌ كَقَبَضَاتِنَا، لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْهُ ﷻ لَا يُشْبِهُ شَيْئًا مِنَّا».



١٣٦ ـ حَدِيثٌ آخَرُ: قَالُوا: رُوِّيتُمْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، وَوَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ أَنَامِلِهِ بَيْنَ ثَنْدُوَتَيَّ»(١).

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: وَنَحْنُ نَقُولُ: إِنَّ اللهَ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ، يَعْنِي: فِي الدُّنْيَا. فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، رَآهُ الْمُؤْمِنُونَ كَمَا يَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ لِمُوسَى: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣]، يَعْنِي: فِي الدُّنْيَا.

ثُمَّ قَالَ: وَكَذَلِكَ نَقُولُ: إِنَّ نَبِيَّنَا لَمْ يَرَهُ إِلَّا فِي الْمَنَامِ، وَعِنْدَ تَغَشِّي الْوَحْيِ لَهُ(٢).

ثُمَّ رَوَى بِإِسْنَادِهِ حَدِيثَ أُمِّ الطُّفَيْلِ: وَأَنَّهُ رَأَى رَبَّهُ فِي الْمَنَامِ فِي صُورَةِ كَذَا.

[وَنَحْنُ لَا نُطْلِقُ عَلَى الصُّورَةِ تَشْبِيهًا، بَلْ مُخَالِفَةٌ لِغَيْرِهَا، كَمَا خَالَفَتْ ذَاتُهُ غَيْرَهَا مِنَ الذَّوَاتِ](٣).

الشَّرْحُ

هَذِهِ الشُّبْهَةُ السَّادِسَةُ على حديث: «رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، وَوَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ أَنَامِلِهِ بَيْنَ ثَنْدُوَتَيَّ»

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) وعبارته في التأويل: (ولذلك يقول قومٌ إن نبينا ﷺ لم يره إلا في المنام وعند تغشي الوحي له) أ.هـ فابن قتيبة ناقل.

(٣) ليس من كلام ابن قتيبة، والله أعلم.

وهو حَدِيثُ اخْتِصَامِ المَلأ الأَعْلَى، وقد شَرَحَهُ الحافِظُ ابنُ رَجَبٍ في رسالةٍ مُسْتَقِلَّةٍ، بعنوان (شرحِ حَديثِ اختصام الملأ الأعلى) وهو مطبوع ضمن مجموع رسائل ابن رجب.

وفيه أن النبي ﷺ قال: «**أَتَانِي رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَبِّي وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلَأُ الأَعْلَى؟ قُلْتُ: رَبِّ لَا أَدْرِي، فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ فَوَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّ فَعَلِمْتُ مَا بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقُلْتُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلَأُ الأَعْلَى؟ قُلْتُ: فِي الدَّرَجَاتِ وَالكَفَّارَاتِ، وَفِي نَقْلِ الأَقْدَامِ إِلَى الجَمَاعَاتِ...**» إِلَى آخِرِ الحَدِيثِ[(١)].

وهَذَا الحَدِيثُ إِنَّمَا هُوَ رُؤْيَا مَنَامِيَّةٌ، ورُؤْيَا النَّبِي حَقٌّ، والحَدِيثُ ثَابِتٌ رواهُ الإمامُ أَحْمَدُ والتِّرْمِذِيُّ في سياقٍ طويل، وقال التِّرمذي: حَسَنٌ صَحِيحٌ، وقالَ: سَأَلْتُ محمدَ بنَ إسماعِيلَ عن هَذَا الحديثِ، فقال: هذَا حَدِيثُ حسن صَحِيح، والحديث صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ.

ولِلْحَدِيثِ شَوَاهِدُ عَدِيدَةٌ عن عبدِالرحمن بنِ عَائِش، وابنِ عبَّاسٍ، وثَوْبَانَ، وابنِ عمرَ، وهي مُفَصَّلَةٌ في تَخْرِيجِ كِتَابِ (اختيار الأَوْلَى) لابن رجبٍ.

○ وقد أجابَ ابنُ قُتَيْبَةَ رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُ بأنَّ اللهَ ـ تَعَالى ـ لا يُرَى فِي الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا يُرَى في الآخِرَةِ.

ونحن نَقُولُ: هَذِه رُؤْيَا مَنَامِيَّة، فَالنَّبِيُّ رَأَى رَبَّهُ في المَنَام، ولا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ التَّشْبِيهُ، ورُؤْيَا الله في المنام أَثْبَتَهَا جَمِيعُ أهلِ الطَّوَائفِ، كما قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِيَة؛ إلا الجَهْمِيَّةَ، فمن شِدَّةِ

---

(١) أخرجه الترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب: سورة ص، رقم (٣٢٣٥) وقال: حسن صحيح.

إِنْكَارِهِم لِرُؤْيَةِ اللهِ أَنْكَرُوا رُؤْيَةَ الله في المَنَامِ.

وقد بين شيخ الإسلام رحمه الله أنه لا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ التَّشْبِيهُ فقال: «وَمَنْ رَأَى الله ﷻ فِي الْمَنَامِ فَإِنَّهُ يَرَاهُ فِي صُورَةٍ مِنَ الصُّوَرِ بِحَسَبِ حَالِ الرَّائِي إِنْ كَانَ صَالِحًا رَآهُ فِي صُورَةٍ حَسَنَةٍ؛ وَلِهَذَا رَآهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ»[1].

وإِنْ كَانَ اعْتِقَادُهُ فِيهِ خَلَلٌ؛ رَأَى رَبَّهُ في صُورَةٍ تُنَاسِبُ اعْتِقَادَهُ.

أما الرُّؤْيَةُ في الدُّنْيَا فاللهُ ـ تَعَالَى ـ لَا يَرَاهُ أحدٌ في الدُّنْيَا، إنما يراه المُؤْمِنُونَ في الآخِرَةِ كما ثَبَتَ في الآياتِ وفي الأحاديثِ المُتَوَاتِرَةِ.

قَالَ ابنُ قُتَيْبَةَ: «**وَنَحْنُ نَقُولُ: إِنَّ الله لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ، يَعْنِي: فِي الدُّنْيَا، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، رَآهُ الْمُؤْمِنُونَ كَمَا يَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ لِمُوسَى:** ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾، يَعْنِي: فِي الدُّنْيَا».

○ قوله: «**وَكَذَلِكَ نَقُولُ: إِنَّ نَبِيَّنَا لَمْ يَرَهُ إِلَّا فِي الْمَنَامِ، وَعِنْدَ تَغَشِّي الْوَحْيِ لَهُ**» وَقَوْلَهُ: «**وَعِنْدَ تَغَشِّي الْوَحْيِ لَهُ**» يَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ؛ فالصَّوَابُ التِي دَلَّتْ عَلَيْهِ النُّصُوصُ: إِنَّ النَّبِيَّ لم يَرَ رَبَّهُ ليلةَ المِعْرَاجِ بعَيْنِ رَأْسِهِ، وإنما رَآهُ بَعَيْنِ قَلْبِهِ.

وقد حكى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إجماع السلف على أنَّ الله لا يراهُ أحدٌ في الدنيا؛ إلا في ليلة المعراج؛ فقال: «وَلِهَذَا اتَّفَقَ سَلَفُ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتُهَا عَلَى أَنَّ الله يُرَى فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّهُ لَا يَرَاهُ أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا بِعَيْنِهِ. وَفِي رُؤْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ رَبَّهُ كَلَامٌ مَعْرُوفٌ لِعَائِشَةَ وَابْنِ عَبَّاسٍ

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ٢٥١).

فَعَائِشَةُ أَنْكَرَتْ الرُّؤْيَةَ وَابْنُ عَبَّاسٍ ثَبَتَ عَنْهُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ أَنَّهُ قَالَ: «**رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ**»(١)، وَكَذَلِكَ ذَكَرَ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي ذَرٍّ وَغَيْرِهِ أَنَّهُ أَثْبَتَ رُؤْيَتَهُ بِفُؤَادِهِ وَهَذَا الْمَنْصُوصُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَأَبِي ذَرٍّ وَغَيْرِهِمَا وهُوَ الْمَنْصُوصُ عَنْ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ مِنْ أَئِمَّةِ السُّنَّةِ، وَلَمْ يَثْبُتْ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ إِثْبَاتُ الرُّؤْيَةِ بِالْعَيْنِ فِي الدُّنْيَا كَمَا لَمْ يَثْبُتْ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ إِنْكَارُ الرُّؤْيَةِ فِي الْآخِرَةِ»(٢).

ثم ذَكَرَ ابنُ قُتَيْبَةَ حَدِيثَ أُمِّ الطُّفَيْلِ: «**وَأَنَّهُ رَأَى رَبَّهُ فِي الْمَنَام فِي صُورَةِ كَذَا**» وقد ذَكَرَهُ ضِمْنَ اعتِرَاضٍ لِقَوْم يَقُولُونَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لم يرَ رَبَّه إِلَّا في المَنَامِ، وعِنْدَ تَغَشِّي الوَحْيِ لَهُ، وأَنَّ الإسراءَ كَانَ بِرُوحِهِ دُونَ جَسَدِهِ، واحتج في ذلك بحديث أم الطُّفَيْلِ وغيره.

والصَّوَابُ: أَنَّ الإِسْرَاءَ كَانَ بِرُوحِهِ وجَسَدِهِ، وأَنَّ النَّبِيَّ لم يَرَ رَبَّهُ بَعْينِ رَأْسِهِ، وإِنَّمَا رَآهُ بِعَيْنِ قَلْبِهِ، وهَذَا هُوَ الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ النُّصُوصُ.

○ قوله: «**وَنَحْنُ لَا نُطْلِقُ عَلَى الصُّورَةِ تَشْبِيهًا، بَلْ مُخَالِفَةٌ لِغَيْرِهَا، كَمَا خَالَفَتْ ذَاتُهُ غَيْرَهَا مِنَ الذَّوَاتِ**» ولا شَكَّ أن هَذَا في جَمِيعِ الصِّفَاتِ؛ فالصُّورَةُ صِفَةٌ ثَابِتَةٌ لله ـ جَلَّ وعَلَا ـ في أحاديث كثيرة.

فالواجب: إِمْرَارُهَا كَمَا جَاءَتْ، وإِثْبَاتُهَا على ظَاهِرِهَا لله ـ تعالى ـ؛ خِلَافًا لأَهْلِ الْكَلَامِ الباطلِ الَّذِينَ يَنْفُونَ عَنِ الله صِفَات كَمَالِهِ، أو يتأولونها بالتأويلات الباطلة.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، رقم (١٧٦).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٢/ ٢٣٠).

١٣٧ ـ حَدِيثٌ آخَرُ: قَالُوا: رُوِّيتُمْ: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ»[١]. وَاللهُ يَجَلُّ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ صُورَةٌ، أَوْ مِثَالٌ.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: وَنَحْنُ نَقُولُ: إِنَّ اللهَ يَجَلُّ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ صُورَةٌ أَوْ مِثَالٌ، غَيْرَ أَنَّ النَّاسَ رُبَّمَا أَلِفُوا الشَّيْءَ وَأَنِسُوا بِهِ، فَسَكَتُوا عِنْدَهُ، وَأَنْكَرُوا مِثْلَهُ.

أَلَا تَرَى أَنَّ اللهَ ـ تَعَالَى ـ يَقُولُ فِي وَصْفِهِ نَفْسَهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] هَذَا، يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مِثْلَهُ لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ، وَمِثْلُ الشَّيْءِ غَيْرُ الشَّيْءِ، فَقَدْ صَارَ ـ عَلَى هَذَا الظَّاهِرِ ـ للهِ مِثْلٌ.

وَمَعْنَى ذَلِكَ فِي اللُّغَةِ، أَنَّهُ يُقَامُ الْمِثْلُ مَقَامَ الشَّيْءِ نَفْسِهِ.

يَقُولُ الْقَائِلُ: مِثْلِي لَا يُقَالُ لَهُ هَذَا الْكَلَامُ. وَيُرِيدُ نَفْسَهُ؛ فَيَكُونُ قَوْلُهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، يُرِيدُ: ﴿لَيْسَ﴾ كَهُوَ شَيْءٌ.

وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْكَافُ زَائِدَةً، كَمَا تَقُولُ فِي الْكَلَامِ: كَلَّمَنِي بِلِسَانٍ كَمِثْلِ السِّنَانِ.

ثُمَّ قَالَ: وَقَدِ اضْطَرَبَ النَّاسُ فِي تَأْوِيلِ هَذَا الْحَدِيثِ.

فَقَالَ قَوْمٌ مِنْ أَصْحَابِ الْكَلَامِ: أَرَادَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ، وَهَذَا غَلَطٌ؛ لِأَنَّهُ لَا فَائِدَةَ فِي ذَلِكَ.

وَمَنْ يَشُكُّ فِي أَنَّ اللهَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ، وَالسِّبَاعَ عَلَى

---

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ الِاسْتِئْذَانِ، بَابُ بَدْءِ السَّلَامِ، رقم (٦٢٢٧)، ومسلم: كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، رقم (٢٦١٢).

صُوَرِهَا، وَالْأَنْعَامَ عَلَى صُوَرِهَا؟!

وَقَالَ قَوْمٌ: إِنَّ الله ـ تَعَالَى ـ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَةٍ عِنْدَهُ.

وَهَذَا لَا يَجُوزُ لِأَنَّ الله لَا يَخْلُقُ شَيْئًا مِنْ خَلْقِهِ عَلَى مِثَالٍ.

وَقَالَ قَوْمٌ فِي الْحَدِيثِ: «لَا تُقَبِّحُوا الْوَجْهَ، فَإِنَّ الله ـ تَعَالَى ـ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ»[(١)]. يُرِيدُ عَلَى صُورَةِ الْوَجْهِ، وَهَذَا أَيْضًا بِمَنْزِلَةِ التَّأْوِيلِ الْأَوَّلِ لَا فَائِدَةَ فِيهِ، وَالنَّاسُ يَعْلَمُونَ أَنَّ الله خَلَقَ آدَمَ عَلَى خَلْقِ وَلَدِهِ، وَوَجْهُهُ عَلَى وُجُوهِهِمْ، وَزَادَ قَوْمٌ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ مَرَّ بِرَجُلٍ يَضْرِبُ وَجْهَ رَجُلٍ فَقَالَ: «لَا تَضْرِبْهُ فَإِنَّ الله خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ». أي: الْمَضْرُوبُ، وَفِي هَذَا مِنَ الْخَلَلِ مَا فِي الْأَوَّلِ.

[وَقَالَ قَوْمٌ: خَلَقَ آدَمَ فِي الْجَنَّةِ عَلَى صُورَتِهِ فِي الْأَرْضِ لَمْ تَخْتَلِفْ][(٢)].

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: وَالَّذِي عِنْدِي ـ وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ ـ أَنَّ الصُّورَةَ لَيْسَتْ بِأَعْجَبَ مِنَ الْيَدَيْنِ، وَالْأَصَابِعِ، وَالْعَيْنِ، وَإِنَّمَا وَقَعَ الْإِلْفُ لِتِلْكَ لِمَجِيئِهَا فِي الْقُرْآنِ، وَوَقَعَتِ الْوَحْشَةُ مِنْ هَذِهِ، لِأَنَّهَا لَمْ تَأْتِ فِي الْقُرْآنِ، وَنَحْنُ نُؤْمِنُ بِالْجَمِيعِ، وَلَا نَقُولُ فِي شَيْءٍ مِنْهُ بِكَيْفِيَّةٍ وَلَا حَدٍّ[(٣)].

الشَّرْحُ

هَذِهِ الشُّبْهَةُ السابعة عَلَى حَدِيثِ: «خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ، طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا» وَهَذَا الحَدِيثُ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٢٩/ ٥١٨)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٤٩/ ٣٢٤٣)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ» ووافقه الذهبي.

(٢) هذا تابع للأول ذكره ابن قتيبة في عرض منافقة المتكلمين.

(٣) انظر: تأويل مختلف الحديث (١/ ٣٢٢).

وغَيْرُهُمَا.

وهذا الحديث فِيهِ إِثْبَاتُ الصُّورَةِ للهِ ﷻ، والضَّمِيرُ يَعُودُ إِلَى الله، وهَذَا هُوَ الصَّوَابُ الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ النُّصُوصُ؛ والَّذِي أَقَرَّهُ المُحَقِّقُونَ كالإمامِ أحمدَ وشيخِ الإسلامِ وابنِ القَيِّم، وجَمَاعَةٍ من أَهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ - قَالُوا: الضَّمِيرُ يَعُودُ إلى الله في قوله: «**خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ**» ويَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ الرِّوَايَاتُ الأُخْرَى الَّتِي صَحَّحَهَا الحَافِظُ في (الفتح) «**خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ**»، وهذه الرواية تُؤَيِّدُ أنَّ الضَّمِيرَ يعودُ إلى الله.

فَفِيهِ: إِثْبَاتُ الصُّورَةِ للهِ ﷻ وهُوَ يَقْتَضِي نَوْعًا مِنَ المُشَابَهَةِ، وهِيَ المُشَابَهَةُ في مُطْلَقِ الصُّورَةِ، لا في الجِنْسِ والمِقْدَارِ، فلم يقل: إن آدم يُشْبِهُ الله في الجِنس أو في المِقْدَارِ.

فأَنْتَ تَرَى صُورَةَ القَمَرِ في الماءِ؛ فَتَقُولَ: هَذِهِ صُورَةُ القَمَرِ تُشْبِهُ القمرَ الَّذِي في السماء. فهل هَذَا القَمرُ الَّذِي في الصورةِ الَّتِي في الماء تُشْبِهُ القَمَرَ في ذَاتِهِ، أو هي ذاته؟! الجواب: لا. وهَلْ هِيَ تُشْبِهُهُ في المِقْدَارِ، أو في الجِنْسِ؟! الجواب: لا. فهَذِهِ مُجَرَّدُ صُورَةٍ؛ ما لهَا ذَاتٌ ولَا شَكْلٌ.

فالذي حقَّقَهُ شيخُ الإسلام ابنُ تيمية ؒ، في بحثه في بَيَانِ تَلْبِيسِ الجَهْمِيَّةِ، وهو المسمى (بنَقْضِ تَأْسِيسِ التقديس)، وتأسيس التقديس كتاب للفخر الرازي[1]، ذَكَرَ فِيهِ تأويلَ الأحاديثِ، ورَدَّ عليه شيخ الإسلام في هذا الكتاب.

---

(١) هو فخر الدين، محمد بن عمر بن الحسين القرشي، قد بدت منه في تواليفه بلايا وعظائم وسحر وانحرافات عن السنة، والله يعفو عنه، فإنه توفي على طريقة حميدة، والله يتولى السرائر.

انظر: سير أعلام النبلاء (٢١/ ٥٠١).

وهو كِتَابٌ عَظِيمٌ، وهو بيان تلبيس الجهمية، وجد منها الشيخ محمد القاسِمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ ما يقرب من النِّصْفِ، ثم وجدَ النِّصْفَ الآخر، وقَدْ أَخَذْتُهُ إلى كلية أصول الدين قبل عشر سنوات، ووُزِّعَ على ثَمانِ طُلَّابٍ؛ في ثمان رسائل دكتوراه، وحُقِّقَ الكتابُ، وكنت المشرفَ على الثمانية كلهم، وفيه بحوث لا توجد في غيره؛ بُحُوثٌ عظيمة، ومن ذلك مسألة الصورة حتَّى إنَّ مبحث الصورة جاء في رسالة دكتوراه كاملة، وهو كتاب عظيم، وردَّ فيه على الرازي.

وفي المراد بهذا الحديث: «**خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ**» ثلاثة أقوال:

القول الأول: عَلَى صُورَتِهِ يَعُودُ على صُورَةِ المَضْرُوبِ؛ أي: أنَّه لمَّا رَأَى شَخْصًا يَضْرِبُ شَخْصًا، قال: لَا تَضْرِبِ الْوَجْهَ؛ فَإِنَّ الله خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَةِ المَضْرُوبِ. فيكونُ تَشْبِيها مَقْلُوبا.

قال شَيْخُ الإسْلَامِ: وهذا باطل.

القول الثاني: أَنَّ الضَّمِيرَ يَعُودُ إلى آدَمَ؛ خَلَقَ اللهُ آدمَ عَلَى صُورَةِ آدَم، وهَذَا بَاطِلٌ أيضًا. قال عَبْدُاللهِ بنُ الإمام أحمدَ لِأَبِيهِ: «**خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ**». صُورةِ آدَمَ؟ قَالَ: هَذَا قَوْلُ الجَهْمِيَّةِ، أيُّ صُورَةٍ لآدَمَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُ اللهُ؟

القَوْلُ الثَّالِثُ: أَنَّهُ يَعُودُ إِلى الله.

وهَذَا هُوَ الصَّوَابُ الَّذِي تَدُلُّ عَلَيْهِ النُّصُوصُ، وفِيهِ إِثْبَاتُ الصُّورَةِ للهِ، واللهُ تَعَالَى لا يُشْبِهُ المَخْلُوقِينَ؛ بل له صُورَةٌ لا تُشْبِهُ صُوَر المَخْلُوقِينَ.

وإن كانَ في إِثْبَاتِهَا نَوْعٌ من المُشَابَهَةِ؛ إلا أَنَّهَا مُشَابَهَةٌ في مُطْلَقِ الصُّورَةِ، لا في الجِنْسِ ولا في المِقْدَارِ.

وَقَدْ غَلِطَ في هَذَا أُنَاسٌ كَثِيرُونَ مِنْهُمْ: الاتِّحَادِيَّةُ والحُلُولِيَّةُ ـ والعِيَاذُ بالله ـ وقَدْ ردَّ عَلَيْهِمْ شيخُ الإسلامِ.

وَأحَادِيثُ الصُّورَةِ مُتَعَدِّدَةٌ:

منها هذا الحديث «**خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ**».

ومنها حديثُ الصُّورَةِ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ**» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ**» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «**فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كَذَلِكَ، يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ، فَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ القَمَرَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فِي غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِالله مِنْكَ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا أَتَانَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ**»[1].

فقد جمع بَينَ هذه الأحاديث كلها، في بحث عظيم، فيه فوائد عظيمة.

وممن غَلِطَ في هذا: ابنُ خُزَيْمَةَ، في كتاب التَّوْحِيدِ وهو من أئمة أهل السنة وقد رَدَّ عَلَيْهِ شيخُ الإسلام؛ فإنه أنْكَرَ الصُّورَةَ فقال: «**تَفَهَّمُوا رَحِمَكُمُ اللهُ مَعْنَى الْخَبَرِ، لَا تَغْلَطُوا وَلَا تَغَالَطُوا فَتَضِلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ، وَتَحْمِلُوا عَلَى الْقَوْلِ بِالتَّشْبِيهِ الَّذِي هُوَ ضَلَالٌ**»[2]. ظَنَّ رَحِمَهُ اللهُ وهَذِهِ مَعْدُودَةٌ في غَلَطَاتِه ـ أنَّ الصُّورَةَ فيها تَشْبِيهٌ. هذا ليس فيه تَشْبِيهٌ.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر: التوحيد لابن خزيمة (١/ ٨٤/ ٦).

وكما قالَ ابنُ قُتَيْبَةَ في آخِرِ البَحْثِ: «وَالَّذِي عِنْدِي - وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ - أَنَّ الصُّورَةَ لَيْسَتْ بِأَعْجَبَ مِنَ الْيَدَيْنِ، وَالْأَصَابِعِ، وَالْعَيْنِ، وَإِنَّمَا وَقَعَ الْإِلْفُ لذلك لِمَجِيئِهَا فِي الْقُرْآنِ، وَوَقَعَتِ الْوَحْشَةُ مِنْ هَذِهِ، لِأَنَّهَا لَمْ تَأْتِ فِي الْقُرْآنِ، وَنَحْنُ نُؤْمِنُ بِالْجَمِيعِ، وَلَا نَقُولُ فِي شَيْءٍ مِنْهُ بِكَيْفِيَّةٍ وَلَا حَدٍّ».

وهذا حق، وقول ابنُ قُتَيْبَةَ رَحِمَهُ اللهُ: «إن الله يَجِلُّ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ صُورَةٌ أَوْ مِثَالٌ» هذا فيه إجمال؛ لكن مَقْصُودُ قوله أن يكون له صورةٌ تُشْبِهُ صُورَةَ المَخْلُوقِينَ.

وذكر في قوله: «﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]» يقول: هذا مثال نَظِير، كما أن الآية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ يَدَلُّ على أن مِثْلَهُ لا يُشْبِهُهُ شيء، ومِثْلُ الشَّيْءِ غيرُ الشيءِ، فقد صار على هذا الظاهر لله مِثْلٌ.

ثم قال: إن أهل اللغة يقولون: «مِثْلِي لَا يُقَالُ لَهُ هَذَا الْكَلَامُ. وَيُرِيدُ نَفْسَهُ» وَذَكَرَ القَوْلَ الآخَرَ، وقال: إنَّ هَذَا يجوزُ أن تكون الكاف زائدة.

ثم ذكر الأقوال في الصورة، فقال:

١- «فَقَالَ قَوْمٌ مِنْ أَصْحَابِ الْكَلَامِ: أَرَادَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ» وهذا قول الجهمية، وقال: «وَهَذَا غَلَطٌ؛ لِأَنَّهُ لَا فَائِدَةَ فِي ذَلِكَ» فالمعنى فاسد؛ فكما قال الإمام أحمد: هذا قول الجهمية. أَيُّ صورةٍ لآدم قبل أن يَخْلُقَهُ الله؟ فكيف خلق آدم على صورة آدمَ قَبْلَ أن يَخْلُقَ لَهُ صُورَةً؟!

٢- «وَقَالَ قَوْمٌ: إِنَّ اللهَ - تَعَالَى - خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَةٍ عِنْدَهُ» وهذا أيضا مِثْلُه فاسد كما قال: «وَهَذَا لَا يَجُوزُ لِأَنَّ اللهَ لَا يَخْلُقُ

شَيْئًا مِنْ خَلْقِهِ عَلَى مِثَالٍ».

٣- وَقَالَ قَوْمٌ فِي الْحَدِيثِ: «**لَا تُقَبِّحُوا الْوَجْهَ، فَإِنَّ اللهَ ـ تَعَالَى ـ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صورته، يُرِيدُ عَلَى صُورَةِ الْوَجْهِ**» أي: على صُورَةِ الوَجْهِ، وهذا أيضا باطل.

٤- «**وَزَادَ قَوْمٌ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ مَرَّ بِرَجُلٍ يَضْرِبُ وَجْهَ رَجُلٍ فَقَالَ**: «**لَا تَضْرِبْهُ فَإِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ**» **أي: الْمَضْرُوبُ**». فيكونُ منْ بَابِ التَّشْبِيهِ المَقْلُوبِ.

٥- «**وَقَالَ قَوْمٌ: خَلَقَ آدَمَ فِي الْجَنَّةِ عَلَى صُورَتِهِ فِي الْأَرْضِ لَمْ تَخْتَلِفْ**» وكُلُّ هَذِهِ الأَقْوَالِ بَاطِلَةٌ.

والصوابُ ـ كَمَا ثَبَتَ ـ أنَّ الضَّمِيرَ يعودُ إلى الله، وفيه إثباتُ الصُّورَةِ للهِ؛ وأن الله خلق آدم على صورته، ويدل على ذلك الروايةُ الصَّحِيحَةُ في الحديث الصحيح الآخر: «**خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ**». وقد أَلَّفَ الشيخُ حَمودُ التُّوَيْجِرِيُّ ﷬ رسالة جيدة في مبحث الصورة، سماها: (عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن) أخذها من كلام شيخ الإسلام في كتابه (نقض تأسيس الجهمية)، وقد لخصت كلام شيخ الإسلام في المسألة رسالة مختصرة في إثبات الصورة لله تعالى، طبعت مضمنة في تقييد الشوارد، وطبعت مستقلة.



١٣٨ ـ حَدِيثٌ آخَرُ: قَالُوا: رُوِّيتُمْ فِي حَدِيثِ أَبِي رَزِينٍ الْعُقَيْلِيِّ، مِنْ رِوَايَةِ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، أَنَّهُ قَالَ: أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ؟ فَقَالَ: «كَانَ فِي عَمَاءٍ، فَوْقَهُ هَوَاءٌ»[١].
قَالُوا: وَهَذَا تَحْدِيدٌ وَتَشْبِيهٌ.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: وَقَدْ تَكَلَّمَ فِي تَفْسِيرِ هَذَا الْحَدِيثِ أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَّامٍ، فَقَالَ: "الْعَمَاءُ" السَّحَابُ، وَهُوَ كَمَا قَالَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ؛ إِنْ كَانَ الْحَرْفُ مَمْدُودًا. وَإِنْ كَانَ مَقْصُورًا كَأَنَّهُ كَانَ فِي عَمًى؛ [كَانَ كَمَا شَاءَ][٢].

الشرح

هَذِهِ هِيَ الشُّبْهَةُ الثَّامِنَةُ من الشُّبَهِ التي أَوْرَدَهَا أهلُ البِدَعِ على بعضِ النُّصُوصِ من الكِتَابِ والسُّنَّةِ، وأَوْرَدَهَا ابنُ قُتَيْبَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه (تأويل مختلف الحديث)، وأجابَ عَنْهَا.

هَذِهِ الشُّبْهَةُ على حَدِيثِ أَبِي رَزِينٍ الْعُقَيْلِيِّ، مِنْ رِوَايَةِ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، أَنَّهُ كَانَ يسألُ النَّبِيَّ ﷺ «أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ؟ فَقَالَ: «كَانَ فِي عَمَاءٍ، فَوْقَهُ هَوَاءٌ». وفي لفظ آخر: «كَانَ فِي عَمَاءٍ، ما فَوْقَهُ هَوَاءٌ، وَمَا وَتَحْتَهُ هَوَاءٌ».

○ قوله: «قَالُوا: وَهَذَا تَحْدِيدٌ وَتَشْبِيهٌ» يَعْنِي: تَحْدِيدَ مَكَانِ الرَّبِّ، وأنه في عَمَاءٍ، وهذا تَشْبِيهٌ لَهُ بالمَخْلُوقَاتِ، فكيف الجواب

(١) أخرجه الترمذي: أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، باب ومن سورة هود، رقم (٣١٠٩)، وابن ماجه: المقدمة، بَابٌ فِيمَا أَنْكَرَتِ الْجَهْمِيَّةُ، رقم (١٨٢).

(٢) انظر: تأويل مختلف الحديث (١/ ٣٢٣)، وما بين المعقوفتين ليس من كلام القرطبي.

عن هذه الشُّبْهَةِ؟

قال ابنُ قُتَيْبَةَ في جوابه: «**وَقَدْ تَكَلَّمَ فِي تَفْسِيرِ هَذَا الْحَدِيثِ أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَّامٍ**» هو الإمام المعروف[١].

○ قوله: «**فَقَالَ: "الْعَمَاءُ" السَّحَابُ، وَهُوَ كَمَا قَالَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ؛ إِنْ كَانَ الْحَرْفُ مَمْدُودًا. وَإِنْ كَانَ مَقْصُورًا كَأَنَّهُ كَانَ فِي عَمًى؛ كَانَ كَمَا شَاءَ**» هذا جواب واضِحٌ عن الشُّبْهَةِ.

● **والجواب** الصَّحِيحُ عنْ هَذِهِ الشُّبْهَةِ:

أولًا: الحَدِيثُ ضَعِيفٌ؛ ففي إِسْنَادِهِ وَكِيعُ بنُ عُدُسٍ ويقال: وَكِيعُ بنُ حُدُسٍ، وهو ضَعِيفٌ، كما هو معروف، والحَدِيثُ رَوَاهُ الإمامُ أحمدُ، والتِّرْمِذِيُّ، ابن مَاجَه، وابنُ أبي عَاصِمٍ في السُّنَّةِ، وقال الأَلْبَانِيُّ: ضَعِيفٌ[٢]، وهو كما قَالَ.

ثانيًا: لَوْ صَحَّ فمعناه صَحِيحٌ، والمرادُ بالعَمَاءِ السَّحَابُ: «**كَانَ فِي عَمَاءٍ، فَوْقَهُ هَوَاءٌ**» فالسَّحَابُ فَوْقَهُ هواء وتحته هواء.

والمعنى: أن الله فوق السحاب مثل قوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦] ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ يراد بها العُلُوَّ. أي: أأمنتم من في العلو، ويراد بالسَّمَاءِ الطِّبَاقِ المَبْنِيَّةِ فـ﴿فِي﴾ تُفِيدُ معنى على؛ أي: كان على السماء.

○ وقوله: «**كَانَ فِي عَمَاءٍ، ما فَوْقَهُ هَوَاءٌ، وَما وَتَحْتَهُ هَوَاءٌ**» مَا مَوْصُولَةٌ بمَعْنَى الَّذِي؛ أي: كان في السَّحَابِ الَّذِي فَوْقَهُ هَواء.

❀ ❀ ❀

---

(١) قد ذكره في كتاب غريب الحديث (٢/ ٨).

(٢) انظر: السلسلة الضعيفة (١١/ ٥٠٠).

١٣٩ ـ حَدِيثٌ آخَرُ: قَالُوا: رُوِّيتُمْ عَنَّ النَّبِيِّ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ، فَإِنَّ الله هُوَ الدَّهْرُ»[(١)]. فَوَافَقْتُمْ فِي ذَلِكَ الدَّهْرِيَّةَ.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: وَنَحْنُ نَقُولُ: إِنَّ الْعَرَبَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَانَتْ تَقُولُ: «أَصَابَنِي الدَّهْرُ فِي مَالِي بِكَذَا». أَوْ: «نَالَتْنِي قَوَارِعُ الدَّهْرِ وَمَصَائِبُهُ». قَالَ اللهُ تَعَالَى حِكَايَةً عَمَّا قَالُوا: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤] فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ إِذَا أَصَابَتْكُمْ الْمُصَائِبُ؛ [فَإِنَّ الله هُوَ الْفَعَّالُ لِمَا يَشَاءُ][(٢)].

الشَّرْحُ

هذه الشُّبْهَة التَّاسِعَةُ على هَذَا الحَدِيثُ: «لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ، فَإِنَّ الله هُوَ الدَّهْرُ» حديث صحيح رواه الإمامُ مسلمٌ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فالشبهة قولهم: «فَوَافَقْتُمْ فِي ذَلِكَ الدَّهْرِيَّةَ» أي: إِذَا قُلْتُمْ: إن الله هُوَ الدَّهْرُ وَافَقْتُمُ الدَّهْرِيَّةَ، في قولهم: إن الدهرَ ـ وهو: الزمان ـ هو الذي يُفْنِينَا. وقد قال اللهُ ـ تَعَالى ـ عَنْهُمْ إنهم قالوا: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ [الجاثية: ٢٤].

فمعنى الآية: أن الدهر هُوَ الَّذِي يُهْلِكُنَا ويُفْنِينَا، وليس هُنَاكَ رَبٌّ، ولا بَعْثٌ ولا مِعَادٌ؛ بل بُطُونٌ تَدْفَعُ بالوِلَادَةِ، وأرضٌ تَبْلَعُ بالمَوْتِ.

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الْأَلْفَاظِ مِنَ الْأَدَبِ وَغَيْرِهَا، رقم (٢٢٤٦)، وبلفظ مقارب من حديث أبي هريرة أيضاً في البخاري برقم (٦١٨٢).

(٢) ما بين المعقوفتين ليس من كلام ابن قتيبة.

• **والجواب الصَّحِيحُ** أن يقالَ: إنَّ الحَدِيثَ معناه: لَا تَسُبُّوا اللَّيْلَ والنَّهَارَ والزَّمَانَ، «**فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ**» أي: مُصَرِّفُ الدَّهْرِ ومُقَلِّبُ الدَّهْرِ؛ مقلب الليل والنهار، وهذا المعنى جاء في الحديث الآخر: «**يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَقُولُ: يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ فَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ فَإِنِّي أَنَا الدَّهْرُ، أُقَلِّبُ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ، فَإِذَا شِئْتُ قَبَضْتُهُمَا**»[١].

وقد غلِطَ ابنُ حَزْمٍ حِينَمَا جعل الدهرَ من أسماء الله بهذا الحديث ـ كما تقدم ـ.

○ قوله: «**قال ابنُ قُتَيْبَةَ: وَنَحْنُ نَقُولُ: إِنَّ الْعَرَبَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَانَتْ تَقُولُ: "أَصَابَنِي الدَّهْرُ فِي مَالِي بِكَذَا". أَوْ: "نَالَتْنِي قَوَارِعُ الدَّهْرِ وَمَصَائِبُهُ". قَالَ اللهُ ـ تَعَالَى ـ حِكَايَةً عَمَّا قَالُوا: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾** [الجاثية: ٢٤]. **فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ إِذَا أَصَابَتْكُمُ المصَائِبُ؛ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الْفَعَّالُ لِمَا يَشَاءُ**». وَسَبُّ الدَّهْرِ مُحَرَّمٌ؛ فلا يَجُوزُ للإنْسَانِ أن يَسُبَّ الدَّهْرَ مِثلَ مَا يَفْعَلُ بعضُ النَّاسِ من ذَمِّ السَّاعِة أو اليَوْمِ، أو شَتْمِ اللَّيْلِ أو النَّهَار، ومن ذلك قول الحريري في مقاماته[٢]:

ولا تأمَنِ الدهْرَ الخؤونَ ومَكرَهُ ... فكمْ خامِلٍ أخْنى عليهِ ونابِه

حين وصف الدهر بأنه الخؤون.

ومِنْ ذَلِكَ قول الشاعر[٣]:

عَضَّنَا الدَّهْرُ بِنَابِهْ ... لَيْتَ مَا حَلَّ بِنَا بِهْ

يعني: جَعَلَ الدَّهْرَ لَهُ نَابٌ، ثم قال: ليت الَّذِي حَلَّ بِنَا حَلَّ بِهِ.

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الْأَلْفَاظِ مِنَ الْأَدَبِ وَغَيْرِهَا، رقم (٢٢٤٦).

(٢) انظر: مقامات الحريري (ص ٢٠٢).

(٣) انظر: البيت في علوم البلاغة (١/ ٣٥٥).

وهذا مِنْ سَبِّ الدَّهْرِ.

ومن أقوال بعض الناس: لَعَنَ اللهُ الساعَةَ التِي عَرَّفَتْنِي بِفُلَانٍ، لعَنَ اللهُ اليَوْمَ. وهذا من سب الدهر، ومَنْ سَبَّ الدَّهْرَ فَقَدْ سَبَّ اللهَ؛ لأن الله ـ تعالى ـ هو الذي يُصَرِّفُهُ.



١٤٠ ـ حَدِيثٌ آخَرُ: قَالُوا: رُوِّيتُمْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يَقُولُ اللهُ ﷻ: مَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ تقرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي، أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»[١].

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: وَمَعْنَاهُ عِنْدَنَا: مَنْ تَقَرَّبَ بِالطَّاعَةِ، وَأَتَانِي بِهَا أَتَيْتُهُ بِالثَّوَابِ أَسْرَعَ مِنْ إِتْيَانِهِ، فَكَنَّى عَنْ ذَلِكَ بِالْمَشْيِ وَبِالْهَرْوَلَةِ؛ كَمَا قَالَ ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾ [سبإ: ٣٨]. وَالسَّعْيُ: الْإِسْرَاعُ فِي الْمَشْيِ، وَلَيْسَ يُرَادُ أَنَّهُمْ مَشَوْا دَائِمًا، وَإِنَّمَا يُرَادُ: أَنَّهُمْ أَسْرَعُوا بِنِيَّاتِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ.

الشرح

هَذِهِ الشُّبْهَةُ العَاشِرَةُ عَلَى هَذَا الحَدِيثِ، وهو حَدِيثُ: «مَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي، أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً». وقد رَوَاهُ الشَّيْخَانِ البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

○ وليسَ مَعْنَاهُ كَمَا أجاب ابنُ قُتَيْبَةَ فإِنَّهُ أَوَّلَهُ فقال: «مَنْ تَقَرَّبَ بِالطَّاعَةِ، وَأَتَانِي بِهَا أَتَيْتُهُ بِالثَّوَابِ أَسْرَعَ مِنْ إِتْيَانِهِ».

والنووي رحمه الله مِمَّنْ أَوَّلَهُ فقال[٢]: «ومعناه من تقرب إلي بطاعتي تقربت إليه برحمتي والتوفيق والإعانة، وإن زاد زدت، فإن أتاني يمشي

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر: شرح النووي على مسلم (١٧/ ٣).

وأسرع في طاعتي، أتيته هرولة، أي صببت عليه الرحمة، وسبقته بها، ولم أحوجه إلى المشي الكثير في الوصول إلى المقصود».

وهَذَا ليس مَعْنَى الحَدِيثِ، وإنَّمَا هُوَ أَثَرٌ له مثل: صِفَةِ الغَضَبِ، فهي صفة لله، والانْتِقَامُ أَثَرٌ لها.

والرِّضَا صِفَةٌ للهِ، ومن آثَارِهَا الثَّوَابُ، فإذا رَضِيَ اللهُ أَثَابَ، وإذا غَضِبَ انْتَقَمَ.

كَذَلِكَ من فَسَّرَ التَّقَرُّبَ من الله بالثَّوَابِ؛ فَقَدْ فَسَّرَه بالأَثَرِ، ولكن هَذَا تقربٌ حَقِيقِيٌّ؛ فمن تَقَرَّبَ إلى الله ـ تعالى ـ، تَقَرَّبَ اللهُ إليه؛ وكذلك النُّزُولُ، والعُلُوُّ والاسْتِوَاءُ كلها صفات تليق بجلاله، ومعناها مَعْرُوفٌ في اللُّغَةِ؛ فمعنى المشي والهرولة معروف في اللغة، أما الكيفية ـ أي: كيفية اتصاف الله تعالى بها فلا يعلمها إلا هو ﷻ.

والقُرْبُ من صِفَاتِ الله، ومِنْ صِفَاتِهِ المَعِيَّةُ، والقرب إلى الله يأتي خَاصًّا، وهُوَ نَوْعَان:

الأول: قُرْبٌ من الدَّاعِينَ بالإجَابَةِ.

الثاني: قُرْبٌ من العَابِدِين بالإثَابَةِ.

مثال الأول وهو القُرْبُ من الدَّاعِينَ بالإجَابَةِ ـ: قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾، يَعْنِي: قَرِيبٌ من السَّائِلِينَ بالإِجَابَةِ، ولم يقل: إنَّهُ قَرِيبٌ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البَقَرَة: ١٨٦].

ومِثْلُهُ حَدِيثُ أبي موسى الأشعَرِيِّ قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فِي غَزَاةٍ، فَجَعَلْنَا لَا نَصْعَدُ شَرَفًا، وَلا نَعْلُو شَرَفًا، وَلا نَهْبِطُ فِي وَادٍ إِلَّا رَفَعْنَا أَصْوَاتَنَا بِالتَّكْبِيرِ، قَالَ: فَدَنَا مِنَّا رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلا غَائِبًا،**

إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا»[(١)].

ومِثْلُهُ قَوْلُهُ - تَعَالَى - عن صالح عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾ [هُود: ٦١] أي: قَرِيبٌ مُجِيبٌ لِلْمُسْتَغْفِرِينَ التَّائِبِينَ، وليس مِنْ كُلِّ أَحَدٍ.

ومثال الثاني - وهو قرب من العابدين بالإِثَابَةِ -: كَقَوْلِهِ - تَعَالى -: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف: ٥٦]. وكَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴿١٩﴾﴾ [العلق: ١٩]. فالسَّاجِدُ قَرِيبٌ مِنَ الله كما في الحديث: «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ، وَهُوَ سَاجِدٌ**»[(٢)].

وقيل يَأْتِي القُرْبُ عَامًّا أيضا كقوله - تعالى -: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق: ١٦]. قال بعضُ العلماءِ: هذا الضَّمِيرُ يعودُ إلى الله، والمعْنَى: أَقْرَبُ بالعِلْمِ.

قالَ بعضُهُمْ: بالقُدْرَةِ.

وقال آخرون: بالقُدْرَةِ والرُّؤْيَةِ.

وذهبَ بَعْضُ المُحَقِّقِينَ كشيخِ الإسلام ابنِ تَيْمِيَةَ وغيرِهِ إلى أنَّ هَذَا قُرْبُ المَلَائِكَةِ؛ قال: ونَحْنُ أَقْرَبُ بِمَلَائِكَتِنَا إليه من حَبْلِ الوَرِيدِ بدَلِيلِ قَوْلِهِ: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾ [ق: ١٧]. وَلَوْ كانَ المُرَادُ قُرْبَ الرَّبِّ لمَا قَيَّدَهُ بِتَلَقِّي المُتَلَقِّيَانِ ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾. وَقتَ تَلَقِّي المُتَلَقِّيَانِ؛ يعني: نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ بمَلَائِكَتِنَا.

ومثل قوله - تعالى -: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [الواقعة: ٨٥]. قَالَ: المَلَائِكَةُ أَقْرَبُ إلى العَبْدِ مِمَّنْ حَوْلَهُ عِنْدَ المَوتِ، ولكن لا تُبْصِرُونَ المَلَائِكَةَ.

---

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ القَدَرِ، بَابُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، رقم (٦٦١٠)، ومسلم: كتاب الذكر، رقم (٢٧٠٤).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الصلاة، رقم (٤٨٢).

١٤١ ـ حَدِيثٌ آخَرُ قَالُوا: رَوَيْتُمْ: «آخَرُ وَطْأَةٍ وَطِئَهَا اللهُ بِوَجٍّ»[1].

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: ولِهَذَا الْحَدِيثِ مَخْرَجًا حَسَنًا قَدْ ذَهَبَ إِلَيْهِ بَعْضُ أَهْلِ النَّظَرِ، وَبَعْضُ أَهْلِ الْحَدِيثِ. قَالُوا: إِنَّ آخَرَ مَا أَوْقَعَ اللهُ ـ تَعَالَى ـ بِالْمُشْرِكِينَ بِالطَّائِفِ، [وَكَانَتْ آخِرَ غَزَاةٍ غَزَاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَحُنَيْنٌ وَادٍ قِبَلَ الطَّائِفِ][2]. وَكَانَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ يَذْهَبُ إِلَى هَذَا.

وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِهِ فِي دُعَائِهِ: «اللهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ»[3].

الشَّرْحُ

هَذِهِ الشُّبْهَةُ الحادية عَشر على حَدِيثِ: «آخَرُ وَطْأَةٍ وَطِئَهَا اللهُ بِوَجٍّ» وَجّ وَادٍ بالطَّائِفِ، وذَهَبَ بَعْضُ العُلَمَاءِ إلى أَنَّهُ حُرِّمَ صَيْدَ وَجٍّ، ولكن هذا قولٌ مَرْجُوحٌ.

والصَّوَابُ أَنَّهُ ليس في الدنيا إلا حَرَمَان؛ الحرمُ المَكِيُّ والحَرَمُ المَدَنِيُّ.

وأما بيتُ المَقْدِسِ فليسَ حَرَمًا، وهذا من الأَخْطَاءِ الشَّائِعَةِ فإن بَعْضِ النَّاسِ يقول ثَالِثُ الحَرَمَيْنِ. فيجعلون المسجدَ الأقْصَى ثالث

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢٧٣١٤)، وقال الهيثمي في المجمع رجاله ثقات.

(٢) في تأويل مختلف الحيث: [وكانت آخر غزاة غزاها رسول الله ﷺ بوج، ووج واد قبل الطائف].

(٣) أخرجه البخاري: كِتَابُ الأَذَانِ، بَابٌ: يَهْوِي بِالتَّكْبِيرِ حِينَ يَسْجُدُ، رقم (٨٠٤)، ومسلم: كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةَ، رقم (٦٧٥).

الحَرَمَينِ، ما هو بثالث الحرمين. ولكن يقال: ثَالِثُ المسْجِدَيْنِ، هذا الصحيح.

وهَذَا الحَدِيثُ رَوَاهُ الإمامُ أحمدُ، وقال الهَيْثَمِيُّ في (مجمع الزوائد): رَوَاهُ أحمدُ، والطَّبَرَانِيُّ ورجالُهُ من الثِّقَاتِ.

• **والجواب** كما قال ابنُ قُتَيْبَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: إن المعنى أن الله ـ تعالى ـ أَوْقَعَ بالمُشْرِكِينَ في حُنَيْنٍ، ونَصَرَ اللهُ عَبْدَهُ ورَسُولَهُ وحِزْبَهُ المُؤْمِنِينَ.



١٤٢ ـ حَدِيثٌ آخَرُ: قَالُوا: رُوِّيتُمْ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ: «الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ يَمِينُ الله فِي الْأَرْضِ، يُصَافِحُ بِهَا مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ»[1].

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: وَأَصْلُ هَذَا أَنَّ الْمَلِكَ إِذَا صَافَحَ رَجُلًا، قَبَّلَ الرَّجُلُ يَدَهُ، فَهَذَا مِثْلُ أَنَّ الحَجَرَ بِمَنْزِلَةِ الْيَمِينِ لِلْمَلِكِ تُسْتَلَمُ وَتُلْثَمُ.

الشرح

هَذِهِ الشُّبْهَةُ الثانية عشر على حديث ابن عباس قال: «الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ يَمِينُ الله فِي الْأَرْضِ، يُصَافِحُ بِهَا مَنْ شَاءَ مِنْ خَلِقِهِ» وقد رُوِيَ مَوْقُوفًا على ابنِ عَبَّاسٍ.

○ **والرد على هذه الشبهة من وجوه:**

أولًا: هَذَا لَيْسَ بِحَدِيثٍ؛ وليسَ مرفوعًا إلى النَّبِيِّ ﷺ، بَلْ هو موقوف عَلى ابنِ عَبَّاسٍ.

ثانيًا: أَنَّهُ ضَعِيفٌ.

ثالثًا: هذا الحديث لو صَحَّ؛ فليس مَعْنَاهُ أنَّ الحَجَرَ صِفَةٌ لِلَّهِ، بل الحَدِيثُ فيهِ دَلِيلٌ على أنه ليس صِفَةً لِلَّهِ؛ إنما قال: «يَمِينُ الله فِي الْأَرْضِ» فهَذَا التَقْيِيدُ بقوله: «في الْأَرْضِ» يوضح أنه ليس صِفَةً من صِفَاتِ الله.

ثم أيضا قال: «يُصَافِحُ بِهَا مَنْ شَاءَ مِنْ خَلِقِهِ» تَشْبِيهٌ، والمُشَبَّهُ غَيْرُ المُشَبَّهِ بِهِ، وعلى هذا لا يكونُ فيه إشكال.

(١) أخرجه الديلمي في الفردوس (٢/١٥٩/٢٨٠٦).

وقد بَيَّنَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِيَةَ هَذَا في (درء تعارض العقل)[١]، وفي (التدمرية)[٢]، وأن هذا الخبر لو صح عن النبي ﷺ لم يكن ظاهره أن الحجر صفة لله، بل صريح في أنه ليس صفة لله لقوله: «يمين الله في الأرض»، فقيده في الأرض ولقوله: «فمن صافحه فكأنما صافح الله» والمشبه ليس هو المشبه به وإذا كان صريحًا في أنه ليس صفة لله لم يحتج إلى تأويل يخالف ظاهره.

وابن قتيبة جوابه فيه قصور وهو قوله: **«وَأَصْلُ هَذَا أَنَّ الْمَلِكَ إِذَا صَافَحَ رَجُلًا، قَبَّلَ الرَّجُلُ يَدَهُ، فَهَذَا مِثْلُ أَنَّ الحَجَرَ بِمَنْزِلَةِ الْيَمِينِ لِلْمَلِكِ تُسْتَلَمُ وَتُلْثَمُ»**.



(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٣/ ٣٨٤).

(٢) انظر: التدمرية (ص ٧١).

١٤٣ ـ حَدِيثٌ آخَرُ: قَالُوا: رُوِّيتُمْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «تَرَوْنَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ»(١). وَاللهُ يَقُولُ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]. وَيَقُولُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]. وَقَالَ لِمُوسَى: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣].

قَالُوا: وَإِنَّ صَحَّ حَمَلْنَاهُ عَلَى الْعِلْمِ، كما قال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَـٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١﴾ [الفيل: ١] يعني: ألم تعلم.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: هَذَا الْحَدِيثُ صَحِيحٌ تَتَابَعَتْ عَلَى نَقْلِهِ الرِّوَايَاتُ عَنِ الثِّقَاتِ الَّذِينَ رَوَوْا لَنَا الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ، وَمَعْنَاهُ: يَرَوْنَهُ مِثْلَ الْقَمْرِ لَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ، وَلَمْ يَقَعِ التَّشْبِيهُ بِهِ عَلَى جَمِيعِ حَالَاتِ الْقَمَرِ فِي التَّدْوِيرِ وَالْمَسِيرِ وَالْحُدُودِ وَغَيْرِهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ يَعْنِي: فِي دَارِ الدُّنْيَا؛ لِأَنَّ الرُّؤْيَةَ لَوِ اسْتَحَالَتْ لَمْ يَسْأَلْهَا نَبِيٌّ، وَكَذَلِكَ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ﴾. يَعْنِي: فِي الدُّنْيَا. أَوْ: لَا تُحِيطُ بِهِ.

الشرح

هَذِهِ الشُّبْهَةُ الثالثة عشر على حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «تَرَوْنَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ» وقد رَوَاهُ الشَّيْخَانِ البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ من حديثِ جَرِيرِ بنِ عَبْدِاللهِ البَجَلِيِّ رضي الله عنه أنهم سَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟

---

(١) سبق تخريجه.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ**». قَالَ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ صَحْوًا لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ؟ وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ صَحْوًا لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟**». **قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «مَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ اللهِ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا**»[(١)].

والمَعْنَى: أَنَّكُمْ تَرَوْنَ رَبَّكُمْ رُؤْيَةً وَاضِحَةً من غَيْرِ تَعَبٍ، كَمَا أَنَّكُمْ تَرَوْنَ القمرَ ليلةَ البَدْرِ وَاضِحًا، وتَرَوْنَ الشمسَ صَحْوًا واضحة.

وهَذِهِ الشُّبْهَةُ عَلَى لِسَانِ المُعْتَزِلَةِ فقالت: أَنْتُمْ تَرْوُونَ هَذَا الحَدِيثَ، وهو يعارضُ الآياتِ، فاللهُ يقولُ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ويقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾. وأَنْتُمْ شَبَّهْتُمُ الله بِالْقَمَرِ، وهُوَ يَقُولُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾. ويَقُولُ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾. وقال لموسى: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾. وَأَنْتُمْ تَزْعُمونَ أَنَّ النَّاسَ يَرَوْنَهُ بالأَبْصَارِ.

○ قوله: «**قَالُوا: وَإِنَّ صَحَّ حَمَلْنَاهُ عَلَى الْعِلْمِ**» والمعنى ـ عندهم ـ: أَنَّكُمْ تَرَوْنَ رَبَّكُمْ؛ أي: تَعْلَمُونَ أَنَّ لَكُمْ رَبًّا كَمَا تَعْلَمُونَ القَمَرَ قَمَرًا، كَقَوْلِهِ ـ تَعَالى ـ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ①﴾ [الفيل: ١] أي: أَلَمْ تَعْلَمْ.

○ **ونرد على شبهة المعتزلة الذين أنكروا هذه الرؤية بعدة أمور:**

أولًا: نَقُولُ: أَحَادِيثُ الرُّؤْيَةِ مُتواتِرَةٌ؛ بَلَغَتْ حَدَّ التَّوَاتُرِ، وهَذَا الحديثُ لا إِشْكَالَ فِيهِ، قد رواهُ الشَّيْخَانِ وغَيْرُهُمَا، وهو من أَصَحِّ الأَحَادِيثِ.

ثانيًا: تَفْسِيرُ الرُّؤْيَةِ بالعِلْم تَفْسِيرٌ بَاطِلٌ يُفْسِدُ المَعْنَى، فكَيَف تُفَسَّرُ الرُّؤْيَةُ بالعِلْمِ مَع أَنَّ الحَدِيثَ صَرِيحٌ؟! «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ**

(١) سبق تخريجه.

الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ صَحْوًا لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ؟ وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ صَحْوًا لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟». فهَل الرُّؤْيَةُ مَعْنَاهَا العِلْمُ أم مَعْنَاهَا الرُّؤْيَةِ بالبَصرِ؟!

● **والجواب** الرؤية بالبَصرِ صَرِيحٌ وَاضِحٌ.

وأمَّا قَوْلُ الله ـ تعالى ـ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾.

○ أجابَ ابنُ قُتَيْبَةَ فقال: «**يَعْنِي: فِي الدُّنْيَا**» ولَكِنْ تُدْرِكُهُ في الآخرة، وَهُناك جَوَابٌ آخَرُ عَنِ الآيَةِ؛ وهُوَ أَنَّ المَعْنَى ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾. لَا تُحِيطُ بِهِ رُؤْيَةً وإنْ كَانَتْ تَرَاهُ، والمعنى: تَرَاهُ الأَبْصَارُ في الآخِرَةِ؛ لكنْ لَا تُحِيطُ بِهِ رُؤْيَةً لِكَمَالِ عَظَمَتِهِ.

أما قوله لموسى: «﴿لَن تَرَىٰنِى﴾» أي: لنْ تَرَانِي في الدُّنْيَا. أمَّا فِي الآخِرَةِ، فإنَّ الله ـ تعالى ـ أخبرَ أنَّ المُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ في كِتَابِهِ، وعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ.

○ ومما أجاب به ابنُ قُتَيْبَةَ أَنَّهُ قَالَ: «**هَذَا الْحَدِيثُ صَحِيحٌ تَتَابَعَتْ عَلَى نَقْلِهِ الرِّوَايَاتُ عَنِ الثِّقَاتِ الَّذِينَ رَوَوْا لَنَا الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ، وَمَعْنَاهُ: يَرَوْنَهُ مِثْلَ الْقَمْرِ لَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ، وَلَمْ يَقَعِ التَّشْبِيهُ بِهِ عَلَى جَمِيعِ حَالَاتِ الْقَمَرِ فِي التَّدْوِيرِ وَالْمَسِيرِ وَالْحُدُودِ وَغَيْرِهِ**».

فالمُرَادُ تَشْبِيهُ الرُّؤْيَةِ بالرُّؤْيَةِ وليسَ المرادُ تَشْبِيهَ الله بالقَمَرِ، فاللهُ يَقُولُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ والمعنى: أَنَّكُمْ تَرَوْنَ الله رُؤْيَةً واضِحَةً كَمَا تَرَوْنَ القَمَرَ رُؤْيَةً واضِحَةً.

قال المؤلف: «**وقَوْلُهُ**: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾. **يَعْنِي: فِي دَارِ الدُّنْيَا**؛ ـ هذا قول ـ؛ **لِأَنَّ الرُّؤْيَةَ لَوِ اسْتَحَالَتْ لَمْ يَسْأَلْهَا نَبِيٌّ**».

❁ ❁ ❁

١٤٤ ـ حَدِيثٌ آخَرُ: قَالُوا: رُوِّيتُمْ: «إِنَّ الصَّدَقَةَ تَدْفَعُ الْقَضَاءَ الْمُبْرَمَ»[١]. وَاللهُ يَقُولُ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٤٠﴾ [النحل: ٤٠] وَأَجْمَعَ النَّاسُ عَلَى أَنَّهُ لَا رَادَّ لِقَضَائِهِ، وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: وَمَعْنَاهُ أَنَّ مَنْ أَذْنَبَ اسْتَحَقَّ الْعُقُوبَةَ، فَإِذَا هُوَ تَصَدَّقَ دَفَعَ ذَلِكَ عَنْ نَفْسِهِ، كَمَا رُوِيَ: «صَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَتَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ».

الشَّرْحُ

هَذِهِ الشُّبْهَةُ الرابعةَ عَشَرَ وهِي الشُّبْهَةُ الأَخِيرَةُ وهي على حَدِيثِ: «**إِنَّ الصَّدَقَةَ تَدْفَعُ الْقَضَاءَ الْمُبْرَمَ**» وهَذَا الحَدِيثُ رَوَاهُ ابنُ عَسَاكِرَ بِلَفْظِ: «**الصَّدَقَةُ تَدْفَعُ الْقَضَاءَ السُّوءَ**» .والحديث أيضا رواه الترمذي بلفظ آخر بلفظ: «**إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَتَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ**»[٢] وهَذَا الحَدِيثُ رَوَاهُ أنسٌ مَرْفُوعًا، وقال التِّرْمِذِيُّ: هذا حديثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ. وَقَدْ رُوِيَ أَوَّلُهُ من حديثِ عبدِالله بنِ جَعْفَرٍ، وأَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، وعبدِاللهِ بنِ عَبَّاسٍ وغَيْرِهِمْ.

وهَذَا الحَدِيثُ فيهِ أَنَّ الصَّدَقَةَ تَدْفَعُ القضاءَ.

وصاحِبُ الشُّبْهَةِ يقولُ: الحَدِيثُ فِيهِ أَنَّ الصَّدَقَةَ تَدْفَعُ القضاءَ،

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٦/ ٤٥٥/ ١٩٧٧) بلفظ: «**الصَّدَقَةُ تَدْفَعُ الْقَضَاءَ السُّوءَ**».

(٢) أخرجه الترمذي: كتاب الزكاة، باب ما جاء في فضل الصدقة، رقم (٦٦٤).

ولكنْ دَلَّتِ النُّصُوصُ الأُخْرَى عَلَى أنَّ القضاءَ لا يُرَدُّ، ولا يُدْفَعُ كـقَـوْلِـه ـ تـعَـالـى ـ: «﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٤٠﴾ [النحل: ٤٠]».

قَالُوا: «**وَأَجْمَعَ النَّاسُ أَنَّهُ لَا رَادَّ لِقَضَاءِ الله، وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ**» فَكَيْفَ تَرْوُونَ هذا الحَدِيثَ، والنُّصُوصُ الأُخْرَى دَلَّتْ عَلَى أنَّ القَدَرَ نَافِذٌ، وأنَّهُ لا يَرُدُّهُ شيءٌ؟!

○ أجاب ابن قتيبة رَحِمَهُ اللهُ بقوله: «**وَمَعْنَاهُ أَنَّ مَنْ أَذْنَبَ اسْتَحَقَّ الْعُقُوبَةَ، فَإِذَا هُوَ تَصَدَّقَ دَفَعَ ذَلِكَ عَنْ نَفْسِهِ، كَمَا رُوِيَ: «صَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَتَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ» وللجواب عن هذا الحديث لابد من بيان أن القَضَاء نوعَان:**

النوع الأول: قَضَاءٌ مُبْرَمٌ، وهو الذي لم يُعَلَّقْ بسببٍ. وهَذَا لَا يُرَدُّ؛ كما جاءَ في الحَدِيثِ عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ**»[1].

النوع الثاني: قَضَاءٌ أَوْ قَدَرٌ مُعَلَّقٌ بِسَبَبٍ؛ كأنْ يَكُونَ مَعَلَّقًا بالدُّعَاءِ؛ أو بِصِلَةِ الرَّحِمِ؛ فإنها تَزِيدُ في العُمُرِ؛ أو بالصدقة، كأن يكْتَبَ الله أنَّ هَذَا البَلاءَ يُدْفَعُ عن المريضِ بالصَّدَقَةِ؛ أي: إن الله قَدَّرَ السَّبَبَ والمُسَبِّبَ؛ وهو مَكْتُوبٌ في الأَزَلِ أنه يُدفَعُ بفعله هذا السبب؛ وهو الدعاء أو الصَّدَقَةُ؛ أو صِلَةُ الرحم.

■ **قد يقول قائل:** هل يستدل بقوله ـ تعالى ـ: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩] على أن القضاءَ والقَدَرَ يُرَدُّ؟

● **فنقول:** لا، فإن مَا كُتِبَ في اللَّوْحِ المَحْفُوظِ لا يُغَيَّرُ ولا

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم (٢٨٨٩).

يُبَدَّلُ؛ لكن هذه الآية قال العلماء فيها: يَمْحُو اللهُ ما في صُحُفِ الحَفَظَةِ؛ ليُوَافِقَ ما في اللَّوْحِ المَحْفُوظِ، فقد يكتُبُ الحَفَظَةُ شيئا ثم يُمْحَى؛ حتى يوافِقَ ما كَتَبَهُ اللهُ في اللَّوْحِ المَحْفُوظِ؛ ولهذا قال ـ تعالى ـ: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ٣٩﴾ [الرعد: ٣٩] و﴿أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: أَصْلُ الْكِتَابِ، وهُوَ اللَّوْحُ المَحْفُوظُ.

وفي الآيَةِ الأُخْرَى يَقُولُ ـ تعالى ـ: ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ١٢﴾ [يس: ١٢] وهو: اللَّوْحُ المَحْفُوظُ، وهو المقصود في قوله الله ـ تعالى ـ: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ﴾ [الحج: ٧٠]. وقوله ـ تعالى ـ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ﴾ [الحديد: ٢٢] وفي الحديث «**وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ**»[1].



---

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ﴾ [الرُّوم: ٢٧]، رقم (٣١٩١).

فَصْلٌ

١٤٥ ـ وَهَذَا وَأَشْبَاهُهُ إِنَّمَا تَكَلَّمَ فِيهِ الْعُلَمَاءُ دَفْعًا لِمَا ذَكَرَهُ الْمُتَكَلِّمُونَ، وَاعْتَرَضَ عَلَيْهِ الْمُخَالِفُونَ، وَعَلَى نَحْوِ هَذَا سَلَكَ شَيْخُنَا الْإِمَامُ أَبُو يَعْلَى ﷺ فِي كِتَابِهِ الَّذِي وَسَمَهُ بـ«إِبْطَالِ التَّأْوِيلَاتِ لِأَخْبَارِ الصِّفَاتِ»، فَمَنِ اعْتَقَدَ أَنَّه تَفَرَّدَ بِالْجَمْعِ، أَوْ بِالْجَوَابِ عَمَّا اعْتُرِضَ بِهِ عَلَيْهَا، فَإِنَّمَا يَقُولُ ذَلِكَ بَغْيرِ عِلْم. سَلَّمَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الشُّبُهَاتِ، وَأَعَاذَنَا مِنَ التَّشْبِيهَاتِ، وَغَفَرَ لَنَا الذُّنُوبَ وَالتَّبِعَاتِ بِجُودِهِ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللهُ.

الشَّرْحُ

هَذَا الفَصْلُ يُعَقِّبُ فِيهِ المؤلِّفُ ﷺ عَلَى مَا نَقَلَ عَنِ ابْنِ قُتَيْبَةَ من الشُّبُهَاتِ الَّتِي حَوْلَ النُّصُوصِ.

قال: «**وَهَذَا وَأَشْبَاهُهُ إِنَّمَا تَكَلَّمَ فِيهِ الْعُلَمَاءُ دَفْعًا لِمَا ذَكَرَهُ الْمُتَكَلِّمُونَ، وَاعْتَرَضَ عَلَيْهِ الْمُخَالِفُونَ**» فالعُلَمَاءُ ذَكَرُوا الرَّدَّ عَلَى هؤلاءِ المُتَكَلِّمِينَ الذِينَ جَاءوا بِهَذِهِ الشُّبَهِ، دَفْعًا لهَذِهِ الشُّبَهِ وإِبْطَالًا لهَا.

قال: «**وَعَلَى نَحْوِ هَذَا سَلَكَ شَيْخُنَا الْإِمَامُ أَبُو يَعْلَى ﷺ فِي كِتَابِهِ الَّذِي وَسَمَهُ بـ«إِبْطَالِ التَّأْوِيلَاتِ لِأَخْبَارِ الصِّفَاتِ»**» فالقَاضِي أَبُو يَعْلَى الحَنْبَلِيُّ المَعْرُوفُ، لَهُ كِتَابُ «إِبْطَالِ التَّأْوِيلَاتِ لِأَخْبَارِ الصِّفَاتِ» فِي الرَّدِّ على ابْنِ فَوْرَكَ، وهُوَ ـ أي: أبو يعلى ـ شَيْخٌ لِلْمُؤَلِّفِ.

فكتاب القاضي أبي يعلى فِيهِ الرَّدُّ على الشُّبَهِ.

ومما يؤخذ على كتاب القاضي أبي يعلى:

١- موافقة للأشاعرة، في بعض المسائل.

٢- ذِكْرُهُ أَحَادِيثَ مَوْضُوعَةً، كَحَدِيثِ الرُّؤْيَةِ عَيَانًا لَيْلَةَ المِعْرَاجِ.

٣- ذِكْرُهُ أَشْيَاءَ لَمْ تَثْبُتْ عَنِ السَّلَفِ الصَّالِحِ.

وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وقد صنف القاضي أبو يعلى كتابه في إبطال التأويل ردًّا لكتاب ابن فُورَك، وهو وإن كان أسند الأحاديث التي ذكرها وذكر مَن رواها، ففيها عدة أحاديث موضوعة كحديث الرؤية عيانًا ليلة المعراج ونحوه، وفيها أشياء عن بعض السلف رواها بعض الناس مرفوعة، كحديث قعود الرسول ﷺ على العرش، رواه بعض الناس من طرق كثيرة مرفوعة، وهي كلها موضوعة، وإنما الثابت أنه عن مجاهد وغيره من السلف، وكان السلف والأئمة يروونه ولا ينكرونه، ويتلقونه بالقبول. وقد يقال: إن مثل هذا لا يقال إلا توقيفًا، لكن لابد من الفرق بين ما ثبت من ألفاظ الرسول، وما ثبت من كلام غيره، سواء كان من المقبول أو المردود، ولهذا وغيره تكلم رزق الله التميمي وغيره من أصحاب أحمد في تصنيف القاضي أبي يعلى لها الكتاب بكلام غليظ، وشنع عليه أعداؤه بأشياء هو منها بريء، كما ذكر هو ذلك في آخر الكتاب، وما نقله عنه أبو بكر بن العربي في (العواصم) كذبٌ عليه عن مجهول لم يذكره أبو بكر، وهو من الكذب عليه، مع أن هؤلاء ـ وإن كانوا نقلوا عنه ما هو كذب عليه ـ، ففي كلامه ما هو مردود نقلًا وتوجيهًا، وفي كلامه من التناقض من جنس ما يوجد في كلام الأشعري، والقاضي أبي بكر الباقلاني، وأبي المعالي»[1].

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٢٣٧).

قلت: الذِي نَقَلُه القاضي أبو بكرِ بنُ العَرِبِّي عن القاضي أبي يعلى أنَّهُ قال: «وأخبرني من أثق بِه من مَشْيَخَتِي أنَّ أبَا يَعْلَى مُحَمَّدَ بنَ الحُسينِ الفَرَّاء رَئِيسَ الحَنابِلَةِ في بَغْدَادَ كان يقولُ: إذا ذَكَرَ الله ـ تَعَالى ـ وَمَا وَرَدَ مِنْ هَذِهِ الظَّوَاهِرِ في صِفَاتِهِ يقولُ: أَلْزِمُونِي مَا شِئْتُمْ فإنِّي ألتزمه إلَّا اللِّحْيَةَ والعَوْرَةَ»[1].

○ يَقُولُ المُؤَلِّفُ: «**فَمَنِ اعْتَقَدَ أَنَّه تَفَرَّدَ بِالْجَمْعِ، أَوْ بِالْجَوَابِ عَمَّا اعْتُرِضَ بِه عَلَيْهَا، فَإِنَّمَا يَقُولُ ذَلِكَ بغَيرِ عِلْمٍ**» يَعْنِي: مَنِ اعْتَقَدَ أَنَّهُ يأتي بِجَمِيعِ أخبارِ الصِّفَاتِ، أو بَجِمِيعِ الرُّدُودِ، فإنَّهُ يقول ذَلِكَ من غَيْرِ عِلْمٍ.

○ ثم دعا فقال: «**سَلَّمَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الشُّبُهَاتِ، وَأَعَاذَنَا مِنَ التَّشْبِيهَاتِ، وَغَفَرَ لَنَا الذُّنُوبَ وَالتَّبِعَاتِ بِجُودِهِ وَكَرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللهُ**».

○ قوله: «إِنْ شَاءَ اللهُ» غلط فإن الدُّعَاءَ (لا يُقَيَّدُ) بـ«إنْ شَاءَ اللهُ» بل يَجْزِمُ (الإِنْسَانُ) المسألة لقوله ﷺ: «**لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ، فَإِنَّهُ لَا مُكْرِهَ لَهُ**»[2]، **إلا إن أراد الخبر ـ كما تقدم ـ.**



---

(١) انظر: النص الكامل للعواصم من القواصم (ص ٢١٠).

(٢) سبق تخريجه.

فَصْلٌ

١٤٦ ـ وَأَمَّا كِتَابُ (الشَّرِيعَةِ) الَّذِي جَمَعَهُ الْآجُرِيُّ ﷺ، وَنَصَحَ فِيهِ، فَجَمِيعُ أَخْبَارِ الصِّفَاتِ سَاقَهَا فِيهِ، وَأَمَرَّهَا عَلَى ظَاهِرِهَا، وَمَنَعَ مِنَ الْكَلَامِ، وَحَدِيثُ الرُّؤْيَةِ ذَكَرَهُ، وَسَاقَ طُرُقَ ابْنِ عَبَّاسٍ فِيهِ، وَقَدْ أَفْرَدْتُ بِذَلِكَ كِتَابًا، وَبَقِيَتْ الْأَبْوَابُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِالسُّنَّةِ فَقَدْ ذَكَرَهَا أَيْضًا، وَسُقْتُهَا فِي كِتَابِي فِي السُّنَّةِ وَهُوَ جُزْءَانِ يَشْتَمِلُ عَلَى نَحْوِ خَمْسِينَ بَابًا، وَقَدْ أَتَى فِي هَذَا الْكِتَابِ جِمْلَةٌ كَافِيَةٌ مِنْهَا، نَفَعَنَا اللهُ بِهَا وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ.

الشَّرْح

فِي هَذَا الفَصْلِ بَيَّنَ فِيهِ المُؤَلِّفُ أن كتابَ (الشريعة) لِلآجُرِّيِّ كِتَابٌ جَيِّدٌ، وأنَّه نَصَحَ فِيهِ، وأنه أورد فيه جميع أخبار الصفات كما قال: «**فَجِمِيعُ أَخْبَارِ الصِّفَاتِ سَاقَهَا فِيهِ، وَأَمَرَّهَا عَلَى ظَاهِرِهَا، وَمَنَعَ مِنَ الْكَلَامِ** ـ أي: من التأويل ـ، **وَحَدِيثُ الرُّؤْيَةِ ذَكَرَهُ، وَسَاقَ طُرُقَ ابْنِ عَبَّاسٍ فِيهِ**».

○ يقول المؤلف ابن البَنَّاءِ: «**وَقَدْ أَفْرَدْتُ بِذَلِكَ كِتَابًا**» يَعْنِي: فِي الصِّفَاتِ، وبَقِيَّةِ الأَبْوَابِ المُتَعَلِّقَةِ بالسُّنَّةِ كأَنَّهُ أَفْرَدَ في حَدِيثِ الرُّؤْيَةِ وبَقِيَّةِ الأبواب.

○ ثم قال: «**وَسُقْتُهَا فِي كِتَابِي فِي السُّنَّةِ وَهُوَ جُزْءَانِ يَشْتَمِلُ عَلَى نَحْوِ خَمْسِينَ بَابًا**» هذا الكتاب لا أَدْرِي هَلْ هُوَ مَطْبُوعٌ أم لا؟ وهذا الْكِتَابُ الذي يُشِيرُ إِلَيْهِ ذكر أَنَّهُ جَمَعَ فِيهِ مَا يَتَعَلَّقُ بالرُّؤْيَةِ، وجميع أبوابِ السُّنَّةِ، وأَنَّهُ أَتَى فِي هَذَا الْكِتَابِ بِجُمْلَةٍ كَافِيَةٍ.

❁ ❁ ❁

بَابٌ فِي ذِكْرِ الصَّحَابَةِ ﵃

١٤٧ ـ أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ الْحَمَّامِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَلِيٍّ الْخُطَبِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُاللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبَلٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: السُّنَّةُ فِي التَّفْضِيلِ الَّذِي نَذْهَبُ إِلَيْهِ إِلَى مَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ، نَقُولُ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ.

فَأَمَّا الْخِلَافَةُ: فَنَذْهَبُ إِلَى حَدِيثِ سَفِينَةَ؛ يَعْنِي عَنِ النَّبِيِّ ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «الخِلَافَةُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ سَنَةً»[1]. فَنَقُولُ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ.

فِي الْخُلَفَاءِ نَسْتَعْمِلُ الْحَدِيثَيْنِ جَمِيعًا.

قَالَ سَفِينَةُ: «فَخُذْ سَنَتَيْنِ أَبُو بَكْرٍ، وَعَشْرٍ عُمَرُ، وَثِنْتَيْ عَشْرَةَ عُثْمَانُ، وَسِتٌّ عَلِيٌّ ﵃»[2].

الشَّرْحُ

خَتَمَ الـمُؤَلِّفُ ﵀ كِتَابَهُ بِبَابٍ فِي ذِكْرِ الصَّحَابَةِ ﵃، وأَحْسَنَ الـمُؤَلِّفُ ﵀ إذ خَتَمَ كِتَابَهُ بِهَذَا البابِ العَظِيمِ الَّذِي أَوْرَدَ فِيهِ طَائِفَةً من النُّصُوصِ الدَّالَةِ على فَضْلِ الصَّحَابَةِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وأرضاهم ـ ولا سِيَّمَا الخلفاءُ الرَّاشِدُونَ الأربعة: أبو بكر، وعمر، وعثمان،

---

(١) أخرجه أبو داود: كتاب السنة، بَابٌ فِي الْخُلَفَاءِ، رقم (٤٦٤٦)، والترمذي: أبواب الفتن، بَابُ مَا جَاءَ فِي الخِلَافَةِ، رقم (٢٢٢٦)، وقال هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

(٢) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة: (١/ ٤٨٨/ ٧٩٠)، وعبدالله بن أحمد في السنة (٢/ ٥٩١/ ١٤٠٢).

وعَلي، ثم بقية العشرة ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أجمعين ـ، ولا شَكَّ أَنَّ الكلامَ في الصحابة كلامٌ عَظِيمٌ، وأنَّ أهلَ السُّنَّةِ والجماعةِ يَعْتَقِدُونَ فَضْلَ الصَّحَابَةِ، كما دَلَّتْ عَلَيْهِ النُّصُوصُ من كتابِ الله وسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ في فضل الصحابة.

فالصحابةُ أَفْضَلُ النَّاسِ بعدَ الأَنْبِيَاءِ، اخْتارَهُمُ اللهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ، فهُمُ الذِينَ نَقَلُوا إِلَيْنَا الشَّرِيعَةَ، وحَمَلُوهَا، وجَاهَدُوا في الله؛ جَاهَدُوا مع رَسُولِ الله ﷺ ونَشَرُوا دِينَ الله، وصَحِبُوا رَسُولَ الله، والقُرْآنُ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ، ويَسْمَعُونَ كَلَامَ النَّبِيِّ ﷺ ويَسْأَلُونَ عَمَّا أَشْكَلَ عليهم؛ فلَهُمْ مَزِيَّةٌ وفَضْلٌ عَلَى الأُمَّةِ؛ ولهَذَا فإنَّ كلَّ من أَلَّفَ في كُتُبِ العَقَائدِ يَذْكُرُ الصَّحَابَةَ، ويجعل لهُمْ فَصْلًا يُبَيِّنُ فَضْلَهُمْ ومَزِيَّتَهُمْ وبَيانَ مَرَاتِبِهِمْ، وأنَّ أفْضَلَهُمُ الخلفاءُ الرَّاشِدُونَ، ثُمَّ بَقِيَّةُ العَشَرَةِ، ثُمَّ أَهْلُ بَدْرٍ، ثم أَهْلُ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ.

وقَدْ رُوِيَ عن مَالكِ بنِ أَنَسٍ أنه قال: «**كَانَ السَّلَفُ يُعَلِّمُونَ أَوْلَادَهُمْ حُبَّ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ كَمَا يُعَلِّمُونَ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ**»[1] رَوَاهُ اللالَكَائِيُّ في (شرح أصول اعتقاد أهلِ السُّنَّةِ)، ولا يخلو كِتَابٌ من كُتُبِ العَقَائِدِ إِلَّا وفِيهِ ذِكْرُ الصَّحَابَةِ.

○ نقل المؤلف عن عبدالله بن الإمام أحمد أنه قَالَ: «**سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: السُّنَّةُ فِي التَّفْضِيلِ الَّذِي نَذْهَبُ إِلَيْهِ إِلَى مَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ، نَقُولُ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ**». هَذَا هُوَ الصَّوَابُ؛ فأَفْضَلُ الصَّحَابَةِ الخلفاءُ الرَّاشِدُونَ الأَرْبَعَةُ، وأنَّ تَرْتِيبَهُمْ في الفَضِيلَةِ كَتَرْتِيبِهِمْ في الخِلَافَةِ؛ أَفْضَلُهُمْ أبو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ.

---

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٣١٣/٧).

ورُوِيَ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ رضي الله عنه أنَّه قَدَّمَ في إحدى الروايتين عليًّا عَلَى عُثْمَانَ، وفي الخِلَافَةِ قَدَّمَ عثمانَ على عَلِيٍّ. ورُوِيَ أَنَّهُ رَجَعَ عَنْهُ، ووافق جَماهِيرَ أَهْلِ السُّنَّةِ؛ فيكون إجماعا من أهلِ السُّنَّةِ أَنَّ أفضلَ الناسِ بعدَ الأنبياءِ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ، وأنَّ تَرْتِيبَهُمْ في الفَضِيلَةِ كتَرْتِيبِهِمْ في الخِلَافَةِ.

ثم إنَّ أهلَ السُّنَّة يَعْتَرِفُونَ لهم بالخِلَافَةِ، وأنَّ خِلافَتَهُمْ حَقٌّ، والسُّنَّةُ دَلَّتْ على هَذَا، كما قال النَّبِيُّ ﷺ: **«الخِلَافَةُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ سَنَةً»**.

○ وقد قرر الإمام أحمد أن يذهب في الخلافة إلى استعمال الْحَدِيثَيْنِ جَمِيعًا، **«قَالَ سَفِينَةُ: «فَخُذْ سَنَتَيْنِ أَبُو بَكْرٍ، وَعَشْرٍ عُمَرُ»** يُرِيدُ أَنْ يَعُدَّ الثَّلَاثِينَ، هَذِهِ اثْنَا عَشَر، **«وَثِنْتَيْ عَشْرَةَ عُثْمَانُ»**، هَذِهِ تَكُونُ أربعًا وعِشْرِين، **«وَسِتٌّ عَلِيٌّ» هَذِه ثَلَاثُونَ». وهَذَا العَدُّ مَبْنِيٌّ على حَذْفِ الكَسْرِ، وإلا فَخِلَافَةُ أبي بكر سَنَتَانِ وأربعةُ أَشْهُرٍ، وخِلَافَةُ عُمَر عَشْرُ سِنِينَ ونِصْفُ، وخِلَافَةُ عثمانَ اثْنَتَا عَشَرَةَ، وخِلَافَةُ عَلِيٍّ أَرْبَعُ سِنِينَ، وبعده السِّتَّةُ أَشْهُرٍ التِي تولى فيها الحسنُ بنُ عَلِيٍّ؛ بعدها تَنَازَلَ بالخِلَافَةِ لمعَاوِيَةَ بِشَرْطِ حَقْنِ دِمَاءِ المسلمين؛ فهذا يُوافِقُ حديثَ النَّبِيِّ ﷺ: «الخِلَافَةُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ سَنَةً»**.



١٤٨ـ وَأَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُالله، قَالَ: سَأَلْتُ أَبِي عَنِ الشَّهَادَةِ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ هُمَا فِي الْجَنَّةِ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَأَذْهَبُ إِلَى حَدِيثِ سَعِيدِ بنِ زَيْدٍ قَالَ: «أَشْهَدُ أَنَّ النَّبِيَّ فِي الْجَنَّةِ، قَالَ: وَكَذَلِكَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ التِّسْعَةُ، وَالنَّبِيُّ عَاشِرُهُمْ»[1]. وَقَوْلُ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ: «لَوْ كُنْتُ شَاهِدًا لِأَحَدٍ حَيٍّ أَنَّهُ فِي الْجَنَّةِ لَشَهِدْتُ لِعَبْدِالله بْنِ عُمَرَ»[2]. قَالَ اللهُ ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَالسَّٰبِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَٰجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠] الْآيَةَ، وَقَالَ: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨] الْآيَةَ.

قُلْتُ لِأَبِي: فَإِنْ قَالَ: أَنَا أَقُولُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ فِي الْجَنَّةِ، وَلَا أَشْهَدُ. قَالَ: يُقَالُ لَهُ: هَذَا الَّذِي تَقُولُ حَقٌّ؟ فَإِنْ قَالَ: نَعَمْ، يُقَالُ لَهُ: أَلَا تَشْهَدُ عَلَى الْحَقِّ؟ وَالشَّهَادَةُ هِيَ الْقَوْلُ، وَلَا تَشْهَدُ حَتَّى تَقُولَ، فَإِذَا قَالَ شَهِدَ[3].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْجَنَّةُ عِشْرُونَ وَمِائَةُ صَفٍّ، ثَمَانُونَ مِنْهَا مِنْ أُمَّتِي»[4]. إِذَا لَمْ يَكُنْ أَصْحَابُ رَسُولِ الله ﷺ مِنْهُمْ فَمَنْ

(١) أخرجه أبو داود: كتاب السنة، بَابٌ فِي الْخُلَفَاءِ، رقم (٤٦٤٩)، وابن ماجه: المقدمة، فضائل العشرة، رقم (١٣٣).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٦٤٤/ ٦٣٦٦)، والخلال في السنة: (٢/ ٣٦٣/ ٤٩٢).

(٣) أخرجه الخلال في السنة: (٢/ ٣٦٥/ ٤٩٧).

(٤) أخرجه الترمذي: أَبْوَابُ صِفَةِ الْجَنَّةِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي صَفِّ أَهْلِ الْجَنَّةِ، رقم (٢٥٤٦)، وابن ماجه: كتاب الزهد، بَابُ صِفَةِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، رقم (٤٢٨٩).

يَكُونُ؟!»(١).

الشَّرْح

هَذَا الحَدِيثُ رَوَاهُ عبدُالله عنِ الإِمَامِ أحمدَ أَنَّهُ قَالَ: «**سَأَلْتُ أَبِي عَنِ الشَّهَادَةِ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ هُمَا فِي الْجَنَّةِ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَأَذْهَبُ إِلَى حَدِيثِ سَعِيدِ بنِ زيدٍ قَالَ: «أَشْهَدُ أَنَّ النَّبِيَّ فِي الْجَنَّةِ»**.

وكَذَلِكَ بَقِيَّةُ العَشَرَةِ في الحَدِيثِ الآخَرِ الَّذِي قَالَ: «عَشَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ: النَّبِيُّ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ بْنُ مَالِكٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَلَوْ شِئْتُ لَسَمَّيْتُ الْعَاشِرَ، قَالَ: فَقَالُوا: مَنْ هُوَ؟ قَالَ: سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ»(٢). فَعَدَّ العَشَرَةَ.

وَقَوْلُ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ: «**لَوْ كُنْتُ شَاهِدًا لِأَحَدٍ حَيٍّ أَنَّهُ فِي الْجَنَّةِ لَشَهِدْتُ لِعَبْدِالله بْنِ عُمَرَ**». وقد جاءت الرواية، تَدُلُّ على هذا، وهو حديث: «كَانَ الرَّجُلُ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، إِذَا رَأَى رُؤْيَا، قَصَّهَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَتَمَنَّيْتُ أَنْ أَرَى رُؤْيَا أَقُصُّهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: وَكُنْتُ غُلَامًا شَابًّا عَزَبًا، وَكُنْتُ أَنَامُ فِي الْمَسْجِدِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَرَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنَّ مَلَكَيْنِ أَخَذَانِي فَذَهَبَا بِي إِلَى النَّارِ، فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ الْبِئْرِ، وَإِذَا لَهَا قَرْنَانِ كَقَرْنَيِ الْبِئْرِ، وَإِذَا فِيهَا نَاسٌ قَدْ عَرَفْتُهُمْ، فَجَعَلْتُ أَقُولُ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ النَّارِ، أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ النَّارِ، أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ النَّارِ، قَالَ فَلَقِيَهُمَا مَلَكٌ فَقَالَ لِي: لَمْ تُرَعْ، فَقَصَصْتُهَا عَلَى حَفْصَةَ، فَقَصَّتْهَا حَفْصَةُ، عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ،

---

(١) أخرجه الخلال في السنة :(٢/ ٣٦٥/ ٤٩٧).

(٢) سبق تخريجه.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُاللهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ**» قَالَ سَالِمٌ ابنه: فَكَانَ عَبْدُاللهِ، بَعْدَ ذَلِكَ، لَا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا[1] **فَظَاهِرُهُ أَنَّ النَّبِيَّ شَهِدَ لَهُ بالجَنَّةِ.**

○ قوله: «**قَالَ اللهُ ـ تَعَالَى ـ:** ﴿وَالسَّٰبِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَٰجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]». هَذِهِ تَزْكِيَةٌ وشَهَادَةٌ لجَمِيعِ الصَّحَابَةِ السابقينَ مِنَ المُهَاجِرينَ والأنصارِ.

○ قوله: «**وقال:** ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨] الآية» هَذِه الآية فِي أَهْلِ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ، وكَانُوا أَلْفًا وأَرْبَعَمِائَةٍ .

قَالَ عَبْدُالله: «**قُلْتُ لِأَبِي: فَإِنْ قَالَ: أَنَا أَقُولُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ فِي الْجَنَّةِ، وَلَا أَشْهَدُ. قَالَ: يُقَالُ لَهُ: هَذَا الَّذِي تَقُولُ حَقٌّ؟ فَإِنْ قَالَ: نَعَمْ، يُقَالُ لَهُ: أَلَا تَشْهَدُ عَلَى الْحَقِّ؟ وَالشَّهَادَةُ هِيَ الْقَوْلُ، وَلَا تَشْهَدُ حَتَّى تَقُولَ، فَإِذَا قَالَ شَهِدَ**».

فهَذَا كَلَامٌ مُتَنَاقِضٌ، فإذا كُنْتَ تَقُولُ: إِنَّهُ فِي الجَنَّةِ؛ فهَذِهِ هِيَ الشَّهَادَةُ، ولهذا جاء في رد الإمام إن هذا جهل.

وفي الحديث الآخر: «**الْجَنَّةُ عِشْرُونَ وَمِائَةُ صَفٌّ، ثَمَانُونَ مِنْهَا مِنْ أُمَّتِي**»[2] وهَذَا الحَديثُ رَوَاه ابنُ الخَلَّالِ في السُّنَّةِ[3]، أي إن الأمة ثُلُثَا أَهْلِ الجَنَّةِ.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب أصحاب النبي ﷺ، بَابُ مَنَاقِبِ عَبْدِاللهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ﵄، رقم (٣٧٣٩)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، رقم (٢٤٧٩).

(٢) أخرجه الترمذي: كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صف أهل الجنة، رقم (٢٥٤٦)، وابن ماجه: كتاب الزهد، باب صفة أمة محمد ﷺ، رقم (٤٢٨٩).

(٣) أخرجه أبو بكر بن الخلال في السنة (٢/ ٣٦٥).

وقد جاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ أن النَّبِيَّ ﷺ قال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ**» فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: «**أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ**» فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: «**أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الجَنَّةِ**» فَكَبَّرْنَا(١) لَكِنْ جاء فِي غَيْرِ الصَّحِيحَيْنِ أن هذه الأمة ثُلُثَا أهلِ الجَنَّةِ(٢).



(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، بَابُ قِصَّةِ يَأْجُوجَ، وَمَأْجُوجَ، رقم (٣٣٤٨)، ومسلم: كتاب الإيمان، رقم (٢٢٢).

(٢) أخرجه الحميدي (٢/ ٨٠/ ٨٥٣).

١٤٩ ـ وَأَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُالله، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ عَمْرٍو، وَابْنِ الْمُنْكَدِرِ، سَمِعَا جَابِرًا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ قَصْرًا، فَقُلْتُ لِمَنْ هَذَا؟ قَالُوا: لِعُمَرَ»[١].

وَرَوَى حُمَيْدٌ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ نَحْوَهُ[٢].

وَالزُّهْرِيُّ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. رَوَاهُ صَالِحُ بنُ كَيْسَانَ أَوْ غَيْرُهُ.

وَمَا يُرْوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ اسْتَأْذَنَ، فَقَالَ: «ائِذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ». لِأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ[٣]، فَتَكُونُ بُشْراهُ إِلَّا حَقًّا.

وَرَوَى أَنَسٌ وَسَهْلُ بْنُ سَعْدٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي أُحُدٍ: «اسْكُنْ فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ، وَصِدِّيقٌ، وَشَهِيدَانِ»[٤].

الشرح

هذه الأَحَادِيثُ في فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ.

الحديث الأول: هو حديث جَابِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «دَخَلْتُ

---

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ الغَيْرَةِ، رقم (٥٢٢٦)، ومسلم: كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، رقم (٢٣٩٤).

(٢) أخرجه الترمذي: أبواب المناقب، رقم (٣٦٨٨) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».

(٣) أخرجه البخاري: كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: «**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا**»، رقم (٣٦٧٤)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، رقم (٢٤٠٣).

(٤) أخرجه البخاري: كِتَابُ أصحاب النبي ﷺ، بَابُ مَنَاقِبِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ أَبِي عَمْرٍو القُرَشِيِّ ﷺ، رقم (٣٦٩٩).

الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ قَصْرًا، فَقُلْتُ لِمَنْ هَذَا؟ قَالُوا: لِعُمَرَ» هَذَا الحَدِيثُ رَوَاهُ الشيخان البخاري ومسلم، **وفِيهِ:**

١- الشَّهَادَةُ لِعُمَرَ بالجَنَّةِ.

٢- الرَّدُّ عَلَى الرَّافِضَةِ الذين يُكَفِّرُونَ الصَّحَابَةَ، ويُكَفِّرُونَ عُمَرَ وأَبَا بَكْرٍ، ويَسُبُّونَهُمْ، قَبَّحَهُمُ اللهُ.

○ قوله: **«وَرَوَى حُمَيْدٌ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ نَحْوَهُ»** رَوَاهُ أحمدُ والتِّرْمِذِيُّ وقالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

○ قوله: **«وَالزُّهْرِيُّ، عَنْ سَعِيدٍ، عَن أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ»** رَوَاهُ البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ.

الحديث الثاني: «أَنَّ أَبَا بَكْرٍ اسْتَأْذَنَ، فَقَالَ: «ائِذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ». لِأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ». رَوَاهُ الشيخان البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ من حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ قَالَ: «كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ المَدِينَةِ فَجَاءَ رَجُلٌ فَاسْتَفْتَحَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ»** فَفَتَحْتُ لَهُ، فَإِذَا أَبُو بَكْرٍ، فَبَشَّرْتُهُ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، فَحَمِدَ اللهَ، ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ فَاسْتَفْتَحَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ»**، فَفَتَحْتُ لَهُ فَإِذَا هُوَ عُمَرُ، فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، فَحَمِدَ اللهَ، ثُمَّ اسْتَفْتَحَ رَجُلٌ، فَقَالَ لِي: **«افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ، عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ»**، فَإِذَا عُثْمَانُ، فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَحَمِدَ اللهَ، ثُمَّ قَالَ: **«اللهُ المُسْتَعَانُ»**[1].

هذا الحديث صحيح رواه الشيخان، **وفيه من الفوائد:**

١- الشَّهَادَةُ لِلثَّلَاثَةِ بالجَنَّةِ.

٢- الرَّدُّ عَلَى الرَّافِضَةِ الذِينَ يَسُبُّونَ الثلاثةَ، ويَبْغَضُونَهُمْ

---

(١) سبق تخريجه وقد أورد هنا مختصراً.

ويَذُمُّونَهُمْ، ويَتَكَلَّمُونَ فيهم بِكَلَامٍ شَدِيدٍ، ويحْكُونَ القِصَصَ المَكْذُوبَةَ؛ قبَّحَهُمُ اللهُ وأَخْزَاهُمْ.

الحديث الثالث: حديث أَنَس وَسَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي أُحُدٍ: «**اسْكُنْ فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ، وَصِدِّيقٌ، وَشَهِيدَانِ**»[1] والحديثُ رَوَاهُ البخاري من حَدِيثِ أَنَسٍ رضي الله عنه، ورَوَاهُ ابنُ أبي عَاصِمٍ في (السُّنَّةِ) من حديث سهل رضي الله عنه[2].



(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٦٢١/ ١٤٣٧).

١٥٠ ـ أَخْبَرَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ الْبَزَّازُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا دَعْلَجُ بْنُ أَحْمَدَ الْعَدْلُ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حِبَّانَ التَّمَّارُ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَرَمِيُّ بْنُ حَفْصٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَشَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ: أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَابْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ»[1].

الشَّرْحُ

هَذَا حَدِيثُ عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَوَاهُ الإمامُ أحمدُ، والتِّرْمِذِيُّ، وابنُ حِبَّان، والبَغَوِيُّ في (شَرْح السُّنَّةِ)، وإسنَادُهُ عَلَى شَرْطِ مُسْلِم، فَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ، وهو حَدِيثٌ صَحِيحٌ، **وفيه:**

١- الشَّهَادَةُ لِلْعَشَرَةِ المُبَشَّرِينَ بالجَنَّةِ.

٢- الرَّدُّ على الرَّافِضَةِ الَّذِينَ يَتَنَقَّصُونَهُمْ، ويَبْخَسُونَهُمْ حَقَّهُمْ، بَلْ يَسُبُّونَهُمْ ويُكَفِّرُونَهُمْ، وهذا يدل على شِدَّةِ بُغْضِهِمْ لهُمْ.

۞ ۞ ۞

(١) أخرجه الترمذي: أبواب المناقب، بَابُ مَنَاقِبِ عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفِ بْنِ عَبْدِ عَوْفٍ الزُّهْرِيِّ رضي الله عنه، رقم (٣٧٤٧).

١٥١ - وَحَدَّثَنَا أَبُو الْفَتْحِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْحَافِظُ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ خَلَّادٍ الْعَدْلُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الحَارِثُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ وَاقِدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا بَشِيرُ بْنُ زَاذَانَ الْقُرَشِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ صُبْحٍ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ، قَالَ عَبْدُ الرَّحِيمِ: قَالَ لِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ: سَمِعْتُهُ مِنْ بَشِيرِ بْنِ زَاذَانَ، عَنْ بُكَيْرٍ، عَنْ مَكْحُولٍ، عَنْ شَدَّادٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَبُو بَكْرٍ أَرْأَفُ أُمَّتِي وَأَرْحَمُهَا، وَعُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ خَيْرُ أُمَّتِي وَأَعْدَلُهَا، وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ أَحْيَا أُمَّتِي وَأَكْرَمُهَا، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَلَبُّ أُمَّتِي وَأَسْمَحُهَا، وَعَبْدُاللهِ بْنُ مَسْعُودٍ أَبَرُّ أُمَّتِي وَآمَنُهَا، وَأَبُو ذَرٍّ أَزْهَدُ أُمَّتِي وَأَصْدَقُهَا، وَأَبُو الدَّرْدَاءِ أَعْبَدُ أُمَّتِي وَأَتْقَاهَا، وَمُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ أَحْلَمُ أُمَّتِي وَأَجْوَدُهَا»[1].

الشَّرْحُ

العَشَرَةُ المُبَشَّرُونَ بالجَنَّةِ رضي الله عنهم نَظَمَ الحَافِظُ ابن حَجَرٍ أسماءَهُمْ؛ في بَيْتَيْنِ فَقَالَ[2]:

لَقَدْ بَشَّرَ الهَادِي مِنَ الصَّحْبِ عَشْرَةً ... بِجَنَّاتِ عَدنٍ كُلُّهُمْ قَدْرُهُ عَلِيّ
عَتِيقٌ سَعِيدٌ سَعْدُ عُثْمَانُ طَلْحَةُ ... زُبَيْرُ ابْنُ عَوْفٍ عَامِرٌ عُمَر وَعَلِيّ

عَتِيقٌ هو: أَبُو بَكْرٍ.

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٣/ ٣٦٥/ ١٤٣٧).
(٢) انظر: اليواقيت والدرر شرح نخبة الفكر (١/ ١٦٩).

هَذَا الحَدِيثُ فِيهِ بعضُ الضَّعْفِ؛ رَوَاهُ العُقَيْلِيُّ في (الضُّعَفَاءِ)، وابنُ عَسَاكِرَ في (تَارِيخِهِ)، وفي سَنَدِهِ البَشِيرُ بنُ زَاذَانَ ضَعَّفَهُ الدَّارَقُطْنِيُّ وغَيْرُهُ، واتَّهَمَهُ ابنُ الجَوْزِيِّ وقال: إنَّهُ ليسَ بِشَيْءٍ.

وفي سَنَدِهِ أَيْضًا عُمَرُ بنُ الصُّبحِ؛ قال فيه الذهبي: هَالِكٌ.

ولكنَّ الحَدِيثَ لَهُ شَوَاهِد؛ وفِيهِ ضَعْفٌ مِنْ جِهَةِ هَذِهِ الأَوْصَافِ؛ قَالَ: «**أَبُو بَكْرٍ أَرْأَفُ أُمَّتِي وَأَرْحَمُهَا، وَعُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ خَيْرُ أُمَّتِي وَأَعْدَلُهَا، وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ أَحْيَا أُمَّتِي وَأَكْرَمُهَا، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَلَبُّ أُمَّتِي وَأَسْمَحُهَا، وَعَبْدُالله بْنُ مَسْعُودٍ أَبَرُّ أُمَّتِي وَآمَنُهَا، وَأَبُو ذَرٍّ أَزْهَدُ أُمَّتِي وَأَصْدَقُهَا، وَأَبُو الدَّرْدَاءِ أَعْبَدُ أُمَّتِي وَأَبْقَاهَا، وَمُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ أَحْلَمُ أُمَّتِي وَأَجْوَدُهَا**».

وفَضَائِلُ الصَّحَابَةِ مَعْرُوفَةٌ؛ ولَوْ لَمْ يَكُنْ في ذَلِكَ إِلَّا النُّصُوصُ والآيات القرآنية التي فِيهَا، منها قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]. ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ [الفتح: ٢٩]. ثُمَّ قَالَ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾، ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠] والحُسْنَى في الآية: الجَنَّةُ، فكُلُّ الصَّحَابَةِ وَعَدَهُمُ اللهُ بالجَنَّةِ.



١٥٢ ـ أَخْبَرَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ الْبَزَّازُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُاللهِ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ دَرَسْتُويَهْ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ سُفْيَانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ حَاتِمٍ الْعَلَّافُ، قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ الوَهَّابِ بْنُ عَطَاءٍ، عَنْ ثَوْرِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ مَكْحُولٍ، عَنْ كُرَيْبٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِلْعَبَّاسِ: «إِذَا كَانَ غَدَاةَ الاِثْنَيْنِ فَأْتِنِي أَنْتَ وَوَلَدُكَ» قَالَ: فَغَدَا وَغَدَوْنَا مَعَهُ قَالَ: فَأَلْبَسَنَا كِسَاءً، ثُمَّ قَالَ: «اللهُمَّ اغْفِرْ لِلْعَبَّاسِ وَلِوَلَدِهِ مَغْفِرَةً ظَاهِرَةً بَاطِنَةً لَا تُغَادِرُ ذَنْبًا، اللهُمَّ اخْلُفْهُ فِي وَلَدِهِ»[1].

الشَّرْحُ

هَذَا الحَدِيثُ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ من طَرِيقِ عبدِالوَهَّابِ بن عطاء، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ. والحديثُ حسَّنَهُ الألباني في صحيح سنن الترمذي[2].

وهذا الحديث فيه: فَضْلُ العَبَّاسِ ﷺ وولده؛ وهُوَ مِنْ آلِ البَيْتِ ﷺ، وهو عَمُّ النَّبِيِّ ﷺ.

❀ ❀ ❀

(١) أخرجه الترمذي: أبواب المناقب، رقم (٣٧٦٢).
(٢) انظر: صحيح سنن الترمذي للألباني (٨/ ٢٦٢).

١٥٣ ـ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْحَافِظُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عُثْمَانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ خَلَفٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِاللهِ الْبَصْرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، قَالَ: «لَوْ أَنَّ رَجُلًا عَمِلَ بِكُلِّ كَبِيرَةٍ، ثُمَّ مَاتَ وَسَلِمَ مِنْهُ أَصْحَابُ رَسُولِ الله وَمَاتَ عَلَى السُّنَّةِ؛ حُشِرَ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ».

الشَّرْح

هَذَا الحَدِيثُ مَوْقُوفٌ على مَالكِ بنِ أَنَسٍ رَحِمَهُ اللهُ إمام دَارِ الهِجْرَةِ قَالَ: «**لَوْ أَنَّ رَجُلًا عَمِلَ بِكُلِّ كَبِيرَةٍ، ثُمَّ مَاتَ وَسَلِمَ مِنْهُ أَصْحَابُ رَسُولِ الله وَمَاتَ عَلَى السُّنَّةِ؛ حُشِرَ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ**». المَعْنَى: أَنَّ حُبَّ الصَّحَابَةِ هَذَا لَا شَكَّ أَنَّهُ أَمْرٌ صَالِحٌ، فَمَحَبَّةُ النَّبِيِّ ﷺ ومَحَبَّةُ أصْحَابِهِ من الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ.

وفِيهِ: دَلِيلٌ عَلَى بُطْلَانِ مَذْهَبِ الرَّافِضَةِ، الذِينَ في قُلُوبِهِمْ غِلٌّ لأَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ، يَسُبُّونَهُمْ ويُكَفِّرُونَهُمْ ويُفَسِّقُونَهُمْ، ويَذْكُرُونَ القِصَصَ الشَّنِيعَةَ في أبي بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمَانَ؛ قَبَّحَ اللهُ الرَّافِضَةَ.

فَمَحَبَّةُ الصَّحَابَةِ دِينٌ فمن مات لا يُشْرِكُ بالله شَيْئًا، وأحِبُّ الرَّسُولَ ﷺ، والصَّحَابَةَ، ولَوْ صَدَرَتْ مِنه بَعْضُ المَعَاصِي الكبائر؛ كما قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: «**حُشِرَ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ**» فإن المَعَاصِي تَحْتَ مَشِيئَةِ الله، وقَدْ تَغْفِرُ هَذِهِ السِّيِّئَاتُ بالحَسَنَاتِ العَظِيمَةِ؛ كَمَا جاءَ في قِصَّةِ البَغِيِّ التي سَقَتْ كَلْبًا؛ فغَفَرَ

اللهُ لهَا[١]؛ فَكَذَلِكَ الإنسانُ إذا كان مُحِبًّا لِلصَّحَابَةِ، ويُقَدِّرُهُمْ، ويَرَى لهُمْ فَضْلًا، فإنَّ هَذِهِ الحَسَنَةَ عَظِيمَةٌ يُرْجَى لَهُ بِهَا المَغْفِرَةُ.



(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه، فإن في إحدى جناحيه داء وفي الأخرى شفاء، رقم (٣١٤٣)، ومسلم: كتاب السلام، باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها، رقم (٢٢٤٥).





الخاتمة

تَمَّ الْكِتَابُ بِحَمْدِ اللهِ وَمَنِّهِ فِي مُسْتَهَلِّ جُمَادَى الآخِرَةِ مِنْ سَنَةِ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ، وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ، وَنَفَعَنَا بِهِ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ إِنْ شَاءَ اللهُ.

الشَّرْحُ

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: «**تَمَّ الْكِتَابُ بِحَمْدِ اللهِ وَمَنِّهِ فِي مُسْتَهَلِّ جُمَادَى الآخِرَةِ مِنْ سَنَةِ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ**» هَذَا تَحْدِيدٌ لسنة ختم الْكِتَابِ والفراغ من تأليفه.

○ قوله: «**وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**» خَتَمَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ الكِتَابَ بِمَا ابْتَدَأَ بِهِ؛ فإنه ابْتَدَأَ بـ«**الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ**» وختم بـ«**الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ**». والمعنى: جَمِيعُ أَنْوَاعِ المَحَامِدِ مُسْتَحَقَّةٌ كُلُّهَا للهِ.

○ قوله: «**وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ**» ثُمَّ خَتَمَ بِالصَّلَاةِ والسلام على النَّبِيِّ ﷺ، والصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ هي: ثَنَاءُ اللهِ عَلَى عَبْدِهِ مُحَمَّدٍ؛ وهُوَ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ كما ثبت في الحديث الصحيح أنه قال: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ**»[1]. ومُحَمَّدٌ اسمٌ من أسْمَائِهِ؛ أَلْهَمَ اللهُ أَهْلَهُ بهذا الاسم لِكَثْرَةِ مَحَامِدِهِ، وله أسماءٌ كَثِيرةٌ، واسْمُهُ في التَّوْرَاةِ أَحْمَدُ، قالَ اللهُ عن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصّف: ٦] ويُسَمَّى: العَاقِبُ؛ لأَنَّهُ ليسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ، ويُسَمَّى:

(١) أخرجه مسلم: كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا على جميع الخلائق، رقم (٢٢٧٨).

الحَاشِرَ؛ لأَنَّهُ يُحْشَرُ النَّاسُ على قَدَمِهِ، وهُوَ لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ.

○ قوله: «**وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ**» في المراد بالآل:

قِيلَ: المُرَادُ بِهِمْ أَهْلُ بَيْتِهِ المُؤْمِنُونَ، ويدخُلُ في ذَلِكَ زَوْجَاتُهُ، وأَقَارِبُهُ: الحَسَنُ، والحُسَيْنُ، وفَاطِمَةُ، وعَلِيٌّ، والعَبَّاسُ.

وقِيلَ: أَتْبَاعُهُ على دِينِهِ، وهَذَا هو الصَّوَابُ. «الطَّاهِرِينَ» الَّذِينَ طَهَّرَهُمْ الله من الرِّجْسِ في قول: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ﴾ وهَذِهِ إِرَادَةٌ شَرْعِيَّةٌ، ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب: ٣٣].

والمرادُ: أَهْلُ بَيْتِهِ المُؤْمِنونَ، ويخرج مِنْ أهلِ البَيْتِ مَنْ كَفَرَ مِثْل: أَبِي لَهَب.

ثُمَّ دعا فقَالَ: «**وَنَفَعَنَا بِهِ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ**».

■ **مسألة: مَا المُرَادُ بِقَوْلِهِ: نَفَعَنَا بِهِ؟ هَلِ يَعُودُ الضَّمِيرُ يَعُودُ إلى النَّبِيِّ ﷺ؛ أي: نَفَعَنَا اللهُ بِمَحَبَّتِهِ؟**

● **الجواب**: يُحْتَمَلُ أن يكون المقصود: نَفَعَنَا اللهُ بِمَحَبَّةِ النَّبِيِّ ﷺ والصَّحَابَةِ، ويحتمل أن يكونَ المقصودُ: نَفَعَنَا بِهَذَا الكِتَابِ وجَمِيعَ المُسْلِمِين.

ثُمَّ قَالَ: «**إِنْ شَاءَ اللهُ**» قُلْنَا: إِنَّ تَرْكَ التَّقْيِيدِ بالمَشِيئَةِ هُوَ الصحيح، لا يَنْبَغِي أنْ نُقَيِّدَ، بل نقولُ: نَفَعَنَا اللهُ؛ فَيَجْزِمُ الإنسانُ فَلَا ولا يَسْتَثْنِي؛ لقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ «**لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ، فَإِنَّهُ لا مُكْرِهَ لَهُ**»[1].

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سبق تخريجه.

فهرس الموضوعات والفوائد

الموضوع رقم الصفحة

الموضوع | رقم الصفحة

الموضوع | رقم الصفحة

الموضوع | رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

التنفيذ الطباعي
مركز ابن تيمية للنشر والتوزيع
الرياض – المملكة العربية السعودية
هاتف الإدارة: ٠٥٠٢٩١٥٠٠٠ - المبيعات: ٠٥٤٧٠٢٩٠٠٠
البريد الإلكتروني: m.ibn.teemeah@gmail.com



مركز الراجحي للدراسات و الإستشارات